هذا كتاب ابتسام الغروس * ووشي الطروس *

في مناقب قطب الاقطاب * والغوث الملتجا اليه بلا ارتياب *
السامي مقامه * الذي انتشرت على آفاق البسيطة اعلامه *
المحي رياض علوم الحقيقة بعد الدروس * وحيد دهره *
وفريد عصره * سيدي احمد ابن عروس * قدس الله
ضريحه * واسكنه من الجنان فسيحه *

تاليف العالم العلامه * البحر الحبر الفهامه *
من لا زالت الفضلاء بنيرات فوائده
تهتدي * الشيخ سيدي عمر بن
علي الجزائري الراشدي *
برد الله ثراه * واسمى
قدره ومثواه *
آمين



طبعة اولى

بمطبعة الدولة التونسيه * بحاضرتها المحميه *

سنة ١٣٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

* وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم *

قال العبد الفقير الى من خلقه وسواه * الغنى به تعالى عمن سواه * عبيد الله الراجى ستره الجميل * وعفوه الجليل * عمر بن علي الجزائرى الراشدى امده الله بمدد لطفه * واسبل عليه سرادقات حنانه وعطفه * بمنه وكرمه آمين

الحمد لله الذى اورد اولياءه موارد الكرامات صدرا ونهلا * وجعلهم لوراثة الاسرار المقتبسة من انوار النبوة المحمدية اهلا * وسافر بهم سفير عنايته الى اقليم ولايته * فداسوا دونه حزنا وسهلا * وناداهم وقد ارتقوا فى كريم خدمته * من حضيض التلوين الى بقاع التمكين اهلا بالسعداء وسهلا * واختصهم

دون كثير بمزيد عناية لم تبق منهم لسواه بعضا ولا كلا * ولم تدع فيهم
سبقية الحسنى السابقة متثاقلا عن طاعته كلا * فهم ذائبون تشوقا اليه
دائبون على ما يقربهم زلفى لديه نهارا وليلا * قد شدوا حيازم عزماتهم
فى مرضاته وشمروا لذلك ذيلا * وهجروا من اجله المضاجع وهوى لبنى
وليلى * فما يعرفون الى سواه ميلا * ولا يطلبون بمعاول اعمالهم الصالحة من
معادن   فعرائس نفائس مناقبهم الجليلة على منصات الفخر الصميم
حقائقهم بها تزاح عنا حنادس ظلم الاغيار وتجلى * احمده سبحانه
حمد موحد لا يضم لقدم قدم توحيده عن بساط الرسوم
الله تعلى فى ابدية ازليته ليس كمثله شيء عقلا ونقلا * ونشكره
سبحانه وتعلى على نعمه التى والى ارسالها واولى * شكر من اوجب عجزه فى
فريضته وقد ضاقت لاتساع النعم حولا * ونضرع اليه ضراعة من لا يملك
لنفسه قوة ولا حولا * ونصلى على سيدنا ومولانا محمد الباهر المعجزات فعلا
وقولا * الرسول الذى رفع تعلى قدره العظيم لديه واعلى * وجعله افضل
المرسلين واجلهم مقاما واعلى * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
مدائحهم بين احبار نقلة الاخبار ابدا تملى * وشواهد مشاهدهم الجليلة على
تقادم الزمان لا تبلى * ما جدد المشوق له وصلا * وسلم عليه محبه وصلى *

اما بعد فانى لما وصلت فى شعبان عام سبعة وخمسين وثمانمائة للحضرة
العلية ترشيش * وشاهدت منها مقام صاحب النوالة والعريش * وهو الشيخ
الذى سما فى مقامات الاولياء قدرا * وطلع بين زهر نيراتهم بدرا * واثبت
فى ديوان شرفهم الاصيل صدرا * وافترع طريق التصريف وكانت فى
وقته عذرا * واذعن لباهر سره كل رئيس من المتصفين ومرءوس * وانطلق
بالبشر لامره الخارق محيا كل عبوس * واكتنف بعنايته القطر الافريقى وهو
فى حمى حمايته بكلاءة الله محروس * **سيدى ابو العباس احمد ابن
عروس** * وشاهدت بترددى اليه ما اغل فهمى * وكل دون بلوغ الغرض
سهمى * ولبس على يقينى بوهمى * فانى اذا نظرت اختلاف اجناس

بياض بالاصل وهكذا كل ما تجده من البياض فانه تبع للاصل المنقول منه لدينا اه مصححه

العاكفين ببابه * الواقفين وعليهم شعار السكينة من هيبة جنابه * وهم يتشاكون اوصابهم * و يتباكون ما اصابهم * بين يديه وهو فى سر امره العجيب * بين منصت لهم ومجيب * لفرط الالحاح ابعاده * و يستفزهم فرحا اسعافهم واسعاده * البركة ابراقه وارعاده * وهم يتهادون فيما بينهم مناقبه ومقامه
العالى حفيل بمن لاذ به والمنكرون
من ذلك ضربة لازم وان نظرت الى مصادمة تلوينه ظاهر الشريعه * والنفس كما قد علم الى التقليب سريعه * كان ذلك الى سوء الاعتقاد ذريعه * فاقف لذلك بين احجام واقدام * واتوقف فى حالى جبان ومقدام * ولست ادرى لاستيلاء حيرتى اى محل بضميرى احله * وهل ابرم عقد اعتقادى فيه او احله * الى ان كشف لى بيمين كشفه عن الحق القناع * وخاطبنى عما فى طى سرائرى بما فيه اقناع * واوضح من خبايا خفايا النفس ما اوجب عن لوامح القدح انتقالى * وابان من ذلك ما قضى بارتباطى دون ساحل بحره واعتقالى * فما بعد الهدى لمهتد هذيان * وليس الخبر كالعيان * ولم يبق لدى سوى توحد الاعتقاد الصريح * والجزم بذلك فى حالتى الايماء والتصريح * وتحتم التسليم له فيما يخالف ظاهره المعقول * وتدق خفايا سره عن مدركات العقول * وما زلت بعد انتقالى عن تونس مقيما فى امره على هذه الحاله * مصمما عليها تصميما لا تلحقه بحمد الله استحاله * والناس اذ ذاك فى امره رضى الله عنه ما بين منتقد معرض * ومعتقد لدفع المعترضين متعرض * ومسلم الامر فيه الى الله تعلى مفوض * وقد كان الامر فيه فيما سلف عن التاريخ ومن ادهى مما ادركت بعضه على ما قيل وامر وذلك انه رضى الله عنه مع اطلاع كثير على مناقبه الباهره * وكراماته الجليلة الظاهره * يخرب بمعاول تخريبه من معتقديه قواعد العقائد * و يسوق من لا ذوق عنده الى الطعن فيه بكل سائق وقائد * اما المطلع على مقامات القوم الغريبه * واحوالهم المختلفة العجيبه *

وخصوصا

وخصوصا ان ذاق او شم بعرنين كماله لديه بصارم التخريب
اشم لا يقدح عنده مع شاهد الكرامة عارض هذه التخيلات
عن مقتضى اعتقاده ويقينه واما

بل اذا عاين امرا ينافره طبعه سرح لسانه وقال * وصرح بالانكار ملججا وعليه بات وقال * وراى ظهور ذلك منه لحكمة كثف عقله عنها عثرة لا تقال * وهو عن شم عبير نشر احواله مزكوم * وعلى فهمه الثاقب لديه سحاب مركوم * ولو انه حين ضاقت حواصل تحصيله عن ادراك كنه مقامه العلى * مع وضوح برهان مناقبه القاطع الجلى * سلك بنفسه مسلك التسليم * وعلم ان فوق كل ذى علم عليم * ولم يجب فى امره لوجود موجب الحيرة بنعم اولا * لكان اسلم له من المخاطرة بنفسه النفيسة واولى * فكثير ممن نبذ من احوال الشيخ رضى الله عنه بقلة انصافه * جميل تخلقاته وجليل اوصافه * وتمسك فى اقامة معروف النكير عليه بزعمه بالطرف الآخر * وطعن فى باهر احواله ان رآه تلون او فاخر * لم يفق من غمرته الى ان زلت به القدم * وخر صريعا لليدين والفم * وعاد نهاره والعياذ بالله ليلا * ودعاوه ولا عاصم من امر الله ثبورا وويلا * وما زال القلب كله رهنا منى لديه * متطلعا طول غيبتى الى المثول بين يديه * لا يثنى عنان عنايتى عنه من غدا او راح * من عذول كاشح او لاح * وانا فى اثناء ذلك ينعشنى حديثه * ويزعجنى اليه من الشوق حثيثه * الى ان اوصلتنى اليه فى اواخر عام خمسة وستين وثمانمائة مزعجات الاقدار *

بعد حد من طول الغيبة ومقدار * وادرك القلب من ذلك ما كان يختار * وهو غير طائع فى ذلك ولا مختار * فوجدت المقام وقيم جلالته ونقيب مناقبه الجليلة يبرق ارواء ويرعد * ومتصرف الطالبين على كثرتهم ويسعد * ومنور المنار قد غشيته فى السكينة زينتها المهابة فنور خشية وقاره
وهو رضى الله عنه فى حالى ادباره واقباله * كالليث يزار كاشرا دون اشباله *

لا يكاد يملأ الناظر منه لموضع جلالته طرفه * ولا يطيق لوقع محبته من حبة قلبه اجالة نظره لسواه ولا صرفه * والقلوب كلها على تعظيم قدره مجتمعه * والنفوس الّا من ندر وشذ على كريم اعتقاده مجمعه *

وصولة عزة المنكرين عادت بحمد الله فى طى افئدتهم ذله *

وكثرتهم ويابى الله الّا ان يتم نوره * قد استحالت الى قله *

وارتفع الشك باليقين * وكانت العاقبة للمتقين * ولم يبق احد فى علمى ممن كان يريد اذايته يغشى المقام ويرتاده * ويستميله هواه الى مجاهرة النكير ويقتاده * الّا وقد ثنى عنان عنايته الى نشر الثناء الحميد عليه * وامالته نسمات هداه * الى ان عاد وقد كان عاداه * قرة عينيه * ولم ار الّا من حسنت فى مرآة ظاهر اعتقاده الحسن حالته * وحفت بقمر انارة شاهده الحسن هالته * الّا انه ربما يذكر ان هنالك من يتعرض لشناره * ويعرض لرمد بصيرته من اشراق انوار مناره * لكن بحيث انه اذا استقصى عن ذلك تقاعس * او سئل عن تحقيق هذه الظنة اطرق عن الجواب وتناعس * ولا طاقة له على اظهار ذلك واشاعته * واعلان ما خشن منه اولان واذاعته * خشية ان يسلك به مسلك من فى حبل هلاكه احتطب * او يناله ما نال المتعرض للاعتراض من معالجة العطب * وانما يناجى بذلك امثاله * ويد المقت لو كان يعلم تصفع قذاله * هذا ويوشك ان لو شيك للحجا مضطرا اليه * واوقف رغائبه ولسان ضراعته طليق عليه * وبلغ بين يديه من المبرة له والتعظيم الغايه * ورفع بيمين اذعانه من اعلان التوسل به رايه * واظهر الترهيب ترغيبه واعترافه * وانساه اضطراره اجترامه واقترافه * قيل لبعض

اضمر معصيتك واظهر لك الطاعه * لم يرتكب للتناسى واجبات حقوقك كبير اضاعه *

فقد اطاعك من يرضيك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا

فلا جرم انى لما شاهدت بملازمة المقام هذه المشاهد الجميله * وتحققت لاثبات قواعد عقيدتى فيه صحة شواهده الجليله * وصدق دبير حسن

ظنى

ظني به وقد انقشع الغبار قبيله * ملكت غرامه كل شعب من ولاءى وقبيله * وسلكت بنفسي لتعظيمه مهلك من مهد غصن الادب سبيله * وجعلته لكل امل اكابد تحصيله بركة كافية بين يدي ذلك ووسيله * ومحوت من اكنة ضمائري متقادم آثار تلبيس ابليس * باعتقاد جازم انه من قوم لا يشقى لهم جليس * ورمت لما ان عيل بما عاينته من علو قدره صبري * وضاق بحمل اعباء ذلك السر صدري * ان استعبد لخدمة امداحه فكري * واعطر بذكره المتارج العطير ذكري * لكن لم ينهض لذلك جواد عزمي * ولم ايسر له وقد اضعت حزمي * ولم ازل مريدا لاتمام الغرض من ذلك غير مراد * وللنفس في هذه الموارد بحسب تلوناتها اصدار وايراد * الى ان آنست من جانب طور الانقطاع لمنيع جنابه نارا * وخلعت في هواه متخليا عن كل هوى عذارا * فحينئذ ناجاني الفكر الذي نصب فراته * وكلت لتناسق غارات الكرب اداته * ان استفتح بمفاتيح امداحه من ابواب الفتوح كل مغلق * واستخرج بغواص الاخلاص فيهما من سني الآمال ما هو في بحر التناسي مغرق * اعتمادا على سفير الظن الحسن * لا على زور تزويق فضول اللسن * فكاني ملت الى ما امليت من مناجاته * واملت قريحتي الى ارشاد سر مداحاته * عالما باني في ذلك كمن اهدى الاصداف الى الدرر * او ساق الى البحر المحيط مناقع مواقع المطر * واستخرت الله تعلى في ذلك واسترشدت ورفعت والعجز

*

طهر ثيابك من هواك الفـاني	ان الهوان مع الهوى الفـتـان
ودع الرباب وربة الخدر الـتي	نصبت حبائل سحرها الفتـان
واجعل كمالك بالتقى ان التقـى	ان صح عقدا عمدة الاركـان
فالمتقون هداتنا وبهديهـم	لنجاته يهدى الطريد العـان
نالوا الهداية فاغتدوا وكانهـم	قد عاينوا العقبى بعين عيـان

قطعوا علائقهم من الدنيا التى ازرت بنا وتزهدوا فى الفان
فهم الملوك وقد تضاءل عندهم من الملوك لعز ذاك الشان
اولاهم مولاهم الملك الذى لا ينقضى سلطانه لاوان
بوجودهم حفظ الوجود وجودهم عم القصى من الورا والدان
وابو الصرائر غوثهم وامامهم فى مصرنا بقواطع البرهان
جمع الذى فيهم تفرق وارتقى للمجد لا كسلا ولا متوان
ركب المجلى والمصلى للعلى وجرى لسبقهم بغير عنان
فخلا له المضمار سبقا وانتضى سيف العناية قابضا بسنان
فله التصرف فيهم حيث اغتدوا لم يختلف فى ذاك عنه اثنان
ولهم الى عالى مكانة قدره فى كل آن هشة الولهان
بهر العقول خطيبه بخطابه فى موكب التسليم والاذعان
عنى خذوا فانا المطاع لديكم والوقت وقتى والزمان زمان
اين الجنيد فهذه سطواته ظهرت على يد عالم بالشان
عالى المقام له رسوخ فى العلى سامى المراقى لا يقاس بشان
متمكن جعل التلون جبة

تحريك همته العلية جابر كسر الكسير مومن للجان
كم مبعد ادنى ورفع خاملا وازاح خوفا عن كئيب عان
واعز ذا ذل واغنى آملا منه الغنى فورا بغير توان
او ما ترى ترشيش لما حلها حلت به شرفا ذرى كيوان
وغدت ودوحة حسنها كمقامه طيب الحياة به جنى دان
وسمت وقد وسمت بعز شامخ فوق السها وذوائب السرحان
وجلت عروس جمالها فتجللت بردا به تاهت على البلدان
وتعرضت لامامنا وهو ابنها فاجابها انى عليك البان
عجبا يعاطى آمه كاس الهوى صرفا ويحى كافلا بضمان

واكم

ولكم اقام لمقامه فيها فـــتى قد اقعدته طوارق الحدثـان
ولكم شفى من علة اودت وكـم اخفى سناه بوارق الاحـزان
بمقامه لذ واستجر بجـواره فهو الكفيل بعزة وامـان
واحفظ وقارك عنده متادبـا واذا تفاخر خر للاذقـان
وات المقام مسلما ومسلمـا واترك لديه تخيل الاذهـان
لو قد فهمت لهمت من اسـراره وبرزت ترفل فى حلى الاذعـان
اتقاس اسرار بحكم ظواهـر ويذوق صاح نشوة السكـران
فاذعن وسلم واطرح عنك المـنى واغنم فلاحك فالهوى متـدان
ما شئت قل او قف بساحل بحره متحيرا امران معتـدلان
فالبحر طام والفهوم كليلـة عن درك ما لم يختلج بجنـان
لولا التهاب جوانحي بغرامـه لم ابتكر امداحه ببيـان
هذا مقام جل عني خطـره ما لى بصوغ المدح فيه يـدان
لاكنني مستعبد لكمالـه ومملك والحب فيه دهـان
اضمرت ما فى القلب من شغفي به فابى الهوى إلّا انتطاق لسـان
وكتمته جهدى فاظهر محنـتي بهواه ما بين الورى كتمـان
فاليوم لو اخفيت ذاك ومذهـبي خلع العذار بحبه اخفـان
يا ملجا الجاني وكهف مـلاذه خفظي لرفعك سيدى الجـان
بالفتح جودوا منة فانا الـذي ذلي بساحل عزكم القـان
هذا بساط فتوحكم وقد انطـوى هذا البساط يجود بالاحسـان
ولقد ظمئت وانني بسماحكـم ارجو مناهل مورد الظمـآن
او لست اكسير الكسير وجبـره وغياث ملهوف ونصرة عـان
ولقد وقفت ببابكم متطفـلا وعضال داءى طبه اعيـان
عار عليك وانت نجح مقاصدى اقصى وصدقى فى الهوى ادنان
حاشا كمالك ان اراك لمقصـدى اهلا وذوق القصد منك تـدان
فبحق اخلاصي وصدق محبـتي جودوا على فذا همـى اردان

وتعطفوا كرما وحنوا وارحموا وصلوا فقد اخفى الاسى انسان
لا تطردوا من امكم وشفيعه مدح جناها يستفز الجان
قد قالها كي ما يقال عثاره لا كي يقال اجاد فى الاوزان
فاجز باسعاف المراد مداتحى فلقد اتت تحكى
واقل وصل حبلى بهمتك التى ان ساعدت رقت اعز مكان
فعسى خويدم بابكم عمر الذى

ولقد جعلتك ملجا وموئلا وجعلت قربى منكم قربان
هذا المديح عليكم اوقفته ووقفت من خجل لعجز بيان
وهجرت غزلان النقى وتغزلى ونسيت فيك اوانسى وقيان
فاليوم انت نجى سرى والهوى قاض بانك بعد ذا سلطان
فاذا نطقت فالبرضى عنكم وان صمت اللسان فانتم بجنان
لى منكم الامل الكفيل بكل ما ارجوبه قربا من الرحمن
وبنيل امالى ودفع ملمة ارمى بها فالدهر ذو الوان
ولكم وحب الاولياء ولاية حب املك صفوه اركان
وعلى مقامكم العلى ومن به والحاضرين سوى العدو الشان
ازكى سلام عرفه متضوع ما غردت قمرية الاغصان
وعلى الرسول المصطفى المختار من ازكى نجار فى ذرى عدنان
منى صلاة عنبرى شميمها متكفل بالروح والريحان
وعلى صحابته الكرام وآله والتابعين الهدى بالاحسان
ما اطربت صبا صبا وتبسمت وسط الرياض شقائق النعمان

وكان انشاد هذه القصيدة التى هى مفتاح الخيرات * وفاتحة الحسان والخيرات * فى غرة شهر شعبان عام ستة وستين وثمانمائة ولم اكن جريا على انشادها بين يدى من انتسبت الى علاه * وتجملت بباهر حلاه * لموضع القاهرة * وموقع جلالته الناهية الآمرة * فكنت اتخير لذلك

منشدا من السن العرب المبانى ويذهل ترجمان افصاحه من الاصغاء في الشهر المذكور ملاقاة احد من ادناه من الشيخ انتماؤه

المرنجيزى فاوقفته على المدحة الماثورة * والقصيدة المذكورة *فاظهر بها وقد شاهدها الاعجاب * وجال بها آفاق الافاقة وجاب * واختار لتاخرى ان يكون هو المتولى لانشادها * والمظهر للسامعين مآثر ارشادها * فلما فتحها بين يديه الكريمتين * وانشد منها بيتا او بيتين * قال الشيخ رضى الله عنه كالمنكر علي عدم انشادها بلسانى * وموقفى منه بحيث لا يشاهد لكثرة الواقفين بين يديه انسانى * اتانا بالبطاقة ثم قال يقراها من صدره * وما خلت انه يعلم ما فى البطاقة ولا يدرى حقيقة امره * فكنت اعد ذلك له كرامة خارقه * وحجة بين الشك واليقين فى امره فارقه * وتقدمت اخترق الصفوف اليه * كانى مقاد بزمام الارغام * وجلست بامره بين يديه * مباشر للرغام * ثم افتتحت الانشاد بعد ما امرنى ان اقول * وقد ادركنى من هيبته ما يدهش العقول * وعند قولى اين الجنيد فهذه سطواته مد يده الكريمة لتناول القصيدة واستدعاها * واكملها نظرا على غير ترتيب القراء واستوعاها * وجعل يقول لى فى اثناء ذلك هذه كرازة بالزاى هكذا فاقول نعم فيقول كيف تقرا هذه فاقول كما تامر ثم انه امسكها كما يمسكها القارئ ونظر فيها مليا ثم قال هذه با وهذه تا وهذه ها وهذه ميم ذكر هذه الحروف الاربعة ثم رمى بها الى وقال اقرا من الباء فقال بعض الحاضرين مراده باء البسملة فابدا من اولها فقال له الشيخ خله هو يعلم من اين يبدا فبدات من البيت التى نصت على اسمه وهى *

بوجودهم حفظ الوجود وجودهـــم ـم القصى من الورا والـــــدان

فاستبشر لبداتى من هنالك * ووقع لى نفسى ان مراده اعادة مدحه من اول بيت ذكرت اسمه * فى المعالى رسمه * ولم يزل رضى الله عنه عندآخر الكثير من ابياتها يقول ايه ايه الى ان ختمت القصيدة

وضحك رضى الله عنه حتى بدت نواجذه *

وعند الختم قال له المرنجيزى

جملة اولادك وفى زمانك قال نعم قال وواخيت بينى وبينه

قال نعم فتصافحنا بين يديه رضى الله عنه وهو يلاحظنا ثم امرنا بالانصراف فقمت وانا لا اجد ثقلا مما كان من ادراك الحشمة بانشادها عظم على * وكانما وقد تلقاها بالقبول سيقت الدنيا بحذافيرها الي * اما القلب القلب فلا ارتاب انه من يومئذ انقلبت لصلاح اعراضه * وكادت تزائله ليمن مزاملة همته العلية امراضه *

فلله منا الحمد من بفضلـــــه علينا بما عن حصره عجز الحـــد

نظمنا بسلك راق رونق حسنـــه فمنه العطا منا ومنا له الحمـــد

وما زلت من حين خبا من لهب سوء الظن به وقده * وصح من حسن اعتقادى فيه عقده * وانتظم فى جيد اجادته بعون الله عقده * متطلعا الى كامل يمد الى كتب مناقبه بنان عزمه * ويصرف الى تدوينها باكورة همه * ليمتع بها قلوبا صادقة واسماعا * ويوسع الدانى والقاصى ايقاظا واسماعا * ويزيح عن افق كمال الشيخ بطلوع شمس معارفها من غيم الشبه ما عرض * ليزداد الذين آمنوا ايمانا ويرتاع من فى قلبه مرض * فلم يقدر لى على ما يعتمد عليه فى ذلك عثور * ولم تظفر لى يد البحث بما هو فى الغرض ماثور * وليس الا فتى رام ابرام ذلك فلم يستطعه * وعالج امالة عزمه نحو كماله فلم يطعه * والعجز منوط بى ان نهضت الى ذلك يقعدنى * او دنوت برائد همتى مستشرفا نحوه فيبعدنى * وتلون الزمان على شئ من ذلك لا يسعدنى *

فلله فى منع الموانع ملجــــاى ولله فى قطع القواطع اضـــــرع

ولى منهل بالصدق رمت وروده وغالب ظنى اننى سوف اشـــرع

لكن لما لم اجد فى مبتغاى المامول ما يثلج صدرى * ويطلع من افق افاقته بدرى * وكان قصورى

النوب المزمنة عليله * والقرائح لاندمالها بفوت آمالها قريحه * والقلوب لفرط تقلبها فى نصال الكرب جريحه * ولا صارف للنفس عما وجهت اليه وجهة اهتمامها وارادته * ولا راد لها عما وطات اكنافه بمنازله المخصبة وان نادته * رايت ان نحتم تقديم سفير الاستخاره * ميمون النقيبة فى ذلك محمود السفاره * ثم استبشرت بعد الاستخارة من على قواعد اشارته اسست من هذا الاصل دعائمه * وبيمين يمنه علقت يحى اجادته الحالى تمائمه * فاشار بتوقف الامر على استيذان الشيخ فى ذلك واستمارة رضى الله عنه فى سلوك هذه المسالك * اشارة اورثت حزما ونبلا * وراشت لاصابة الغرض المبتغى نبلا * فاجبته الى ما ارشد امره اليه * واوقف ايناسه عليه * وما كنت ارى ان الشيخ رضى الله عنه يرجع فى ذلك خطابا * او يبدى فى غرضنا جوابا * فاذا به وقد سئل ايماء اجاب بالاذن تصريحا * وابان لنا فى مرادنا المطلوب امرا صريحا * وما اقتصر على ذلك حتى اكده باشارات تفهم الغرض وتلميحات * واكمل طرز محاسنه بنبذ تنور الافهام وتمليحات * فجعل يقول عقب الاذن غرست لك القصب الحلو فى وسط البحر وعملت له عروقا كثيرة ثم قال لكن القصب الحلو اذا بقى على حاله لم يزل اخضر ناعما وان خرج ييس واسود ثم امسك بيده عودا وجعل يقول وقد اوقفه بين يديه واخرجت له من هنا ولدا ومن هنا ولدا ومن هنا ولدا واشار الى اماكن ثلاثة من العود * اشارة لا يفهمها الا من تنورت بصيرته * واشرقت بانوار يقينها سريرته * فعند هذا تقدمت لنظم قلائد

فامرته * وابداء ما بطى سرائرى من ذلك ابرمته * غير مكترث بعارض سوى ولا متعرض لمعارض بمقام

مخدومنا الكامل غير بصير سالكا فى ذلك مسلك

نهض لنصرة قادر منتدب فى خفضه لرفع مقام اعلت رتبه القادر موملا بتقييد ذلك اطلاق من اعتقلته فى امر الشيخ

حقه لباهر تصرفاته علامته ورسوخ قدم ولايته الكاملة غير مفتقر الى برهان * ولا يحتاج فى مكانة تمكينه الى استهام او رهان *

وليس بثابت فى الوهم شـــىء اذا افتقر النهار الى دليـــل

ولكن للنفوس فى معرض الاعتراض اقبال وادبار * وكما لها بحسب واردات احوالها ازدجار واعتبار * فرب فتى استماله اول خاطر يطمئن بسماعها قلبه * ويسهل اذا تليت عليه آياتها الى سبل الخيرات جلبه * هذا وان كثيرا ممن تلقى اخباره رضى الله عنه من ملاقاة الرفاق * اوساقه سائق القدر الى مقامه من سائر الآفاق * مال الى اعتقاده لاول وهله * وصدر وقد امتلات خاصرتاه ريا باول نهله * وهو لم يحصل بعد من امره على حقيقه * ولا حصل مما يوجب رسوخ قدمه فى محبته دقيقه * ولا اعتقاد لمن انسان تانيسه عليل * ودعواه عند الايراد والاصدار عرية عن دليل * فلعل اطلاعه على تدوين كراماته يزيل ريبه * ويظهر له من مقامه العالى غيبه * فينصدع له بذلك فجر البيان * ويسوق الخبر لديه الى مبادى العيان * مع ما ارجوه لنفسى من ثواب المتعرض بحماية حمى ولى المعاضل * بلسان جلاده وجداله عن منصبه العلى المرتقى فى ذلك بحسن نيته الى اسنى المعاقل * من اسمى المعارج * الملتمس له جهد استطاعته احسن المخارج * هذا وان لسان الحال ينشدنى (لقد حكيت ولكن فاتك الشنب) على انى لم ابق فى كتابى هذا مرمى فيما قصدته * ولا مرقى فيما رصدته * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح * وسميته ابتسام الغروس ووشى الطروس بمناقب الشيخ ابى العباس احمد ابن عروس ورتبته على مقدمة وثلاثة ابواب * ولم اخله عما يفتقر اليه المقام من سوال او جواب * اما المقدمة فتشتمل من علوم القوم على فصول * وتحتوى على نبذ كافية منها واصول * تزيد المريد فى امور القوم رضى الله عنهم

والباب الاول فى

التعريف

التعريف بالشيخ رضى الله عنه وذكر بدايته وترتيب القول فى احواله الدالة على صلاحه وهدايته * والباب الثانى فى الكشف عن طريقته الباهرة * والرد على منكرى ولايته الظاهرة * والباب الثالث فى ذكر طرف من مناقبه الجليلة * وكراماته التى هى باثبات ولايته كفيلة * ثم انى اعتذر لكل كامل حسنت اوصافه * وتكمل بين ارباب الصدور اتصافه * وصاحبه فى ورد امره وصدره انصافه * مما لا يكاد يخلو منه ديوان * او ينجو منه مصنف ولو اظله من علمه ايوان * فالقلوب لفرط تقلبها فترات * ومن الذى ينجو من العثرات * لكن قديما قيل لمن احسن وقد كثر عائبه (كفى المرء نبلا ان تعد معائبه) على انى لست من فرسان هذا الميدان * ومالى بحمل قناة ذلك الحرب يدان * وانما دعانى لاقتحام مخاضة هذه الكلف * والتعرض لرمى من استهدف بما الف * تناكس اهل الزمان عن الاحتفال بما اوردته * وتقاعسهم ولهم رسوخ القدم فيما اردته * ولو ان عنايتهم ابدت فى مطلبى ادنى مقالة * لم اتحمل على صفة عجزى من ذلك الاثقالة * فلذلك انتدبت لجمع هذا الكتاب * متعرضا فيه اما لمدحة او عتاب

على اننى راض بان احمل الهوى　　واخلص منه لا علي ولا ليا

ومن الله تعلى نستوهب المدد لاكماله والعون * وصرف القواطع عنا بادامة الكلاءة لنا والصون * كما نسأله ان يجعله سفينة لنجاتنا يوم الفزع الاكبر * ومرقاة لسعادتنا فى الدارين ويوم نقبر * المقدمة الرائقة * فى العلوم الفائقة * اعلم حى الله قلبى وقلبك ويسر لكل صالحة

وحسن مذاهبهم وتحقق حقائقهم وتمهد طرائقهم وتهذب خلائقهم * ليرجع المكذب بذكر ذلك الى الاعتراف * والمكابر الى طريق الانصاف * وتستبين لمن اراد الله به الهدى المحجة * وتقوم على من لم تصحبه عناية الله الحجة * ويكون للمصدق بهذه الطائفة لاجل تصديقه نصيب من

الولايه * وحظ وافر من العنايه * كما قال ابن عطاء الله رضى الله عنه
وقال الجنيد التصديق بعلمنا هذا ولاية واذا فاتتك المنة فى نفسك فلا
تفوتك ان تصدق بها فى غيرك فان لم يصبها وابل فطل وقال بعض العارفين
التصديق بالفتح لا يكون الا بفتح ومصداقه قوله عز من قائل ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور واذا اراد الله بعبد خيرا جعله من الصدقين لاولياء
الله تعلى فيما جاءوا به وان قصر عقله عن ادراك ذلك فمن اين يجب
ان لا يهب الله لاوليائه الا ما تسعه عقول العباد وقد قالوا يخشى على
المكذب لهم سوء الخاتمة والعياذ بالله وقد قل ابو تراب النخشبى من لم
يصدق بهذه الكرامات فقد كفراى غطى الامر عليه وستر عنه شهود قدرة
الله تعلى فهم رضى الله عنهم كما قال الامام السهر وردى رضى الله عنه
صفوة عباد الله الذين البس قلوبهم ملابس العرفان * وخصهم من بين عباده
بخصائص الاحسان * فصارت ضمائرهم من مواهب الانس مملوه * ومراءى
قلوبهم بنور القدر مجلوه * فتهيات لقبول الامدادات القدسيه * واستعددت
لورود الانوار العلويه * واتخذت من الانفاس العطرة بالاذكار جلاسا *
واقامت على الظاهر والباطن من التقوى حراسا * واشعلت فى ظلم البشرية
من اليقين نبراسا * وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت * واستشرفت بعلو
همتها بساط الملكوت * وامتدت الى المعالى اعناقها * وطمحت الى اللامع
العلوى احداقها *

بقلوب سماويه *
واشباح فرشيه * بارواح عرشيه * نفوسهم فى
واراوحهم فى فضاء القرب طياره * ومذاهبهم فى العبودية مشهورة
يلوح من صفحات وجوههم
مكنون سرائرهم قضاوه العرفان لا تزال فى كل عصر منهم طائفة
قائمون بالحق داعين للخلق منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوه * وجعلوا
للمتقين قدوه * فلا تزال تظهر فى الخلق آثارهم * وتزهر فى الآفاق انوارهم *
من اقتدى بهم اهتدى * ومن انكرهم ضل واعتدى * قال الاستاذ ابو

القاسم

القاسم القشيرى رضى الله عنه فى صفتهم وقد جعل الله هذه الطائفة صفوة اوليائه * وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وانبيائه * صلوات الله عليهم اجمعين وجعل قلوبهم معادن اسراره * واختصهم من بين الامة بطوالع انواره * فهم الغياث للخلق * والدائرون فى عموم احوالهم مع الحق بالحق * صفاهم من كدرات البشريه * ورقاهم الى محل المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الاحديه * ووفقهم للقيام باداب العبوديه * واشهدهم مجارى احكام الربوبيه * فقاموا باداء ما عليهم من واجبات التكليف * وتحققوا بتامينه سبحانه لهم من التقليب والتصريف * ثم رجعوا الى الله تعلى بصدق الافتقار * ولم يتكلوا على ما حصل منهم من الاعمال * او صفا لهم من الاحوال * علما منهم بانه جل وعلا يفعل ما يريد * ويختار من يشاء من العبيد * قلت فانظر رحمك الله الى انطلاق السنة هولاء السادة * بالثناء العطير على هولاء الايمة القادة * واتفاقهم على ان هذه الطائفة الجليلة جميلة المذاهب * جزيلة العطايا والمواهب * وكيف لا ومددهم من الحقيقة المحمديه * وانوار ولايتهم دائمة الثبوت للزوم دوام الانوار النبويه * ولهم احقيه * وارثة العلوم النافعه * وشفوف المنزلة التى هى لاربابها رافعه * قال ابن عطاء الله رضى الله عنه واعلم ان الانوار الظاهرة فى اولياء الله تعلى انما هى من اشراق انوار النبوة عليهم فمثل الحقيقة المحمدية كالشمس وقلوب الاولياء كالاقمار وانما اضاء القمر لظهور نور الشمس فيه ومقابلته اياها فالشمس نهارا ومضيئة ايضا ليلا لظهور نورها فى القمر فقد فهمت من هذا انه يجب دوام انوار الانوار لدوام ظهور نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فالاولياء آيات الله يتلوها على عباده باظهاره اياهم واحدا بعد واحد تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق قال وقد سمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول فى قوله عزوجل ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها اى ما نذهب من ولى لله الا ونأتى بخير منه او مثله

وقد سئل بعض العارفين عن اولياء العدد اينقصون فى زمن قال لو نقص منهم واحد ما ارسلت السماء قطرة ولا ابرزت الارض نباتها وفساد الارض لا يكون بذهاب اعدادهم ولا بنقصان امدادهم ولكن اذا فسد الوقت كان مراد الله سبحانه وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم فاذا كان اهل الزمان معرضين عن الله موثرين لما سوى الله لا تنجع فيهم الموعظة ولا تميلهم الى الله التذكرة لم يكونوا اهلا لظهور اولياء الله فيهم ولذلك قالوا اولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون **قلت** اما اولياء العدد فقد فسرهم حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعلى فى الارض ثلاثمائة رجل قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وله اربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام وله واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام فاذا مات الواحد ابدل الله تعلى مكانه من الثلاثة واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة ابدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلاثمائة واذا مات من الثلاثمائة ابدل الله مكانه من العامة يدفع الله تعلى بهم

رضى الله عنهم قال الامام اليافعى رحمه الله

وذكر بعضهم عزرائيل ولم يذكر موسى وجعل مكانه ابراهيم ومكان ابراهيم جبريل ومكان جبريل ميكائيل ومكان ميكائيل اسرافيل ومكان اسرافيل عزرائيل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والواحد المذكور فى هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ومكانته من الاولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها بها يقع صلاح العالم **فائدة** قال بعضهم لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه فى جملة الانبياء والملئكة والاولياء اذ لم يخلق الله تعلى فى عالمى الخلق والامر اعز والطف واشرف من

قلبه صلى الله عليه وسلم فقلوب الملئكة والانبياء والاولياء صلوات الله عليهم بالاضافة الى قلبه صلى الله عليه وسلم كاضافة سائر الكواكب الى كمال الشمس قال ابو الحسن النورى رضى الله عنه شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تعجيلا للروية والمكالمة وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه ركضت ارواح الانبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ارواح الانبياء الى رياض الوصال وعن علي رضى الله عنه انه قال البدلاء بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والاوتاد بسائر الارض والخضر عليه السلام سيد القوم وعن الخضر عليه السلام انه قال ثلاثمائة هم الاولياء وسبعون هم النجباء واربعون هم اوتاد الارض وعشرة هم النقباء وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد هو الغوث رضى الله عنه وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بدلاء امتى اربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات واحد منهم ابدل الله تعلى مكانه آخر فاذا جاء الامر قبضوا وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال ان لله تعلى عبادا يقال لهم الابدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع

اصطفاهم الله تعلى لعلمه واستخلصهم لنفسه وهم

الرجل منهم حتى يكون الله تعلى انشا من يخلفه وقال الشيخ الولى الكبير ابو محمد عبد الله المرجانى رضى الله عنه الصديقون باقون الى نزول عيسى عليه السلام وهم الابدال عددهم فى كل الدنيا ثلاثمائة وما شاء الله منهم الشهداء والصالحون فهم ثلاث طبقات وهم مقربون سابقون ايمان صديق كايمان جميع الشهداء وايمان شهيد كايمان كل الصالحين وايمان كل صالح بمقدار الف مومن من عموم المسلمين قال والقطب انما هو بدل من ابى بكر رضى الله عنه والاثنان فى الثلاثة انما هم ابدال الخلفاء الثلاثة

بعده والسبعة انما هم ابدال السبعة الى العشرة ثم الابدال الثلاثمائة والثلاثة عشر انما هم ابدال البدريين من الانصار والمهاجرين وقال الشيخ الولى ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه القطب عبارة عن الخليفة

الذى يدور عليها شان الوجود وله جهتان جهة للحق متلاشية فى احديته وجهة للخلق ثابتة للامداد والاوتاد فى مقابلة جابه ووزرائه ولهم جهتان ايضا جهة للقطب وهى متلاشية بالاضافة اليه والقطب يسرى لهم منه امداده هو سبب ثباتهم لمقابلته وقوة الاخذ منه ولهم جهة للخلق ثابتة لتدبير من دونهم من اهل المقامات والعوالم يفيضون عليهم مما يرد عليهم من القطب وبهم ثبات العالم كله فهم اهل التدبير والتربية ولولاهم لتدكدك الوجود ثم قال واعلم ان الآدمى نسخة العالم الاكبر فى الجسمانى والروحانى وكل ما افترق فى الوجود اجتمع فيه وهو لمعنى الوجود كله جامع وحاو قال الله تعلى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم الآية فاصحاب الآفاق المقلدون اهل الدلالات فى علم اليقين واهل النظر فى الانفس هم فى العيان اعنى عين اليقين ومن هنا قال عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه فارباب البصائر فتحوا بمعرفتها الحسيات والمعنويات فاذا سمع الله القطب والاوتاد رجع الى نفسه فيجد عنده قطبا واوتادا تناسب جسمانيته

والكبد والرئة

هذه جسمانية وتحاذيها اربعة اخرى السوداء والبلغم والصفراء والدم وتحاذيها اربعة ايضا الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة فقوام البدن وثباته وعدم انحرافه من استقامة هذه الاربعة وكذلك انحرافه وامراضه من انحراف احداها عن اعتداله وفى المقابلة من ذلك قطب روحانى واوتاد روحانية والخطاب لم يقع على القلب الصنوبرى بل على الحقيقة الربانية الايمانية المودعة فيه فنقول حقيقة الايمان قطب له جهتان جهة من قبل الحق متلاشية بلا حجاب ولا واسطة وجهة من الخلق ثبات ونور

وعلم

وعلم وعمل فذات الايمان قطب ولا بد ان يكون له اولية وآخرية
وظاهرية وباطنية تخلقا بالاول والآخر والظاهر والباطن ثم يرتقى منها
الى قوله وهو بكل شئ عليم فيتصف بصفة العلم الحاوية فيكون للذات
الايمانية المقدسة الظاهرة اولية وهي عبارة عن الازل والآخرية منتهى الكل
واليها المرجع وهى عبارة عن الابد والظاهر عبارة عن ظهور الحسيات من
الهياكل والنقوش والاحكام والعبادات والباطن اشارة الى العلوم والمعارف
والفهوم فكانت هذه الاربعة اوتادا فى عالم الحقيقة الايمانية الموهوبة من
الحق لعبده بلا حجاب وهكذا تطرد الاشياء وهنا انتهى كلامه الرائق * المكتسى
اردية الحقائق * وقد ناسب بابدائه مجادته * واظهر رضى الله عنه للناظرين
اجادته * وقال السهروردى رضى الله عنه القطب هو الذى يضاهى الخضر
ويجاريه فى العلم والاحوال وهو رحمة الله فى الارض وغياث الامة والبدل
من النبى صلى الله عليه وسلم والوارث لبعض مقاماته وبعده الاوتاد الاربعة
فى نواحى الارض بمنزلة الخلفاء الاربعة وبعدهم الابدال الستة باقى العشرة
المشهود لهم بالجنة وبعدهم النقباء الاربعون بمنزلة الاربعين اهل الدار
وبعدهم النجباء وهم ثلاثمائة بمنزلة اهل بدر وبعدهم المقربون فى الارض
ومن مات من عدد منهم خلفه آخر من العدد الذى يليه ولا يزالون
كذلك فاذا اراد الله خراب الدنيا

قلت

ولا نزاع ان الله تعلى انما جعلهم رحمة

عمارة بلاده * بهم تستدفع المحن والبلايا * وتستوهب المنح والعطايا *

ولكل طائفة منا بمقتضى حكمة مولانا طائفة منهم يحفظها الله بها سرا واعلانا

قال الشيخ الولى الكبير ابو محمد عبد الله المرجانى رضى الله عنه بموت
العارفين تخرب القلوب وبموت العلماء تخرب القوالب فالمتوكلون غفراء
المتسببين واهل الاستسلام غفراء اصحاب البحار واهل الاضطرار غفراء
الجيوش واهل الذل لله تعلى غفراء الملوك فاذا ذهب هولاء هلك هولاء
وقال بعض الشيوخ الاقطاب سبعة لا ثامن لهم وكذلك الابدال والاعين

وهم النجباء وكذلك الاوتاد والاقاليم سبعة وهى التى قامت بها كلمة التوحيد
وكل اقليم منها له قطب وبدل وعين ووتد والغوث رضى الله عنه فرد
زمانه وهو مقيم بمكة لا يخرج منها والخضر تجول فى المشرق والمغرب
روحانيته وليس له حكم فى الارض الّا فى اربعة اشياء اغاثة الملهوف
وارشاد الضال وبسط السجادة لمن استحق ان يكون شيخا وتولية الغوث
والغوث حكمه على كل قطب والاقطاب حكمهم على الابدال والابدال
حكمهم على الاوتاد فاذا مات الغوث ولى الخضر قطبا بمكة ان يكون غوثا
وولى الغوث بدلا بمكة ان يكون قطبا وولى القطب عينا بمكة ان يكون
بدلا وولى البدل اوتادا فاذا مات الخضر والغوث حى صلى الغوث فى حجر
اسمعيل تحت الميزاب فاذا سقطت من الميزاب ورقة باسمه اعطى
مراتب الخضر واحكامه فاذا صار الغوث خضرا ولى قطبا بمكة ان يكون
غوثا وهذا دولاب دائر الى يوم القيامة لا يخلو الزمان من خضر ولا غوث
والقطب يطلق باعتبارين اما غوث جامع ولا يكون الّا فردا واما قطب
حال كحال ابى يزيد او قطب علم كحال الجنيد فكل واحد منهما قطب
لكن ليس جامعا **قلت** وفى هذا القدر من هذا الفصل كفايه * وعلى الناظر
الى اختلاف هذه الطرق واحوالها صرف العنايه * وقد انجر لنا فى سياق
هذا الكلام ذكر الخضر عليه السلام ولم يزل ذكره فى
وفى كرامات اهل الخصوص دائم الجريان والخلاف
فى اسمه ونسبه وزمانه ونبوته وحياته وموته مشهور فاردت ان اذكر من
ذلك حسب الحاجة اليه ما ذكره الجمهور اما اسمه ففى دعامة اليقين
قيل احمد وكنيته ابو العباس وقيل هو ارمياء النبى عليه السلام وانكر وقيل
اسمه اليسع وسمى اليسع لان علمه وسع ست سموات وست ارضين
وقيل اسمه خضرون بن قابيل بن آدم ذكره جماعة وقيل الخضر بن فرعون
موسى وقال وهب اسمه اورميا بن جلقيا من سبط هارون بن عمران
وقيل غير هذا وتسميته او تلقيبه بالخضر لما ورد فى الصحيح عنه عليه الصلاة
والسلام

والسلام من طريق ابى هريرة رضى الله عنه انما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء والفروة الارض المرتفعة وعن مجاهد انما سمى الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وقال الخطابى كان اذا جلس فى موضع اخضر ما حوله والعرب تسمى الشئ المشرق خضرا تشبيها بالنبات الاخضر واما نسبه فقيل هو من ولد فارس وقيل هو ايليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وقيل هو ابن عاميل بن سماحين بن اربا بن علقمة بن عيصو بن اسحق وان اباه كان ملكا وان امه كانت بنت فارس واسمها الهى وانها ولدته فى مغارة وانه وجد هنالك وشاة ترضعه فى كل يوم من غنم رجل من القرية فاخذه الرجل ورباه فلما شب وطلب الملك ابوه كاتبا وطلب اهل المعرفة ليكتب الصحف التى انزلت على ابراهيم وشيث كان فيمن اقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته وبحث عن امره عرف انه ابنه فضمه لنفسه وولاه امر الناس ثم ان الخضر فر من الملك ولم يزل الى ان وجد عين الحياة فشرب منها فهو حى الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذى يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله تعلى وقيل امه رومية وابوه فارسى واما زمانه فقيل كان فى زمن افريدون الملك وقيل كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان ايام ابرهيم عليه السلام وبلغ نهر الحياة فشرب وهو لا يعلم وقيل هو بعض من كان مع ابراهيم عليه السلام

اسرائيل ناشية بن منوص فبعث الله اليهم الخضر وقيل غير ذلك

واما اختلافهم فى نبوته بعد اتفاق من لم يقل بها على ولايته فقد قال بعضهم الخضر احد انبياء الله تعلى الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام من بنى اسرائيل قال المازرى احتج من قال بنبوته بقوله وما فعلته عن امرى فدل على انه يوحى الله وذلك من خصائص الانبياء عليهم السلام وانفصل عنه من قال بعدم نبوته باحتمال ان يكون الخضر تلقى ذلك

عن نبي غيره امره بذلك عن الله تعلى فصدق انه لم يفعل ما فعله عن امره وقد احتج بعضهم لنبوته بكونه اعلم من موسى ويبعد ان يكون الولى اعلم من النبي وانفصل عنه بعضهم بان موسى اعلم بما تقتضيه وظائف الشريعة وامور النبوة وسياسة الامة والخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمها الّا باعلام الله له من علم غيبه كالقصص المذكورة فى خبرهما وكان موسى اعلم على العموم بما تقدم مما لا يمكن جهل الانبياء لشيء منه والخضر اعلم على الخصوص بما اعلم من مخبآت وحوادث القدر وقصص الناس مما لا يعلم منه الانبياء الّا ما اعلموا به مما استاثر الله بعلم غيبه وما قدره وسبق فى علمه مما كان وما يكون فى خلقه ولذلك قال الخضر انت على علم من علم الله علمكه لا اعلمه انا وانا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه الا ترى كيف لم يعرف انه موسى بنى اسرائيل حتى عرفه بنفسه اذ لم يعرفه الله تعلى به وهذا مثل قول نبينا صلى الله عليه وسلم انى لا اعلم الّا ما علمنى ربى وقال تعلى وعلمناه من لدنا علما وفى روض الرياحين وغيره الصحيح عند العلماء انه ولى من اولياء الله تعلى ليس بنبي واما اختلافهم فى حياته وموته فقد سئل محمد بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه عن الخضر والياس اهما فى الاحياء اوهما

فقال كيف يكونان فى الاحياء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ترون ليلتكم هذه قالوا نعم قال لا يبقى على راس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الارض احد فقال بذلك طائفة من اهل

محمد بن عبد الله بن العربى رحمه الله وانفصل من قال بحياته عن هذا بان الحديث خرج مخرج الظنة بقصر الاعمار والتحذير من الاغترار والركون الى هذه الدار والانذار بوشيك النقلة الى دار القرار وقد بين ذلك الراوى بقوله انما يعنى بذلك انخرام ذلك القرن والله اعلم وقال الحسن ومن وافقه بموته محتجين بقوله تعلى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وانفصل عنه من قال بحياته بانا قد نقولوا بموجبه ولا

ولا يلزم منه موت الخضر ولا غيره لقصر عمر او طوله انما يلزم منه ان الخلد ليس لاحد من قبله فيطمع فيه من كان ذلك القرن من اهله او من غير اهله فسيقت الآية للتعريف بان مصير حياة كل حي ممن كان قبله الى انقطاع * بالقدر المحتوم المطاع * وان البقاء الابدى * والخلود السرمدى * ليس لاهل هذه الدار فيه اطماع * وللقائلين بموته تمسك بظواهر غير هذه وحجج * ومن ذلك عند امعان النظر المستقيم والمعوج * واما الاخباريون ونقلة الآثار كسفيان الثورى وابن المبارك وغيرهما فذهبوا الى انه حى وانه يحج كل سنة ويجتمع هو والياس وخرج النقاش حديثا يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عام إلّا والخضر والياس وهما ابنا خالتين يلتقيان فى كل موسم بمكة يقولان ما شاء الله ما شاء الله ما شاء الله لا ياتى بالخير إلّا الله ما شاء الله ما شاء الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلّا الله ما شاء الله ما شاء الله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله ما شاء الله ما شاء الله توكلنا على الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه مسندا اليه نحو مما تقدم إلّا انه قال باسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلّا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلّا الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلّا بالله من قالها اذا اصبح امن من الغرق والحرق والسرق حتى يمسى وعن الشعبى يلتقى الخضر والياس كل عام فياخذ هذا من شعر هذا وهذا من شعر هذا طعامهما الكرفس والكماة وقال عون بن عمارة احسبه قال فيشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما الى قابل وقيل ان الخضر فى البحور فمن ضل فيها واراد الله ان يهديه هداه به والياس فى البر فمن ضل فيه واراد الله ان يهديه هداه به وحكايات الصالحين قديما وحديثا بملاقاته متواترة * وعلى اثبات حياته الى الآن متعاضدة متوازرة * قال فى روض الرياحين الصحيح عند الجمهور انه الآن حى قال وبهذا قطع الاولياء ورجحه الفقهاء والاصوليون واكثر المحدثين قال

وممن حكى ذلك عن جميع المذكورين ابو عمرو بن الصلاح ونقله عنه الشيخ الامام محى الدين النووى رضى الله عنهما واقره وسال جماعة من الفقهاء الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه فقالوا له ما تقول فى الخضر عليه السلام احى هو فقال ما تقولون لو اخبركم ابن دقيق العيد انه رآه بعينه اكنتم تصدقونه ام تكذبونه فقالوا بل نصدقوه فقال قد والله اخبر عنه سبعون صديقا انهم راوه باعينهم كل واحد منهم افضل من ابن دقيق العيد قال وهذا الذى ذهب اليه عز الدين من تفضيل العارفين بالله تعلى على العلماء باحكام الله تعلى هو الصحيح المختار عند المحققين من العلماء وفى لطائف المنن واعلم ان بقاء الخضر قد اجمع عليه هذه الطائفة وتواتر عن اولياء كل عصر لقاوه والاخذ عنه واشتهر ذلك الى ان بلغ حد التواتر الذى لا يمكن جحده والحكايات فى ذلك كثيرة ثم قال واعلم رحمك الله تعلى ان من انكر وجود الخضر فقد غلط ومن قال انه غير خضر موسى او قال ان لكل زمان خضرا او ان الخضرية رتبة يقوم بها رجل فى كل زمان فقد غلط ايضا والمنكر لوجود الخضر معترف على نفسه بان منة الله بلقاء الخضر لم تواجهه وليته اذ فاته الوصول اليها لا يفوته الايمان بها ثم قال ولا تغتر بما عساك ان تقف عليه من كلام ابى الفرج ابن الجوزى فى كتاب سماه عجالة المنتظر * فى شرح حال الخضر * انكر فيه وجود الخضر وقال من قال انه موجود

ووسواس وهوس قام به واستدل على عدم وجوده بقوله تعلى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد قال فعجبا لهذا الرجل كيف استدل بهذه الآية ولا دليل فيها لان الخلود هو بقاء لا موت بعده وليس هو المدعى فى الخضر انما المدعى طول اقامة يكون الموت بعدها فاعجبوا رحمكم الله برجل يصدق بطول بقاء ابليس وينكر طول بقاء الخضر قال وما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان الخضر حيا ازارنى لم يثبته اهل الحديث قال فان قالوا لو كان ذلك لنقل فاعلم انه ليس كل شئ

اطلع الله عليه رسوله صلى الله عليه وسلم يلزمه الاعلام به فكيف وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال علمني ربي ثلاثة علوم علم امرني بافشائه وعلم نهاني عن افشائه وعلم خيرني في افشائه وقال بعض العارفين ان الله سبحانه وتعلى اطلع الخضر على ارواح الاولياء فسال ربه ان يبقيه في دائرة الشهادة حتى يراهم شهادة كما رآهم عيانا واما الياس ففي دعامة اليقين ايضا ذكر المورخون انه الياس بن مسين بن فيحاص بن العيزار ابن هرون بن عمران وقال عبد الله بن مسعود فيما روى عنه انه ادريس ورد ذلك الطبرى وغيره بان ادريس جد نوح تظاهرت بذلك الروايات وذكر ابن ابى الدنيا من طريق مكحول عن انس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بفج الناقة عند الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من امة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة المغفور لها المتوب عليها المستجاب لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا انا برجل ابيض الراس واللحية عليه ثياب بيض طوله اكثر من ثلاثمائة ذراع فلما نظر الي قال انت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه فاقره مني السلام وقل له هذا اخوك الياس يريد لقاءك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتاخرت فتحدثا طويلا فتدلى عليهما شئ من السماء يشبه السفرة فدعاني فاكلت معهما فاذا فيها ورمان وكرفس فلما اكلت قمت فتنحيت فجاءت سحابة فاحتملته وانا انظر الى بياض ثيابه فيها تمشي به قبل الشام فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بابي الذى اكلنا امن السماء نزل عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سالته عن ذلك فقال ياتيني به جبريل كل اربعين يوما اكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رايته على الجب يملا بالدلو وربما سقاني وذكر المورخون ان الياس كان مع ملك اسمه اجاب

يقيم امره وسائر بني اسرائيل يعبدون صنما اسمه بعل وقيل كان بعل اسم امراة يعبدونها فقال اجاب لالياس ما ارى امرك الّا باطلا ما ارى من يعبد الاوثان إلّا مثلنا لا فضل لنا عليهم فاسترجع الياس ثم رفع الملك الياس وعبد الاوثان فقال الياس اللهم غيرهم فاوحى الله اليه قد جعلت ارزاقهم اليك فقال امسك عليهم المطر فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وكان الياس لما دعا استخفى فكان يوضع له رزقه حيثما كان وآوى ليلة الى امراة ابنها اليسع فكتمت امره وكان به ضر فدعا لابنها فعوفى فاتبع الياس واوحى الله اليه اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص فجاء الى بنى اسرائيل فقال قد هلكتم جهدا فاخرجوا باصنامكم فان استجيب لكم فهو كما تقولون وان لم يفعل عرفتم باطلكم ودعوت الله ففرج عنكم قالوا انصفت والله فخرجوا باوثانهم فدعوها فلم يستجب لهم فعرفوا ضلالهم فدعا الياس فنزل المطر واغاثهم الله فلم ينزعوا ولم يرجعوا فدعا الياس ربه ان يقبضه فقيل له اخرج فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج معه اليسع فاقبل فرس من نار فوثب عليه فكساه الله الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار فى الملئكة وكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا وكان الياس من بعلبك واما اليسع ففى دعامة اليقين انه نبى قام بعد اليسع فايد بمثل روح الياس ثم قبضه الله وعندهم التابوت فيه السكينة قال وهب وهى راس هرة ميتة اذا صرخت بصراخ هر نصروا وكان الله قد بارك لهم فى جبلهم من ايليا فكان احدهم على الصخرة وينبذ فيها الحب فياخذ منه قوته ويعصر من الزيتون قوته بهم عدوهم فاخرجوا التابوت فاسبى منهم فمات ملكهم كمدا بوطنهم واصيب من ابنائهم ونسائهم وقيل كانت السكينة طستا من ذهب وقيل كانت السكينة عصا موسى وعمامة هرون الصفراء ورضاضة الالواح وكانت من در وياقوت وزبرجد والله تعالى اعلم وقد

اوسعنا

اوسعنا في هذا الفصل دائرة الكلام * فلننعطف الى ما عنه انفصلنا بسلام *
قال ابن عطاء الله رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتى
كالمطر لا يدرى اوله خير ام آخره وروى الترمذى يرفعه الى ابى الدرداء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير امتى اولها وآخرها وفى وسطها
الكدر وروى ايضا يرفعه الى عبد الرحمن بن سمرة قال جئت مبشرا من
غزوة موتة فلما ذكرت قتل جعفر وزيد بن رواحة بكى اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما يبكيكم قالوا وما لنا لا نبكى وقد
قتل اخيارنا واشرافنا واهل الفضل منا فقال عليه السلام لا تبكوا انما مثل
امتى مثل حديقة قام عليها صاحبها فاختلف رواكيها وهيا مسالكها وحلق
سعفها فاطعمت عاما فوجا ثم عاما فوجا فلعل آخرها طعما يكون اجودها
قنوانا واطولها شمراخا والذى بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم من امتى خلفا
من حوارييه وروى ايضا يرفعه الى سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان فى اصلاب اصلاب اصلاب رجال من اصحابى رجالا
ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا وآخرون منهم لما يلحقوا بهم وهو
العزيز الحكيم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وروى
ايضا يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى كل قرن من
امتى سابقون ثم قال واعلم جعلك الله من خاصة عباده * وعرفك لطائف
وداده * انه سواء منهم الظاهر والخفى * والصديق والولى * وفساد الوقت
لا يكدر انوارهم * ولا يحط مقدارهم * لانهم مع الموقت لا مع الموقت ومن
كان مع الموقت لا يتغير بتغير الوقت شيئا ومن كان مع الموقت تغير بتغيره *
وتكدر بتكدره * وقد قال الامام ابو عبد الله الترمذى رضى الله عنه الناس
صنفان فصنف منهم عمال الله يعبدونه على البر والتقوى فهم محتاجون
الى خير الزمان واقبال الحق لان تاييدهم من
ذلك وصنف منهم اهل اليقين يعبدون الله على وفاء التوحيد عن كشف
الغطاء وقطع الاسباب فهم غير ملتفتين الى اقبال الزمان وادباره ولا يضرهم

ادباره وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يعذبهم برحمته ويحييهم في عافيته تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرهم قال ولقد سمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول رجال الليل هم الرجال وان اولياء هذا الوقت ليويدون بشيئين بالغنى واليقين فالغنى لكثرة ما عند الناس من الافلاس واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك وقال بعض العارفين ان لله عبادا كلما اشتدت ظلمة الوقت قويت انوار قلوبهم فهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوى اشراقها واين انوار الكواكب من انوار قلوب اوليائه انوار الكواكب تنكدر وانوار قلوب اوليائه لا انكدار لها وانوار الكواكب تهدى في الدنيا الى الدنيا وانوار قلوب اوليائه تهدى الى الله وقال صوفي بحضرة فقيه ان لله عبادا هم في اوقات المحن والمحن لا تضرهم فقال ذلك الفقيه هذا ما لا افهمه فقال الصوفي انا اريك مثال ذلك الملئكة الموكلون بالنار في النار هم في النار والنار لا تضرهم قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول الدنيا كالنار وهي قائلة المومن جز يا مومن فقد اطفا نور قناعتك لهبي **استدراك** ذكر الامام السهروردي في اصل استمداد الاولياء من الانوار المحمدية كلاما يجب هنا ذكره * ويتعين على كل مصنف لما ابداه من ذلك شكره * قال رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم هو مورد الهدى والعلم اولا ورد عليه الهدى والعلم من الله عز وجل فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الانقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء اتضع فهو دون والدين ان يضع الانسان نفسه لربه عز وجل قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فبالتفريق في الدين يستولى الذبول على الجوارح ويذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار القلب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالعلم

بالعلم والهدى بحرا مواجا ثم وصل من بحر قلبه الى النفس فظهرت على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه فتبدلت نعوت النفس واخلاقها ثم وصل الى الجوارح جدولا فصارت نيارة ناضرة فلما استتم نضارة وامتلا ريا بعثه الله تعلى الى الخلق فاقبل على الامة بقلب مواج بمياه العلوم واستقبلته جداول الفهوم وجرى من بحره فى كل جدول قسط ونصيب وذلك القسط الواصل الى الفهوم هو الفقه فى الدين والحق سبحانه وتعلى جعل الفقه صفة للقلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان افقه كانت نفسه اسرع اجابة واكثر انقيادا لمعالم الدين واوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله تعلى للقلوب والمعرفة تمييز تلك الجملة والهدى وجدان القلب ذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم اخبر انه وجد القلب النبوى الهدى والعلم فكان هاديا مهديا وعلمه صلى الله عليه وسلم منهما وراثة معجونة فيه من آدم ابى البشر صلوات الله عليه حيث علم الاسماء كلها والاسماء سمة الاشياء فكرمه الله تعلى بالعلم وقال علم الانسان ما لم يعلم فآدم بما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والمعرفة والفطنة والرافة واللطف والحب والبغض والفرح والغم والغضب والرضى والكياسة واهتدى الى الله بالنور الذى وهب له فالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الى الامة بالنور الموروث والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السماء والارض بقوله سبحانه ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين نطق من الارض واجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض ذرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصل فى التكوين والكائنات تبع له والى هذا الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام كنت نبيا

وآدم بين الماء والطين وفي رواية بين الروح والجسد وقيل لذلك سمي اميا لان مكة ام القرى وذرته ام الخليقة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضي ان يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيل الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذي تربته بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة والاشارة فيما ذكرناه من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما قال الله تعلى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ورد في الحديث ان الله مسح ظهر آدم واخرج ذريته منه كهيئة الذر استخرج الذر من مسام شعر آدم فخرج الذر كخروج العرق وقيل كان المسح من بعض الملئكة وقيل معنى القول بانه مسح اى احصى كما تحصى الارض بالمساحة وكان ذلك ببطن النعمان واد بجنب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الذر واجابوا ببلى كتب العهد في رق ابيض واشهد عليه الملئكة والقمه الحجر الاسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الجيبة من الارض والعلم والهدى فيه معجونان فبعث بالعلم والهدى موروثا له وموهوبا وقيل لما بعث الله عزوجل عزرائيل فقبض قبضة من الارض وكان ابليس قد وطئ الارض بقدميه فصار بعض الارض بين قدميه وبعض الارض موضع قدميه فخلقت النفس مما مس قدم ابليس فصارت ماوى الشر وبعضها لم يصل اليه قدم ابليس فمن تلك التربة اصل الانبياء والاولياء وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله سبحانه من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم ابليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعلى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه الى القلوب ومن نفسه الى النفوس فوقعت المناسبة في اصل طهارة الطينة ووقع التالف بالتعارف الاول فكل من كان اقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان اوفر حظا من قبول ما جاء به فكانت قلوب الصوفية اقرب

مناسبة فاخذت من العلوم حظا وافرا وصارت بواطنهم اخاذات فعلموا وعملوا كالاخاذ الذى يسقى منه ويزرع منه ولما تزكت النفوس انجلت مرائى قلوبهم بما صقلها من التقوى فتجلت فيها صور الاشياء على هيئتها وماهيتها فبانت لهم الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا فى الدنيا انصبت الى بواطنهم اقسام العلوم انصبابا وانضاف الى علم الدراسة علم الوراثة والمراد بالصوفية هنا كل مقرب اذ الصوفى هو المقرب وليس فى القرآن اسم الصوفى وكم من الرجال المقربين فى بلاد المغرب وما وراء النهر واطراف بلاد الاسلام ولا يسمون صوفية لانهم لا يتزيون بزى الصوفية وانما يعرف الصوفى المتوسمين فمشايخ الصوفية الذين اسماؤهم فى الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا فى طرق المقربين وعلومهم علوم احوال المقربين ومن تطلع الى مقام المقربين من جملة الابرار فهو متصوف ما لم يتحقق بحالهم فان تحقق بحالهم كان صوفيا ومن عداهما ممن تميز بزيهم ونسب اليهم فهو متشبه وفوق كل ذى علم عليم **قلت** فانظر ايدك الله بتوفيقه * وامدك بالرضى وسلوك طريقه * الى شفوف مكانة هذه الطائفة المكينه * وشرف ما حصل لهم من المناسبة فى اصل طهارة الطينه * وما صحبهم فى ذلك من العناية السابقه * والكرامات المتظافرة المتناسقه *

فبجاههم مولاى والقدر الذى اعليته منهم بحكم السابقه
اجعل عبيدك تابعا آثارهم وامنن على المسبوق يدرك سابقه

ولما اكمل صلى الله عليه وسلم البيان لسبيل الرشاد * واظهر المسالك الموصلة الى الله تعلى للعباد * توفاه الله تعلى الى الدار التى هى خير له واولى * بعد ان خير فاختار الرفيق الاعلى * ثم جعل سبحانه الدعاء الى الله فى امته ابدا ودائما سرمدا بما ورثوه منه واخذوه عنه قال ابن عطاء الله رضى الله عنه وقد شهد لهم الحق بذلك وجعلهم اهلا لما هنالك قال الله سبحانه وتعلى قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى فقال الشيخ

ابو العباس المرسى رضى الله عنه اى على معاينة يعاين سبيل كل واحد من الاتباع فيحمله عليها ودليله اختلاف وصاياه عليه السلام لاصحابه على حسب اختلاف سبلهم قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول فتح الحق سبحانه بقوله ومن اتبعنى باب البصائر للاتباع يريد الشيخ ان قول الله سبحانه قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى اى ومن اتبعنى يدعو الى الله على بصيرة على ما يقتضيه اللسان لانك اذا قلت زيد يدعو الى السلطان على نصيحة هو واتباعه اى واتباعه يدعون اليه على نصيحة اذ اثبت هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على بصيرة الرسالة الكاملة والاولياء يدعون على حسب بصائرهم قطبانية وصديقية وولاية وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم فان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم وقال صلى الله عليه وسلم علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم وقال وان الملئكة لتضع اجنحتها لطالب العلم وقال جل من قائل شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولو العلم قائما بالقسط وقال والذين اوتوا العلم درجات فظاهر هذا كله ان من اتصف بالعلم وانتمى اليه * وحمل منه الحظ الوافر كيف ما كان لديه * فمكانة قدره جليله * ودرجته بعموم هذه الخطابات اصيله * لكن قال ابن عطاء الله رضى الله عنه حيثما وقع العلم فى كتاب الله تعلى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فانما المراد به العلم النافع * المخمد للهوى القامع * الذى تكنفه الخشية وتكون معه الانابة قال الله تعلى انما يخشى الله من عباده العلماء فلم يجعل علم من لم يخشه علما وقال داود عليه السلام ما علم من لم يخشك وما خشية من لم يطع امرك اما علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة الى اكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار فما ابعد من هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل

الشيء

الشيء الموروث الى الوارث إلّا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه قال ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها ولا يغرنك ان يكون به انتفاع للبادي والحاضر فقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من يتعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات في طلب العلم فمكث اربعين او خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ المقصود بالعلم العمل كما ان المقصود بالطهارة ايقاع الصلاة بها وسال رجل الحسن البصري رضي الله عنه في مسالة فافتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فقال له الحسن ويحك وهل رايت فقيها انما الفقيه الذي فقه عن الله امره ونهيه قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول الفقيه من انفقا الحجاب عن عيني قلبه وشاهد ملكوت ربه **قلت** فانت ترى ان هذه الطائفة الجليلة احق من سواهم بهذه الوراثه واولى * وارفع كعبا لتحقق هذه النسبة لديهم من سائر من ادعاها واعلا * وهم بهذه الدرجة المنيفة اجدر * وعلى انافة الاتصاف بشرفها الصحيح اقدر * فقيم علومهم النافعة برونق العلم اكتحل * واتصافهم بباهر حلاها على مطلب الخشوع اشتمل *

فهم حجة الله التي في عبـــــادة   وهم مظهروا الانوار في حندس الظلم
كست ظاهرا منهم سرائر باطـــــن   فمن لم يشاهد نورهم فهو مظلـــم

قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الشر لا تسالوني عن الشر وسلوني عن الخير يقولها ثلاثا قال ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء قال الامام السهروردي رضي الله عنه العلماء ادلاء الامة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وامناء الله تعلى في خلقه واطباء العباد وجهابذة الملة

الحنيفية وحملة عظيم الامانة فهم احق الخلق بحقائق التقوى واحوج
العباد الى الزهد فى الدنيا لانهم لانفسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعد
وصلاحهم صلاح متعد وقال سفيان بن عيينة اجهل الناس من ترك
العمل بما يعلم واعلم الناس من عمل بما يعلم وافضل الناس اخشعهم لله
تعلى قال وهذا قول صحيح يحكم ان العالم اذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم
لا يغرنك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته فى المناظرة والمجادلة فانه
جاهل وليس بعالم إلّا ان يتوب ببركة العلم فان
العلم فى الاسلام لا يضيع اهله ويرجى عود العالم ببركة العلم قال ابن عطاء
الله رضى الله عنه وربما غر الغافل من طلبة العلم قول من قال طلبت
العلم لغير الله فابى ان يكون إلّا الله وليس فى قول هذا القائل ما يستروح
منه طلب العلم للرئاسة والمنافسة وانما اخبر هذا القائل عن امر من به
عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم ان يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة
من به مرض مزمن فى المعى اعياه علاجه وضاق منه خلقه فاخذ خنجرا
وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعى فقطعه فخرج
الداء منه فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست
سلامة العواقب رافعة للعقاب عن الملقين انفسهم الى التهلكة ليس المغرر
محمودا وان سلم قلت ولا نزاع ان العلم ان صحبه العمل عين العلاج
ولا علم لمن لم تبد على ظاهره هيئة الصلاح الفيت بخط شيخ شيوخنا الجلة
وهو الفقيه الامام الحجة السيد ابو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى نور
الله قبره * واعلا فى مقامات المقربين قدره * ما نصه انشدنى الشيخ المسن ابو
سرحان مسعود المازونى القاطن بالجزائر وقد اجتمعت معه بها رحمه الله

وقالوا فى خصال العلم الف فمن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى مذاهبه فقد جمع الفسادا

قال الامام السهروردى رضى الله عنه ثم ان المشايخ من الصوفية وعلماء
الآخرة الزاهدين فى الدنيا شمروا عن ساق الجد فى طلب العلم المفترض

حتى

حتى عرفوه واقاموا الامر والنهى وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق
الله تعلى فلما استقاموا فى ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث امره الله تعلى بالاستقامة وقال فاستقم كما امرت ومن تاب معك
فتح الله تعلى عليه ابواب العلوم قال بعضهم من يطيق مثل هاتم المخاطبة
الاستقامة الا من اريد من المشاهدات القوية والانوار البينة
والآثار الصادقة بقدر كما قال الله تعلى ولولا ان
ثبتناك ثم حفظه فى وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب وهو المزين بمقام
القرب والمخاطب على بساط الانس محمد صلى الله عليه وسلم خوطب بقوله
فاستقم كما امرت ولولا هذه المقدمات ما اطاق الاستقامة التى امر بها قال
جعفر الصادق رضى الله عنه فى قوله تعلى فاستقم كما امرت افتقر الى
الله بصحة العزم وراى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى المنام قال قلت يا رسول الله روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هود
فقال نعم فقلت له ما الذى شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال
لا ولكن قوله فاستقم كما امرت فكما ان النبى صلى الله عليه وسلم بعد
مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقائق الاستقامة
فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون منحهم الله تعلى
من ذلك قسطا ونصيبا ثم الهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة
وراوا الاستقامة افضل مطلوب واشرف مامول قال ابو علي الجرجانى
كن طالب الاستقامة * لا طالب الكرامة * فان نفسك متحركة فى طلب
الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة قال وهذا الذى ذكره اصل كبير
فى الباب * وسر غفل عن حقيقته كثير من اهل السلوك والطلاب * وذلك
ان المجتهدين والمتعبدين سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا من
الكرامات وخوارق العادات فابدا نفوسهم لا تزال تتطلع الى شئ من
ذلك ويحبون ان يرزقوا شيئا من ذلك ولعل احدهم يبقى منكسر القلب
متهما لنفسه فى صحة عمله حيث لم يكاشف بشيء من ذلك ولو علموا

سر ذلك لهان عليهم الامر فيه فان الله سبحانه وتعلى قد يفتح على بعض المجتهدين الصديقين من ذلك بابا والحكمة فيه ان يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد فى الدنيا والخروج من دواعى الهوى وقد يكون بعض عباده يكاشف بصرف اليقين ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كوشف بصرف اليقين اغنى بذلك عن روية خوارق العادات لان المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين ولو كشف هذا المرزوق صرف اليقين بشئ من ذلك ما ازداد يقينا فلا تقتضى الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا لموضع استغنائه وتقتضى الحكمة كشف ذلك للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثانى يكون اتم استعدادا واهلية من الاول حيث اغنى عن روية شئ من ذلك فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة ففى كل الكرامة ثم اذا وقع فى طريقه شئ من ذلك جاز وحسن وان لم يقع فلا يبالى ولا ينقص بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا فانه اصل كبير للطالبين فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث اكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التى اليها المتقدمون

وزعموا انها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وعلم اليقين وعلم الاخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفة اخلاقها وعلم النفس ومعرفتها من اعز علوم القوم واقوم الناس بطريق المقربين والصوفية اقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة اقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة قولا وفعلا ولبسا واكلا ونوما ومعرفة حقائق التوبة وعلم خفى الذنوب ومعرفة سيآت هى حسنات الابرار ومطالبة النفس بترك ما لا يعنى ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفصول ثم علم المراقبة وعلم ما يقدح فى المراقبة وعلم المحاسبة وعلم الرعاية وعلم حقائق التوكل وذنوب المتوكل فى توكله وما يقدح فى التوكل وما لا يقدح والفرق

بين

بين التوكل الواجب بحكم الايمان * وبين التوكل الخاص المختص باهل العرفان * وعلم الرضى وذنوب مقام الرضى وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته وما لا يقدح فى حقيقته ومعرفة الزهد فى الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد فى الزهد وعلم الانابة والالتجاء ومعرفة اوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة المفسرة بامتثال الامر والمحبة الخاصة وقد انكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما انكروا الرضى وقالوا ليس الّا الصبر وانقسام المحبة الخاصة الى محبة الذات والى محبة الصفات والفرق بين محبة الذات ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والانس والقبض والبسط والفرق بين القبض والهم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت احوال الفناء والاستتار والتجلى والجمع والفرق واللوامع والطوالع والبوادى والصحو والسكر الى غير ذلك وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون * وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون * وهى علوم دقيقة لا يكاد النظر يصل اليها الّا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه قال وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء ان العلوم كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق التقوى وربما كانت محبة الدنيا عونا على اكتسابها لان الاشتغال بها شاق على النفس فجبلت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى اذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم اجابت الى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هولاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف الّا بمجانبة الهوى ولا تدرس الّا فى مدرسة التقوى قال الله تعلى واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هولاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فعلم فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب الّا لاولى الالباب واولو الالباب

حقيقة الزاهدون فى الدنيا قال بعض الفقهاء اذا وصى الانسان بماله لاعقل الخلق يصرف الى الزهاد لانهم اعقل الخلق قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه للعقل الف اسم واول كل اسم منها ترك الدنيا قال ابو يزيد يوما لاصحابه بقيت البارحة الى الصباح اجهد ان اقول لا اله إلّا الله فما قدرت عليه قيل ولم قال ذكرت كلمة قلتها فى صباتى جاءتنى وحشة تلك الكلمة فمنعتنى من ذلك واعجب ممن يذكر الله وهو متصف بشئ من صفاته فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا فى العلم قال الواسطى الراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بارواحهم فى غيب الغلم فى سر السر فعرفهم ما عرف فى بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم مدخور الخزائن تحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجائب الخطاب فنطقوا بالحكمة وقال بعضهم الراسخ من اطلع على محل المراد من الخطاب وقال الخراز هم الذين كملوا فى جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلائق كلهم اجمعين وهذا القول من ابى سعيد لا يعنى به ان الراسخ فى العلم ينبغى ان يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان من الراسخين فى العلم ووقف فى معنى قوله تعلى وفاكهة وابا وقال ما الاب ثم قال ان هذا إلّا تكلف ونقل هذا الوقوف فى معنى الاب انه كان من ابى بكر الصديق رضى الله عنه وانما عنى بذلك ابو سعيد ما تفسر اول كلامه بآخره وهو قوله واطلعوا على همم الخلائق كلهم لان المتقى حق التقوى والزاهد حق الزهادة فى الدنيا صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشئ من اللوح المحفوظ فادرك بصفاء الباطن امهات العلوم واصولها فيعلم منتهى اقدام اهل العلوم فى علومهم وفائدة كل علم والعلوم الجزئية متجزئة فى النفوس بالتعليم والممارسة فلا يغنيه علمه الكلى ان يراجع فى الجزئى اهله الذين هم اوعيته فنفوس هولاء امتلأت من الجزئى واشتغلت به وانقطعت من الكلى بالجزئى ونفوس العلماء الزاهدين بعد الاخذ مما لابد منه فى

اصل

اصل الدين واساسه من الشرع اقبلوا على الله وانقطعوا اليه وخلصت ارواحهم الى مقام القرب منه فافاضت ارواحهم على قلوبهم انوارا تهيات بها قلوبهم لادراك العلوم فارواحهم ارتقت عن حد ادراك العلوم بعكوفها على العالم الازلى وتجردت عن وجود يصلح ان يكون وعاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذى يلى النفوس صارت اوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتالفت العلوم وتالفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال انتقاشها فى اللوح لا غير وانفصال القلوب عن مقام الارواح لوجود انجذابها للنفس فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجبة للتالف فحصلت العلوم بذلك وصار العالم الربانى راسخا فى العلم اوحى الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة يا بنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ياتى به العلم مجعول فى قلوبكم تادبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم فالتادب بآداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضى جبلاتها وقمعها بصريح العلم فى كل قول وفعل ولا يصح ذلك الا لمن علم وقرب وطرق الى الحضور بين يدى الله عزوجل فيتحفظ للحق بالحق مكتوب فى الانجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وقد ورد فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف سبقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال فى العلم قائلا والعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن ان الله لا يعبا بذى علم ورواية انما يعبا بذى فهم ودراية فعلوم الدراية مستخرجة من علم الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين ومثال علوم الدراية كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمائية فى اللبن

جسم قام به روح الدهنية والمائية بهما القوام وجعلنا من الماء كل شيء حي او من كان ميتا فاحييناه اي كان ميتا بالكفر فاحييناه بالاسلام فالاحياء بالاسلام هو القوام الاول والاصل الاول وللاسلام علوم وهي علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظرا الى مجرد التصديق ولكن للايمان فروع بعد التحقيق بالاسلام وهو مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وقد يقال التوحيد والمعرفة والمشاهدة وللايمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الاسلام علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل اليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهي السكينة التي انزلت في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فعلى هذا جمع وقال ابو سعيد الخراز رضي الله عنه اهل الخلاصة الذين هم المرادون تولاهم الله واكمل لهم النعمة وهيا لهم الكرامة فاسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم في العمل والخدمة على الالفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه وعن فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة ابي سعيد قالت سمعت الخراز يقول المراد محمول في حاله معان على حركاته وسعيه في الخدمة مكفي مصون عن الشواهد والنواظر قالت وهذا الذي قاله الشيخ ابو سعيد هو الذي اشتبهت حقيقته على طائفة من الصوفيين ولم يقولوا بالاكثار من النوافل وقد راوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا ان ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا الى روح الحال وادركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلئوا بالحال وطرحوا نوافل الاعمال فاما المرادون تبقى عليهم الاعمال والنوافل وفيها قرة اعينهم وهذا اتم واكمل من الاول فهذا الذي اوضحناه احد طريقي الصوفية فاما الطريق الآخر فطريق المريدين وهم الذين شرط لهم الانابة فقال تعلى ويهدي اليه من ينيب طولبوا بالاجتهاد اولا قبل الكشف قال الله

تعلى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يدرجهم الله تعلى فى مدارج الكسب بانواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجى وظما الهواجر تتاجج فيهم نيران الطلب * وتتحجب دونهم لوامع الادب * يتقلبون فى رمضاء الارادة * ويتخلعون عن كل مالوف وعادة * وهى الانابة التى شرطها الله سبحانه وتعلى لهم وجعل الهداية معلومة بها آنفا هداية خاصة لانها هداية اليه غير الهداية العامة التى هى التهدى الى امره ونهيه بمقتضى المعرفة الاولى وهذا حال السالك المحب المريد فكانت الانابة غير الهداية العامة فاثمرت هداية خاصة واهتدوا اليه بعد ان اهتدوا له بالمكابدات فخلصوا من ضيق العسر الى فضاء اليسر من وهج الاجتهاد الى روح الحال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم قال الجنيد ما اخذنا التصوف من القيل والقال ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المالوفات والمستحسنات وقال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك الرحة وقال ابو عثمان المريد الذى مات قلبه عن كل شئ دون الله فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق اليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه الى ربه وقال ايضا عقوبة قلوب المريدين ان يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات الى اضدادها فهذان الطريقان يجمعان احوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقيق بالتصوف احدهما مجذوب ابتر على جذبته ما رد الى الاجتهاد بعد الكشف والثانى مجتهد متعبد ما خاص الى الكشف بعد الاجتهاد والصوفية فى طريقهم باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن انه يبلغ غرضا او يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور وقال ابو سعيد الخراز كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وكان الجنيد يقول علمنا هذا مشبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة حكى ان ابا يزيد البسطامى

رضى الله عنه قال ذات يوم لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى شهر نفسه بالولاية وكان الرجل فى ناحية مقصودا مشهورا بالزهد والعبادة قال فمضينا فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بزاقة نحو القبلة فقال ابو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمامون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مامونا على ما يدعيه من مقامات الاولياء والصديقين **قلت** ما جعله ابو يزيد رضى الله عنه علة فى انصرافه عن زيارة هذا الرجل المشتهر بالخير والصلاح بعد قصده اليها من كونه اخل بادب من آداب الشريعة ليس بقادح والله اعلم وان قلنا ان حسنات الابرار سيآت المقربين لاحتمال الغفلة والذهول او قصد التمويه بذلك على من مع ابى يزيد ليساء به الظن على حد قوله

استتار الرجال فى كل ارض تحت سوء الظنون قدر جليل
ما يضر الهلال في حندس الليـ ـل سواد السحاب وهو جميـل

الدعوة ظاهرا و باطنا كان حظهم من العلم اوفر ونصيبهم من المعرفة اكمل * فكانت اعمالهم ازكى وافضل * جاء رجل الى معاذ فقال اخبرنى عن رجلين احدهما مجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلّا انه ضعيف اليقين يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكه اعماله قال فاخبرنى عن رجل قليل العمل إلّا انه قوى اليقين وهو فى ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لان احبط شكه الاول اعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فاخذ معاذ بيده وقال ما رايت الذى هو افقه من هذا وفى وصية لقمان لابنه يا بنى لا يستطاع العمل إلّا باليقين ولا يعمل المرء إلّا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه فكان اليقين افضل العلم لانه ادعى الى العمل وما كان ادعى الى العمل كان ادعى الى العبودية وما كان ادعى الى العبودية كان ادعى الى القيام بحق الربوبية وكمال الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية

والعلماء

والعلماء الزاهدين فبان بذلك فضلهم وفضل علمهم قال ثم انى اصور مسالة يستبين بها المعتبر فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره رجل عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما فى نفسه من اعتقاده فى نفسه بمحله وعلمه فدخل داخل من ابناء جنسه وقعد فوقه فانعصر العالم واظلمت عليه الدنيا ولو امكنه بطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفطن ان هذه علة غامضة ومرض يحتاج الى المداواة ولا يتفكر فى مشاهد هذا المرض ولو يعلم ان هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها عاد لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فعلم الانسان انه اكبر من غيره كبر واظهار ذلك تكبر فحيث انعصر صار فعلا به تكبر فالصوفى العالم الزاهد لا يميز نفسه بشئ دون المسلمين ولا يرى لنفسه فى مقام تمييز يميزها بمجلس مخصوص مميز ولو قدر ان يبتلى بهذه الواقعة وينعصر من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ويرى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالاصغاء الى النفس وانعصارها صار ذلك فيرفع فى الحال داءه الى الله تعلى ويشكو اليه ظهور نفسه ويحسن الانابة بقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب الى الله تعلى مستغيثا من النفس ويشغله اشتغاله برؤية داء النفس فى طلب دوائها من الفكر فيمن قعد فوقه وربما اقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا لذنبه الموجود وتداويا لدائه الحاصل فيتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه فى هذا المقام يرى نفسه كنفوس عوام الخلق وطالب المناصب الدنيوية فاى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له فبان بهذا افضلية الزاهدين ونقصان الراغبين وهذا من اوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفيس علومهم وشرف احوالهم جعلنا الله ممن تمسك عن صدق نية باذيالهم واظلته يوم الفزع الاكبر ورقات ظلالهم ولتحقق زهدهم فى الدنيا رضى الله عنهم وتركها على اربابها وطلابها دلت طهارة صدورهم من الغل والغش

فان ذلك عماد امرهم وبه ظهر جوهرهم وبان فضلهم فان مثال الغل والغش
محبة الدنيا وصحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية رضى الله عنهم
زهدوا فى ذلك كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الّا لقوم كنست
بارواحهم المزابل فلما سقط من قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة اصبحوا
وامسوا وليس فى قلوبهم غش لاحد ثم قال رضى الله عنه فقول القائل
كنست بارواحهم المزابل اشارة منه الى غاية التواضع وان لا يرى نفسه
تتميز من احد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغل
والغش قال وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقراء من اصحابنا وقع لى
ان هنا كنست بارواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل الى النفوس لانها ماوى
كل رجس ونجس كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل اليها لان الصوفية
ارواحهم فى محل القرب ونورها يسرى الى النفوس وبوصول نور الروح
الى النفس تطمئن النفس ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد
والحسد فكانها تكنس قال وهذا المعنى صحيح وان لم يرد القائل بقوله
ذلك قال الله تعلى فى وصف اهل الجنة ونزعنا ما فى صدورهم من غل
اخوانا على سرر متقابلين قال ابو حفص كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت
بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وانست بذكره ان تلك
قلوب صافية من هواجس النفس وظلمات الطبع بل كحلت بنور التوفيق
فصارت اخوانا فانخرق حجابهم من القيام باحياء سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولا وفعلا وحالا صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعوت النفس
ارتفع الحجاب وصحة المتابعة ووقعت الموافقة فى كل شئ مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووجبت المحبة من الله عند ذلك قال الله تعلى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله جعل متابعة الرسول صلى
الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة
الرسول محبة الله اياه فاوفر الناس حظا من متابعة الرسول صلى الله عليه
وسلم اوفرهم حظا من متابعة الله تعلى والصوفية رضى الله عنهم من بين

طوائف

طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لانهم اتبعوا اقواله فقاموا بما امرهم
ووقفوا عما نهاهم قال الله تعلى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا ثم اتبعوه فى اعماله من الجد والاجتهاد فى العبادة والتهجد والنوافل
من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة فى الاقوال والافعال
التخلق باخلاقه من الحياء والعلم والصفح والعفو والرافة والشفقة والمداراة
والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من احواله من الخشية والسكينة
والهيبة والتعظيم والرضى والصبر والزهد والتوكل فاستوفوا بجميع اقسام
المتابعة واحيوا سنته باقصى الغايات قيل لعبد الواحد بن زيد من
الصوفية عندك قال القائمون بعقولهم على هممهم والعاكفون عليها بقلوبهم
والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دائم الافتقار الى مولاه حتى يقول لا تكلنى الى نفسى طرفة عين
اكلئنى كلاء الوليد قال ومن اشرف ما ظفر به الصوفى من متابعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف وهو دوام الافتقار ودوام اللجا ولا
يتحقق بهذا الوصف من صدق الافتقار إلّا عبد كوشف باطنه بصفاء
المعرفة واشرق صدره بنور اليقين وخاص قلبه الى بساط القرب وخلا سره
بلذاذة المسامرة ومع ذلك كله يرى نفسه ماوى كل شر وهى بمثابة النار
ولو بقيت منها شرارة احرقت عالما وهى وشيكة الرجوع سريعة الانقلاب
والانفلات فالله تعلى بكمال لطفه عرفها الى الصوفى وكشفها له على كل
شئ من معنى ما كشفها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة
من شرها الى مولاه فكانها جعلت سوطا للعبد تسوقه لمعرفته بشرها مع
اللحظات الى جانب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفى
من مطالعتها ادنى ساعة كما لا يخلو عن ربه ادنى ساعة وربط معرفتها
بمعرفته عز وجل فيما ورد من عرف نفسه عرف ربه كربط معرفة
الليل بمعرفة النهار ومن الذى يقوم باحياء هذه السنة من سنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفى العالم بالله تعلى الزاهد فى الدنيا

المتمسك من التقوى باوثق الاسباب ومن الذى يهتدى الى فائدة هذا الحال غير الصوفى فدوام افتقاره الى ربه تمسك بجانب الحق عزوجل ولياذ به وفى هذا اللياذ استغراق الروح واستباحة للقلب الى محل الدعاء وفى انجذاب القلب الى محل الدعاء باسان الحال والكون فيه نزول النفس الى الاقسام العاجلة فى مدرج العلم محفوفة بحراسة الله تعلى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعلى مامونة الغائلة من الغل والغش والحقد والحسد وسائر المذمومات فهذا حال الصوفى ويجمع جمل حال الصوفى شيآن هما وصف الصوفية واليه الاشارة بقوله تعلى يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب فقوم من الصوفية خصوا بالاجتهاد الصرف وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتهاد المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يباديه الحق تعلى بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب بسبق كشوفه اجتهاده وفى هذا اخذ بطائفة من الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وباداهم سطوع نور اليقين فاثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والاعمال فاقبلوا على الاعمال باللذاذة والعيش فيها قرة اعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات قال جعفر الصادق وجدوا روح العناية القديمة بهم فالتجوا الى السجود شكرا وقالوا الرتب يشملها اسم الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فالنظر الى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الايمان وبوصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة وصف خاص فى اليقين وهو عين اليقين وفى عين العين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين اذا فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره فى الآخرة وفى الدنيا منه لمح يسير لاهلها وهو من اعز ما يوجد من اقسام العلم بالله تعلى لانه وجدان فصار علم الصوفية

وزهاد

وزهاد العلماء نسبته الى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرنا من علم الوراثة والدراسة علمهم بمثابة اللبن لانه اليقين والايمان الذى هو الاساس وعلم الصوفية بالله تعلى من انصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن ففضيلة الانسان بفضيلة العلم ورزانة الاعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد فى الخبر فضل العالم على العابد كفضلى على امتى والاشارة فى هذا العلم ليس الى علم البيع والشراء والطلاق والعتاق وانما الاشارة الى العلم بالله تعلى وقوة اليقين وقد يكون العبد عالما بالله ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفاية وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم من علماء التابعين وقد كان علماء التابعين فيهم من هو اقوم بعلم الفتوى والاحكام من بعضهم روى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان اذا سئل عن شئ يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر ابن عبد الله لو نزل اهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان انس بن ملك رضى الله عنه يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون اليهم فى علم الفتيا والاحكام ويعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة لانهم كانوا اقوم بذلك من التابعين صادفتهم طراوة الوحى المنزل وغمرهم غزير العلم المجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة مجمله ومفصله وطائفة مفصله دون مجمله والمجمل العلم ومطلقه المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد خاص لخصوص

قال الله تعلى لنبيه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن وقال قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة فلهذه السبل سابله * ولهذه الدعوات قلوب قابله * فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الانذار * والموعظة والحذار * ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على

نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة اجاب بها الابرار ❊ وهى الدعوة بذكر الجنة والنار ❊ والدعوة بالحكمة اجاب بها المقربون وهى الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة واشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقانية ❊ والتعريفات الربانية ❊ اجابوا بارواحهم وقلوبهم ونفوسهم فصار متابعة الاقوال اجابتهم نفسا ومتابعة الاعمال اجابتهم قلبا والتحقق بالاحوال اجابتهم روحا فاجابة الصوفية بالكل واجابة غيرهم بالبعض قال عمر رضى الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو كتب له كتاب امان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم امر الله على القيام بواجب حق العبودية اداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفية الى الدعوة اجابة المحب للمحبوب على اللذاذة وذهاب العسر واجابة غيرهم على المكابدة والمجاهدة وهذه الاجابة يظهر مع الساعات اثرها فى القيام بحقائق الاستقامة والعبودية قال الله تعلى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى قال بعضهم اعطى الدارين ولم يرشيئا واتقى اللغو والسيآت وصدق بالحسنى اقام على طلب الزلفى والآية قيل نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال ويلوح فى الآية وجه آخر اعطى بالمواظبة على الاعمال واتقى الوسواس والهواجس وصدق بالحسنى لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره لليسرى نفتح عليه باب السهولة فى العمل والعيش والانس ومن بخل بالاعمال واستغنى وامتلا بالاحوال وكذب بالحسنى لم يكن فى الملكوت بنفوذ بصيرته بالجوال ❊ يسد عليه باب اليسر فى الاعمال ❊ قال بعضهم اذا اراد الله بعبد سوءً سد عليه باب العمل ❊ وفتح عليه باب الكسل ❊ فلما اجابت نفوس الصوفية وقلوبهم [illegible] الا ان يقال كوشف ابو يزيد بكراهية الرجل الزيارة خوفا من الشهرة بزيارة مثل ابى يزيد فرجع لذلك وستر عن اصحابه ما كوشف به بابداء ما يصرفهم عن زيارته فى الحال والاستقبال او اطلعه الله تعلى من سره وحقيقة امره حين

شاهده

شاهده على ما سلبه اهلية زيارة مثله له فلا بعد فى ذلك ويكون ما اظهره لمن معه مما يوهم القدح انما هو على قدر فهومهم عملا بمقتضى قوله عليه الصلاة والسلام امرنا ان نخاطب الناس على قدر عقولهم مع ما فيه من ابقاء الستر على الرجل وعلى ابى يزيد فى كونه كوشف بغيب من الغيوب والله اعلم وقد اسلفنا من حقائق علوم القوم ما نفتقر الآن الى بيانه ※ ونطالب بكشف معناه فما يوخر شئ عن اوانه ※ ولنجعل محصول ذلك مبسوطا فى فصول ※ ومن الله تعالى الى تمام الغرض من ذلك نرغب فى الوصول ※

فصل فى حقيقة الولاية والولى ※ وذكر كلام القوم فى ذلك على الوجه الجلى ※

قال الشيخ الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه فان قيل فما معنى الولى قيل يحتمل امرين احدهما ان يكون فعيل مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيره فيكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذى يتولى الحق سبحانه وتعلى حفظه وحراسته قال بعضهم رحمة الله عليه ان يكون فعيل بمعنى مفاعل اولى من ان يكون بمعنى فاعل فيكون معنى الولى للطاعات والقربات ※ المواصل للعفاف والتنزه عن المخالفات ※ وفعيل قد ياتى بمعنى مفاعل كحسيب بمعنى محاسب ونديم بمعنى منادم قال وهو معنى قول سهل بن عبد الله التسترى الولى هو الذى توالت افعاله على الموافقة قلت وهذا قريب من قول ابى القاسم القشيرى فيكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية وانه من الفاعل كالعليم والقدير وحقيقة الولاية القرب تقول ولينى فلان اذا قرب منك وتقول ولينى الخير ووليه الشر وتقول هذا ثم الذى يليه تريد لا حاجز بينهما ولا فارق فولى الله عبارة عن اقرب خلقه بعد الانبياء عليهم السلام

اليه وادناهم منه وذلك بالمكانة عنده والمنزلة لديه وتعلى الله سبحانه
عن المكان فكل من كانت حاله طاعة لا معصية فيها واستقامة لا عوج
فيها وشهود لا غيبة فيه فهو ولى الله حقا * واولى الناس به صدقا *
قال ابن عطاء الله رضى الله عنه واعلم رحمك الله باقباله عليك * وجعل
انواره واصلة اليك * انها ولايتان ولى يتولى الله وولى يتولاه الله قال عز
وجل فى الولاية الاولى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب
الله هم الغالبون وقال فى الولاية الثانية وهو يتولى الصالحين وقال الشيخ
ابو الحسن رضى الله عنه من اجل مواهب الله الرضى بمواقع القضاء
والصبر عند نزول البلاء والتوكل على الله عند
الشدائد * والرجوع اليه عند النوائب فمن خرجت له هذه الاربع
من خزائن الاعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والاقتداء بالايمة
فقد صحت ولايته لله ولرسوله والمومنين ومن يتول الله ورسوله والذين
آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ومن خرجت له من خزائن المنن على
بساط المحبة فقد ثبتت ولاية الله له بقوله وهو يتولى الصالحين ففرق
بين الولايتين فعبد يتولى الله وعبد يتولاه الله فهما ولايتان صغرى وكبرى
فولايتك لله خرجت من المجاهدة وولايتك لرسوله خرجت من متابعة
سنته وولايتك للمومنين خرجت من الاقتداء بالايمة فافهم ذلك من
قوله ومن يتول الله ورسوله الآية ثم قال واعلم رحمك الله بورود عواطفه *
وفهمك لطائف عوارفه * ان الصلاح فى قوله عز وجل وهو يتولى الصالحين
ليس يراد به الصلاح الذى يقصده اهل الطريق عند تفضيل المراتب
فيقولون صالح وشهيد وولى بل الصلاح هنا المراد به الذين صلحوا لحضرته
بتحقيق الفناء عن خليقته الم تسمع قول الله سبحانه حاكيا عن يوسف
عليه السلام توفنى مسلما والحقنى بالصالحين اراد بالصالحين هنا المرسلين من
آبائه لان الله تعلى اهلهم لنبوته ورسالته فكانوا لها اهلا قال وان شئت
قلت هنا ولايتان ولاية الايمان وولاية الايقان فولاية الايمان قال الله

سبحانه

سبحانه فيها الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفى هذه الآية فوائد انظرها هنالك ثم قال واعلم ان ولاية الله تتضمن النفع والدفع اما النفع فمن قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها ومن قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وهذا فى وصف الكافرين فمفهومه ان الايمان ينفع المومنين ولو عند روية الباس وكذلك قوله يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل اوكسبت فى ايمانها خيرا فمفهومه اذا كانت مومنة من قبل نفعها ايمانها واما الدفع فمن قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا وتتضمن النصرة لقوله وكان حقا علينا نصر المومنين وتتضمن النجاة لقوله كذلك حقا علينا ننجى المومنين واما ولاية الايقان فهى تتضمن الايمان والتوكل وقد قال سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا يكون التوكل إلّا مع اليقين ولا يكون يقين وتوكل إلّا مع ايمان لان اليقين عبارة عن استقرار العلم بالله فى القلب ماخوذ من يقن الماء فى الجبل اذا سكن فيه فكل يقين ايمان وليس كل ايمان يقينا والفرق بينهما ان الايمان قد تكون معه الغفلة وان شئت قلت هما ولايتان ولاية الصادقين وولاية الصديقين فولاية الصادقين باخلاص العمل لله والقيام بالوفاء مع الله طلبا للجزاء من الله وولاية الصديقين بالفناء عما سوى الله وبالبقاء فى كل شئ بالله وقد قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه فى بعض كتب الله المنزلة على انبيائه من اطاعنى فى كل شئ اطعته فى كل شئ بان اتجلى له فى كل شئ حتى يرانى اقرب اليه من كل شئ هذه طريق الولى وهى طريق السالكين وطريق كبرى اى من اطاعنى فى كل شئ باقباله على كل شئ بحسن ارادة مولاه فى كل شئ اطعته فى كل شئ بان اتجلى له فى كل شئ حتى يرانى كانى كل شئ واذا عرفت هذا فاعلم انهما ولايتان ولى يفنى عن كل شئ فلا يشهد مع الله شيئا وولى يبقى فى كل شئ فيشهد الله فى كل شئ وهذا اتم وان شئت قلت هما ولايتان ولاية دليل وبرهان * وولاية شهود وعيان *

فولاية الدليل والبرهان لاهل الاعتبار * وولاية الشهود والعيان لاهل الاستبصار * فلاهل الولاية الاولى قوله تعلى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ولاهل الولاية الثانية قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وارباب الدليل والبرهان عوام عند اهل الشهود والعيان لان اهل الشهود والعيان قدموا الحق فى ظهوره ان يحتاج الى دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى دليل من نصب الدليل ام كيف يكون معرفا به وهو المعرف له قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف ام كيف يعرفه شئ وقد سبق وجوده وجود كل شئ وقال الشيخ الولى ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه اعلم ان الولاية غير مكتسبة كما ان النبوة غير مكتسبة وان الولى محفوظ كما ان النبى معصوم وقد انقسم الاولياء فى الحفظ على قسمين فقوم يحفظون فى الاعمال اذا شرعوا فى عمل انشرحت صدورهم اليه وكثر حفظهم له لكثرة ثوابه فنشطوا واستحثهم العزم على الدوام عليه ومتى فتروا عوقبوا معجلا حتى ان بعضهم كان اذا فتر عن الذكر جاءه اسد فافترس منه قطعة فيعود الى الذكر وهذا من علامة الحفظ لهذه الطائفة والطائفة الثانية يعملون ويجتهدون فيعطون من باب الفضل لا من طريق الجزاء على العمل فيورثهم ذلك عجزا عن روية اعمالهم مع الدوام عليها ولهذا قالوا من ظن انه ببذل المجهود يصل فمتعن ومن ظن انه بعد ببذل المجهود يصل فمتمن فادتهم هذه الحقيقة الى ترك التوسل بالاعمال * واسقاط الحول والقوة فى شهود الافعال * وهذا آخر مقام الاولياء واول قدم الانبياء وفى هذا القدر من هذا الفصل ما يثلج الصدور * ويطلع الاهلة فى كمال البدور * وفى مقدمة الباب الثالث من هذا مزيد * فليطالعه هناك من تعطش له من سالك ومريد *

فصل فى ابتداء ما لاجله اختصت

باسم

باسم الصوفية هذه الطائفه ❀ وشرح ذلك بما عسى ان يظهر من سره لطائفه ❀

قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفى وللجماعة الصوفية ومن يتمى الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس بين ولا اشتقاق والاظهر فيه انه كاللقب واما قول من قال انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم منسوبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لا تجيئ على نحو الصوفى ومن قال انه من الصفا فاشتقاق الصوفى من الصفا بعيد فى مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف فكانهم فى الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة من الصف ثم هذه الطائفة اشهر من ان يحتاج فى تعيينهم الى قياس لفظ واشتقاق **قلت** قال الهروى الصفة موضع مظلل فى المسجد كان ياوى اليه المساكين واقرهم على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى مال اليه الامام السهروردى رضى الله عنه انهم سموا الصوفية والواحد صوفى لظاهر زيهم الغالب وهو لباس الصوف ورجح ذلك بانه لما كان حالهم بين سير وطير لتنقلهم فى الاحوال وارتقائهم من عال الى اعلا منه لا يقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت ابواب المزيد عليهم علما وحالا مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم فلما تعذر تقيدهم بحال لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا الى ظاهر اللبسة فكان ذلك ابين فى الاشارة وادعى الى حصر وصفهم لان لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم وايضا لان حالهم حال المقربين كما سبق ذكره ولما كان الاعتزاء الى القلب وعظم الاشارة الى قرب الله

تعالى امر صلف يعز كشفه ولاشارة اليه وقعت لاشارة الى زيهم سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم ان تكثر الاشارة اليه وتتداوله الالسنة فكان هذا اقرب الى الادب والادب فى الظاهر والباطن والقول والفعل عماد امر الصوفية قال وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم الى اللبسة ينبىء عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس اليه بالهوى من الملبوس الناعم حتى ان المبتدى الذى يؤثر طريقهم ويحب الدخول فى امرهم يوطن نفسه على التقلل والتقشف ويعلم ان الماكول من جنس الملبوس فيدخل فى طريقهم على بصيرة وهذا امر مفهوم معلوم عند المبتدى والاشارة الى شئ من حالهم وتسميتهم بذلك ابعد من فهم ارباب البدايات فكانت تسميتهم بهذا انفع وايضا غير هذا المعنى مما يقال انهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى واذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان ابعد من الدعوى وكل ما كان ابعد من الدعوى كان اليق بحالهم وايضا لان لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من امرهم ونسبتهم الى امر آخر من حال او مقام امر باطن والحكم بالظاهر اليق واولى فالقول انهم سموا صوفية للبسهم الصوف اليق واقرب الى التواضع ويقرب ان يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخلى والتوارى كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرماة التى لا يرغب فيها ولا يلتفت اليها فيقال صوفى نسبة الى الصوفة كما يقال كوفى نسبة الى الكوفة ثم قال وقيل كان هذا الاسم فى الاصل صفوى فاستثقل ذلك وجعل صوفيا ثم قال وهذا الاسم لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل كان فى زمن التابعين ونقل عن الحسن البصرى رضى الله عنه انه قال رايت صوفيا فى الطواف فاعطيته شيئا فلم ياخذ وقال معى اربعة دوانق يكفينى ما معى ويشيد هذا ما روى عن سفيان انه قال لولا ابو هاشم الصوفى ما عرفت دقيق الرياء وهذا يدل على ان هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة النبوية لانه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الاشارة اليها اولى من كل الاشارة وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ منهم العلم يسمى تابعيا ثم لما تقادم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحى السماوى وتوارى النور المصطفوى واختلفت الآراء وتفرد كل ذى راى برايه وكدر شرب الماء شرب الاهوية وتزعزعت ابنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت اربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفرد طائفة باعمال صالحة واحوال سنية وصدق فى العزيمة وقوة فى الدين وزهد فى الدنيا واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون اخرى اسوة باهل الصفة تاركين للاسباب متبتلين الى رب الارباب فاثمر لهم صالح الاعمال سنى الاحوال وتهيا لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار لهم

اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان ايمان كما قال حارثة اصبحت مومنا حقا حيث كوشف برتبة فى الايمان غير ما عهدها فصار لهم مقتضى ذلك علوما يعرفونها واشارات يتعاهدونها فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير الى معان يعرفونها وتعرب عن احوال يجدونها فاخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك وسما مستمرا وخبرا مستقرا فى كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم والتقى وحقائق الحقيقة اسرارهم نزع القبائل واصحاب الفضائل سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من امداد فضل الله مزيد ولهيب شوقهم يتاجج ويقول هل من مزيد وقال مختصر الرسالة الششترية الاكثرون انه من لباس الصوف والاصح انه من الصفا يقال صوفى فلان اذا خص بالصفا وعوفى اذا خص بالعافية وانشد بيتى البستى وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول اختلف الناس فى اشتقاق الصوفى فمنهم من قال انه منسوب

الى الصوف لانه لباس الصالحين وقيل هو منسوب الى الصفة يعنى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى نسب اليها اهل الصفة وهو نسب على غير قياس ثم قال واحسن ما قيل فيه انه منسوب لفعل الله به اى صافاه الله فصوفى فسمى صوفيا ثم انشد

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست امنح هذا الاسم غير فتى صافا فصوفى حتى سمى الصوفى

قال وسمعته يقول الصوفى مركب من حروف اربعة الصاد والواو والفاء والياء فالصاد صبره وصفاه والواو وجده ووده ووفاه والفاء فقده وفقره وفناه والياء ياء النسبة اذا تكمل فيه ذلك اضيف الى حضرة مولاه وقال التادلى فى تشوفه اعلم ان الكثير من الناس لم يحاصوا حقيقة اشتقاقه والذى يعول عليه ان الصوفى هو المنقطع بهمته فى طاعته وهو فى الاصل منسوب الى صوفة وهم قوم من العرب والمتصوف هو المدخل نفسه فى الصوفية كقولهم تقيس اذا ادخل نفسه فى قيس قال ابن فارس فى مجمله صوفة قوم كانوا فى الجاهلية يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج قال ابو عبيدة هم قبائل اجتمعوا وتشبكوا كما يتشبك الصوف وعن الخليل ابن احمد صوفة حى من تميم وهم الذين يجيزون الحاج من عرفات كان يقوم احدهم فيقول اجزنى صوفة فاذا اجازت قال اجزنى خندف فاذا اجازت اذن للناس كلهم فى الاجازة وفي الافاضة

* فصل فى ذكر ماهية التصوف *

* فللنفوس الى ابداء حقيقته تشوف *

اعلم اكرمك الله ان للقوم فى ذلك حسب اختلاف الحال والمقام منهم عبارات * ولهم فى ارادة الكشف عن ذلك وكل عبر عما يجده اشارات * قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه سئل ابو محمد الجريرى عن التصوف فقال الدخول فى كل خلق سنى * والخروج عن كل خلق دنى *

وسئل

وسئل الجنيد عن التصوف فقال هو ان يميتك الحق عنك ويحييك بك
وسئل عمرو بن عثمان المكى عن التصوف فقال ان يكون العبد فى كل
وقت بما هو اولى فى الوقت وقال محمد بن علي الصاب التصوف اخلاق
كريمة ظهرت فى زمان كريم مع قوم كرام وسئل سمنون عن التصوف
فقال ان لا تملك شيئا ولا يملكك شئ وسئل رويم عن التصوف فقال
استرسال النفس مع الله تعلى على ما يريد وسئل الجنيد عن التصوف
فقال الكون مع الله بلا علاقة وقال معروف الكرخى التصوف الاخذ
بالحقائق والاياس مما فى ايدى الخلائق وقال الجنيد التصوف عنوة لا
صلح فيها وقال ايضا التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل
مع اتباع وقال الكتانى التصوف خلق من زاد عليك فى الخلق فقد زاد
عليك فى الصفا وقال ابو علي الروذبارى التصوف الاناخة على باب
الحبيب وان طرد وقال ايضا صفو القرب بعد كدورة البعد وقيل التصوف
كف فارغ وقلب طيب وقال الشبلى التصوف الجلوس مع الله بلا هم
وقال ايضا التصوف فرقة محرقة وقال ايضا هو العصمة عن روية الكون
وقال الجريرى مراقبة الاحوال ولزوم الادب وقال المزين التصوف الانقياد
للحق وقال بعضهم التصوف اسقاط الجاه وسواد الوجه فى الدنيا وقال ابو
يعوب المزايلى التصوف حال   الاستنابة وقال الاستاذ
ابو سهل الصعلوكى التصوف الاعراض عن الاعتراض وقال الامام السهروردى
رضى الله عنه سئل بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة
البرية ومرافقة الاخلاق الطيبة واخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعى
النفسانية ومنازلات الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واتباع
الرسول فى الشريعة المحمدية قال وقال بعضهم التصوف اوله علم واوسطه
عمل وآخره موهبة وقال الششترى رضى الله عنه سئل ابن ادهم عن
التصوف فقال اول قدم منه بذل الروح وعلو الهمم عما تنافست فيه
الامم وسئل الحسين بن منصور الحلاج وهو على الخشبة مقطوع اليدين

والرجلين وقد مثل به ما التصوف فقال اوله ما ترى اليوم وآخره ما تراه
غدا يعنى قتله قال وكان اوعده شيخه بذلك لما سرق كتابه الذى كان
فيه كلامه الخاص به وكان الحلاج يومئذ صغير السن فقيل للشيخ فلان
هرب بالكتاب فقال سوف يقتل به وتقطع يداه ورجلاه فكان كذلك وقال
الشبلى التصوف الاقتداء بالسنة وما سوى ذلك حديث نفس

* فصــل فى كلام من اجتبى *
* وصوفى وفى معنى الصوفى *

قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه قال الحسين بن منصور وقد
سئل عن الصوفى هو وحدانى الذات لا يقبله احد ولا يقبل احدا وقال
ابو حمزة البغدادى علامة الصوفى الصادق ان يفتقر بعد الغنى ويذل
بعد العز ويخفى بعد الشهرة وعلامة الصوفى الكاذب ان يستغنى بعد الفقر
ويعز بعد الذل ويشهر بعد الخفاء وقال رويم بن احمد البغدادى التصوف
مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالذل والايثار
وترك التعرض والاختيار وقال حمدون القصار اصحب الصوفية فان للقبيح
عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به
وقــال الجنيد الصوفى كالارض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلّا
كل مليح وقال ايضا كالارض يطاها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شئ
وكالقطر يسقى كل شئ وقــال اذا رايت الصوفى يعنى بظاهره فاعلم ان
باطنه خراب وقال سهل بن عبد الله التسترى الصوفى من يرى دمه هدرا
وملكه مباحا وقــال علامة الصوفى السكون عند العدم والايثار عند الوجود
وقيل اقبح من كل قبيح صوفى شحيح وقال الشبلى الصوفى منقطع عن
الخلق متصل بالحق كقوله واصطنعتك لنفسى قطعه عن كل غير ثــم قــال
لن ترانى وقال ايضا الصوفية اطفال فى حجر الحق وقال رويم لا تزال الصوفية
بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا فلا خير فيهم وقال ابو تراب النخشبى الصوفى

لا يدركه شئ ويصفو به كل شئ وقال ذو النون هم قوم اثروا الله على كل شئ فآثرهم على كل شئ وقال الواسطى كان للقوم اشارات ثم صار حركات ثم لم يبق إلّا حسرات وقيل الصوفى اذا استقبله حالان او خلقان كلاهما حسن كان مع الاحسن وسئل الشبلى لم سموا بهذه التسمية فقال لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية وقال سمعت ابا حاتم السجستانى يقول سمعت ابا نصر السراج يقول سئل ابن الجلا ما معنى صوفى فقال ليس نعرفه فى شرط ولكن نعرف فقيرا مجردا من الاسباب كان مع الله بلا مكان ولا يمنعه الحق من علم كل مكان يسمى صوفيا وقال ابو الحسن الشيروانى الصوفى يكون مع الارادات لا مع الاوراد وقال سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق يقول احسن ما قيل فى هذا الباب قول من قال هذا طريق لا يصلح إلّا لاقوام كنس الله بارواحهم المزابل ويقال الصوفى مقهور بتصرف الربوبية مستور بتصرف العبودية ويقال الصوفى لا يتغير فان تغير لا يتكدر وقال الامام السهروردى رضى الله عنه واقوال المشايخ رضى الله عنهم فى ماهية التصوف تزيد على الف قول يطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الالفاظ وان اختلفت متقاربة المعنى فنقول الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الاوقات عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره الى مولاه فبدوام الافتقار يتفطن للكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها ادركها ببصيرته النافذة وفر منها الى ربه فيداوم تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعلى يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصرف قال بعضهم التصوف كله اضطراب واذا وقع السكون فلا تصوف والسر فيه ان الروح مجذوبة الى الحضرة الالهية يعنى روح الصوفى متطلعة منجذبة الى مواطن القرب وللنفس بوضعها رسوب الى عالمها وانقلاب على عقبها ولابد للصوفى من

دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع اصابات النفس ومن وقف على هذا المعنى يجد فى معنى التصوف جميع التفرق فى الاشارات

* فصل فى الكلام على المتشبه والمتصوف *
* وكلاهما لاحوال الصوفى متشوف *

فالمتصوف هو الذى تنبهت روحه لما تنبهت له ارواح الصوفية لان محبة امر الله وما يقرب اليه ومن يقرب منه يكون بجباذب الروح غير ان المتشبه تعرف بظلمة النفس والصوفى تخلص من ذلك والمتصوف متطلع الى حال الصوفى وهو مشارك ببقاء شئ من صفات نفسه عليه للمتشبه قال الامام السهروردى رضى الله عنه وطريق الصوفية اوله ايمان ثم علم ثم ذوق فالمتشبه صاحب ايمان والايمان بطريق الصوفية اصل كبير قال الجنيد الايمان بطريقنا هذا ولاية والمتصوف صاحب علم لانه بعد الايمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرها والصوفى صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفى وللمتشبه نصيب من المتصوف وهكذا سنة الله جارية ان كل صاحب حال فيه ذوق لابد ان يكشف له علم بحال اعلى مما هو فيه فيكون فى الحالة الاولى صاحب ذوق وفى الحال الذى كوشف فيه صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب ايمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون فى حال الذوق صاحب قدم وفى حال العلم صاحب نظر وفى حال فوق ذلك صاحب ايمان قال الله تعلى ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون ووصف الابرار ووصف شرابهم قال سبحانه وتعلى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فكان لشراب الابرار مزج من شرب المقربين وللمقربين ذلك صرف فللصوفى شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج فى شرابه وللمتشبه مزج من شراب المتصوف

فالصوفى

فالصوفى سبق الى مقار الروح من بساط القرب والمتصوف بالنسبة الى الصوفى كالمتزهد بالنسبة الى الزاهد لانه تفعل وتعمل وتسبب اشارة الى ما بقى عليه من وصفه فهو مجتهد فى طريقه سائر الى ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سدوا سبق المفردون قيل من المفردون يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفى فى مقام المفردين والمتصوف فى مقام السائرين واصل فى سيره الى مقار القلب من ذكره ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره الى نظر الله اليه فالصوفى فى مقار الروح صاحب مشاهدة والمتصوف فى مقار القلب صاحب مراقبة والمتشبه فى مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتكوين الصوفى بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه والمتشبه لا تلوين له لان التلوين لارباب الاحوال والمتشبه سالك مجتهد لم يصل بعد الى الاحوال والكل تجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعلى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذى يجزع من البلاء والمقتصد الصابر عند البلاء والسابق المتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد الله على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال احمد بن عاصم الانطاكى الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وكل هذه الاقوال قريبة التناسب من حال الصوفى والمتصوف والمتشبه وكلهم من اهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتولف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء وعنه عليه السلام من حديث اسامة بن زيد انه قال فى قوله تعلى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله كلهم فى الجنة وقال ابن عطاء الله الظالم الذى يحب الله لاجل الدنيا والمقتصد الذى

يحب الله من اجل العقبى والسابق هو الذى اسقط مراده لمراد الحق فيه
وهذا هو حال الصوفى فالمتشبه تعرض لشئ من امور القوم ويوجب له
له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير **قلت** وصف الزاهد
والعابد على الغفلة والعادة والذاكر الله بلسانه ومحب الله من اجل الدنيا
فالظالم على هذه المحامل المتقدمة انما هو باعتبار انها مرجوحة بالنسبة
الى ما فوقها من المقامات على حد حسنات الابرار سيآت المقربين والّا
فهى كلها راجحة بالنسبة الى اهل امثالنا ولا يصدق
على مرتكبها بالنسبة الينا وصف ظالم فان الظالم لنفسه باعتبار مرجوحية
احوالنا الجارية على مقتضى احوال عامة الامة التى المعتبر فيها ظاهر
الشريعة من استحقاق الثواب والعقاب انما هو مرتكب المخالفات ولكن
لكل مقام مقال قال فالمتشبه الحقيقى له ايمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه
وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه انه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير
متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فاما من لم يطلع
الى حال المتصوف والصوفى بالمتشبه ولا يقصد اوائل مقاصدهم بل هو على
مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة فى الزى والصورة دون
السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لانه غير محاك لهم بالدخول فى
بدايتهم فاذا هو متشبه المتشبه يعتزى الى القوم بمجرد لبسته ومع ذلك
هم القوم لا يشقى جليسهم وقد ورد من تشبه بقوم فهو منهم

* فصل فى ذكر معانى الفقر وحقيقته *
* وبيانه على منهج علم القوم وطريقته *

قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه الفقر شعار الاولياء والاصفياء
وحلية اختارها الله سبحانه لخواصه من الانبياء والانقياء والفقراء صفوة
الله من عباده ومواضع اسراره بين خلقه بهم يصون الخلق وببركاتهم
يبسط عليهم الرزق وقال ابراهيم القصار الفقر لباس يورث الرضاء اذا

تحقق العبد فيه وقيل ليحيى بن معاذ ما الفقر فقال خوف الفقر قيل فما الغنى قال الامن بالله تعلى وقال الشبلى ادنى علامات الفقران لو كانت الدنيا باسرها لاحد فانفقها فى يوم ثم خطر بباله انه لو امسك منها قوت يوم ما صدق فى فقره وسئل ابن الجلا عن الفقر فسكت حتى خلا ثم ذهب ورجع عن قريب ثم قال كان عندى اربعة دوانق فاستحييت من الله ان اتكلم فى الفقر فذهبت واخرجتها ثم قعد وتكلم فى الفقر وقيل صحة الفقران لا يستغنى الفقير فى فقره بشئ الّا بمن اليه فقره وهو الذى قال الشبلى وقد سئل عن الفقر ان لا يستغنى بشئ دون الله تعلى وقال الاستاذ ابو علي الدقاق رحمه الله تعلى وقد سئل عن قوله عليه الصلاة والسلام كاد الفقر ان يكون كفرا آفة وضده على حسب فضيلته وقدره فكلما كان فى نفسه افضل فضده وآفته انقص كالايمان لما كان اشرف الخصال كان ضده الكفر ولما كان ضد الفقر الكفر دل على انه اشرف الاوصاف وقال ابو خفيف الفقر عدم الاملاك والخروج من احكام الصفات وقال الامام السهروردى رضى الله عنه قال ابن الجلا الفقر ان لا يكون لك فان كان لا يكون لك وقال ابراهيم الخواص الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين وقال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب وقال يحيى بن معاذ حقيقة الفقر ان لا يستغنى الّا بالله ورسمه عدم الاسباب كلها وقال ابو بكر الطوسى بقيت مرة اسال عن معنى اختيار اصحابنا لهذا الفقر على سائر الاشياء فلم يجبنى احد بجواب يقنعنى حتى سالت نصر بن الحمامى فقال لى لانه اول منزل من منازل التوحيد فقنعت بذلك وقال الشيخ ابو الحسن الششترى رضى الله عنه قال الشيخ ابو محمد ابن سبعين الفقر هو الذى لا يظهر به على الفقير الّا لسان مخزون وفعل موزون وفكرة تجول فيما هو كائن ويكون وقال ايضا الفقر هو شكر النعم على كل حال وقال ايضا هو فقد كل ما يحتاج اليه

* فصــــل في التعريف بالفقير وعلو قدره *
* وشرح حاله العزيز الوجود لمن لم يدره *

قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضى الله عنه في حديث حذفت سنده لطوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة وقيل ان رجلا اتى ابراهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى ان يقبلها وقال اتريد ان تمحق اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا افعل وقال معاذ النسفي ما اهلك الله تعلى قوما وان عملوا ما عملوا حتى اهانوا الفقراء واذلوهم وقيل لو لم يكن للفقير فضيلة غير ارادة سعة ورخص اسعارهم لكفاه ذلك لانه يحتاج الى شرائها والغني محتاج الى بيعها وهذا لعوام الفقراء وسئل يحيى بن معاذ عن الفقير فقال حقيقته ان لا يستغني إلّا بالله تعلى ورسمه عدم الاسباب كلها وقدم على الاستاذ ابي علي الدقاق رحمه الله فقير في سنة خمس او اربع وستين وثلاث مائة من رق وعليه مسح وقلنسوة فقال له بعض اصحابنا بكم اشتريت هذا المسح على وجه

اشتريته بالدنيا فطلب بالآخرة فلم ابعه

وقال ابو علي الدقاق قام فقير في مجلس يطلب شيئا فقال اني جائع منذ ثلاثة ايام وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال كذبت ان الفقر سر وهو لا يضع سره عند من يحمله الى من يريد وكان الجنيد يقول يا معشر الفقراء انكم تعرفون بالله وتكرمون الله فانظروا كيف تكونون مع الله اذا خلوتم به وسئل رويم عن نعت الفقير فقال ارسال النفس في احكام الله تعلى وقيل نعت الفقير ثلاثة اشياء حفظ سره واداء فرضه وصيانة فقره وقيل اوحى الله سبحانه الى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اذا رايت الفقراء فسائلهم كما تسائل الاغنياء فان لم تفعل فاجعل كل شيء علمتك تحت التراب وقيل للربيع بن خثيم قد غلا السعر فقال نحن اهون

على

على الله من ان يجيعنا انما يجيع اولياءه وقال ابراهيم بن ادهم طلبنا الفقر فاستقبلنا
الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر وسئل ابو حفص بما ذا يقدم
الفقير على ربه فقال وما للفقير ان يقدم به على ربه سوي فقره وقيل
اوحى الله الى موسى عليه السلام تريد ان يكون لك يوم القيامة مثل
حسنات الخلق اجمع قال نعم قال عد المرضى وكن لثياب الفقير فاليا
فجعل موسى على نفسه فى كل شهر سبعة ايام يطوف على الفقراء يفلى
ثيابهم وقال ابن الجلا وقد سئل متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال اذا لم
تبق عليه بقية منه فقلت كيف ذلك فقال اذا كان له فليس له واذا
لم يكن له فهوله وقال عبد الله بن المبارك اظهار الغنى فى الفقر احسن من
الفقر وقال ابو حفص احسن ما يتوسل به العبد الى مولاه دوام الفقر الى ربه على
جميع الاحوال وملازمة السنة فى جميع الافعال وطلب القوت من وجه حلال
وقيل اقل ما يلزم الفقير فى فقره اربعة اشياء علم يسوسه وورع يحجزه ويقين
يحمله وذكر يونسه وقيل من اراد الفقر لشرف الفقر مات فقيرا ومن اراد الفقر
لئلا يشتغل عن الله مات غنيا وقال المزين كانت الطرق الى الله اكثر من نجوم
السماء فما بقى منها طريق الا طريق الفقر وهو اصح الطرق وقال النورى
نعت الفقير السكون عند العدم والايثار عند الوجود وقال منصور المغربى
رحمه الله قال لى ابو سهل الخشاب الكبير فقر وذل فقلت له لابل فقر
وعز فقال فقر وثرى فقلت فقر وعرش وكان الجنيد يقول اذا لقيت الفقير
فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يونسه والعلم يوحشه فقلت يا ابا
القاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم الفقير اذا كان صادقا فى فقره
فطرحت عليه علمه ذاب كما يذوب الرصاص فى النار وقال ابو حفص
لا يصح لاحد الفقر حتى يكون العطاء احب اليه من الاخذ وليس السخاء
ان يعطى الواجد المعدم انما السخاء ان يعطى المعدم الواجد وقال ابن الجلا
لولا شرف التواضع لكان حكم الفقير اذا مشى ان يتبختر وقيل اوحى الله
سبحانه الى بعض الانبياء عليهم السلام ان اردت ان تعرف رضاءى عنك

فانظر كيف رضاء الفقراء عنك وقال ذو النون المصرى دوام الفقر الى الله تعلى مع التخليط احب الي من دوام الصفاء مع العجب وقال محمد بن علي الكتاني كان عندنا بمكة فتى عليه اطمار رثة وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا فوقعت محبته فى قلبي ففتح علي بمائتي درهم من وجه حلال فحملتها اليه ووضعتها على طرف سجادته وقلت له فتح لى فى ذلك من وجه حلال فاصرفه فى بعض امورك فنظر الي شزرا ثم قال اشتريت هذه الجلسة مع الله سبحانه على الفراغ بسبعين الف دينار غير الضياع والمستغلات تريد ان تخدعني منها بهذه وقام وبددها وقعدت التقط ما رايت كعزه حين بدد ولا كذلى حين كنت التقطها وقال خير النساج دخلت بعض المساجد واذا فيه فقير فلما رآني تعلق بي وقال ايها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت وما هي قال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد فتح عليه بشيء من الدنيا وقال الامام السهروردي رضي الله عنه سئل سهل بن عبد الله عن الفقير الصادق فقال لا يسال ولا يرد ولا يحبس وقال ابو علي الروذبارى سالنى الدقاق فقال يا ابا علي لم ترك الفقراء اخذ البلغة في وقت الحاجة قلت لانهم مستغنون بالمعطى عن العطايا قال نعم ولكن وقع لى شيء آخر فقلت هات افدنى ما وقع لك قال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذ لله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة اذ لله وجودهم وقال السوحى الفقير الذى لا تغنيه النعم ولا تغيره المحن وقال ابوبكر بن طاهر من حكم الفقير ان لا يكون له رغبة فان كان ولا بد لا تجاوز رغبته كفايته وقال فارس قلت لبعض الفقراء ورايته وعليه اثر الجوع والصبر لم لا تسال فقال اخاف ان اسالهم فيمنعوني فلا يفلحون

* فصل نشير فيه الى الفرق بين الفقر والتصوف *
* فاني من التباس حقيقتهما على تخوف *

اعلم انهم كثيرا ما يوقعون اوصاف التصوف على معنى الفقر واوصاف الفقر

على

على معنى التصوف فلابد من الكشف عن ذلك وتمييز القول فيه وتبيين الفرق بين حقائق التصوف والفقر والزهد قال الامام السهروردى رضى الله عنه الفقير فى فقره متمسك به متحقق بفضله يؤثره على الغنى متطلع الى ما تحقق من العوض عند الله تعالى حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء امتى الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام فكلما لاحظ العوض الباقى امسك عن الحاصل الفانى وعانق الفقر والقلة وخشى زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض فقد قال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذران يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما ان الغنى يحترز من الفقر حذر ان يدخل عليه الفقر فيفسد غناه وهذا عين الاعتلال فى طريق الصوفى لانه تطلع الى الاعواض وترك لاجلها والصوفى يترك الاشياء لا للاعواض الموعودة بل للاحوال الموجودة فانه ابن وقته وايضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وارادة والاختيار والارادة علة فى حال الصوفى لان الصوفى صار قائما فى الاشياء بارادة الله لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة فى صورة فقرولا فى صورة غنى وانما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله فى الدخول فى الشئ وقد يدخل فى صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله ويرى الفضيلة حينئذ فى السعة لمكان اذن من الله فيه ولا يفسح فى السعة والدخول فيها للصادقين إلّا بعد احكامهم علم الاذن وفى هذا مزلة الاقدام وباب دعوى المدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلّا وقد يحكيه راكب المحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم ان الفقر اجناس التصوف وبه قوامه على معنى ان الوصول الى رتب التصوف طريقه الفقر فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف لا على معنى انه يلزم من وجود التصوف وجود الفقر فالصوفى متهم لنفسه مستقل لعمله غير راكن الى معلومه قائم بمراد الله لا بمراد نفسه والفقر والزهد يكونان

فى الاشياء بنفسهما واقفان مع ارادتهما مبلغ علمهما والصوفى هو المستبين الاحسن من عند الله بصدق التجائه وحسن انابته وحظ قربه ولطيف ولوجه وخروجه الى الله الكريم لعلمه بربه الكريم وحظه من محادثته ومكالمته والفقير والزاهد لا يميزان كل التمييز بين الخلقين الحسنين بل يختاران من الاخلاق ايضا ما هو الادعى الى الترك والخروج من شواغل الدنيا حاكمان فى ذلك بعلمهما والصوفى كما قال بعضهم وقد سئل من اصحب من الطوائف قال الصوفية فان للقبيح عندهم وجها من المعاذير وليس للحسن عندهم موقع يرفعونك به فتعجبك نفسك والفقير والزاهد يستعظمان الترك ويستقبحان الاخذ وذلك لضيق وعائهما ووقوفهما على حد علمهما قلت اما الزهد والفقر فقد نص فى كلام قبل هذا على انهما غيران حيث قال التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيد واضافة لا يكون الرجل بدونها صوفيا وان كان زاهدا فقيرا واهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعلى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله هذا وصف الصوفية والله تعلى سماهم فقراء فهذا كلام صريح فى تباين هذه الحقائق وراجحية التصوف على الفقر والفقر على الزهد وان ذلك اختياره لاستدلاله عليه والذى ذهب اليه الشيخ ابو الحسن الششترى رضى الله عنه ترجيح الفقر على التصوف وهو طريقة قوم وقال مختصر رسالته قيل الفقر والتصوف بمعنى واحد لان الفقر الاحتياج الى الله تعلى ولا يكون ذلك إلّا مع الصفاء من الكدورات فحيث كان التصوف من المقامات يتبعه الفقر وحيث كان الفقر يتبعه الصفاء وقيل هما متباينان ولكن التصوف افضل لانه غاية الفقر وهذا مذهب صوفية الوقت وسكان الخوانك وقيل الفقر افضل لانه شامل لكل ما سوى الله لان الحادث مفتقر لموجد يوجده ثم لمنعم ينعم عليه فالفقر يكون قبل التصوف ومعه وبعده لقوله تعلى يايها الناس انتم الفقراء الى الله فكل مقام لا بد

ان

ان يكون صاحبه فقيرا فالفقر اعم من وجه واخص من وجه

* فصـــل فى حقيقة الزهد وما فيه *

* وذكر ذلك بصرف الهمة الى تلافيه *

قال الامام السهروردى رضى الله عنه قال الجنيد الزهد خلو الايدى من الاملاك والقلوب من التتبع وسئل الشبلى عن الزهد فقال لا زهد فى الحقيقة لانه اما ان يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد واما ان يزهد فيما هو له فكيف يزهد فيه وهو معه وعنده فليس إلّا   النفس وبذل ومواساة يشير الى الاقسام التى سبقت بها الاقلام قال وهذا لو اطرد لهدم قاعدة الاجتهاد والكسب ولكن مقصود الشبلى ان يقلل الزهد فى عين المعتد به لئلا يغتر بالزهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل قد اوتى زهدا فى الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد سمى الله عز وجل الزاهدين علماء فى قصة هارون فقال وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل هم الزاهدون وقيل فى قوله تعلى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وفى الخبر العلماء امناء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا فاذا دخلوا فى الدنيا فاحذروهم على دينكم وجاء فى الاثر لا يزال   لا اله إلّا الله يدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله إلّا الله قال الله تعلى كذبتم لستم بها صادقين وقال سهل اعمال البر كلها فى موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم وقيل من سمى باسم الزهد فى الدنيا فقد سمى بالف اسم محمود ومن سمي باسم الرغبة فى الدنيا فقد سمى بالف اسم مذموم وقال السرى الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا ويجمع هذه الحظوظ المالية والجاهية حب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء وسئل الشبلى عن الزهد فقال الزهد غفلة لان الدنيا لا شئ والزهد فى لا شئ غفلة وقال بعضهم لما راوا حقارة الدنيا زهدوا فى زهدهم فى

الدنيا لهوانها عندهم قال وعندى ان الزهد فى الزهد غيرهما وهو انما الزهد فى الزهد بالخروج من الاختيار فى الزهد لان الزاهد اختار الزهد وارادة وارادته الى علمه وعلمه قاصر فاذا اقيم فى مقام ترك الارادة وانسلخ من اختياره كاشفه الله تعالى بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله حينئذ او يعلم ان مراد الله منه التلبس بشئ من الدنيا بالله وباذن منه زهدا فى الزهد والزاهد فى الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها بالله وان اخذها اخذها بالله وهذا هو الزهد فى الزهد وقد رايتا من العارفين من اقيم فى هذا المقام وهذا مقام آخر فى الزهد وهو لمن يرد الحق اليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه فى مقام البقاء فيزهد زهدا ثالثا ويترك الدنيا بعد ان مكن من ناصيتها واعيدت عليه موهبة ويكون تركه للدنيا فى هذا المقام باختياره واختياره من اختيار الحق فقد يختار تركها حينا تاسيا بالانبياء والصالحين ويرى اخذها فى مقام الزهد فى الزهد رفقا ادخل عليه لموضع ضعفه عن درك شاو الاقوياء من الانبياء والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناوله باختياره رفقا بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم وهذا مقام التصوف لاقوياء العارفين زهدوا ثالثا بالله كما رغبوا ثانيا بالله كما زهدوا اولا لله وقال الشيخ ابو مدين رضى الله عنه الزهد فريضة وفضيلة وقربة فالفرض فى الحرام والفضل فى المتشابه والقربة فى الحلال وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله تعالى عنه واعلم ان الزهد المشار اليه عند القوم ليس هو خلو اليد من الاسباب وانما هو خلو القلب عما سوى الله تعالى فان وجدت الاسباب قام فيها مقام الوكيل المتصرف عن اذن المالك فهو ينفقها فيما يرضاه تارة يعطى الحقوق لمستحقها وتارة استجلابا وتانيسا اقتداءً بمن قال انى لاعطى للرجل وغيره احب الي مخافة ان يكبه الله فى النار وان لم تكن الاسباب الظاهرة عند هذا المومن انفق من الاسباب الباطنة فيواسى السالكين بالتعليم والمريدين بالتفهيم

وهذا

وهذا مقام الورثة والخلفاء قال عليه السلام الخلق عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله

* فصل فيمن انتمى الى الصوفية من الاصناف *
* وانتسب اليهم فى حميد ما لهم من الاوصاف *

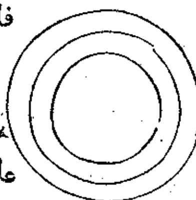
فمن تلك الاصناف الملامتية والقلندرية والمتميزة والظرفاء فجعل الششترى الملامتية والمتميزة والظرفاء والمتصوفة اجناسا والحق القلندرية باصناف الفقراء المجردين وجعل الامام السهروردى الملامتية والقلندرية ممن انتمى الى الصوفية وليس منهم ولم يذكر المتميزة والظرفاء فالملامتية وهم المجردون بالباطن دون الظاهر نسبوا الى الملامة لانهم يظهرون مايلاموا عليه تسترا لانفسهم وطلبا للاخلاص وهم لا يملكون غير لباس حسن ويظهرون البله وهم فى غاية الفطانة وقد تكون فى ايديهم المفاتيح يوهمون بها انهم اهل مال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ومنهم من يقبل من الناس ومنهم من لا يقبل والقلندرية هم اهل الحفا وكشف الراس والتقشف المحض والمتميزة قوم يلبسون الثياب الفاخرة على هيئة معلومة ويعيشون بالسوال او بخدمة ابناء الدنيا والظرفاء صنف من المتميزة هذا كلام الشيخ ابو الحسن الششترى رضى الله عنه وقال الامام السهروردى رضى الله عنه الملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص ويرون كتم الاحوال والاعمال ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت اعمالهم واحوالهم لاحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته فالملامتى عظم وقع الاخلاص وموضعه وتمسك به معتدا به والصوفى غاب فى اخلاصه عن اخلاصه والملامتى اخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن اثبت نفسه فهو مخلص والصوفى اخرج نفسه عن عمله وحاله كما اخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص والمخلص قال جعفر الخلدى سالت ابا القاسم الجنيد قلت ابين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق اصل وهو الاول والاخلاص

فرع وهو تابع وقال بينهما فرق لان الاخلاص لا يكون الّا بعد الدخول
فى العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة الاخلاص وخالصة كائنة فى
المخالصة فعلى هذا الاخلاص حال الملامتى ومخالصة الاخلاص حال الصوفى
والخالصة الكائنة فى المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء العبد عن
رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه وهو الاستغراق
فى العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو نقد حال الصوفى والملامتى
مقيم فى اوطان اخلاصه غير متطلع الى حقيقة خلاصه قال ولم يزل فى
خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهدون اساسهم ويعرفونهم شروط حالهم
وقد راينا فى العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم
وقلما تتداول السنة اهل العراق هذا الاسم فالملامتى وان كان متمسكا بعروة
الاخلاص مستفرشا بساط الصدق فانه عليه بقية رؤية الخلق وما احسنها
من بقية تحقق الاخلاص والصدق والصوفى صفا من هذه البقية فى
طرفى العمل والترك للخلق وعزلهم بالكلية ورآهم بعين الفناء والزوال ولاحت
له ناصية التوحيد وقد يكون اخفاء الملامتى الحال على وجهين احدهما
لتحقق الاخلاص والصدق والآخر هو الاتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة
فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ فى صدق المحبة
ان يكره اطلاع احد على حبه لمحبوبه وهذا وان علا فانه فى طريق
الصوفى علة ونقص فعلى هذا يتقدم الملامتى على المتصوف ويتاخر عن
الصوفى وحاله حال شريف ومقام عزيز وله تمسك بالسنن والآثار وتحقق
الاخلاص والصدق **تذييل** اعلم ان من اصول الملامتية على ما ذكره الامام
السهروردى رضى الله عنه ان الذكر عندهم على اربعة اقسام ذكر باللسان
وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح سكت السر
والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة واذا صح ذكر السر سكت
القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة واذا صح ذكر القلب فتر
اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء واذا غفل القلب عن الذكر

اقبل

اقبل اللسان وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هـذه الاذكار عندهم آفة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس روية ذلك وتعظيمه او طلب ثواب به او ظن انه يصل الى شئ من المقامات بـه واقل الناس قيمة عندهم من يريد اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا الاصل الذى بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعم ذكر اثر الصفات وذكر النفس متعرض للعلات فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون الى التحقق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة فى ذلك الوقت ذكر الصفات وهو وجود الهيبة ووجود الهيبة يستدعى وجودا و بقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذى هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد ما لانه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال بروية العطاء روية عن المعطى ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس نظرا الى الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتلال حقيقة **قلت** ظاهر هذا التقرير الجارى على اصول الملامتية فى اقسام الذكر عندهم ان عالم الروح اعلى من عالم السر ولا خفاء فى ذلك من ظاهر كلامهم هنا والذى فى تجريد التوحيد للغزالى رحمه الله خلاف ذلك فانه قال وقد جعل لكل واحد من القلب والروح والسر نوعا من الذكر يختص به كاشف القلوب بقول لا اله إلّا الله وكاشف الارواح بقول الله الله وكاشف الاسرار بقول هو هو فلا اله إلّا الله قوت القلوب والله الله قوة الارواح وهو هو قوت الاسرار فلا اله إلّا الله مغناطيس القلب والله الله مغناطيس الارواح وهو هو مغناطيس الاسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة فى صدفة فى حقة او بمنزلة طائر فى قفص فى بيت فالبيت بمنزلة القلب فمهمى لا تصل الى البيت لا تصل الى القفص ومهمى لا تصل الى القفص لا تصل الى الطائر وكذلك مهمى لا تصل الى القلب لا تصل الى الروح ومهمى لا تصل

الى الروح لا تصل الى السر فاذا وصلت الى البيت فقد وصلت الى عالم القلوب فافتح قلبك بمفتاح لا اله الّا الله و باب روحك بمفتاح الله الله واستنزل طائر سرك بقرطم قولك هو هو فان قولك هو قوت لهذا الطائر واليه الاشارة بقوله تعلى يا موسى اجعلني طعامك وشرابك ثم قال واعلم ان تشبيه القلب بالبيت والروح بالقفص والسر بالطير تشبيه مجازى من جهة الحس تقريبا لفهمك واشارة الى انه لاوصول الى عالم الارواح الّا بعد العبور عن عالم القلوب ولا وصول الى عالم الاسرار الّا بعد العبور عن عالم الارواح والّا فالحقيقة بالعكس من ذلك فان عالم الارواح اكبر من عالم القلوب وعالم الاسرار اكبر من عالم الارواح وانما مثله الحقيقى ثلاث دوائر بعضها محيط ببعض هكذا



فالدائرة الكبرى عالم الاسرار والوسطى عالم الارواح والصغرى عالم القلوب فعالم القلوب اصغر من عالم الارواح وعالم الارواح اصغر من عالم الاسرار وانما كان عالم القلوب اصغر من عالم الارواح لان عالم القلوب اقرب الى عالم الشهادة من عالم الارواح وكان عالم الارواح اصغر من عالم الاسرار لان عالم الارواح اقرب الى عالم الاشباح من عالم الاسرار وكل ما كان الى عالم الاشباح اقرب كان الى الصغرى اقرب وكل ما كان منه ابعد كان الى الكبرى اقرب لان عالم الاشباح عالم الضيق والحرج والزحمة وعالم الاسرار والارواح عالم الفسحة وكل ما كان اصغر مما هو اقرب الى عالم الملكوت كان اكبر مما هو اقرب الى عالم الملك والشهادة وهو عالم الاسرار وقال فى فصل بعد هذا يليه عالم النفس وعالم البشرية وعالم الطبع مهاو ودركات لعالم العدل وعالم القلب وعالم الروح وعالم السر معارج ودرجات لعالم الفضل فعالم النفس درك للعاصين وعالم البشرية درك للكافرين وعالم الطبيعة درك للمنافقين ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار واما عالم القلب فمعارج المريدين وعالم الروح معارج الصديقين وعالم السر معارج وان شئت قلت عالم القلوب معارج اهل البداية وعالم الروح

معارج

معارج اهل التوسط والكفاية وعالم السر معارج اهل الوصل والنهاية وان شئت قلت عالم القلوب معارج التوابين وعالم الروح معارج المحبين وعالم السر معارج العارفين فمهمى لم ترق من حظيظ طبعك وبشريتك ونفسك لا تصل الى عالمهم فاذا ترقيت من ذكر صح منه طبعك وبشريتك ونفسك يستقبلك تصرف الحق فيك قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمان يقلبه كيف يشاء فتارة يقلبه من قبض الى بسط ومن خوف الى رجاء ومن بقاء الى فناء ومن صحو الى محو ومن طرب الى حزن وتارة يعكس هذه الاحوال ويغير هذه الاوصاف فهو ابدا بين قبض وبسط وخوف ورجاء وفناء وبقاء ومحو وصحو وطرب وحزن وتارة يجذبه منه ويوصله الى اعلى مراتب السائرين اليه وتارة يرده عنه فيوقفه فى ادنى منازل المنقطعين جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وقال فى فصل آخر فاذا وصلت الى عالم الروح برز لك نعت القدم بتنصيص التخصيص ومنشور التشريف من يـاء اضافة ونفخت فيـه من روحى واذا وصلت الى عالم السر كوشفت باسرار الغيب وزفت اليك عرائس ابكار الاسرار فى خلوات اولياء تحت قبابى لا يعرفهم غيرى فى مجلس بينى وبين عبدى سر لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبىء مرسل ثم تاتيك الطاف القدرة تحت الحضرة بما لا عين رات ولا اذن سمعت فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين فتسمع بغير اذن وتبصر بغير عين فلا تسمع إلّا من الغيب ولا تبصر إلّا من الغيب ويصير الغيب عندك عينا والخبر معاينة وهو معنى قوله راى قلبى ربى فحينئذ يجذبك عنك ويسلبك منك فتقع فى القبضة ويوصلك الى اعلى مراتب التوحيد والمعرفة فى اعلى منازل السر والهمة وهو نهاية الاقدام فحينئذ تقول سبحان من لم يجعل الطريق الى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته وقال فى فصل آخر منه اذا قلت لا اله إلّا الله ومسكنها منك اللسان ولا ثمرة لها فى القلب فانت منافق وان كان مسكنها منك القلب فـانت مومن وان كان مسكنها منك الروح فانت

عاشق وان كان مسكنها منك السر فانت مكاشف فالايمان الاول ايمان العوام والثانى ايمان الخواص والثالث ايمان خواص الخواص والاول خبر صدق مجرد والثانى ثمرة بصيرة وانشراح صدر والثالث ثمرة مكاشفة ومشاهدة وقال فى فصل آخر منه السالك له ثلاث منازل فالمنزل الاول عالم الفناء والمنزل الثانى عالم الجذبة والمنزل الثالث عالم القبضة ومعنى عالم الفناء ان السالك والمريد تفنى نفسه فيه ويبقى وجوده ويمحو صفاته المذمومة ومعنى عالم الجذبة انه قد وقع فى جذبة الملك ومعنى عالم القبضة انه قد وقع فى قبضة الله سبحانه وتعلى فيتصرف فيه من غير واسطة فاذا كنت فى عالم الفناء فواظب على قول لا اله إلّا الله واذا كنت فى عالم الجذبة فواظب على قول الله الله واذا كنت فى عالم القبضة فواظب على قول هو هو وانما كان ذكرك فى عالم الفناء لا اله إلّا الله وفى عالم الجذبة الله الله وفى عالم القبضة هو هو لانك ما دمت سالكا فى عالم الفناء فالغالب عليك عالم وجودك العدلى وما دمت سالكا فى عالم الجذبة فالغالب عليك عالم وجودك الفضلى فاجعل ذكرك فى عالم الفناء لا اله إلّا الله لان المستولى عليك عالم وجودك العدلى وصفاتك المذمومة واجعل ذكرك فى عالم الجذبة الله الله لان المستولى عليك عالم وجودك الفضلى وصفاتك المحمودة لان كلمة لا اله إلّا الله خاصيتها فى النفى والمحو وكلمة الله الله خاصيتها فى التقوية والتنزيه وما دمت فى عالم الفناء فانت الى النفى والمحو احوج لان الغالب عليك الصفات المذمومة وما دمت فى عالم الجذبة فانت الى التقوية والتنزيه احوج لان الغالب عليك الصفات المحمودة واما اختصاص عالم القبضة بقولك هو هو لانك متى وصلت الى هذا العالم فقد ذهب عنك كدورات صفاتك العدلية واشرقت عليك انوار صفاتك الفضلية واتصل بك تصرف الحق سبحانه وتعلى من غير واسطة وصرت معدوما بالاضافة اليك موجودا بالاضافة اليه فانيا بالاضافة اليك باقيا بالاضافة اليه فاجعل ذكرك فى هذا العالم هو هو لان الموجود هو والباقى

هو

هو انتهى فانت اذا تاملت جملة هذه الفصول وما احتوت عليه من كلامه الرائق وخطابه المرتدى اردية الحقائق وجدته على اختلاف تلك المقاصد وتباين احوال تلك المراصد نصا فى اعلاء عالم الاسرار على عالم الارواح وبان لك ذلك فى خلال حكايتها بادنى تامل ولاح وهو غير ما عن الملامتية تاصل ومن حكاية الامام السهروردى فيما سبق تحصل والى حاكم الذوق فى تحقيق المذهبين الترافع وبين يديه بترجمة لسان الفتح يندفع تدافع فعلى الناظر ان يتامل بعد تسليم الذوق لاهله ما اوردناه ويفهم من ظواهر هذه النصوص الواردة ما اوردناه فان الامام السهروردى رضى الله عنه جعل فى نقله عن الملامتية ذكر الروح ذكر المشاهدة وذكر السر ذكر الهيبة وقال فى بيانه وسر هذا الاصل الذى بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات وذلك نص فى اكبرية ذكر الروح على ذكر السر والذى عند الامام الغزالى رحمه الله فى نشر طى كلامه المنقول عنه هنا التصريح بان عالم السر اكبر من عالم الروح وان عالم السر هو عالم الشهادة والمكاشفة دون عالم الروح وان عالم الروح معارج المحبين وعالم السر معارج العارفين وهو نهاية الاقدام الى غير هذا من صريح كلامه فى ان عالم السر اعلى من عالم الارواح والله تعلى اعلم فلنرجع الآن الى تمام القول فى هذا الفصل فنقول قال الامام السهروردى رضى الله عنه ورحمه متصلا بالكلام السابق والقلندرية هم قوم ملكهم سكر طيبة القلوب حتى خربوا العادات وطرحوا التقييد بآداب المجالسات والمخالطات وساحوا فى ميادين طيبة قلوبهم فقلت اعمالهم من الصوم والصلاة إلّا الفرائض ولم يبالوا بتناول شيء من لذات الدنيا من كل ما كان مباحا برخصة الشرع وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار لا يترسمون بتراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله واقتصروا على ذلك وليس لهم تطلع الى طلب مزيد سوى ما هم

عليه من طيبة قلوبهم والفرق بين الملامتى والقلندرى ان الملامتى يعمل فى كتم العبادات والقلندرى يعمل فى تخريب العادات والملامتى يتمسك بكل ابواب البر والخير ويرى الفضل فيه ولا يخفى الاعمال والاحوال ويوقف نفسه موقف العوام فى هيئته وملبوسه وحركاته واموره سترا للحال لئلا يفطن له وهو مع ذلك متطلع للمزيد باذل مجهوده فى كل مقرب الى الله والقلندرى غير مقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينعطف الا على طيبة القلب وهو راس ماله والصوفى يضع الاشياء مواضعها ويدير الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم امر الخلق مقامه ويستر ما ينبغى ان يستر ويظهر ما ينبغى ان يظهر وياتى بالامور فى مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص ومن الذين ادعوا التصوف قوم يقولون بالحلول ويزعمون ان الله تعلى يحل فيهم ويحل فى اجسام يصطفيها ويسبق الى فهومهم معنى من قول النصارى فى اللاهوت والناسوت ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم ويتخيل له ان من قال كلمات فى بعض غلباته كان مضمرا لشئ مما زعموه مثل قول الحلاج انا الحق وما يحكى عن ابى يزيد من قوله سبحانى حاشا ان يعتقد فى ابى يزيد انه يقول ذلك الا معنى الحكاية عن الله وهكذا ينبغى ان يعتقد فى الحلاج فى قوله ذلك ولو علمنا انه ذكر ذلك القول مضمرا لشئ من الحلول رددناه والله تعلى منزه ان يحل به شئ او يحل بشئ حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فتتولف له فى فكره كلمات ينسبها الى الله تعلى وانها مكالمة الله اياه مثل ان يقول قال لى ربى وقلت له وهذا اما رجل جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة واما عالم ببطلان ما يقول يحمله هواه على الدعوى بذلك يوهم انه ظفر بشئ وكل هذا ضلال ويكون سبب تجريه على هذا ما يسمع من كلام بعض المحققين من مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة

وتمسكهم

وتمسكهم باصول العزم من صدق التقوى وكمال الزهد فى الدنيا فلما صفت اسرارهم تشكلت فى سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة نزلت لهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعونه بل كحديث فى النفس يجدونه يرونه موافقا للكتاب والسنة مفهوما عن اهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم ومناجاة سرائرهم اياهم فيثبتون لانفسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية فيضيفون ما يجدون الى نفوسهم والى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بان ذلك ليس كلام الله وانما هو علم حادث احدثه الله تعلى فى بواطنهم فطريق الاصحاء فى ذلك الفرار الى الله تعلى من كل ما تحدث نفوسهم به حتى اذا برئت ساحتهم من الهوى والهموا فى بواطنهم شيئا ينسبونه الى الله تعلى نسبة الحادث الى المحدث لا نسبة الكلام الى المتكلم ليتصانوا عن الزيغ والتحريف ومن اولئك يغرقون فى بحر التوحيد ولا يثبتون لنفوسهم حركة وعلما ويزعمون انهم مجبورون على الاشياء وان لا فعل لهم مع فعل الله سبحانه ويسترسلون فى المعاصى وكل ما تدعو النفس اليه ويركنون الى البطالة ودوام الغفلة والاغترار بالله عزوجل والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال والحرام وقد سئل سهل ابن عبد الله عن رجل يقول انا كالباب لا اتحرك الّا اذا حركت قال هذا لا يقوله الّا احد رجلين اما صديق او زنديق لان الصديق يقول هذا اشارة الى ان قوام الاشياء بالله تعلى والزنديق يقوله اسقاطا للائمية عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمه فاما من كان معتقدا للحلال والحرام والحدود والاحكام معترفا بالمعصية اذا صدرت منه معتقدا وجوب الحد منها فهو سليم صحيح وان كان تحت القصور بما يركن اليه من البطالة ويستروح بهوى النفس الى والتردد فى البلاد متوصلا الى تناول اللذات والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويبصره بعيب ما هو فيه .

* فصــل فى ذكر المقامات والاحوال *
* وما فيهــا لهــذه الطائفــة من الاقوال *

* ونصرف القول اولا الى الفرق بين *
* المقام والحال عند اهل الطريقه فذكر *
* ذلك متكفل فيهما بتعريف الحقيقه *

اعلم انه قد كثر الاشتباه بين المقامات والاحوال واختلفت الاشارات فى ذلك من الشيوخ وذلك لمكان تداخلهما فى انفسهما واشتباههما فيتراآى الشىء للبعض حالا وللبعض مقاما وكلا الروايتين صحيح لوجود التداخل فيحتاج فى ذلك الى ضابط للفرق بينهما قبل ذكرهما ولا احسن فى ذلك من كلام الامام السهروردى رضى الله عنه فيها قال رحمة الله عليه انما سمى الحال حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشىء بعينه حالا ثم يصير مقاما مثل ان ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال للعبد حال المحاسبة يتعاهده الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس الى ان تتداركه المعونة من الله تعلى و يغلب حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ويصير فى مقام المحاسبة بعد ان كان له حال المحاسبة ثم ينازله حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال ثم يحول حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة فى باطن العبد الى ان ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاما بعد ان كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قراره الّا بنازل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة الّا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد نازل المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة ايضا يكون حالا يحول بالاستتار و يظهر بالتجلى ثم يصير مقاما فتتخلص شمسه من كسوف الاستتار ثم فى مقام المشاهدة احوال وزيادات وترقيات من حال الى حال اعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص الى البقاء والترقى من عين اليقين الى حق اليقين وحق

اليقين

اليقين يخرق شغاف القلب وذلك اعلى فروع المشاهدة وقد قال صلى
الله عليه وسلم اللهم انا نسالك ايمانا يباشر قلبي قال سهل بن عبد الله
للقلب تجويفان احدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب
وسويداه والتجويف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في
القلب مثل النظر في العين هو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال
الذي في سواد العين ومنه تنبعث الاشعة المحيطة بالمرئيات فهكذا
تنبعث من نظر العقل اشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي
خرقت شغاف القلب ووصلت الى سويداه وهو حق اليقين هي اسنى
العطايا واعز الاحوال واشرفها ونسبة هذه الحالة من المشاهدة كنسبة الآجر
من التراب اذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم آجرا فالمشاهدة هي الاول
والاصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن وهي آخر الفروع ولما
كان الاصل في الاحوال هذه الحالة وهي اشرف الاحوال وهي محض موهبة
لا تكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالعبد احوالا لانها غير مقدورة
للعبد بكسبه فاطلقوا القول وتداولت السنة الشيوخ ان المقامات مكاسب
والاحوال مواهب وعلى الترتيب الذي درجناه كلها مواهب اذ المكاسب
محفوفة بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب فالاحوال مواجيد والمقامات
طرق المواجيد ولكن في المقامات ظهر الكسب وبطنت الموهبة وفي الاحوال
بطن الكسب وظهرت الموهبة فالاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات
طرقها وقال امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه سلوني عن
طرق السماء فاني اعرف بها من طرق الارض اشار الى المقامات والاحوال
فطرق السماء التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات فان السالك لهذه
الطرق يصير قلبه سماويا فهي طرق السموات ومستنزلة للبركات وهي
الاحوال لا يتحقق بها الّا ذو قلب سماوي وقال بعضهم الحال هو الذكر
الخفي وهذا اشارة الى شيء مما ذكرناه قال وسمعت المشايخ بالعراق
يقولون الحال ما من الله وكل ما كان من طريق الاكتساب والاعمال يقولون

هذا مامن العبد فاذا لاح للمريد شيء من المواهب والمواجيد قالوا هذا مامن الله وسموه حالا اشارة منهم الى ان الحال موهبة وقال بعض مشايخ خراسان الاحوال مواريث الاعمال وقال بعضهم الاحوال كالبروق فاذا دامت فحديث نفس وهذا لا يكاد يستقيم على الاطلاق وانما يكون ذلك فى بعض الاحوال فانها تطرق ثم تسلبها النفس فاما على الاطلاق فلا والاحوال لا تتميز بالنفس كالدهن لا يتميز بالماء وذهب بعضهم الى ان الاحوال لا تكون الا اذا دامت فاما اذا لم تدم فهى لوائح وطوالع وبوادى وهى مقدمات الاحوال وليست باحوال واختلف المشايخ فى ان العبد هل يجوز له ان ينتقل من مقام غير مقامه الذى هو فيه قبل احكام حكم مقامه قال بعضهم لا ينبغى ان ينتقل من الذى هو فيه دون ان يحكم حكم مقامه وقال بعضهم لا يكمل المقام الذى هو فيه الا بعد ترقيه الى مقام فوقه فينظر من مقامه العالى الى ما دونه من المقام فيحكم امر مقامه والاولى ان يقال الشخص فى مقامه يعطى حالا من مقامه الاعلى الذى سوف يرتقى اليه فبوجدان ذلك الحال يستقيم امر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشيء الى العبد انه يرتقى او لا يرتقى فان العبد بالاحوال يرقى الى المقامات والاحوال مواهب ترقى الى المقامات التى يمتزج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام اعلى مما هو فيه الا وقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يرقى الى المقامات بزائد الاحوال فعلى ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا يعرف الا مقام فيه حال ومقام وفى الزهد حال ومقام وفى التوكل حال ومقام وفى الرضى حال ومقام قال ابو عثمان الحيرى منذ اربعين سنة ما اقامنى الله فى حال فكرهته اشارة الى الرضى ويكون منه حالا ثم يصير مقاما والمحبة حال ومقام لا يزال العبد يتوب بطروق حال التوبة حتى يتوب وطرق حال التوبة بالانزجار اولا قال بعضهم الزجر هيجان فى القلب لا يسكنه الا الانتباه من الغفلة فيرده الى اليقظة فاذا تيقظ ابصر

الصواب

الصواب من الخطا وقال بعضهم الزجر ضياء فى القلب يبصره خطا قصده والزجر فى مقدمة التوبة على ثلاثة اوجه زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق الايمان فينازل التائب حال الزجر وهى موهبة من الله تعلى تقوده الى التوبة ولا يزال بالعبد ظهور هوى النفس يمحو آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر التوبة وتصير مقاما وهكذا فى الزهد لا يزال يتزاهد بنازلة حال تريه لذة ترك الاشتغال بالدنيا وتفتح له الاقبال عليها ثم يمحو اثر حاله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتداركه المعونة من الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه ولا تزال نازلة حال التوكل تقرع باب قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضى حتى يطمئن على الرضى ويصير ذلك مقامه وههنا لطيفة وذلك ان مقام الرضى والتوكل يثبت ويحكم ببقائه مع وجود داعية الطبع ولا يحكم ببقاء حال الرضى مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهية يجدها الراضى بحكم الطبع ولكن علمه بمقام الرضى يغم حكم الطبع وظهور حكم الطبع فى وجود الكراهة المغمورة بالعلم لا يخرجه عن مقام الرضى ولكن يفقد حال الرضى لان الحال لما تجرد موهبة احرقت داعية الطبع فيقال كيف يكون صاحب مقام فى الرضى ولا يكون صاحب حال فيه والحال مقدمة المقام والمقام اثبت فنقول لان المقام لما كان مشوبا بكسب العبد احتمل وجود الطبع فيه والحال لما كان موهبة من الله نزهت عن مزج الطبع فحال الرضى اصاف ومقام الرضى امكن ولا بد للمقامات من زائد الاحوال فلا مقام إلّا بعد سابقة حال ولا تفرد المقامات دون سابقة الاحوال واما الاحوال فمنها ما يصير مقاما ومنها ما لا يصير مقاما وقد ذكرنا ان الكسب فى المقام ظهر والموهبة بطنت وفى الحال ظهرت الموهبة وبطن الكسب فلما كان فى الاحوال الموهبة غالبة لم تتقيد وصارت الاحوال الى ما لا نهاية له ولطف سنى الاحوال ان يصير مقاما ومقدورات الحق غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو اعطيت روحانية

عيسى ومكالمة موسى وخلة ابراهيم لطلبت ما وراء ذلك لان مواهب الحق لا تنحصر وهذه احوال الانبياء فلا تعطى للاولياء ولكن هذه اشارة من القائل الى دوام تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من امر الحق سبحانه لان سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم ندبه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزل بركة المزيد بقوله صلى الله عليه وسلم كل يوم لم ازدد فيه علما يقربني الى ربي فلا بورك لي في صبيحة ذلك اليوم وفي دعائه عليه السلام اللهم مها قصر فيه رايي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فانا ارغب اليك فيه واسالكه حتى تعلم ان مواهب الحق لا تنحصر والاحوال مواهب وهي متصلة بكلمات الله تعلى التي ينفد البحر دون نفادها وتنفد اعداد الرمال دون اعدادها والله المنعم المعطى

* فصل في ذكر الاحوال وشرحها *
* وشرح كلمات تشير الى تشييد صرحها *

قال الامام السهروردي رضي الله عنه وقد بدا منها بالمحبة واسند في ذلك حديثا يصل به الى العرباض بن سارية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي وسمعي وبصري واهلي ومالي ومن الماء البارد قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب هو ان يحب الله بكليته وذلك ان العبد قد يكون في حال قائم بشروط حاله بحكم العلم والجبلة تتقاضاه بضد العلم مثل ان يكون راضيا والجبلة قد تكره ويكون النظر الى الانقياد بالعلم لا الى الاستعداد بالجبلة فقد يحب الله ورسوله بحكم الايمان ويحب الاهل والولد بحكم الطبع وللمحبة وجوه وبواعث المحبة في الانسان متنوعة فمنها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر الاهل والمال والماء البارد استيصال عروق المحبة

بمحبة الله تعلى حتى يكون حب الله اغلب في الطبع ايضا والجبلة من حب الماء البارد وهذا يكون حبا خاصا لخواص يتعمر به وبنوره نار الطبع والجبلة وهـذا يكون حب الذات من مشـاهدة بعكوف الروح وخلوصه الى مواطن القرب قال الواسطى فى قوله تعلى يحبهم ويحبونه كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات وقال بعضهم الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فاذا الحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامتثال الامر وربمـا كان حبا من معدن العلم بالآلاء والنعماء وهـذا الحب مخرجه من الصفات وقـد ذكر جمع من المشايخ الحب فى المقامات فيكون النظر الى هذا الحب العام الذى يكون لكسب العبد فيه مدخل واما الحب الخاص هو حب الذات عن مطالبة اللوح وهو الذى فيه السكرات وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاوه اياه وهذا الحب يكون من الاحوال لانه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم احب الي من الماء البارد لانه كلام عن وجدان روح تلتذ بحب الذات وهذا الحب روح الحب الذى يظهر من مطالعات الصفات ويطلع من مطالع الايمان قالب هذا الروح ولما صحت محبتهم هذه اخبر الله تعلى عنهم بقوله اذلة على المومنين لان المحب يدل لمحبوبه وهذا الحب الخاص هو اصل الاحوال السنية وموجبهـا وهو فى الاحوال كالتوبة فى المقامات فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضى والتوكل على ما شرحناه هنالك ومن صحت محبته هـذه تحقق بسائر الاحوال من الفناء والبقاء والصحو والمحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب ايضا بمثـابة الجثمـان لانها مشتملة على الحب العام الذى هو لهذا الحب كالجسد ومن اخـذ فى طريق المحبوبين وهو طريق خاص من طريق المحبة يتكمل فيه ويجتمـع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذى يشتمـل

على التوبة النصوح وعند ذلك لا يتقلب فى اطوار المقامات لان التقلب فى اطوار المقامات والترقى من شئ منها الى شئ طريق المحبين ومن اخذ فى طريق المجاهدة من قوله تعلى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن قوله تعلى ويهدى اليه من ينيب اثبت كسب الانابة سببا للهداية ففى حال المحبوب صرح بالاجتباء غير معلل بالكسب فقال الله يجتبى اليه من يشاء فمن اخذ فى طريق المحبوبين يطوى بساط اطوار المقامات ويندرج فيه صفوها وخالصها باتم وصفها والمقامات لا تقيده ولا تحبسه وهو يعيدها ويحبسها بترقيه منها واستتراعه صفوها وخالصها لانه حيث اشرقت عليه انوار الحب الخاص خلع ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها مصفية للنعوت والصفات النفسانية الزهد يصفيه عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد المتولد من جهل النفس والرضى يصفيه عن ضوبان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جمود فى النفس لم تشرق عليها شموس المحبة الخاصة فبقى ظلمتها وجمودها فمن تحقق بالحب الخاص لانت نفسه وذهب جموده فماذا ينزع الزهد منه من الرغبة ورغبة الحب احرقت رغبته وما ذا يصفى منه التوكل ومطالعة الوكيل حشو بصيرته وما ذا يسكن فيه الرضى من عروق المنازعة والمنازعة ممن لم تسلم كليته قال الروذبارى ما لم تخرج عن كليتك لا تدخل فى حد المحبة وقال ابو يزيد من قتلته محبته فديته رويته ومن قتله عشقه فديته منادمته فاذا التقلب فى اطوار المقامات لعوام المحبين وطى بساط الاطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون تخلقت عن هممهم المقامات وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات وهى مواطن من يتعثر فى اذيال بقاياه قال بعض الكبار لابراهيم الخواص الى ما ذا اداك التصوف فقال الى التوكل قال تسعى فى عمران باطنك اين انت من الفناء فى التوكل برؤية الوكيل فالنفس اذا تحركت بصفتها منقلبة من دائرة الزهد يردها الزاهد الى الدائرة بزهده والمتوكل اذا تحركت يردها بتوكله والراضى

يردها برضاه وهذه الحركات من النفس بقايا وجودية تفتقر الى سياسة العلم وفى ذلك تنسم روح القرب من بعيد وهو اداء حق العبودية مبلغ العلم وبحسبه الاجتهاد والكسب ومن اخذ فى طريق الخاص عرف طريق التخاص من البقايا بالتستر بانوار فضل الحق ومن اكتسى ملابس نور القرب بروح دائمة العكوف محمية عن الطوارق والصروف لا يزعجه طلب ولا يوحشه سلب فالزهد والتوكل والرضى كائن فيه وهو غير كائن فيها على معنى انه كيف تقلب كان زاهدا وان رغب لانه بالحق لا بنفسه وان رئ منه الالتفات الى الاسباب هو متوكل وان وجد منه الكراهة فهو راض لانه كراهته لنفسه ونفسه بالحق فكراهته بالحق اعيدت اليه نفسه بدواعيها وصفاتها مطهرة موهوبة محمولة ملطوفا بها صادف عين الداء دواوه وصور الاعمال شفاوه ناب طلب الله له مناب كل طلب من زهد وتوكل ورضى قالت رابعة محب الله لا يسكن حنينه وانينه حتى يسكن مع محبوبه وقال ابو عبد الله القرشى حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى لك منك شئ وقال ابو الحسين الوراق السرور بالله من شدة المحبة والمحبة فى القلب نار تحرق كل دنس وقال يحيى بن معاذ صبر المحبين اشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبر الانسان عن حبيبه وقال بعضهم من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى حب رسوله من غير حب الفقراء فهو كذاب وكانت رابعة تنشد

تعصى الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

واذا كان الحب للاحوال كالتوبة للمقامات فمن ادعى حالا يعتبر حبه ومن ادعى محبة تعتبر توبته فان التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قوامه بهذا القالب والاحوال اعراض قوامها بجواهر الروح وقال سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لان النبى صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من

احب فهو مع الله تعلى وقال ابو يعقوب السوسى لا تلح لك المحبة حتى تخرج من روية المحبة الى روية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب فى الغيبة ولم يكن هذا فى المحبة فاذا خرج المحب الى هذه النسبة كان محبا من غير محبة وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول المحبوب على البدل من صفات المحب قيل هذا على قوله تعلى فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا وذلك ان المحبة اذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها الى محبوبها فاذا انتهت الى غاية جهدها وقفت والرابطة متاصلة متاكدة وكمال وصف المحبة ازال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع قادحة فى صدق الحب ونظرا الى قصوره بعد استنفاد جهده فيعود المحب بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك

انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتنى ابصرته واذا ابصرته ابصرت انا

وهذا الذى عبر عنه حقيقته قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق لانه نزاهة النفس وكمال التزكية يستعد لمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية ولكن سنة الله جارية ان تزكى نفوس احبائه بحسن توفيقه وتاييده واذا منح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بجاذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والاخلاق ويكون ذلك عنده رتبة فى الوصول فتارة ينبعث الشوق من باطنه الى ما وراء ذلك لكون عظيم امر الله غير متناه وتارة يتسلى بما منح فيكون ذلك وصوله الذى يسكن نار شوقه وبباعث الشوق تستقر الصفات الموهوبة المحققة رتبة عند المحب ولولا باعث الشوق رجع القهقرى وظهرت صفات نفسه الحيلة بين المرء وقلبه ومن ظن من الوصول غير ما ذكرناه او تخيل له غير هذا القدر فهو متعرض لمذهب النصارى فى اللاهوت والناسوت واشارات الشيوخ فى الاستغراق والفناء كلها عائدة الى تحقيق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين

وخلاصة

وخلاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين يزيل اعوجاج البقايا وانت اللوث الوجودى من بقايا صفات النفس واذا صحت المحبة ترتبت عليها الاحوال وتبعتها سئل الشبلى عن المحبة فقال كاس لها وهج اذا استقر فى الحواس وسكن فى النفوس تلاشت وقيل للمحبة ظاهر وباطن فظاهرها اتباع رضى المحبوب وباطنها ان يكون مفتونا بالحبيب عن كل شئ فلا تبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه فمن الاحوال السنية الشوق ولا يكون المحب إلّا مشتاقا ابدا لان امر الحق سبحانه لا نهاية له فما من حال يبلغها المحب إلّا و يعلم انه وراء ذلك اوفى منها واتم وانشد

حزنى كحسنك لا لذا امــــد ينهى اليه ولالذا امــــــد

ثم هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وانما هو موهبة خص الله تعلى بها المحبين قال احمد بن ابى الحوارى دخلت على ابى سليمان الدارانى فرايته يبكى فقلت ما يبكيك رحمك الله قال ويحك يا احمد اذا جن هذا الليل وافترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم اشرف الجليل جل جلاله عليهم من تلذذ بكلامى واستراح الى مناجاتى وانى مطلع عليهم فى خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم يا جبريل نادى فيهم ما هذا البكاء الذى اراه فيكم هل خبركم مخبر ان حبيبا يعذب احباءه بالنار بل كيف يجمل بى انى اعذب قوما اذا جنهم الليل تملقوا لى بى حلفت اذا وردوا القيامة على ان اسفر لهم عن وجهى وابيحهم رياض قدسى وهذه احوال قوم من المحبين اقيموا مقام الشوق والشوق من المحبة كالزهد من التوبة اذا استقرت التوبة ظهر الزهد واذا استقرت المحبة ظهر الشوق قال الواسطى فى قوله تعلى وعجلت اليك ربى لترضى قال شوقا واستهانة بمن وراءه فقال هم اولاءى على اثرى من شوقه الى مكالمة الله ورمى بالالواح لما فاته من وقته وقال ابو عثمان الشوق ثمرة المحبة من احب الله اشتاق الى لقائه وقال ايضا فى قوله تعلى ان اجل الله لآت تعزية للمشتاقين معناه انى اعلم ان شوقكم الى غالب وانا اجلت للقائكم اجلا وعن قريب يكون

وصولكم الى من تشتاقون اليه وقال ذو النون الشوق اعلى الدرجات واعلى المقامات واذا بلغها الانسان استبطا الموت شوقا الى ربه ورجاء للقائه والنظر اليه قال وعندى ان الشوق الكائن فى المحبين الى رتب يتوقعونها فى الدنيا غير الشوق الذى يتوقع ما بعد الموت والله تعلى يكاشف اهل وده بعطايا يجدونها علما و يطلبونها ذوقا فكذلك يكون شوقهم ليصير العلم ذوقا وليس من ضرورة مقام الشوق استبطاء الموت وربما لاصحاء من المحبين يستلذون الحياة لله كما قال الخليل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين فمن كانت حياته لله منحه الكريم لذة المناجاة والمحبة تمتلئ عينه من النقد ثم يكاشفه من المنح والعطايا فى الدنيا ما يتحقق بمقام الشوق من غير الشوق الى ما بعد الموت وانكر بعضهم مقام الشوق وقال انما يكون الشوق الى الغائب ومتى يغيب الحبيب على الحبيب حتى يشتاق ولهذا سئل الانطاكى عن الشوق فقال انما يشتاق الى الغائب وما غبت عنه منذ وجدته وانكار الشوق على الاطلاق ما ارى له وجها لان رتب العطايا والمنح من انصبة القرب واذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة الى ما وجد ولكن يكون مشتاقا الى ما لم يجد من انصبة القرب فكيف يمنع حال الشوق والامر هكذا ووجه آخر ان الانسان لابد له من امور يردها حكم الحال لوضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم حكم الحال ووجود هذه الامور مثير لنار الشوق ولانعنى بالشوق إلّا مطالبة تنبعث من الباطن الى الادلى والاعلى من انصبة القرب وهذه المطالبة كائنة فى المحبين فالشوق اذا كائن لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوق المشاهدة واللقاء اشد من شوق العبد والغيبوبة فيكون فى حال الغيبوبة مشتاقا الى اللقاء ويكون فى حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى زوائد ومبار من الحبيب وافضاله وهذا هو الذى اراه واختاره وقد قال فارس قلوب المشتاقين منورة بنور الله فاذا

تحركت

تحركت اشتياقا اضاء النور ما بين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملئكة ويقول هولاء المشتاقون الى اشهدكم انى اليهم اشوق وقال ابو يزيد لو ان الله حجب اهل الجنة عن رويته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار سئل ابن عطاء عن الشوق فقال احتراق الحشى وتلهب القلوب وتقطع الاكباد من البعد بعد القرب وسئل بعضهم الشوق اعلى ام المحبة فقال المحبة لان الشوق يتولد منه فلا يشتاق الّا من غلب عليه الحب فالحب اصل والشوق فرع وقال النصراباذى للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق ومن دخل فى مقام الاشتياق هام حتى لا يرى له اثر ومن الاحوال الانس قال وقد سئل الجنيد عن الانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وسئل ذو النون المصرى عن الانس فقال هو انبساط المحب الى المحبوب قيل معناه قول الخليل ارنى كيف تحى الموتى وقول موسى ارنى انظر اليك وانشد لرويم

شغلت قلبى بما لديك فـــلا ينفك طول الحياة من فكـــرى
انستنى منك بالوداد فقـــد اوحشتنى من جميع ذا البشــــر
ذكرك لى مونس يعارضـــنى يوعدنى عنك منك بالظفـــر
وحيث ما كنت يامدى هممـــى فانت منى بموضع النظـــر

وروى ان مطرف بن الشخير كتب الى عمر بن عبد العزيز ليكن انسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استانسوا بالله فكانوا فى وحدتهم اشد استيناسا من الناس فى كثرتهم واوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس اوحش ما يكونون وقال الواسطى لا يصل الى محل الانس من لم يستوحش من الاكوان كلها وقال ابو الحسين الوراق لا يكون الانس بالله الّا ومعه التعظيم لان كل من استانست به سقط عن قلبك تعظيمه الّا الله تعلى فانك لن تزيد انسا به الّا ازددت منه هيبة قالت رابعة كل مطيع مستانس وانشدت

ولقد جعلتك فى الفواد محدثـــى وابحت جسمى من اراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانـــس وحبيب قلبى فى الفؤاد انيســى

وقال مالك بن دينار من لم يستانس بمحادثه الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره وقيل لبعضهم من معك فى الدار قال الله معى ولا يستوحش من انس بربه وقال الخراز الانس محادثة الارواح مع المحبوب فى مجالس القرب ووصف بعض العارفين صفة اهل المحبة والواصلين فقال جدد لهم الود فى كل طرفة بدوام الاتصال وآواهم فى كنفه بحقائق السكون اليه حتى انت قلوبهم وحنت ارواحهم شوقا فكان الحب والشوق منهم اشارة من الحق اليهم عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بالله فذهب مناهم وانقطعت آمالهم عنده لما بان منه لهم ولو ان الحق امر جميع الانبياء يسالون لهم ما سالوه بعض ما اعد لهم فى قديم وحدانيته ودوام ازليته وسابق علمه وكان نصيبهم معرفتهم به وفراغ هممهم له واجتماع اهوائهم به فصار يحسدهم من عبيده العموم اذ رفع عن قلوبهم جميع الهموم وانشد فى المعنى

كانت لقلبى اهواء مفرقـــة فاستجمعت اذ راتك العين اهواءى

فصار يحسدنى من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولاءى

تركت للناس دنياهم ودينهـــم شغلا بذكرك يادينى ودنيـــاءى

وقد يكون من الانس الانس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر ابواب القربات وهذا من الانس نعمة من الله تعلى ومنحة منه ولكن ليس هو حال الانس الذى يكون للمحبين والانس حال يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق الزهد وكمال الزهد وكمال التقوى وقطع الاسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس وحقيقته عندى كبس الوجود بثقل لائح العظمة وانتشار الروح فى ميادين الفتوح وله استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهيبة وفى الهيبة اجتماع الروح ورسوبه الى محل النفس وهذا المقام الذى وصفناه انس

الذات وهيبة الذات يكون فى مقام البقاء بعد العبور على ممر الفناء وهما غير الانس والهيبة اللذين يذهبان بوجود الفناء لان الهيبة والانس قبل الفناء ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك مقام التلوين وما ذكرناه بعد الفناء فى مقام التمكين والبقاء من مطالعة الذات ومن الانس خضوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع يتقاربان ويفترقان بفرق لطيف مدرك بايماء الروح ومنهما القرب قال الله تعلى لنبيه عليه السلام واسجد واقترب وقد ورد اقرب ما يكون العبد من ربه فى سجوده فالساجد اذا ذاق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوى بسجوده بساط الكون وما كان وما يكون ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب قال بعضهم انى لاجد الحضور فاقول يا الله او يارب فاجد ذلك اثقل على من الجبال قيل ولم قال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رايت جليسا ينادى جليسه وانما هى اشارات وملاحظات ومنازعات وملاطفات وهذا الذى وصفه مقام عزيز متحقق فيه القرب ولكنه مشعر بمحو ومؤذن بسكر يكون ذلك لمن غابت نفسه فى نور روحه لغلبة سكره وقوة محوه فاذا صحا وافاق يتخلص الروح من النفس والنفس من الروح ويعود كل من العبد الى محله ومقامه فيقول يا الله ويارب بلسان النفس المطمئنة العائدة الى مقام حاجتها ومحل عبوديتها والروح يستقل بعبوديته وبكمال الحال عن الاقوال وهذا اتم واقرب من الاول لانه وفى حق القرب باستقلال الروح بالفتوح واقام رسم العبودية لعود حكم النفس الى محل الافتقار وحظ القرب لا يزال يتوفر للروح باقامة العبودية من النفس وقال الجنيد ان الله تعلى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه فانظر ما ذا يقرب من قلبك وقال ابو يعقوب السوسى ما دام العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن القرب بالقرب فاذا ذهب عن روية القرب بالقرب فذلك قرب وقد قال قائلهم

قد تحققتك فى السر فناجاك لسانى فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعانى

ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى فلقد صيرك الوجد من الاحشاء دانى
قال ذو النون المصرى ما ازداد احد من الله قربة إلّا ازداد هيبة وقال سهل ادنى مقام من مقامات القرب الحياء وقال النصراباذى باتباع السنة تنال المعرفة وباداء الفرائض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة ومنها الحياء والحياء على الوصف العام والوصف الخاص فاما الوصف العام فما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحى يارسول الله قال ليس ذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء وهذا الحياء من المقامات واما الحياء الخاص فمن الاحوال وهو ما نقل عن عثمان رضى الله عنه قال انى لاغتسل فى البيت المظلم فانطوى حياء من الله وقال ابو العباس المودب قال لى سرى احفظ عنى ما اقول ان الحياء والانس يطوفان بالقلوب فاذا وجدا قلبا فيه الزهد والورع حطا وإلّا رحلا والحياء اطراق الروح اجلالا لعظيم الجلال والانس التذاذ الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية فى المنى والنهاية فى العطاء قال بعض الحكماء من تكلم فى الحياء ولا يستحيى من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة فى القلب مع حشمة ما سبق منك لربك وقال ابن عطاء العلم الاكبر الهيبة والحياء فاذا ذهب عنه الهيبة والحياء لا خير فيه وقال ابو سليمان ان العباد عملوا على اربع درجات على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء واشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما ايقن ان الله تعلى يراه على كل حال استحيى من حسناته اكثر مما استحيى العاصون من سيآتهم وقال بعضهم الغالب على قلوب المستحيين الاجلال والتعظيم دائما عند نظر الله اليهم وانشد شيخنا ابو النجيب السهروردى رضى الله عنه

اشتاقه فاذا بدا اطرقت من اجلاله لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله
الموت فى ادباره والعيش فى اقباله واصد عنه تجلدا واروم طيف خياله

ومنها

ومنها الاتصال قال النوري الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الاسرار وقال بعضهم الاتصال وصول السر الى مقام الذهول وقال بعضهم الاتصال ان لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه وقال سهل ابن عبد الله حركوا بالبلاء فتحركوا ولو سكنوا لاتصلوا وقال يحيى بن معاذ الرازي العمال اربعة تائب وزاهد ومشتاق وواصل فالتائب محجوب بتوبته والزاهد محجوب بزهده والمشتاق محجوب بحاله والواصل لا يحجبه شيء عن الحق. وقال ابو سعيد القرشي الواصل الذي يصله الله فلا يخشى عليه القطع ابدا والمتصل الذي بجهده يتصل وكلما دنا انقطع وكان هذا الذي ذكره حال المريد والمراد لكون احدهما مبادرا بالكشوف وكون الآخر مردود الى الاجتهاد وقال ابو يزيد الواصلون في ثلاثة احرف همهم الله وشغلهم في الله ورجوعهم الى الله وقال بعضهم الوصول مقام جليل وذلك ان الله تعالى اذا احب ان يوصل عبدا اختصر عليه الطريق وقرب اليه البعيد وقال الجنيد الواصل هو الحاصل عند ربه وقال رويم اهل الوصول اوصل الله قلوبهم اليه فهم محفوظو القوى ممنوعون من الخلق ابدا وقال ذو النون ما رجع من رجع للامن الطريق ما وصل اليه احد فرجع عنه واعلم ان الاتصال والمواصلة اشار اليه الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو في رتبة من الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي فيبقى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملة على باطنه انوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا المقام رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى

به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من اعلى رتب الوصول واذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه يعد فى اول المنزل فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابد الآباد فى عمر الآخرة الابدى فكيف فى العمر القصير الدنيوى ومنها القبض والبسط وهما حالان شريفان قال الله تعلى والله يقبض ويبسط قال رضى الله عنه وقد تكلم الشيوخ فيهما واشاروا باشارات هى علامات القبض والبسط ولم اجد كشفا عن حقيقتهما لانهم اكتفوا بالاشارة والاشارة تقنع الاهل فاحببت ان اشبع الكلام فيهما لعله يتشوف الى ذلك طالب ويحب بسط القول فيه فاعلم ان القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده ووقتهما وموسمهما فى اوائل حال المحبة الخاصة لا فى نهايته ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو فى مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس ذلك هو وانما هو هم يعتريه فيظنه قبضا ويعتريه اهتزاز نفسانى ونشاط طبيعى يظنه بسطا والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها وما دامت صفة الامارة منها بقية على النفس فيكون منها الاهتزاز والنشاط والهم والهم وهج شاخور النفس والنشاط ارتفاع مزج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة الى اوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة و يتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لانه ارتقى من رتبة الايمان الى رتبة الايقان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه اخرى قال الواسطى يقبضك عما لك ويبسطك عما له وقال النورى يقبضك باياه ويبسطك لاياه واعلم ان وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها وظهور البسط لظهور صفة القلب وغلبته والنفس ما دامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة غالبة والقبض والبسط باعتبار ذلك منها وصاحب القلب تحت حجاب نورانى لوجود قلبه كما ان صاحب

النفس

النفس تحت حجاب ظلماني لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج
من حجابه لا يقيده الحال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض
والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط ما دام متخلصا من الوجود النوراني
الذي هو بالقلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فاذا عاد
الى الوجود من الفناء والبقاء يعود الى الوجود النوراني الذى هو القلب فيعود
القبض والبسط اليه عند ذلك ومنها تخلص الى الفناء والبقاء فلا قبض ولا
بسط قال فارس اولا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط
يقعان فى الوجود فاما مع الفناء والبقاء فلا ثم ان القبض قد يكون عقوبة
الافراط فى البسط وذلك ان الوارد من الله يرد على القلب فيمتلئ القلب
منه روحا وفرحا واستبشارا فتسترق النفس السمع عند ذلك وتاخذ بنصيبها
فاذا وصل اثر الوارد الى النفس صغت بطبعها وافرطت فى البسط حتى يشاكل
البسط نشاطا فيقابل بالقبض عقوبة وكل القبض اذا فتش لا يكون الا من
حركة النفس وظهورها بصفتها ولو تادبت النفس وعدلت ولم تجر بالطغيان
تارة وبالعصيان اخرى ما وجب صاحب القلب القبض ودام روحه وانسه
ورعاية الاعتدال الذى يسد باب القبض متلقى من قوله تعلى لیکلا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فوارد الفرح ما دام موقوفا على الروح
والقلب لا يكثف ولا يستوجب صاحبه القبض سيما اذا لطف الفرح بالوارد
بالايواء الى الله تعلى تطلعت النفس واخذت حظها من الفرح وهو الفرح
بما اتى المنوع منه فمن ذلك القبض فى بعض الاحايين وهذا من الطف
الذنوب الموجبة للقبض وفى النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة
موجبة للقبض ثم الخوف والرجاء لا يعدمهما صاحب القبض والبسط
ولا صاحب الانس والهيبة لانهما من ضرورة الايمان فلا ينعدمان واما
القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الايمان لنقصان الحظ من القلب
وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب وقد يرد على
الباطن قبض وبسط ولا يعلم سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط الا على قليل

الحظ من العلم الذى لم يحكم علم الحال وعلم اليقين ومن احكم علم الحال
والقيام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط وربما كان يشتبه عليه سبب
القبض والبسط يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وانما علم ذلك من
استقام قلبه ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما فنفسه مطمئنة لا ينقدح من
جوهرها نار توجب القبض ولا يتلاطم بحر طبعها من اهوية الهوى حتى
يظهر منه البسط وربما صار لمثل هذا القبض والبسط فى نفسه المطمئنة وما
يغلبه قبض ولا بسط لان القلب متحصن بشعاع نور الروح مستقر فى دعة
القرب فلا قبض ولا بسط ومنها الفناء والبقاء فقد قيل الفناء ان يفنى عن
الحظوظ فلا يكون له فى شئ حظ يفنى عن الاشياء كلها شغلا بمن فنى
به وقد قال عامر بن عبد الله لا ابالى امرأة رايت ام حائطا ويكون محفوظا
فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات والبقاء يعقبه وهو ان يفنى
عما له ويبقى بما لله وقيل الباقى ان تصير الاشياء كلها له شيئا واحدا
فتكون كل حركاته فى موافقة الحق دون مخالفته فكان فانيا عن المخالفات
باقيا فى الموافقات وعندى ان الذى ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة
النصوح ليس من الفناء او البقاء بشئ ومن الاشارة الى الفناء ما روى ان
عبد الله بن عمر سلم عليه انسان وهو فى الطواف فلم يرد عليه فشكاه الى
بعض اصحابه فقال له كنا نتراآى الله لنا فى ذلك المكان وقيل الفناء هو
الغيبة عن الاشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل وقال
الخراز الفناء هو التلاشى بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق وقال الجنيد
الفناء استعجام الكل عن اوصافك واشتغال الكل منك بكليته وقال ابراهيم
ابن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الوحدانية وصحة العبودية
وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة وسئل الخراز ما علامة الفانى قال
علامة من ادعى الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلّا من الله وقال
ابو سعيد الخراز اهل الفناء فى الفناء صحتهم ان يصحبهم علم البقاء واهل
البقاء فى البقاء صحتهم ان يصحبهم علم الفناء واعلم ان اقاويل الشيوخ

فى

فى الفناء والبقاء كثيرة فبعضها اشارة الى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير الى زوال الرغبة والحرص والامل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها اشارة الى زوال الاوصاف المذمومة وبقاء الاوصاف المحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها اشارة الى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من امر الحق سبحانه وتعلى على العبد فيغلب كون الحق سبحانه على كون العبد وهو ينقسم الى فناء ظاهر وفناء باطن فاما الفناء الظاهر هو ان يتجلى الحق سبحانه بطريق الافعال ويسلب عن العبد اختياره وارادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا الا بالحق ثم ياخذ فى المعاملة مع الله تعلى بحسبه حتى سمعت بعض من اقيم فى هذا المقام من الفناء كان يبقى اياما لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الله فيه ويقيض الله له من يطعمه ويسقيه كيف شاء واحب وهذا لعمرى فناء لانه فنى عن نفسه وعن الغير نظرا الى فعل الله تعلى بفناء فعل غير الله والفناء الباطن ان يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولى على باطنه امر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من صورة الفناء ان يغيب احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس لبعض الاشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الاطلاق قال وقد سالت الشيخ ابا محمد البصرى وقلت له هل يكون بقاء المتخيلات فى السر ووجود الوسواس من الشرك الخفى وكان عندى ان ذلك من الشرك الخفى فقال لى هذا يكون فى مقام الفناء ولم يذكر انه من الشرك الخفى ام لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار انه كان فى الصلاة فوقعت اصطوانة فى الجامع انزعج لهدتها اهل السوق فدخلوا المسجد فراوه فى الصلاة ولم يحس بالاصطوانة ووقوعها فهذا هو الاستغراق والفناء باطنا وقد يتسع على الفانى فيكون محققا بالفناء ومعناه روحا وقلبا ولا يغيب عن كل ما يجرى من قول وفعل ويكون اقسام الفناء ان يكون فى كل فعل وقول مرجعه الى الله تعلى وينتظر الاذن

فى كليات اموره ليكون فى الاشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان وصاحب الانتظار لاذن الحق فى كليات اموره راجع الى الله بباطنه فى جزئياتها فان ومن ملكه الله اختياره واطلقه فى التصرف يختار كيف شاء واراد لا منتظرا للفعل ولا منتظرا للاذن هو باق والباقى فى مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفانى محجوب بالحق عن الخلق والفناء الظاهر لارباب القلوب والاحوال والفناء الباطن لمن اطلق عن وثاق الاحوال فصار بالله لا بالاحوال وخرج من القلب فصار مع مقلبه لا مع قلبه واما كلام مشايخ الصوفية رضى الله عنهم المشير الى بعض الاحوال من اصطلاحهم الذى تداولته السنتهم تفهيما من بعضهم للبعض واشارة منهم الى احوال يجدونها ومعاملات قلبية يعرفونها ففى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلّا العلماء الراسخون فاذا نطقوا به لا ينكره إلّا اهل العزة بالله وقال القشيرى هى اسرار الله تعلى يبديها الى امناء اوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهى من الاسرار التى لم يطلع عليها إلّا الخواص وقال ابو سعيد الخراز للعارفين خزائن اودعوها علوما غريبة وانباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الابدية ويخبرون عنها بعبارة الازلية وهو من العلم المجهول قال رضى الله عنه فمن ذلك قولهم الجمع والتفرقة قيل اصل الجمع والتفرقة قوله تعلى شهد الله انه لااله إلّا هو فهذا جمع ثم فرق فقال والملئكة واولوا العلم وقوله تعلى آمنا بالله جمع ثم فرق بقوله وما انزل الينا والجمع اصل والتفرقة فرع وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد القرب بالوجد جمع وغيبته فى البشرية تفرقة وقيل جمعهم فى المعرفة وفرقهم فى الاحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه إلّا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم فى ذلك كثيرة والمقصود انهم اشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد واشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لا جمع إلّا بتفرقة ويقولون فلان فى عين الجمع

يعنون

يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شيء من اعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع حاصله الى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بامر الله ولا بد منهما جميعا قال المزيد الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض وقد غلط قوم وادعوا انهم فى عين الجمع واشاروا الى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وانما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القلب فما دام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة وقال الواسطى اذا نظرت الى نفسك فرقت واذا نظرت الى ربك جمعت واذا كنت قائما بغيرك فانت بلا جمع ولا تفرقة وقيل جمعهم بذاته فى صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة انه اذا اثبت لنفسه كسبا ونظر الى اعماله هو فى التفرقة واذا اثبت الاشياء بالحق فهو فى الجمع ومجموع الاشارات ينبئ ان الكون يفرق والمكون يجمع فمن افرد المكون جمع ومن نظر الى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فاذا اثبت طاعته نظرا الى كسبه فرق واذا اثبتها بالله جمع واذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع ويمكن ان يقال روية الافعال تفرقة وروية الصفات جمع وروية الذات جمع الجمع سئل بعضهم عن حال موسى عليه السلام فى وقت الكلام فقال افنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كلم فكان المكلم والمكلم هو وكيف كان موسى يطيق حمل الخطاب ورد الجواب لو باياه سمع قال ومعنى هذا ان الله تعلى منحه قوة بتلك القوة سمع ولولا تلك القوة ما قدر على السمع ثم انشد القائل متمثلا

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تالق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع اركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظرا اليه ورده اشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحت به اجفانه

ومن ذلك التجلى والاستتار قال الجنيد انما هو تاديب وتهذيب وتذويب

فالتاديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجلى والتذويب للاولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات فى الاستتار والتجلى راجع الى ظهور صفات النفس فمنها الاستتار وهو اشارة الى غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات القلب ومنها التجلى ثم التجلى قد يكون بطريق الافعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعلى أبقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم فاما لهم فانهم به يرجعون الى مصالح النفوس واما غيرهم فانه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم لاستغراقهم فى جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار قال بعضهم علامة تجلى الحق للاسرار هو ان لا يشهد السر ما يتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم فمن عبر او فهم فهو صاحب خاطر استدلال لا ناظر اجلال وقال بعضهم التجلى رفع حجبة البشرية لا ان يتلون الحق عزوجل والاستتار ان تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب ومن ذلك التجريد والتفريد الاشارة منهم فى التجريد هو ان العبد يتجرد عن الاعواض فيما يفعله لا ياتى ما ياتى به نظرا الى الاعواض في الدنيا والاخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يوديه حسب عبودية وانقياد والتفريد ان لا يرى نفسه فيما ياتى به بل يرى منة الله عليه فالتجريد ينفى الاغيار والتفريد ينفى نفسه لاستغراقه في روية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه ومن ذلك الوجد والتواجد والوجود الوجد ما يرد على الباطن من الله تعلى يكسبه فرحا او حزنا و يغيره عن هيئته ويتطلع الى الله تعلى وهو فرجة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها الى الله تعلى والتواجد استجلاب الوجد بالتذكر والتفكر والوجود اتساع فرجة الوجد بالخروج الى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت ثبوت الجبال وقد قيل

قد كان يطربنى وجدى فافقدنى ... عن روية الوجد من فى الوجد موجود

والوجد يطرب من فى الوجد راحته ... والوجد عند حضور الحق مفقود

ومن ذلك الغلبة والغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطفئ سريعا والغلبة تبقى للاسرار مضيعة ومن ذلك المسامرة وهى تفرد الارواح بخفى مناجاتها ولطيف مناغاتها فى سر السر بلطف ادراكها للقلب لتفرد الروح بها وتلزمه بها دون القلب ومن ذلك السكر والصحو السكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود الى ترتيب الاعمال وتهذيب الاقوال قال محمد بن خفيف السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب وقال الواسطى مقامات الواجدين اربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم اخذته الامواج فعلى هذا من خفى عليه اثر من سريان الحال فيه فعليه اثر من السكر ومن عاد كل شئ منه الى مستقره فانه صاحى فالسكر لارباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب ومن ذلك المحو والاثبات المحو بازالة اوصاف النفوس والاثبات اثباتها بما انشا الحق له من الوجود به فهو بالحق لا بنفسه باثبات الحق اياه مستانفا بعد ان محاه عن اوصافه قال ابن عطاء يمحو اوصافهم ويثبت اسرارهم ومن ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوثة الصلصال بورود رائد الوصال قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذى اودعه الاسرار والعلم اذا انفرد من نعت اليقين كان علما بلا شبهة وحق اليقين هو حقيقة ما يشير اليه علم اليقين وعين اليقين وقال الجنيد حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو ان يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق كما اخبر الصديق حين قال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذا ابقيت لعيالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال المعرفة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل اسم ورسم وعلم وعين وحق

فالاسم والرسم للعوام والعلم علم اليقين للاولياء وعين اليقين لخواص الاولياء وحق اليقين للانبياء وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن ذلك الوقت والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد واغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف يمضي العبد بحكمه ويقطع وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه فيتصرف فيه فيكون بحكمه يقال فلان بحكم الوقت يعني ماخوذا عما منه بما للحق ومن ذلك الغيبة والشهود فالشهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فما دام العبد موصوفا بالشهود او الرعاية فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من دائرة الحضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبة الغيبة عن الاشياء بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا الى مقام الفناء ومن ذلك الذوق والشرب والرى فالذوق ايمان والشرب علم والرى حال فالذوق لارباب البواده والبوادى والشرب لارباب الطوالع واللوامح واللوامع والرى لارباب الاحوال وهى ان الاحوال هى التى تستقر فما لم تستقر فليست بحال وانما هى لوامع وطوالع وقيل الحال لا تستقر لانها تحول فاذا استقرت صارت مقاما ومن ذلك المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة فالمحاضرة لارباب التلوين والمشاهدة لارباب التمكين والمكاشفة بينهما الى ان تستقر المشاهدة فالحاضرة لاهل العلم والمكاشفة لاهل الغين والمشاهدة لاهل الحق اى حق اليقين ومن ذلك الطارق والبادى والباده والواقع والقادح والطوالع واللوامع واللوائح وهذه كلها الفاظ متقاربة المعنى ويمكن بسط القول فيه ويكون حاصل ذلك راجعا الى معنى واحد يكثر بالعبارة فلا فائدة فيه والمقصود ان هذه الاسماء كلها مبادى الحال ومقدماته واذاصح استوعب هذه الاسماء كلها ومعانيها ومن ذلك التلوين والتمكين فالتلوين لارباب القلوب لانهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخاص الى الصفات وللصفات تعدد بتعدد جهاتها فظهر لارباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب واربابها من

عالم الصفات واما ارباب التمكين فقد خرجوا من مشاع الاحوال وخرقوا حجب القلوب وباشر ارواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين لعدم التغيير في الذات اذ جل ذاته عن حلول الحوادث والتغييرات فلما خلصوا الى مواطن القرب من تجلي الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ يكون في نفوسهم لانها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع في النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكين لان جريان التلوين في النفس لبقاء رسم الانسانية وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة وليس المعنى بالتمكين ان لا يكون للعبد تغير فانه بشر وانما نعني به ان ما كوشف من الحقيقة لا يتوارى عنه ابدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة في بعض الاحوال ويكون ثبوته على مستقر الايمان وتلوينه في زوائد الاحوال ومن ذلك النفس ويقال النفس للمنتهي فالوقت للمبتدي والحال للمتوسط فكانه اشارة منهم الى ان المبتدي يطرقه من طارق ولا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهي صاحب نفس متمكن من الحال لا يتناوب عليه الحال بالغيبة والحضور بل تكون المواجيد مقرونة بانفاسه مقيمة لا تتناوب عليه وهذه كلها احوال لاربابها واهم منها ذوق وشرب والله تعالى ينفع ببركاتهم آمين

* فصل في ذكر القول في بعض المقامات *
* وما فيها من اشارات لاهل الكرامات *

وما رايت ايضا في ذلك احسن من كلام الامام السهروردي رضي الله عنه التوبة قال قدس الله روحه هي اصل كل مقام وقوامه ومفتاح كل حال وهي اول المقامات وهي بمثابة الارض للبناء فمن لا ارض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام قال رضي الله عنه واني

يبلغ علمي وقدر وسعي وجهدي اعتبرت المقامات والاحوال فرايتها يجمعها ثلاثة اشياء بعد صحة الايمان وعقوده وشروطه فصارت مع الايمان اربعة ورايتها في افادة الولادة المعنوية الحقيقة بمثابة الطبائع الاربع التي جعلها الله تعلى باجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق هذه الاربع يلج ملكوت السموات ويكاشف بالقدر والآيات ويصير له ذوقا وفهما لكلمات الله المنزلات ويحظى بجميع الاحوال والمقامات وكلها من هذه الاربع ظهرت وبها تهيات احد هذه الثلاثة بعد الايمان التوبة النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله ظاهرا وباطنا من غير فتور وقصور ثم يستعان على تمام هذه الاربعة باربعة اخرى بها تمامها وقوامها وهي قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام والاعتزال عن الناس واتفق المشايخ والعلماء والزاهدون على ان هذه الاربعة بها تستقر المقامات وتستقيم الاحوال وبها صار الابدال ابدالا بتاييد الله وحسن توفيقه ونبين بالبيان الواضح ان سائر المقامات تندرج في صحة هذه ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها اولها بعد الايمان التوبة وهي في مبدا صحتها تفتقر الى احوال واذا صحت تشتمل على مقامات واحوال ولا بد في ابتدائها من وجود زاجر ووجدان الزاجر حال لانه موهبة من الله تعلى على ما تقرر ان الاحوال مواهب وحال الزجر مفتاح التوبة ومبتداها قال الاصمعي رايت اعرابيا بالبصرة يشتكي عينه وهي يسيل منها الماء فقلت الا تمسح عينك فقال لا لان الطبيب زجرني ولا خير فيمن لا ينزجر فالزاجر في الباطن حال يهبها الله تعلى ولا بد من وجودها للتائب ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه وقال بعضهم الانتباه اوائل دلالات الخير اذا انتبه العبد من رقدة الغفلة اداه ذلك الانتباه الى التيقظ فاذا تيقظ الزمه تيقظه الطلب لطريق الرشد فيطلب واذا طلب عرف انه على غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع الى باب توبته ثم يعطى بانتباهه حال البسط وقيل اذا صحت اليقظة كان صاحبها في اوائل طريق التوبة

وقال

وقال اليقظة حركة من جهة المولى لقلوب الخائفين تدلهم على طلب التوبة فاذا تمت يقظته نقل بذلك الى مقام التوبة فهذه احوال ثلاثة تتقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج الى المحاسبة ولا تستقيم التوبة إلّا بالمحاسبة وكان بعض المحاسبين يكتب الصلوات في قرطاس ويدع بين كل صلاتين بياضا وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة او امر آخر خط خطا وكلما تكلم او تحرك فيما لا يعنيه نقط نقطة ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه ليضيق بالمحاسبة مجاري الشيطان والنفس الامارة بالسوء لموضع صدقه في حسن الافتقاد وحرصه على تحقيق مقام العباد وهذا مقام المحاسبة والرعاية يقع من ضرورة صحة التوبة قال الجنيد من حسنت رعايته دامت ولايته وسئل الواسطي اى الاعمال افضل قال مراعاة السر والمحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن ويكمل احدهما بالآخر وبهما تستقيم التوبة والمراقبة والرعاية حالان شريفان ويصيران مقامين شريفين يصحان بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبة بهما على الكمال فصارت المحاسبة والمراقبة والرعاية من ضرورات مقام التوبة وكل هذا ملازم لصحة التوبة ملازم لها لان الخواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الافعال والمراقبة حسم مواد الخواطر الرديئة فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لان من حصر الخواطر كفى مؤونة الجوارح لان المراقبة استيصال عروق ارادة المكاره من القلب وبالمحاسبة استدراك ما انفلت من المراقبة قال ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان في هذا الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة بالعلم واذا صحت التوبة صحت الانابة قال ابراهيم بن ادهم اذا صدق العبد في توبته صار منيبا لان الانابة ثاني درجة التوبة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع اليه من رجوعه ثم رجع من رجوع رجوعه فيبقى شبحا بين يدي الحق لا وصف له مستغرقا في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الافعال والمجاهدة تتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة قال ابو سليمان ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته

ولا تستقيم التوبة إلّا بصدق المجاهدة ولا يصدق العبد في المجاهدة إلّا بوجود الصبر قال رضي الله عنه الصبر على الله تعالى بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم مواد الخواطر والصبر ينقسم الى فرض وفضل فالفرض كالصبر على اداء المفترضات والصبر على المحرمات ومن الصبر الذي هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الاولى وكتمان المصائب والاوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء الفقر والصبر على كتمان المنح والكرامات ورؤية القدر والآيات ووجوه الصبر فرضا وفضلا كثيرة وكثير من الناس يقوم بهذه الاقسام من الصبر ويطيق عن الصبر على الله تعالى بلزوم صحة المراقبة والرعاية ونفي الخواطر فاذا حقيقة الصبر كائنة في التوبة لكينونة المراقبة في التوبة والصبر من اعز مقامات الموقنين وهو داخل في حقيقة التوبة قال بعض العلماء واي شيء افضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كلامه في نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيئا بهذا العدد وصحة التوبة تحتوي على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر الصبر على النعمة وهو ان لا يصرفها في معصية الله تعالى وهذا ايضا داخل في صحة التوبة وكان سهل يقول الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء وعن بعض الصحابة بلينا بالضر فصبرنا وبلينا بالشر فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب والصبر عن محمدة الناس والصبر على الخمول والتواضع والذلة داخل في الزهد وان لم يكن داخلا في التوبة وكل ما فات في مقام التوبة من المقامات السنية والاحوال يوجد في الزهد وهو ثالث الاربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر يظهر من طمانينة النفس وطمانينتها من تزكيتها وتزكيتها بالتوبة فالنفس اذا تزكت بالتوبة النصوح ذهبت عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر وجود شراسة النفس واباء واستعصاء فيها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها الى اللين لان النفس بالمحاسبة والمراقبة تصفو وتنطفئ نيرانها المتاججة بمتابعة الهوى وتبلغ بطمانينتها محل الرضا ومقامه وتطمئن في مجاري الاقدار وعن رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان خير ما اعطى الرجل الرضا بما قسم الله له والاخبار والآثار والحكايات فى فضيلة الرضا وشرفه اكثر من ان تحصى والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تخلف عبد من الرضا إلّا لتخلفه عن التوبة النصوح فاذا التوبة تجمع حال الصبر ومقامه وحال الرضا ومقامه والخوف والرجاء مقامان من مقامات اهل اليقين وهما كائنان فى صلب التوبة النصوح لان خوفه حمله على التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاؤه ما خاف فالرجاء والخوف يتلازمان فى قلب المؤمن و يعتدل الخوف للتائب المستقيم فى التوبة ثم ان الخائف التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله فقد شكر النعم لان كل جارحة من الجوارح نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها فى الطاعة واى شاكر للنعمة اكثر من التائب المستقيم فاذا جمع مقام التوبة هذه المقامات كلها فجمع مقام التوبة حال الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوى والمجاهدة ورؤية عيوب الافعال والانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجاء فاذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلت مرآة القلب وبان قبح الدنيا فيها فحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لانه لا يزهد فى الموجود إلّا لاعتماده على الموعود والسكون الى وعد الله سبحانه وتعالى هو عين التوكل وكل ما بقى على العبد من بقية فى تحقيق المقامات كان بعد توبته يستدركه بزهده فى الدنيا وهو ثالث الاربعة فاذا صح زهد العبد صح توكله ايضا لان صدق توكله مكنه من زهده فى الموجود فمن استقام فى التوبة وزهد فى الدنيا وحقق هذين المقامين استدرك سائر المقامات وتمكن فيهما وتحقق بها وترتيب التوبة مع المراقبة وارتباط احداهما بالاخرى ان يتوب العبد ثم يستقيم فى التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا ثم يرتقى من تطهير الجوارح عن المعاصى الى تطهير الجوارح عما لا يعنى فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم تنتقل الرعاية والمحاسبة من الظاهر الى الباطن

وتستولى المراقبة على الباطن وهو تحقق بعلم القيام بمحو خواطر المعصية عن باطنه ثم خواطر الفضول فاذا تمكن من رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الاركان والجوارح وتستقيم توبته وقيل لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود المعصية ولكن الصادق والتائب النادم اذا ابتلى بذنب يمحى اثر الذنوب عن باطنه فى العطف ساعة لوجود الندم فى باطنه على ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا واذا تاب توبة نصوحا ثم زهد فى الدنيا حتى لا يهتم فى غدائه لعشائه ولا فى عشائه لغدائه ولا يرى الادخار ولا يكون له تعلق هم بغد وقد جمع فى هذا الزهد والفقر والزهد افضل من الفقر وهو فقر وزيادة لان الفقير عادم الشئ اضطرارا والزاهد تارك الشئ اختيارا وزهده يحقق توكله وتوكله يحقق رضاه ورضاه يحقق الصبر وصبره يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس النفس لله يحقق خوفه وخوفه يحقق رجاءه ويحظى بالتوبة والزهد بكل المقامات والزهد والتوبة اذا اجتمعا مع صحة الايمان عقوده وشروطه يعوز هذه الثلاثة رابع تمامها وهو دوام العمل لله لان الاحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة ويستتر بعضها متوقفة على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد المتحققين بالزهد المستقيمين فى التوبة تخلفوا عن كثير من سنى الاحوال لتخلفهم عن هذا الرابع ولا يراد الزهد فى الدنيا الّا لكمال الفراغ المستعان به على ادامة العمل لله والعمل لله ان يكون العبد لا يزال ذاكرا او تاليا او مصليا او مراقبا لا يشغله عن ذلك الّا واجب شرعى او مهم طبيعى لا بد منه واذا استولى العمل القلبى على القلب مع وجود الشغل الذى اداه اليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن العمل فاذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد اكمل الفضل الّا جهدا فى العبودية

قال ابو بكر الوراق من خرج من قالب العبودية صنع به ما يصنع بالآبق وسئل سهل بن عبد الله التسترى اى منزلة اذا قام العبد بها قام

مقام العبودية قال اذا ترك التدبير والاختيار فاذا تحقق العبد بالتوبة والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتي ويصل الى مقام ترك التدبير والاختيار ثم يصل الى ان يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله لزوال هواه ووفور علمه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه قال يحيى بن معاذ الرازي ما دام العبد يتعرف يقال له لا تختر ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف فاذا عرف وصار عارفا يقال له ان شئت اختر وان شئت لا تختر لانك ان اخترت فباختيارنا اخترت وان تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار فانك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالي والحال العزيز الذي هو الغاية والنهاية وهو ان يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار إلّا باحكامه هذه الاربعة التي ذكرناها لان ترك التدبير فناء وتمليك التدبير والاختيار من الله تعلى عبادة ورده الى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ عن وجود كان بالعبد الى وجود يصير بالحق وهذا العبد ما بقي عليه من الاعوجاج ذرة واستقام ظاهره وباطنه في العبودية وعمر العلم ظاهره وباطنه وتوطن حضيرة القرب بنفس بين يدي الله تعلى متمسكة بالاستكانة والافتقار متحققة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك ولا الى احد من خلقك فاضيع واكلأني كلاءة الوليد ولا تخل عني والله الموفق لا رب غيره

* واما اشارتهم رضي الله عنهم في بعض *
* المقامات حسبما تقدم من التفهيم *
* والارشاد من بعضهم للبعض فنذكر في ذلك *
* من كلام الامام السهروردي رضي الله عنه *
* ما نراه لائقا بالمحل والله المستعان وعليه المتكل *

قال رضي الله عنه فمن قولهم في التوبة قول رويم معنى التوبة ان تتوب

من التوبة قيل معناه قول رابعة استغفر الله من قلة صدقي في قول استغفر الله وقال ذو النون توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة الانبياء من روية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم سئل ابو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بباله او يراه او يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولابد من الطبع وليس له حيلة إلّا ان يرفع قلبه الى مولاه بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله ان ينسيه ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته وان غفل عن الانكار طرفة عين اخاف عليه ان لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه لا يضره شيء قال وهذا الذي قال سهل كاف بالغ لكل طالب صادق مريد صحة توبته والعارف القوي الحال يتمكن من ازالة الحلاوة عن باطنه ويسهل عليه ذلك واسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفاء مشاهدة وصرف يقين اى حلاوة تبقى في قلبه وانما حلاوة الهوى لعدم حلاوة حب الله ومن قولهم في الورع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ملاك الدين الورع وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا ينبغى لمن اخذ بالتقوى ووزن بالورع ان يذل لصاحب دنيا وقال يحيى بن معاذ الوارع الوقوف على حد العلم من غير تأويل وقال الخواص الورع دليل الخوف والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القرب وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه وقد تكلم في قول الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في الحرام اعلم ان عدد المقامات سبعون وهي قد تحصل بضرب من الاكتساب والاجتهاد والصديق خرج عن مقامات العامة فلم يكن نيله منها بل من مقام موهبي لا وصف فيه ولا مشاركة لان السالكين مع الاوراد والعارفين مع الواردات وهي موهبية فهذا مرمى الصديقين ومضاهاة هذه المقامات في سورة الاحزاب وهي قوله

ان

ان المسلمين والمسلمات الى قوله والمتصدقين وهى السابعة فالحسنة بعشر فهى سبعون لاصحاب المقامات وهم العموم والثامنة والصائمين فالصديق صام عن الكل ومن قولهم فى الصبر قول سهل الصبر انتظار الفرج من الله وهو افضل الخدمة واعلاها وقيل لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والعلم يدل والصبر يقبل ولا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر والصبر والعلم متلازمان كالروح والجسد ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبانفصال احدهما عن الآخر اعنى العلم والصبر ميل احدهما عن الآخر اعنى النفس والروح وبيان ذلك يدق وقال ابو الحسن بن سالم هم ثلاثة متصبر وصابر وصبار فالمتصبر من صبر فى الله فمرة يصبر ومرة يجزع والصابر من يصبر فى الله ولله ولا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يمكن منه الجزع واما الصبار فذلك الذى صبره فى الله ولله وبالله فهو لو وقع عليه جميع البلاء لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخليقة واشارته فى هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة وسئل السرى عن الصبر فتكلم فيه فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بابرته فقيل له لم لاتدفعه فقال استحى من الله ان اتكلم فى حال ثم اخالف ما اتكلم فيه قال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها فعوضه مما انتزع الصبر الّا وما عوضه خير مما انتزعه ومن ذلك فى الشكر قوله صلى الله عليه وسلم من ابتلى فصبر واعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر قيل فما باله قال اولئك لهم الامن وهم مهتدون وقال داود عليه السلام كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك إلّا بنعمة ثانية من نعمك فاوحى الله اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى وقال بعضهم الشكر هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم وقال يحيى بن معاذ الرازى لست بشاكر ما دمّت تشكر وغاية الشكر الحيرة لتسلسل النعم اذ كل شكر نعمة متجددة ومن ذلك فى الخوف قوله صلى الله عليه

وسلم راس الحكمة مخافة الله وقال بعضهم ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه لكن الخائف التارك ما يخاف ان يعذب عليه وقال سهل الخوف ذكر والرجاء انثى ايى منهما تتولد حقائق الايمان وقيل ان الله تعلى جمع للخائفين ما فرقه فى جميع المومنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال تعلى وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال ذو النون لا يسقى المحب كاس المحبة الّا بعد ان ينضج الخوف قبله وقال فضيل بن عياض اذا قيل لك تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف من يخاف الله ومن ذلك فى الرجاء قول شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء روية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب قال ابو علي الروذبارى الخوف والرجاء كجناحى الطائر اذا استويا استوى الطائر وتم فى طيرانه ولهذا المعنى روى عن لقمان الحكيم عليه السلام انه قال لابنه خف الله تعلى خوفا لا تامن فيه مكره وارجه اشد من خوفك فقال كيف استطيع ذلك وانما لى قلب واحد اما علمت ان المومن كذى قلبين يخاف باحدهما ويرجو بالآخر وهذا لانهما من حكم الايمان وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه وقد تكلم فى قول يحيى ابن معاذ يكاد رجاءى لك مع الذنوب يغلب رجاءى لك مع الطاعة اعلم ان العبد فى حال المعصية لم تبق له حسنة ولا وسيلة وانقطع الى ربه من جميع جهاته والتجا اليه بذلته وفقره فكان عفوه اليه اقرب والله ارجى له واما الاعمال والحسنات فالتعلق بها صعب شديد وحال المعصية حال الفقر والمسكنة والذل والصغار ومن ذلك فى التوكل قول السرى التوكل الانخلاع من الحول والقوة وقال سهل كل المقامات لها وجه وقفا غير التوكل فانه وجه بلا قفا وقال ذو النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وقال ابوبكر الوراق التوكل رد العيش الى يوم واحد واسقاط هم غد وقال بعضهم من اراد ان يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفنها

فيه

فيه وينسى الدنيا واهلها لان حقيقة التوكل لا يقوم له احد من الخلق على كماله وقال حمدون القصار التوكل هو الاعتصام بالله قال وليس للاقوياء اشتداد بتصحيح توكلهم وانما شغلهم فى تغييب النفس بتقوية مراد القلب فاذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر اليه وكلما تحرك من النفوس بقية يرد على ضميرهم سران الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء فيغلب وجود الحق الاعيان والاكوان ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون فى نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ولا يقدح فى توكل مثل المتوكل ما يقدح فى توكل الضعفاء من وجود الاسباب والوسائط لانه يرى الاسباب مواتا لا حياة لها إلّا بالوكيل وهذا توكل خواص اهل المعرفة ومن ذلك فى الرضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وقال علي كرم الله وجهه من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه ومن جلس على بساط السوال لم يرض عن الله فى كل حال وقال الفضيل الراضى لا يتمنى فوق منزلته شيئا وقال ابن سمعون الرضا بالحق والرضا له والرضا عنه فالرضا به مدبرا ومختارا والرضا له الها وربا والرضا عنه قاسما ومعطيا وقيل للحسين بن علي رضى الله عنهما ان ابا ذر يقول الفقر احب الى من الغنى والسقم احب الى من الصحة قال رحم الله ابا ذر اما انا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن انه فى غير الحالة التى اختار الله له

* فصل فى كريم اخلاقهم التى اوقفهم عنوان *
* بواطنهم عليها وانهاهم غض ادبهم اليها *

واحسنها على ما قاله الامام السهروردى رضى الله عنه التواضع قال ولا يلبس العبد لبسة اجمل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة فقد استراح واراح وما يعقلها إلّا العالمون والتواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الانسان

نفسه مكانا يزرى به ويفضى الى تضييع حقه وقد انفهم من كثير من
اشارة المشايخ فى شرح التواضع اشياء انتهت الى حد اقاموا فيه التواضع
مقام الضعة واوهم انحرافا عن حد الاعتدال ويكون قصدهم فى المبالغة
قمع نفس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فقل ان ينفك مريد
فى مبادئ ظهور سلطان الحال من العجب حتى لقد نقل عن جمع من
الكبار كلمات موذنة بالاعجاب وذلك لبقايا السكر عندهم وانحصارهم فى
مضيق سكر الحال وعدم الخروج الى فضاء الصحو فى البداية فاذا حدق
صاحب البصيرة نظره يعلم انه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد
على القلب فتظهر لذلك بصفتها على وجه لا يخفى على الوقت وصلافة
الحال فيكون من ذلك كلمات موذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت
خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدمى على رقبة جميع الاولياء وكقول بعضهم
اسرجت والجمت وطفت فى اقطار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج
الي احد اشارة منه الى تفرده فى وقته ومن اشكل عليه ذلك ولم يعلم انه
من استراق النفس السمع فليزن ذلك بميزان احوال الصحابة رضى الله
عنهم وتواضعهم وتجنبهم امثال هذه الكلمات واستبعادهم ان يجوز للعبد التظاهر
بشئ من ذلك **قلت** قد يفرق بين الصحابة رضى الله عنهم فى علو
مناصبهم وبين من ظهرت على لسانه هذه الشطحات من اكابر الاولياء بان
الصحابة رضوان الله عليهم لعلو مقدارهم وتمام شروق انوارهم ملكوا الاحوال
وتصرفوا فيها فلم تظهر عليهم غلبة سلطانها لتملكهم اياها ومن دونهم من الاكابر
ملكتهم الاحوال فتصرفت فيهم وظهرت غلبة سلطانها عليهم مغلوبين لا طاقة
لهم بصرفها ومن آثارها تلك الشطحات الظاهرة عليهم فلا حرج عليهم اذا فى
ذلك والله اعلم وقد قال الشيخ محى الدين عبد القادر الجيلانى والشيخ
ابو يعزى رضى الله عنهما والاحوال مالكة لاهل البدايات فهى تصرفهم ومملوكة
لاهل النهايات فهم يصرفونها ولا نزاع ان الصحابة رضوان الله عليهم اهل
نهايات ومن دونهم بالنسبة اليهم اهل بدايات ثم قال يلتمس المخرج

رضى

رضى الله عنه ولكن نجعل لكلام الصادقين وجها فى الصحة ونقول ان ذلك طفح عليهم فى سكر الحال وكلام السكارى يحمل فالمشايخ ارباب التمكين لما علموا فى النفوس هذا الداء الدفين بالغوا فى شرح التواضع الى حد الحقوه بالضعة تداويا للمريدين والاعتدال فى التواضع ان يرضى الانسان بمنزلة دوين ما يستحقه ولو امن اشخص جموح النفس لاوقفها على حد تستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجموح فى جبلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها الى مركز النار احتاجت الى التداوى بالتواضع واذا ارتفع التواضع من القلب وسكن الكبر ينتشر اثره فى بعض الجوارح ويرشح الاناء بما فيه فتارة يظهر اثره فى العنق بالتمايل وتارة فى الخد بالتصعير قال الله تعلى ولا تصاعز خدك للناس وتارة يظهر فى الراس عند استعصاء النفس قال الله تعلى لووا رءوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون فالتواضع محمود والضعة مذمومة والكبر مذموم والعزة محمودة قال الله تعلى ولله العزة ولرسوله وللمومنين والعزة غير الكبر ولا يحل للمومن ان يذل نفسه قال بعضهم للحسن ما اعظمك فى نفسك قال لست بعظيم ولكنى عزيز فالكبر جهل الانسان نفسه وانزالها فوق منزلتها والعزة معرفة الانسان حقيقة نفسه واكرامها ان لا يضعها لاقسام عاجلة دنياوية قال بعضهم من تكبر فقد اخبر عن نذالة نفسه ومن تواضع فقد اظهر كرم طبعه ومن اخلاقهم المداراة واحتمال الاذى من الخلق قال رضى الله عنه كان من مداراته عليه الصلاة والسلام انه لا يذم طعاما ولا ينتهر خادما فالمداراة مع كل احد من الاهل والاولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة من اخلاق الصوفية وباحتمال الاذى يظهر جوهر النفس وقال عليه الصلاة والسلام المومن الذى يعاشر الناس ويصبر على اذاهم خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم والنفس لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة النفس ورد طيشها ونفورها وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على

رءوس الخلائق حتى يخيره فى اى الحور شاء ومن اخلاقهم الايثار والمواساة قال رضى الله عنه ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا لانهم يوثرون بالموجود و يصبرون عن المفقود قال ابو يزيد البسطامى ما غلبنى احد ما غلبنى شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال يا ابا يزيد ما حد الزهد قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ قلت وما الزهد عندكم قال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا واهدى لبعض اصحاب انس راس شاة مشويا وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداوله سبعة انفس ثم عاد الى الاول فانزلت الآية ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وروى ان ابا الحسن الانطاكى اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرب الرى وله ارغفة معدودة لا تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان واطفئوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام واذا هو بحاله لم ياكل منه احد ايثارا منه على نفسه وحكى عن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لى ومعى شئ من الماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار اى نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمى انطلق به اليه فجئته فاذا هو هشام ابن العاص فقلت اسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات وقال بعضهم حقيقة الايثار ان توثر لحظ آخرتك على اخوانك فان الدنيا اقل خطرا من ان يكون لايثارها محل او ذكر ومن هذا المعنى ما نقل ان بعضهم راى اخا له فلم يظهر البشرى الكثير فى وجهه فانكر اخوه ذلك منه فقال يا اخى سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهم بشرا وعشرة لاقلهما بشرا فاردت ان تكون اكثر بشرا منى ليكون لك الاكثر وكان ابو بكر ابن ابى سعيد يقول من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمتى نظر الى شئ من اسبابه

قطعه

قطعه ذلك عن بلوغ مقصده وقيل مرض قيس بن سعد فاستبطا اخوانه في عيادته فسال عنهم فقيل انهم يستحيون بما لك عليهم من الدين فقال اخذ الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا ينادى من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل فكسرت عتبته بالعشى لكثرة العواد وروى انس لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة واخا النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبن سعد بن الربيع فقال له اقاسمك مالى نصفين ولى امرئتان اطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك فما حمل الصوفى على الايثار الّا طهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعلى صوفيا الّا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء يوشك ان يكون صوفيا لان السخاء صفة الغريزة وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعلى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون قال وليس العجب من وجود الشح من الآدمى فانه جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء في الغريزة وهو الداعى لنفوس الصوفية للبذل والايثار والسخاء اتم واكمل من الجود ففى مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذ كانا من ضرورة الغريزة فكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق تعلى لا يوصف بالسخاء لان السخاء من نتائج الغرائز والحق تعلى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء وياتى به الانسان متطلعا الى عوض من الخلق او الحق بمقابلة ما من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لانه لا ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فما تمحض سخاء فالسخاء لاهل الصفاء والايثار لاهل الانوار ومن اخلاقهم التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه فقال للكاظمين الغيظ والعافين

عن الناس وقال صلى الله عليه وسلم لا تكونوا امعة يقولون ان احسن الناس احسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا فلا تظلموا وقال عليه الصلاة والسلام ليس الواصل المكافى ولكن الواصل الذى قطعت رحمه وصلها وقال سفيان الاحسان ان تحسن لمن اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيئا هات شيئا ومن اخلاقهم البشر وطلاقة الوجه قال رضى الله عنه الصوفى بكاوه فى خلواته والبشر وطلاقة الوجه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار انوار قلبه وقد ينازل باطن الصوفى منازلات الهية ومواهب

منها القلب ويمتلئ فرحا وسرورا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والسرور اذا تمكن من القلب فاضت على الوجه آثاره وجوه يومئذ مسفرة اى مضيئة مشرقة ومستبشرة اى فرحة قيل اسفرت من طول ما اغبرت فى سبيل الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب فيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه تعرف فى وجوههم نضرة النعيم اى نضارته وبريقه يقال انضر النبات اذا ازهر ونور فارباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصلقت مراءى قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الازلى واذا اشرقت الشمس على المرآة المصقولة استنارت الجدران سيماهم فى وجوههم من اثر السجود فاذا تاثر الوجه بسجود الظلال وهى القوالب فى قول الله تعلى وظلالهم فيها بالغدو والآصال كيف لا يتاثر بشهود الجمال ومن اخلاقهم السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس الى اخلاقهم وطباعهم وترك التكلف والتعسف قال رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اما انى امزح ولا اقول إلّا حقا وجاءه عليه الصلاة والسلام رجل فقال يا رسول الله احملنى على جمل فقال احملك على ابن الناقة فقال اقول لك احملنى على جمل وتقول احملك على ابن الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم فالجمل ابن الناقة وروى صهيب قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر ياكل منه فقال اصب من هذا الطعام فجعلت آكل من التمر فقال تاكل من التمر وانت ارمد فقلت اذا امضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان عمر رضى الله عنه سابق زبيرا رضى الله عنه فسبقه الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة ثم سابقه مرة اخرى فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة وروت عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك وقال عبد الله ابن عباس قال لى عمر تعال انافسك فى الماء اين اطول نفسا ونحن محرمون وروى بكر بن عبد الله قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتباذحون بالبطيخ فاذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال يقال بذح يبذح اذا رمى اى يترامون بالبطيخ وقالت عائشة رضى الله عنها اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبخت له وقلت لسودة والنبى صلى الله عليه وسلم بينى و بينها كلى فابت فقلت لها كلى او لالطخن بها وجهك فابت فوضعت يدى فى الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخى وجهها فلطخت بها وجهى فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ايضا فمر عمر بالباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبى صلى الله عليه وسلم انه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهيكما قالت عائشة فما زلت اهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف بعضهم بن طاوس فقال كان مع الصبى صبيا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة اذا خلا قال فهذه الاخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن اخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة فى الربط وينزاون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم الى سعة رحمة الله فاذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسوا ملابس الاعمال والاحوال ولا يقف فى هذا المعنى على حد الاعتدال الّا صوفى قاهر للنفس

عالم باخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم حتى يقف فى ذلك على صراط الاعتدال بين الافراط والتفريط ولا يصلح الاكثار من ذلك للمريدين المبتدئين لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعديهم حد الاعتدال فللنفس فى هذه المواطن نهضات ووثبات تجر الى الافساد وتجنح الى العناد وللصوفية العلماء فيما ذكرناه ترويح يعلمون حاجة القلب الى ذلك والشئ اذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ومقدار قدر الحاجة فى ذلك علم غامض لا يسلم لكل احد وقال سعيد بن العاص لابنه اقتصد فى مزاحك فالافراط منه يذهب البهاء ويجرئ عليك السفهاء وتركه يغيظ الموانسين ويوحش المخالطين وقال بعضهم المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال فى ذلك يصعب معرفة الاعتدال فى الضحك وذكر فرق بين المداعبة والمزاح فقيل المداعبة ما لا يغضب جده والمزاح ما يغضب جده والحق ابو حنيفة رحمه الله القهقهة بالذنب وجعله ناقضا وقال نقيم الاثم مقام خروج الخارج ومن اخلاقهم ترك التكلف قال وذلك ان التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لاجل الناس وذلك يباين حال الصوفية وفى بعضه خفى منازعة الاقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف التخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين قال انس بن مالك شهدت وليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها خبز ولا لحم والتكلف مذموم فى جميع الاشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف فى الكلام وزيادة التملق الذى صار داب اهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك إلّا آحاد وافراد وكم من تملق لا يعرف انه تملق ولا يفطن له فقد يتملق الشخص الى حد يخرجه الى صريح النفاق وهو مباين لحال الصوفى وفى حديث يونس النبى عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من خبز شعير وجزلهم بقلا كان يزرعه ثم قال لولا ان الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم ومن اخلاقهم الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك ان الصوفى يرى خزائن فضل الله فهو بمثابة من هو مقيم على

شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء فى قربته وراويته وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من يوم إلّا وملكان يناديان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا وروى ان عيسى عليه السلام كان ياكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث امسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخشى شيئا فالصوفى كل خباياه فى خزائن الله تعلى لصدق توكله وثقته بربه فالدنيا للصوفى كدار الغربة ليس له فيها ادخار وليس له منها استكثار وروى ان جبريل عليه السلام قال ما فى الارض اهل عشرة ابيات إلّا قلبتهم فما وجدت احدا اكثر انفاقا لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اخلاقهم القناعة باليسير من الدنيا قال ذو النون المصرى من قنع استراح من اهل زمانه واستطال على اقرانه وقال بشر ابن الحارث لو لم يكن فى القناعة إلّا التمتع بالعز لكفى صاحبه قال بنان الحمال الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كونوا اوعية الكتب وينابيع الحكمة وعدوا انفسكم فى الموتى وسالوا الله رزق يوم بيوم ولا يضركم ان يكثر لكم وقيل فى تفسير قوله تعلى فلنحيينه حياة طيبة هى القناعة فالصوفى قوام على نفسه بالقسط عالم بطبائع وجدو القناعة والتوصل الى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها ودوائها وقال ابو سليمان الدارانى القناعة من الرضا كالورع من الزهد ومن اخلاقهم ترك المراء والمجادلة والغضب إلّا بحق واعتماد الرفق والعلم قال وذلك ان النفوس تثب وتظهر فى المارين والصوفى كلما راى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب واذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطفت الفتنة قال الله تعلى تعليما لعباده ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ولا ينزع المراء إلّا من نفوس زكية انتزع منها

الغل قال ابو حفص كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته
واجتمعت على مودته وانست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس
النفس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا ونزعنا ما
فى صدورهم من غل فهكذا قلوب اهل التصوف والمجتمعين على الكلمة
الواحدة من التلزم بشروط الطريق والانكباب على الظرف بالتحقيق
والناس رجلان رجل طالب ما عند الله يدعو الى ما عند الله نفسه وغيره
فما للمحق الصوفى مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه فى طريق
واحد وجهة واحدة واخوه ومعينه والمومنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ورجل
مفتتن بشئ من محبة الجاه والمال والرئاسة ونظر الخلق فما للصوفى مع
هذا منافسة لانه زهد فيما فيه رغب فمن شان الصوفى ان ينظر الى مثل
هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا مفتتنا فلا ينطوى له على غل
ولا يماريه فى الظاهر على شئ لعلمه بظهور نفسه الامارة بالسوء فى المراء
والمجادلة وفى الخبر من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة
ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى
اعلاها فنفس الصوفى تبدلت صفاتها وذهبت عنه صفة الشيطنة والسبعية
وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمانينة وروى انه جاء غلام لابى ذر
وقد كسر رجل شاة فقال ابو ذر من كسر رجل هذه الشاة قال انا قال ولم
فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال اغيظك فتضربنى فتاثم قال ابو ذر
لاغيظن من حظك على غيظى فاعتقه وروى الاصمعى عن اعرابى قال اذا
اشكل عليك امران لا تدرى ايهما فخالف اقربهما الى هواك فان اكثر ما
يكون الخطا مع متابعة الهوى قيل لبعضهم من اقهر الناس لنفسه قال
ارضاهم بالمقدور وقال بعضهم اصبحت وما لى سرور الا مواقع القضاء فاذا
اتهم النفس الصوفى عند الغضب تداركه العلم واذا لاح علم العلم قوى
القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب الى مواضعه ومقاره واعتدل الحال
وغاضت حمرة الخد وبانت فضيلة العلم قال عليه السلام السمت الحسن

والتوءدة

والتؤدة والاقتصاد جزء من اربعة وعشرين جزءا من النبوة وقال عليه السلام الغضب جمرة من النار الم تر الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع ومن اخلاقهم التودد والتالف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال عليه السلام مثل المومنين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى مومنان الّا استفاد احدهما من صاحبه خيرا وقال ابو ادريس الخولانى لمعاذ بن جبل انى احبك فى الله فقال ابشر ثم ابشر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تنصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يومَ القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هولاء يارسول الله قال المتحابون فى الله وقيل لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة وقيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية موثرة من البعض فى البعض لانهم لما تحابوا فى الله تواصوا بمحاسن الاخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع بذلك المريد بالشيخ والاخ بالاخ ولهذا المعنى امر الله تعلى باجتماع الناس فى كل يوم خمس مرات فى المساجد اهل كل درب وكل محلة وفى الجامع فى الاسبوع مرة اهل كل بلد وانضمام اهل السواد الى البلدان فى الاعياد فى جميع السنة مرتين واهل الاقطار من البلدان المتفرقة فى العمر مرة للحج كل ذلك لحكمة بالغة منها تاكيد الالفة والمودة بين المومنين والتالف والتودد توكد اسباب الصحبة والصحبة مع الاخيار موثرة جدا بل مجرد النظر الى اهل الصلاح يوثر صلاحا والنظر فى الصور يوثر اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون فانه يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تاثير فى الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف

والزرع تنقى عنه انواع العروق والنبات لموضع الافساد بالمقارنة واذا كانت
المقارنة موثرة فى هذه الاشياء ففى النفوس الشريفة البشرية اكثر تاثيرا
ومن اخلاقهم شكر المحسن على الاحسان والدعاء له قال رضى الله عنه
وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطع النظر عن
الاغيار ورويتهم النعم من المنعم الجبار اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث يقول ما من الناس حد امن علينا فى صحبته وذات يده من ابن
ابى قحافة ولو كنت متخذا خليلا لا تخذت ابا بكر خليلا وقال ما نفعنى
مال كمال ابى بكر فالخلق حجبوا من الله تعلى بالخلق فى المنع والعطاء
والصوفى فى الابتداء يفنى عن الخلق و يرى الاشياء من الله حيث
طالع ناصية التوحيد وخرق الحجاب الذى منع الخلق عن صرف
التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا اعطاء او يحجبه الحق عن الخلق فاذا
ارتقى الى ذروة التوحيد شكر الخلق بعد شكر الحق و يثبت لهم وجودا
فى المنع والعطاء بعد ان يرى المسبب اولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته
يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه
الحق عن الخلق كارباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لانه المنعم
والمعطى والمسبب و يشكر الخلق لانهم واسطة وسبب ومن اخلاقهم بذل
الجاه للاخوان والمسلمين كافة قال رضى الله عنه واذا كان الرجل وافر
العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها يتوصل الى قضاء حوائج
المسلمين ببذل الجاه والمعاونة فى اصلاح ذات البين وفى هذا المعنى
يحتاج الى مزيد علم لانها امور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا
يصلح ذلك الّا لصوفى تام الحال عالم ربانى روى زيد بن اسلم قال كان
نبى من الانبياء ياخذ بركاب الملك يولفه بذلك الى قضاء حوائج الناس
وقال عطاء لان يرائى الرجل سنين فيكسب جاها يعيش فيه مومن اتم
له من ان يخلص العمل لنجاة نفسه قال وهذا باب غامض لا يومن ان
يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصلح هذا الّا لعبد اطلع على

باطنه

باطنه فعلم منه ان لا رغبة له فى شيء من الجاه والمال ولوان ملوك الارض وقفوا فى خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل الى تنور يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلّا لآحاد من الخلق وافراد من الصادقين ينسلخون من ارادتهم واختياراتهم ويكاشفون الله بمراده منهم فيدخلون فى الاشياء بمراد الله تعلى فاذا علموا ان الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون فى ذلك بغيبة صفات النفس قال وهذا لاقوام ماتوا ثم حشروا واحكموا مقام الفناء ثم رقوا الى مقام البقاء فيكون لهم فى كل مدخل ومخرج برهان وبيان واذن من الله تعلى على بصيرة من ربهم ليس فيه ارتياب لصاحب قلب مكاشف بالمراد فى خفى الخطاب فياخذ وقته ابدا من الاشياء ولا تاخذ الاشياء من وقته ولا يكون هذا إلّا فى كل قطر من الاقطار واحد متحقق بالاحوال قال ابو عثمان الحيرى لا يكمل الرجل حتى يستوى فى قلبه اربعة اشياء المنع والعطاء والعز والذل فلمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه لا يستحق الانسان الرئاسة حتى يجتمع فيه ثلاث خصال يصرف جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما فى ايديهم ويبذل ما فى يده لهم قال وهذه الرئاسة ايضا غير الرئاسة التى زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وانما هذه رئاسة اقامها لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله

* فصل فى حقيقة الصحبة وما فيها *
* واداء حقوق الاخوة وعزازة مستوفيها *

قال الامام السهروردى رضى الله عنه المتقاضى للصحبة وجود الجنسية وقد يدعو اليها اخص الاوصاف فالدعاء باعم الاوصاف كميل جنس البشر بعضهم الى بعض والدعاء باخص الاوصاف كميل اهل كل ملة بعضهم الى بعض ثم اخص من ذلك كميل اهل الطاعة بعضهم الى بعض وكميل اهل المعصية

بعضهم الى بعض فاذا علم هذا الاصل وان الجاذب الى الصحبة وجود الجنسية بالاعم تارة وبالاخص اخرى فليتفقد الانسان نفسه عند الميل الى صحبة شخص وينظر ما الذى يميل به الى صحبته ويزن احوال من يميل اليه بميزان الشرع فان راى احواله مسددة فليبشر نفسه بحسن الحال فقد جعله الله تعلى مرآته يلوح له فى مرآة اخيه جمال حسن الحال وان راى افعاله غير مسددة فليرجع على نفسه باللوم والاتهام فقد لاح فى مرآة اخيه سوء حاله وقد ينفسد المريد الصادق باهل الصلاح اكثر مما ينفسد باهل الفساد ووجه ذلك ان اهل الفساد علم فساد طريقتهم فاخذ حذره منهم واهل الصلاح غره صلاحهم فمال اليه لجنسية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله فاكتسب من طريقهم الفتور فى الطلب والتخلف عن بلوغ الادب فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة وياخذ من الصحبة اصفى الاقسام ويذر منها ما يسد فى وجه المرام قال بعضهم هل رايت شرا الا ممن تعرف ولهذا المعنى انكر طائفة من السلف الصحبة وارو فضيلة العزلة والوحدة كابراهيم بن ادهم وداود الطاءى وفضيل بن عياض وسليمان الخواص وقال سبحانه وتعلى اخبارا عن خليله واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى استظهر بالعزلة على قومه قال ويجوز ان يقال الخلوة غير العزلة فالخلوة من الاغيار والعزلة من النفس وما تدعو اليه ويشغل عن الله تعلى فالخلوة كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود قال ابو بكر الوراق ما ظهرت الفتنة الا بالخالطة من لدن آدم الى يومنا هذا وما سلم الا من جانب الخالطة قال وقد رغب جمع من السلف فى الصحبة والاخوة فى الله وراوا ان الله تعلى من على اهل الايمان حيث جعلهم اخوانا فقال جل من قائل فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال والف بين قلوبهم الآية وقد اختار الصحبة والاخوة فى الله سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرهما وفائدة الصحبة انها تفتح مسام الباطن ويكتسب الانسان بها علم الحوادث والعوارض قيل اعلم

الناس

الناس بالآفات اكثر آفات ويقع بطريق الصحبة والاخوة التعاضد والتعاون وتقوى جنود القلب وتستروح الارواح بالتشام وتتفق فى التوجه الى الرفيق الاعلى ويصير مثلها فى الشاهد كالاصوات اذا اجتمعت خرقت الاجرام واذا انفردت قصرت عن بلوغ المرام قال عليه السلام المومن كثير باخيه وقال تعالى مخبرا عمن لا صديق له فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والاصل فى الحميم الهميم ابدلت الها بالحاء لقرب المخرج اذ هما من حروف الحلق الهميم ماخوذ من الاهتمام اى يهتم بامر اخيه والاهتمام بمهم الصديق حقيقة الصداقة واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما لى اراك منتبذا وحدانيا قال الهى قليت الخلق من اجلك فاوحى الله اليه يا داود كن يقظانا مرتادا لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتى فلا تصحبه فانه عدو ويقسى قلبك ويبعدك منى وقد ورد فى الخبر ان احبكم الى الله الذين يالفون ويولفون والمومن آلف مالوف قال وفى هذا دقيقة ليس من اختار الوحدة والعزلة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون آلفا مالوفا فان هذه الاشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخلق الجبلى وهذا الخلق يكمل فى كل من كان اتم معرفة ويقين واوزن عقلا واتم معرفة واستعدادا وكان اوفر الناس الانبياء ثم الاولياء واتم الجميع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكل من كان من الانبياء اتم الفة كان اكثر اتباعا ونبينا صلى الله عليه وسلم كان اكثرهم الفة واكثرهم تبعا قال الله تعالى منبها على كريم ذلك الوصف منه عليه الصلاة والسلام ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ومن كان هذا الوصف فيه اقوى واتم طلب العزلة اكثر ولهذا المعنى حبب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلوة فى اول امره فكان يخلو فى غار حراء ويتحنث الليالى ذوات العدد وطلب العزلة لا يسلب كونه آلفا مالوفا وقد غلط فى هذا قوم ظنوا ان العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة قال وسر طلب العزلة لمن هذا الوصف وصفه من الانبياء ثم الامثل فالامثل

ما اسلفنا ان فى الانسان ميلا الى الجنس بالوصف الاعم فلما علم الحذاق ذلك الهمهم الله تعالى محبة الخلوة والعزلة لتصفية النفس عن الميل بالوصف الاعم لترقى الهمم العالية عن ميل الطباع الى تالف الارواح فاذا وفوا التصفية حقها اشرابت الارواح الى جنسها بتالف الاصل الاول واعادها الله الى الخلق ومخالطتهم مصفاة واستنارت النفوس الطاهرة بانوار الارواح وظهرت صفة الجبلية من الالفة المكملة آلفة مالوفة وصارت العزلة من اهم الامور عند من يالف ويولف وروى ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى راس العمود سبعون الف غرفة مشرفون على اهل الجنة يضىء حسنهم لاهل الجنة كما تضىء الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى المتحابين فى الله فاذا اشرفوا عليهم اضاء حسنهم لاهل الجنة كما تضىء الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هولآء المتحابون فى الله عز وجل وقال ابو ادريس الخولانى لمعاذ بن جبل انى احبك فى الله فقال له ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هم يارسول الله قال هم المتحابون فى الله عز وجل وقد تقدم وقال خالد بن معدان ان لله ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج وان من دعائه اللهم فكما الفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفىء النار ولا النار تذيب الثلج الف بين قلوب عبادك الصالحين وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لو ان رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب فى الله ولم يبغض فى الله ما نفعه ذلك وعن ابى القاسم القشيرى رضى الله عنه قال سمعت ابا عبد الرحمان السلمى يقول سمعت عبد الله ابن المعلم يقول سمعت ابا بكر الطمستانى يقول اصحبوا مع الله فان لم

تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركة صحبته الى محبة الله تعلى الله قال واما اداء حقوق الصحبة والاخوة فقد قال تعلى وتعاونوا على البر والتقوى وقال وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة وقال فى وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشداء على الكفار رحماء بينهم فكل هذه الآيات تنبيه من الله الكريم للعباد على اداء حقوق الصحبة فمن اختار صحبة او اخوة فادبه فى اول ذلك ان يسلم نفسه وصاحبه الى الله تعلى بالمسالة والدعاء والتضرع ويسال البركة فى الصحبة فانه يفتح على نفسه بذلك اما بابا من ابواب الجنة واما بابا من ابواب النار فان كان الله تعلى يفتح بينهما خيرا فهو من ابواب الجنة قال الله تعلى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الّا المتقين وان فتح عليهما بالاخوة شرا فهو باب من ابواب النار قال الله تعلى ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا وان كانت الآية وردت فى قصة مشهورة ولكن لله تعلى تنبيه فى ذلك لعباده على الحذر من كل خليل يقطع عن الله وقيل ان احد الاخوين فى الله تعلى يقال له ادخل الجنة فيسال عن منزل صاحبه فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى اخوه مثل منزلته فان قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول انى كنت اعمل لى وله فيعطى جميع ما يسال لاخيه ويرفع اخوه الى درجته فالصلاح فى الصحبة متوقع والفساد فيها متوقع وما كان بهذه الصفة كيف لا يحذر فى اوله ويحكم الامر فيه بكثرة الالتجا الى الله تعلى وصدق الافتقار وسوال البركة والخيرة فى ذلك وتقديم صلاة الاستخارة ثم ان اختيار الصحبة والاخوة عمل وكل عمل يحتاج الى النية والى حسن الخاتمة والحديث الطويل سبعة يظلهم الله فذكر منهم ورجلان تحابا فى الله فعاشا على ذلك وماتا عليه شاهد بان الاخوة والصحبة من شرطها حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المواخاة قيل ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده متواخيين فى الله متحابين فيه

فانه يجهد نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما وكان الفضيل يقول
اذا وقعت الغيبة ارتفعت الاخوة والاخوة فى الله مواجهة قال تعلى اخوانا
على سرر متقابلين ومتى اضمر احدهما للآخر سوء وكره منه شيئا ولم ينبهه
عليه حتى يزيله او يتسبب فى ازالته فما واجهه بل استدبره قال الجنيد
ما تواخا اثنان فى الله فاستوحش احدهما من الآخر إلّا لعلة فى احدهما
فالمواخاة فى الله اصفى من الماء الزلال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه قال ابو سعيد الخراز
صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف فقيل له
وكيف ذلك فقال لانى كنت معهم على نفسى قال ومن حقوق الصحبة
انه اذا وقعت فرقة ومباينة لا يذكر اخاه إلّا بخير قيل كان لبعضهم
زوجة وكان يعلم منها ما يكره وكان يقال له استخبارا عن حالها فيقول لا
ينبغى للرجل ان يذكر فى اهله إلّا خيرا ففارقها وطلقها فاستخبر عن ذلك
فقال امراة بعدت عنى وليست منى بشيء فكيف اذكرها وهذا من التخلق
باخلاق الله سبحانه فانه يظهر الجميل ويستر القبيح واذا وجد من احدهما
ما يوجب التقاطع فهل يبغضه او لا اختلف القول فى ذلك كان ابو ذر
يقول اذا انقلب عما كان عليه فابغضه من حيث اصبته وقال غيره لا
تبغض الاخ بعد الصحبة ولكن تبغض عمله قال الله تعلى لنبيه عليه الصلاة
والسلام فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون ولم يقل انى برئ منكم
وقيل كان شاب يلازم ابا الدرداء وكان ابو الدرداء يميزه عن غيره فابتلى
الشاب بكبيرة من الكبائر وانتهى الى ابى الدرداء ما كان منه فقيل له
لو ابعدته وهجرته فقال سبحان الله لا يترك الصاحب لشئ كان منه
وقيل الصداقة لحمة كلحمة النسب وقيل لحكيم ايما احب اليك اخوك
او صديقك فقال انما احب اخى اذا كان صديقى قال وهذا الخلاف وقع
فى المفارقة ظاهرا وباطنا والملازمة باطنا اذا وقعت المباينة ظاهرا وهو يختلف
باختلاف الاشخاص ولا يطلق القول فيه من غير تفصيل فمن الناس من

كان

كان تغيره رجوعا عن الله وظهور حكم السابقة فيجب بغضه وموافقة الحق فيه ومن الناس من كان تغيره عثرة حدثت وفترة وقعت يرجى عوده فلا ينبغي ان يبغض ولكن يبغض عمله في الحالة الحاضرة ويلحظه بعين الود منتظرا له الفرج والعود الى اوطان الصلح وقد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم لما شتم القوم الرجل الذي كان اتى فاحشة قال مه وزجرهم لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم وقال ابراهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه يركبه اليوم ويتوب غدا وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانظروا فيئته ويعلم خلوص المحبة في الله ان لا يكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق واحسان فان ما كان معلولا يزول بزوال علته ومن لا يستند في خلته الى علة يحكم بدوام خلته ومن شروط المحبة ايثار الاخ بكل ما يقدر عليه من امر الدين والدنيا قال الله تعالى يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا يحسدون اخوانهم على ما لهم وهذان الوصفان بهما يكمل وصف المحبة احدهما انتزاع الحسد عن كل شئ من امر الدين والدنيا والثاني الايثار بالمقدور وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرء على دين خليله ولا خير فيمن لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه وكان ابو معاوية الاسود يقول اخواني كلهم خير مني قيل فكيف ذلك قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضاني على نفسه فهو خير مني وانشد بعضهم

تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لم يزل على الاصدقاء يرى الفضل له

قال رضي الله عنه واما آداب الصحبة والاخوة فسئل ابو حفص عن ادب الفقراء في الصحبة فقال حفظ حرمة المشايخ وحسن العشرة مع الاخوان والنصيحة للاصاغر وترك صحبة من ليس في طبقتهم وملازمة الايثار ومجانبة الادخار والمعاونة في امر الدين والدنيا فمن ادبهم التغافل عن زلل الاخوان والنصح فيما تجب فيه النصيحة وكتم عيب صاحبه واطلاعه

على عيب يعلمه منه قال عمر رضى الله عنه رحم الله امرءً اهدى الى عيوبى والنصيحة ما كان فى السر قلت ومما احفظه من المعانى الصحيحة فى تاكيد العمل باخفاء النصيحة قوله

تعمدنى بنصحك فى انفراد وجنبنى النصيحة فى الجماعه
فان انت اعتمدت به جهارا فلا تغضب اذا لم تعط طاعه

ومن ادبهم القيام بحرمة الاخوان واحتمال الاذى منهم قال فبذلك يظهر جوهر الفقير روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه امر بقلع ميزاب كان فى دار العباس بن عبد المطلب الى الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بيده فقال اذا لا يرده لمكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر فاقامه على عاتقه ورده الى موضعه ومن ادبهم ان لا يروا لانفسهم ملكا يختصون به قال ابراهيم بن شيبان كنا لا نصحب من يقول نعلى وقال احمد بن القلانسى دخلت على قوم من الفقراء بالبصرة فاكرمونى وبجلونى فقلت لبعضهم يوما اين ازارى فسقطت من اعينهم وكان من اخلاق السلف رضى الله عنهم ان من احتاج الى شئ من مال اخيه استعمله من غير موامرة قال الله تعلى وامرهم شورى بينهم اى مشاع هم فيه سواء قال ومن ادبهم اذا استثقلوا صاحبا يتهمون ذلك منهم ويتسببون فى ازالة ذلك من بواطنهم لان انطواء الضمير على مثل ذلك للصاحب ولجة فى الصحبة قال ابو بكر الكتانى صحبنى رجل فكان على قلبى ثقيلا فوهبت له شيئا بنية ان يزول ثقله من قلبى فلم يزل فخلوت به يوما وقلت له ضع رجلك على خدى فابى فقلت له لابد من ذلك ففعل ذلك فزال ما كنت اجده فى باطنى قال الرقى قصدت من الشام الى الحجاز حتى سالت الكتانى عن هذه المسالة ومن ادبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له فى المجالس والايثار بالموضع قال وحكى ان علي بن بندار الصوفى ورد على ابى عبد الله بن خفيف زائرا فتماشيا فقال له ابو عبد

الله تـقدم فقال بای عذر قـال بانك لقيت الجنيد وما لقيته ومن ادبهـم
ترك صحبة من همه شيء من فضول الدنيا قـال الله تعلى فاعرض عمن
تولى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا ومن ادبهم بذل الانصاف وترك
مطالبته قال ابو عثمان الحيرى حق الصحبة ان توسع على اخيك من
مالك ولا تطمع فى ماله وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الانصاف
وتكون تبعا له ولا تطمع ان يكون تبعا لك وتستكثر ما يصل اليك
منه وتستقل ما يصل اليه منك ومن ادبهـم فى الصحبة لين الجانب
وترك ظهور النفس بالصولة قال ابو علي الروذبارى الصولة على من هو
فوقك قحة وعلى من هو مثلك سوء ادب وعلى من هو دونك عجز
ومن ادبهم ان لا يجرى فى كلامهم لوكان كذا ما كان كذا وليته كان كذا
وعسى ان يكون كذا قال فانهم يرون هذه التقديرات عامية ومن ادبهم فى
الصحبة حذر المفارقة والحرص على الملازمة قيل صحب رجل رجلا ثم اراد
المفارقة فاستاذن صاحبه فقال بشرط ان لا تصحب احدا إلّا اذا كان فوقنا
وان كان مماثلنا فلا تصحبه ايضا لانك صحبتنا اولا قال الرجل فزالت عن
قلبى نية المفارقة ومن ادبهم التعطف على الاصاغر قال رضى الله عنه كان
ابراهيم بن ادهم يعمل فى الحصاد ويطعم الاصحاب وكانوا يجتمعون بالليل
وهم صيام وربما كان يتاخر فى بعض الايام فى العمل فقالوا ليلة تعالوا ناكل
فطورنا دونه حتى يعود يسرع فافطروا وناموا فرجع ابراهيم فوجدهم نياما فقال
مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد الى شيء من الدقيق فانتبهوا وهو فى
النار واضع محاسنه فى التراب فقالوا له فى ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا
فطورا فنمتم فقالوا انظروا باى شيء عاملناه وباى شيء عاملنا ومن ادبهم ان لا
يقولوا عند الدعاء الى اين ولم وباى سبب قـال بعض العلماء اذا قـال
الرجل لصاحبه قم بنا فقال الى اين فلا تصحبه وقال آخر من قال لاخيه
اعطنى من مالك فقال كم تريد ما قام بحق الاخاء وقد قال الشاعر

لا يسالون اخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا

ومن ادبهم عدم التكلف للاخوان قيل لما ورد ابو حفص العراق تكلف له الجنيد انواع الاطعمة فانكر ذلك ابو حفص وقال اصحابى مثل المخانيث تقدم لهم الالوان والفتوة عندنا ترك التكلف واحضار ما حضر فان بالتكلف ربما يوثر مفارقة الضيف وبترك التكلف ربما يستوى مقامه وذهابه ومن ادبهم طلب المداراة وترك المداهنة قال رضى الله عنه وتشتبه المداراة والمداهنة والفرق بينهما ان المداراة ما اردتّ به صلاح اخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما تكره والمداهنة ما قصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ واقامة جاه قلت وقد يلوح فى الفرق بينهما ان المداراة والمداهنة قد اجتمعا فى معنى المحاسنة والملايمة والملاطفة والملاينة لكن المدارى على البراءة الاصلية اظهر ما اجن وابرز من حسن المعاملة ما اكن والمداهن اظهر غير ما اضمر واخفى خلاف ما اظهر لاقتضاء لفظ المداهنة ذلك وهذا عين النفاق المرسوم وحقيقة الزور الذى هو بالمذمة موسوم فلذلك طلبوا المداراة وتركوا المداهنة والله اعلم ومن ادبهم رعاية الاعتدال بين الانبساط والانقباض قال الشافعى رضى الله عنه الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط ومن ادبهم ستر عورات الاخوان قال عليه الصلاة والسلام لاصحابه كيف تصنعون اذا رايتم اخاكم نائما فكشف الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع فى اخيه الكلمة فيزيد عليها ويشيعها باعظم من هذا ومن ادبهم الاستغفار للاخوان بظهر الغيب والاهتمام لهم مع الله تعلى فى دفع المكاره عنهم حكى ان اخوين ابتلى احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه وقال انى ابتليت بهوى فان شئت ان لا تعقد على محبتى فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخائك لاجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقدا ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعلى من هواه فطوى اربعين يوما كلها يساله عن هواه يقول

ما

ما زال فبعد الاربعين اخبره ان الهوى قد زال فاكل وشرب ومن ادبهم ان لا يحوجوا صاحبهم الى المداراة ولا يلجئوه الى الاعتذار ولا يكلفوا الصاحب ما يشق عليه بل يكونون للصاحب من حيث هو موثرا مراد الصاحب على مراد نفسه قال علي بن ابى طالب رضى الله عنه شر الاصدقاء من احوجك الى مداراة او الجاك الى اعتذار وتكلفت له قال جعفر الصادق اثقل اخوانى علي من يتكلف لى واتحفظ منه واخفهم على قلبى من اكون معه كما اكون وحدى قال وآداب الصحبة وحقوق الاخوة كثيرة والحكايات فى ذلك يطول جلبها قال وقد رايت فى كتب ابى طالب المكى من الحكايات فى هذا المعنى شيئا كثيرا وقد اودع كتبه من ذلك كل شيء حسن رحمة الله عليه

* فصل فى ذكر الادب بين الشيخ والمريد *
* وبسط ذلك لمن اراد السلوك والتجريد *

فللقوم رضى الله عنهم فى ذلك ملاحظ جلية ومقاصد لها فى سوق الاجادة غرر جميلة ولهم فى ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقد قال تعلى منبها على قدره العظيم ومعرفا بما له من واجب البر والتعظيم يايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وفى معنى التقدم بين يديه عليه السلام تاويلات كثيرة لا يسعنا المحل فيها لبسط الكلام قال الامام الاوحد شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه ادب المريد مع الشيخ ان يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف فى نفسه وماله إلّا بمراجعة الشيخ وامره وينبغى له فى مجلس الشيخ ان يلزم السكوت ولا يقول شيئا بحضرته من كلام حسن إلّا اذا استاذن الشيخ ووجد منه فسحة فى ذلك وشان المريد فى حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل البحر ينتظر رزقا يساق اليه فتطلعه الى الاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطلعه الى القول يرده عن

مقام الطلب والاستزادة الى مقام اثبات شيء لنفسه وذلك خيانة المريد قال وينبغى ان يكون تطلعه الى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسوال من الشيخ على ان الصادق لا يحتاج الى السوال باللسان فى حضرة الشيخ بل يباديه الشيخ بما يريد لان الشيخ يكون مستنطقا انطقه الحق وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه الى الله تعلى ويستمطر ويستسقى لهم فيكون لسانه وقلبه فى القول والنطق ماخوذين الى مهم الوقت من احوال الطالبين المحتاجين الى ما يفتح عليهم لان الشيخ يعلم تطلع الطالب الى قوله واعتداده به فالقول كالبذر يقع فى الارض فاذا كان البذر فاسدا لا ينبت وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها فالشيخ ينقى بذر الكلام عن شوب الهوى ويسلمه الى الله تعلى ويسال الله المعونة والسداد ثم يقول فيكون قوله بالحق من الحق للحق فالشيخ للمريدين امين الالهام كما ان جبريل امين الوحى فكما لا يخون جبريل فى الوحى لا يخون الشيخ فى الالهام وكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى كذلك الشيخ مقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا لا يتكلم بهوى النفس وهوى النفس فى القول بشيئين احدهما طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه اليه وما هذا من شان الشيوخ والثانى ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب وذلك خيانة عند المحققين والشيخ فيما يجرى على لسانه راقد النفس يشغله مطالعة نعم الحق فى ذلك واخذ الحظ من فوائده عن ظهور النفس بالاستحلاء والعجب ويكون الشيخ فيما يجرى الله سبحانه على لسانه مستمعا كاحد المستمعين وكان الشيخ ابو السعود رحمة الله عليه يتكلم مع الاصحاب بما يلقى اليه وكان يقول انا فى هذا الكلام مستمع كاحدكم فاشكل ذلك على بعض الحاضرين فقال اذا كان القائل وهو يعلم ما يقول كيف يكون كمستمع ما يعلم حتى يسمع منه فراى ليلته فى المنام كان قائلا يقول له اليس الغواص يغوص فى البحر لطلب الدر ويجمع الصدف فى مخلاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه الّا اذا خرج من البحر

ويشاركه

ويشاركه فى روية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام اشارة الشيخ فى ذلك فاحسن آداب المريد مع الشيخ السكون والخمود والجمود حتى يباديه الشيخ بما له فيه الصلاح قولا وفعلا وقيل ايضا فى قوله تعلى لا تقدموا بين يدى الله ورسوله لا تطلبوا منزلة وراء منزلته قال وهذا من محاسن الآداب واعزها فينبغى للمريد ان لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب للشيخ كل منزلة عالية ويتمنى للشيخ عزيز المنح وغرائب المواهب وبهذا يظهر جوهر المريد فى حسن الارادة وهذا يعز فى المريدين فارادته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه ويكون قائما بادب الارادة قال السرى رحمه الله حسن الادب ترجمان العقل وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لى رويم يابنى اجعل علمك ملحا وادبك دقيقا وقيل التصوف كله ادب لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم الادب بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول وقد جاء فى احد التاويلات فى قوله تعلى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول اى لا تغلظوا له فى الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمد يا احمد كما ينادى بعضكم بعضا ولكن فخموه واحترموه وقولوا يا نبى الله يا رسول الله قال ومن هذا القبيل يكون خطاب المريد مع الشيخ واذا سكن الوقار القلب علم اللسان كيفية الخطاب ولما كلفت النفوس بمحبة الاولاد والازواج وتمكنت اهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان عبارات غريبة هى نحت وقتها صاغها كلف النفس وهواها واذا امتلا القلب حرمة ووقارا تعلم اللسان العبارة وقال ابو عثمان الادب عند الاكابر وفى مجالس السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير فى الاولى والعقبى الا ترى الى قول الله تعلى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وفى هذا تاديب المريد فى الدخول على الشيخ والاقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره الى ان يخرج الشيخ من موضع خلوته قال رضى الله عنه سمعت ان الشيخ عبد القادر

رحمة الله عليه كان اذا جاء اليه فقير زائر يخبر بالفقير فيخرج اليه ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ويرجع الى خلوته ولا يجالس معه واذا جاء احد ممن ليس هو من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقراء نوع انكار بتركه الخروج الى الفقير وخروجه لغير الفقير فانتهى ما خطر للفقير الى الشيخ فقال الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية وهو اهل ليس عنده اجنبية فنكتفى معه بموافقة القلوب ويقنع من ملاقاة الظاهر بهذا القدر واما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر فمتى لم يوف حقه من الظاهر استوحش فحق المريد عمارة الباطن والظاهر بالادب مع الشيخ قيل لابى منصور المغربى كم صحبت ابا عثمان قال خدمته لا صحبته فالصحبة مع الاخوان والاقران ومع المشايخ خدمة وينبغى للمريد انه كلما اشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل اشياء ينكرها موسى فاذا اخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن انكاره فما ينكره المريد لقلة علمه بما يوجد من الشيخ وجهله بحقيقته فللشيخ فى كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة سال بعض اصحاب الجنيد مسالة من الجنيد فاجابه الجنيد فعارضه فى ذلك فقال الجنيد فان لم تومنوا لى فاعتزلون وقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تادب به حرم بركة ذلك الادب وقيل من قال لاستاذه لا لا يفلح ابدا وقال ابو عثمان صحبت ابا حفص وانا غلام حدث نطردنى وقال لا تجلس عندى فلم اجعل مكافاتى له على كلامه ان اولى ظهرى اليه فانصرفت امشى الى خلف ووجهى مقابل له حتى غبت عنه فاعتقدت انى احفر لنفسى بيرا على بابه وانزل واقعد فيها ولا اخرج منها إلّا باذنه فلما راى ذلك منى قربنى وقبلنى وصيرنى من خواص اصحابه الى ان مات رحمة الله عليه قال ومن آدابهم الظاهرة ان المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ إلّا لوقت الصلاة فان المريد من شانه التبتل للخدمة وفى السجادة ايماء الى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك فى السماع مع وجود

الشيخ

الشيخ إلّا ان يخرج عن حد التمييز وهيبة الشيخ تملك المريد عن الاسترسال
فى السماع وتقيده واستغراقه فى الشيخ بالنظر اليه ومطالعة موارد فضل
الحق عليه انجع من الاصغاء الى السماع ومن الادب ان لا يكتم الشيخ
شيئا من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة واجابة دعوة
ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله منه وما يستحى من كشفه يذكره
ايماءً او تعريضا فان المريد متى انطوى ضميره على شئ لا يكشفه للشيخ
صريحا او تعريضا يصير على باطنه منه عقدة فى الطريق وبالقول مع
الشيخ تنحل العقدة وتزول ومن الادب ان لا يدخل صحبة الشيخ إلّا بعد
علمه فان الشيخ قيم بتاديبه وتهذيبه وانه اقوم بالتاديب من غيره وما
كان المريد يتطلع الى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه فان
المريد كلما ايقن بتفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمحبة
والتالف هو الواسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية
الحال لان المحبة علامة التعارف فبالتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة
للمريد حال الشيخ او بعض حاله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه لا ينبغى ان يخذله ولا يستاثر
عليه فمن فعل ذلك فصم عروة من عرا الاسلام ومن الادب ان يراعى خطرات
الشيخ فى جزئيات الامور وكلياتها ولا يستحقر كراهية الشيخ ليسير حركاته
معتمدا على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته قال ابراهيم بن شيبان كنا
نصحب ابا عبد الله المغربى ونحن شبان ويسافر بنا فى البرارى والفلوات
وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين سنة فكان اذا جرى من احدنا
خطا وتغير عليه الشيخ يشفع اليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا الى ما كان
ومن الادب ان لا يستقل بواقعته وكشفها دون الشيخ فان الشيخ علمه اوسع
وبابه المفتوح الى الله اكبر فان كان واقع المريد من الله يوافقه الشيخ
ويمضيه وما من عند الله لا يختلف وان كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة
بطريق الشيخ ويكتسب المريد علما بصحة الوقائع والكشوف فالمريد

لعله فى واقعة يخامره كمون ارادة فى النفس فيشبك كمون الارادة بالواقعة منامًا كان ذلك او يقظة ولهذا سر عجيب ولا يقوم المريد باستيصال شافة الكامن فى النفس واذا ذكره للشيخ فما فى المريد من كمون ارادة النفس فان كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وان كان ينزع واقعته الى كمون هوى النفس يزول وتبرا ساحة المريد ويتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله وصحة ايوائه الى جانب الحق وكمال معرفته ومن الادب مع الشيخ ان المريد اذا كان له كلام مع الشيخ فى شىء من امر دينه او امر دنياه لا يستعجل بالاقدام على كلامه للشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ انه مستعد له واسماع كلامه ولقوله متفرغ فكما ان للدعاء اوقاتا وادابا وشروطا لان الدعاء مخاطبة الله فللقول مع الشيخ ايضا اداب وشروط لانه من ادب الله تعالى ويسال الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الادب وقد نبه الحق سبحانه على ذلك فيما امر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به فى مخاطبته فقال يايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة يعنى امام مناجاتكم قال عبد الله بن عباس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا حتى شقوا عليه واحفوه بالمسالة فادبهم الله تعالى وفطمهم عن ذلك وامرهم ان لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الاغنياء ياتون النبى صلى الله عليه وسلم ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره النبى صلى الله عليه وسلم طول حديثهم ومناجاتهم فامر الله بالصدقة عند المناجاة فلما راوا ذلك انتهوا عن مناجاته فاما اهل العسرة فانهم لم يجدوا شيئا واما اهل اليسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وهو قوله تعالى آشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقة وقيل لما امر الله بالصدقة لم يناج رسول الله صلى الله عليه وسلم الّا علي بن ابى طالب رضى الله عنه فقدم دينارا فتصدق به وقال علي فى كتاب الله آية ما عمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى وروى

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية دعا عليا وقال ما ترى في الصدقة كم تكون دينارا قال علي لا يطيقونه قال كم قال علي لتكون حبة او شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية وما نبه الحق عليه بالامر بالصدقة فيه من حسن الادب وتقييد اللفظ والاحترام ما نسخ والفائدة باقية وقال عليه السلام ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقا فاحترام العلماء توفيق وهداية واهمال ذلك خذلان وعقوق

* فصل في حال الشيخ وآدابه *
* وما يعتمده مع مريديه واصحابه *

قال الامام السهروردي رضي الله عنه اهم الادب ان لا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع فاذا راى ان الله تعلى يبعث اليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الارادة يحذر ان يكون ذلك ابتلاء واختبارا من الله تعلى والنفوس مجبولة على محبة قبول الخلق والشهرة وفي الخمول السلامة فاذا بلغ الكتاب اجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله تعلى اياه انه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم حينئذ كلام الناصح المشفق والوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه وكل مريد ومسترشد ساقه الله اليه يراجع الله تعلى في معناه ويكثر اللجا اليه ان يتولاه فيه وفي القول معه ولا يتكلم مع المريد بالكلمة إلّا وقلبه ناظر الى الله ومستعين به في الهداية للصواب من القول قال وسمعت شيخنا ابا النجيب السهروردي رحمه الله يوصي بعض اصحابه ويقول لا تكلم احدا من الفقراء إلّا في اصفى اوقاتك وهذه وصية نافعة لان الكلمة تقع في سمع المريد الصادق كالحبة تقع في الارض وقد ذكرنا ان الحبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام الهوى وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم ثم ينبغي للشيخ

ان يكون يعتبر حال المريد ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة ما يتاتى منه وقوة صلاحيته واستعداده فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض وطريق الابرار ومن المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملات القلوب والمعاملات السنية ولكل من الابرار والمقربين مباد ونهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والعجب ان الصحراوى يعلم الاراضى والغروس ويعلم كل غرس وارضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المراة تعلم قطنها وما يتاتى منه من الغزل ودقته وغلظه ولا يعلم الشيخ حال المريد وما يصلح له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس على قدر عقولهم ويامر كل شخص بما يصلح له فمنهم من كان يامره بالانفاق ومنهم من يامره بالامساك ومنهم من يامره بالكسب ومنهم من قرره على ترك الكسب كاصحاب الصفة وكان عليه الصلاة والسلام يعرف اوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فاما فى رتبة الدعوة كان يعمم الدعوة لانه مبعوث لاثبات الحجة وايضاح المحجة يدعو على الاطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره ومن ادب الشيخ ان تكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسعه فيه معاناة الخلق حتى يفيض على جلوته فائدة خلوته ولا تدعى نفسه قوة ظنا منها ان استدامة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا ياخذ منه وانه غير محتاج الى الخلق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع كمال حاله له قيام الليل وصلاة يصليها ويدوم عليها واوقات يخلو فيها وطبع البشر لا يستغنى عن السياسة قل ذلك او كثر لطف ذلك او كثف وكم من مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك راس ماله واغتر بطيبة قلبه واسترسل فى الممازجة والمخالطة وجعل نفسه مناخا للبطالين بلقمة تؤكل عنده ورفق يوخذ منه فيقصده من ليس قصده الدين ولا بغيته سلوك طريق المتقين فافتتن وفتن وبقى فى خطة التصور

ووقف فى دائرة الفتور فمـا يستغنى الشيخ عن الاستمداد من الله تعلى والتضرع بين يديه فيكون له فى كل كلمة الى الله رجوع وفى كل حركة بين يديه خضوع وانمـا دخلت الفتـنة على المغرورين المدعين للقـوة والاسترسال فى الكلام لقلة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من الموهبة وقلة تادبهم بالشيوخ كان الجنيد رحمه الله تعلى يقول لاصحابه لو علمت ان صلاة ركعتين لى افضل من جلوسى معكم مـا جلست عندكم فاذا راى الفضل فى الخلوة يخلو واذا راى الفضل فى الجلوة يجلس مع الاصحاب فتكون جلوته فى حماية خلوته وخلوته مزيدا لجلوته قال ومن وظيفة الشيخ وحسن خلقه مع اهل الارادة والطلب النزول من حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم للمشايخ واستعماله التواضع حكى الرقى قال كنت بمصر وكنا فى المسجد وجماعة من الفقراء جلوس فدخل الزقاق فقام عند اسطوانة يركع فقلنا يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم نسلم عليه فلمـا فرغ جاء الينا وسلم علينا فقلنا نحن كنا اولى بهذا من الشيخ فقال ما عذب الله قلبى بهذا قط يعنى ما تقيدت بان احترم واقصد قال ومن ادب الشيخ وحسن خلقه مع اهل الارادة والطلب النزول الى حـال المريدين من الرفق بهم وبسطهم فاذا فعل الشيخ ذلك من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك الى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم قال ومن ادب الشيخ التعطف على الاصحاب وقضاء حقوقهم فى الصحة والمرض ولا يترك حقوقهم اعتمادا على ارادتهم وصدقهم قال بعضهم لا تضيع حق اخيك بمـا بينك وبينه من المودة وحكى عن الحريرى قال وافيت من الحج فابتدات بالجنيد وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنى ثم اتيت منزلى فلما صليت الغداة التفت واذا بـالجنيد خلفى فقلت يا سيدى انما ابتدات بالسلام عليك لكى لا تتعنى الى ههنا فقال لى يا ابا محمد هذا حقك وذلك فضلك ومن ادب الشيوخ انهم اذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا فى مراغمة النفس وقهرهـا واعتماد صدق العزيمة ان يرفقوا به ويوقفوه على حد الرخصة

ففى ذلك خير كثير وما دام العبد لا يتعدى حريم الرخصة فهو بخير واذا ثبت وخالط الفقراء وتدرب فى لزوم الرخصة تدرج بالرفق الى اركان العزيمة قال ابو سعيد بن الاعرابى كان شاب يعرف بابراهيم الصائغ وكان لابيه نعمة فانقطع الى الصوفية وصحب ابا احمد القلانسى فربما كان يقع بيد ابى احمد القلانسى شئ من الدراهم فكان يشترى له الرقاق والحلواء والشواء ويوثره علينا ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة فيجب ان نرفق به ونوفر عليه ومن ادب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من الاوجه لانه جاء لله تعلى فيجعل نفسه وارشاده خالصا لوجهه مما يسدى الشيخ الى المريد من افضل الصدقات وقد ورد ما تصدق متصدق بصدقة افضل من علم يبثه فى الناس وقد قال تعلى تنبيها على خلوص ما لله وحراسته من الشوائب انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا فلا ينبغى للشيخ ان يطلب على صدقته جزاءً الّا ان يظهر له فى شئ من ذلك علم يرد عليه من الله فى قبول الرفق به او صلاح يتراآى للشيخ فى حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد مامونة الغائلة من جانب الشيخ قال الله تعلى يوتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا معنى يحفكم اى يجهدكم ويلح عليكم وهذا تاديب من الله الكريم والادب ادب الله وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد انه اذا خرج من الشئ يكسبه من الحال ما لا يتطلع معه الى المال فحينئذ يجوز له ان يفسح للمريد فى الخروج من المال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق رضى الله عنه وقبل منه جميع ماله ومن ادب الشيخ اذا راى من بعض المريدين مكروها او علم من حاله اعوجاجا او احس منه او راى انه داخله عجب انه لا لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم على الاصحاب ويشير الى المكروه الذى يعلمه ويكشف عن وجه المذمة مجملا فتحصل بذلك الفائدة الى الكل

فهذا

فهذا اقرب الى المداراة واكثر اثرا لتالف القلوب واذا راى من المريد تقصيرا
فى خدمة ندب اليها ويحتمل تقصيره و يعفو عنه ويحرضه على الخدمة
واللين والى ذلك ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به ابن
عمر رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله كم اعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة ومن جملة مهام الادب
حفظ اسرار المريدين فيما يكاشفون به ويمنحون من انواع المنح فسر المريد
لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ فى نفس المريد ما يجده فى خلوته
من كشف او سماع خطاب او شئ من خوارق العادات ويعرفه ان
الوقوف مع شئ من هذا مشغل عن الله تعلى بل يعرفه ان هذه نعمة
تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرفه ان شان المريد طلب المنعم لا
النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فاذاعة
الاسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لاذاعة الاسرار يوصف
به النسوان وضعفاء العقول من الرجال وسبب اذاعة السر ان للانسان
قوتين آخذة ومعطية وكلاهما يتشوف الى الفعل المختص به ولولا ان الله
وكل المعطية باظهار ما عندها ما ظهرت الاسرار فالكامل العقل كلما طلبت
القوة الفعل قيدها ورزنها بالعقل حتى يضعها مواضعها فيجل حال الشيوخ
عن اذاعة الاسرار لرزانة عقولهم وينبغى المريد ان يحفظ سره ففى ذلك
صحته وسلامته وتاييد الله يتدارك المريدين الصادقين فى موردهم ومصدرهم
والله الموفق والمعين

* فصل فى حكم السماع قبولا وايثارا * وردا وانكارا * * وترفعا واستغناء * وتادبا واعتناء *

قال الامام السهروردى رضى الله عنه قال الله تعلى فبشر عبادى الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو
الالباب قيل احسنه اى اهداه وارشده وقال تعلى واذا سمعوا ما انزل الى

الوسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال هذا هو السماع
الحق الذى لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية
واللب وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه
تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما
والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات ممن هو صاحب قلب مملو ببرد
اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا عصرتا ماء فاذا الم
السماع بالقلب تارة يخف الماه فيظهر اثره فى الجسد ويقشعر منه الجلد
قال الله تعلى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه
ويتصوب اثره الى فوق نحو الدماغ كالمخبر للعقل بعظم وقع التجدد الحادث
فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب اثره الى الروح فيموج منه الروح
موجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب
وهذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب الاحوال وقد يحكيها بدلائل
هوى النفس ارباب الحال روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان
ربما مر بالآية فى ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت يوما او يومين حتى
يعاد ويحسب مريضا فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم قرا ابى
ابن كعب عند رسول الله صلى عليه وسلم فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة وقال عليه الصلاة والسلام اذا
اقشعر جلد العبد خشية لله تحاتت عنه الذنوب كما يتحات عن الشجرة
اليابسة ورقها وورد ايضا اذا اقشعر الجلد من خشية حرمه الله تعلى على
النار قال وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها انما الاختلاف فى سماع الاشعار
بالالحان وقد كثرت الاقوال فى ذلك وتباينت الاحوال فمن منكر يلحقه
بالفسق ومن مولع به يشهد بانه واضح الحق ويتجاذبان فى طرفى الافراط
والتفريط قيل لابى الحسن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد والسرى
وذو النون يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازوه وسمعه من هو
خير منى وقد كان جعفر الطيار يسمع وانما المنكر اللهو واللعب في السماع

قال وهذا قول صحيح وعن عائشة رضى الله عنها ان ابا بكر دخل عليها
وعندها جاريتان تغنيان وتضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم
مسجى بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
وجهه وقال دعهما يابا بكر فانها ايام عيد قال وذكر الشيخ ابو طالب المكى
رحمه الله ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابى وتابعى
وغيرهم قال وقول الشيخ ابى طالب المكى يعتبر لوفور علمه وكمال حاله
وعلمه بحال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الاصوب والاولى وقال
في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى
فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية او زوجة كان
شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب بمشاهدة معان تدله على الدليل
وتشهده طرقات الجليل فهو مباح هذا قول الشيخ ابى طالب المكى قال
وهو الصحيح فاذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع
كفعل القراء المتزهدين المبالغين فى الانكار ولا يفسح فيه على الاطلاق كفعل
بعض المشتهرين المهملين شروطه وآدابه المقيمين على الاصرار قال ونفصل
الامر فيه تفصيلا ونوضح الماهية فيه تحريما وتحليلا فاما الدف
والشبابة وان كان فى مذهب الشافعى فيهما فسحة فالاولى تركهما والاخذ
بالاحوط والخروج من الخلاف واما غير ذلك: فان كان من القصائد التى
فى ذكر الجنة والنار والتشويق الى دار القرار ووصف نعيم الملك الجبار
وذكر العبادات والترغيب فى الخيرات فلا سبيل الى الانكار ومن ذلك
القبيل قصائد الحجاج والغزاة فى وصف الحج والغزو مما يثير كامن العزم
من الغازى وساكن الشوق من الحاج واما ما كان فيه ذكر القدود
والخدود ووصف النساء فلا يليق باهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك
واما ما كان من ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصد مما يقرب حمله
على امور الحق سبحانه من تلون احوال المريدين ودخول الآفات على
الطالبين فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات او تجدد عنده

عزم لما هوات فكيف ينكر سماعه وقد قيل ان بعض الواجدين كان يقتات السماع ويتقوى به على الطى والوصال ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنه لهب الجوع فاذا استمع العبد الى بيت من الشعر وقلبه حاضر فيه وسمع الحادى مثلا يقول

فاما من هوى ليلى وحبى زيارتها فانى لا اتوب

وطاب قلبه لما يجده من قوة عزمه على الثبات فى امر الحق الى المماة يكون فى سماعه هذا ذاكرا لله تعلى سئل رويم عن وجد الصوفية عند السماع فقال يتنبهون للمعانى التى تعزب عن غيرهم فتشير اليهم الى الى فينعمون بذلك من الفرح ويقع الحجاب للوقت فيكون ذلك الفرح بكاء فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يبكى ومنهم من يصيح وقيل فى قوله تعلى يزيد فى الخلق ما يشاء قال الصوت الحسن وروت عائشة رضى الله عنها قالت كانت عندى جارية تسمعنى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على حالتها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله فحدثه حديث الجارية فقال لا ابرح حتى اسمع ما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمعته وذكر الشيخ ابو طالب المكى رحمه الله انه كان لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يستمعون اليهما وقال ادركنا ابا مروان القاضى له جوار يسمعن التلحين اعدهن للصوفية قال وهذا قول نقلته من قول الشيخ ابى طالب وعندى اجتناب ذلك هو الصواب وهذا لا يسلم الّا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعلى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وما هذا القول من الشيخ ابى طالب الّا مستغرب عجيب والتنزه عن مثل ذلك هو الصحيح وفى الحديث من مدح داود عليه السلام انه كان حسن الصوت بالنياحة على نفسه وبتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه آلاف من الجنائز وقال عليه الصلاة والسلام

فى مدح ابى موسى الاشعرى لقد اعطى مزمارا من مزامير آل داود ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يا رسول الله قرآن وشعر فقال من هذا مرة ومن هذا مرة وانشد النابغة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا خير فى علم اذا لم تكن له   بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى امر اذا لم يكن له   حكيم اذا ما اورد الامر اصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنت يا ابا ليلى لا فض الله فاك فعاش اكثر من مائة سنة وكان احسن الناس ثغرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد فيقوم على المنبر قائما يهجو الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول عليه الصلاة والسلام ان روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورای بعض الصالحين ابا العباس الخضر قال قلت له ما تقول فى السماع الذى يختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفو الزلال لا يثبت عليه الّا اقدام العلماء ونقل عن ممشاد الدينورى قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما انكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن فقلت يا رسول الله انهم يوذوننى وينبسطون فقال احتملهم يا ابا علي هم اصحابك فكان ممشاد يفتخر ويقول كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم واما وجه الانكار فيه فهو ان يرى جماعة من المريدين دخلوا فى مبادى الارادة ونفوسهم ما تمرنت على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور صفات النفس واحوال القلب حتى تنضبط حركاتهم بقانون العلم ويعلمون ما لهم وعليهم حكى ان ذا النون لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال فاستاذنوه فاذن لهم فانشد القوال

صغير هواك عذبنى   فكيف به اذا احتنكا
وانت جمعت من قلبى   هوى قد كان مشتركا

اما ترثى لمكتئب اذا ضحك الخلى بكى

فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على وجهه والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الارض ثم قام واحد منهم فنظر اليه ذو النون وقال الذى يراك حين تقوم فجلس الرجل فكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه انه غير كامل الحال الصالح للقيام متواجدا فيقوم احدهم من غير بصيرة وعلم فى قيامه وذلك اذا سمع ايقاعا موزونا بسمع يودى ما يسمعه الى طبع موزون فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع الموزون وينسبل جاب نفسه المنبسط بانبساط الطبع الموزون على وجه القلب ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم يرقص موزونا ممزوجا بتصنع محرم عند اهل الحق ويحسب ذلك طيبة القلب وما راى وجه القلب وطيبته بالله ولعمرى هو طيبة القلب ولكن قلب ملون بلون النفس ميال الى الهوى لا يهتدى الى حسن النية فى الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادة ولمثل هذا الراقص يقال الرقص نقص لانه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لاسيما ان كان القوال امرد تجذب النفوس للنظر اليه وتستلذ ذلك وتضمر خواطر السوء او يكون للنساء اشراف على الجمع وتتراسل البواطن المملوة من الهوى بسفارة الحركات والرقص اظهار التواجد فيكون ذلك الفسق المجمع على تحريمه فمن هنا توجه للمنكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكم من حركات موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب رونق الوقت وهذا انكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بايقاع وزن من غير اظهار وجد وحال ووجه نيته فى ذلك انه ربما يوافق بعض الفقراء فى الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجدا يجعل حركته فى طرف الباطل لانها وان لم تكن محرمة فى حكم الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال لما فيها من اللهو فتصير حركاته ورقصه من قبيل المباحات التى تجرى عليه من الضحك والمداعبة وملاعبة الاهل والاولاد ويدخل ذلك فى باب الترويح للقلب وربما صار ذلك عبادة بحسن النية اذا نوى به استجمام النفس

كما

كما نقل عن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال انى لاستجم بشئ من الباطل ليكون ذلك عونا لى على الحق ولموضع الترويح كرهت الصلاة فى اوقات ليستريح عمال الله وترتفق النفوس وتستطيب اوطان المهل فاذا يخرج هذا الراقص بهذه النية من انكار المنكر ويكون رقصه لا عليه ولا له وربما كان بحسن النية فى الترويح يصير عبادة سيما ان اضمر فى نفسه فرحا بربه ونظرا الى شمول رحمته وعطفه ولا يليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدى به لما فيه من مشابهة اللهو واللهو لا يليق بمنصبهم واما منع الانكار فى السماع فهو ان المنكر للسماع على الاطلاق من غير تفصيل لا يخلو من احد امور ثلاثة اما جاهل بالسنن والآثار واما مغتر بما اتيح له من اعمال الاخيار واما جامد الطبع لا ذوق له مصر على الانكار وكل واحد من هولاء الثلاثة يقابل بما سوف يقبل اما الجاهل فيعرف ما اسلفنا من حديث عائشة رضى الله عنها والاخبار والآثار فى ذلك وفى حركة بعض المتحركين يعرف رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم للحبشة فى الرقص ونظر عائشة اليهم معه عليه الصلاة والسلام اذا سلمت الحركة من المكاره واما المغتر فيقال له تقربك الى الله تعلى بالعبادة لنيتك لا لشغل جوارحك بها ولولا نية قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر فانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فالسامع من الشعر بيتا ياخذ منه معنى يذكره ربه اما فرحا او خوفا او انكسارا او افتقارا كيف تقلب قلبه فى انواع ذلك ذاكرا لربه ولو سمع صوت طائر طاب له ذلك الصوت وتفكر فى قدرة الله تعلى وتسويته حنجرة الطائر وتسخيره خلقه ومنشا الصوت وتاديته الى الاسماع كان فى جميع ذلك الفكر مسبحا مقدسا فاذا سمع صوت آدمى وحضره مثل ذلك الفكر وامتلا باطنه ذكرا وفكرا كيف ينكر ذلك بلى اذا كان ذلك الصوت من امرد يخشى بالنظر اليه الفتنة او من امراة غير محرم وان وجد من الاذكار والافكار ما ذكرنا يحرم سماعه لخوف الفتنة لا لمجرد الصوت ولكن يجعل سماع الصوت حريم الفتنة ولكل

حرام حريم ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة واما جامد الطبع
فيقال له العنين لا يعلم لذة الوقاع والمكفوف ليس له بالجمال استمتاع
فما ذا تنكر من محب قد تربى باطنه بالشوق والمحبة ويرى انحباس
روحه الطيارة فى مضيق قفص النفس الامارة يمر بروحه نسيم انس الاوطان
وتلوح له طوالع جنود العرفان وهو بوجود النفس فى دار الغربة بتحريم
كاس الهجران يئن تحت اعياء المجاهدة ولا تحمل عنه بسوانح المشاهدة
وكلما قطع منازل النفس بكثرة الاعمال لا يقرب من كعبة الوصال ولا يكشف
له المسبل من الجمال فيستروح بتنفس الصعداء ويرتاح للانين من شدة
البرحاء **حكى** بعض المشايخ قال رايت جماعة ممن يمشى على الماء
والهواء يسمعون السماع ويجدون ويولهون عنده وقال بعضهم كنا على
الساحل فسمع بعض اخواننا فجعل يتقلب على الماء يمر ويجيء حتى رجع
الى مكانه ونقل ان بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس
بها ونقل ان بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فاخذ شمعة
فجعلها فى عينه قال الناقل فقربت من عينه انظر فرايت نارا او نورا
يخرج من عينه يرد نار الشمعة **وحكى** عن بعضهم انه كان اذا وجد عند
السماع ارتفع من الارض فى الهواء اذرعا يمر ويجيء فى الهواء ويقول
الشيخ ابو طالب المكى فى كتابه ان انكرنا السماع مجملا مطلقا غير مقيد
مفصل يكون انكارنا على سبعين صديقا وان كنا نعلم ان الانكار اقرب الى
قلوب القراء والمتعبدين إلّا انا لا نفعل ذلك لانا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا
عن السلف من الاصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن
علمه الوافر بالسنن والآثار مع اجتهاده وتحريه الصواب ولكن نبسط لاهل
الانكار لسان الاعذار ونوضح لهم الفرق بين سماع يوثر وسماع ينكر سمع
الشبلى قائلا يقول

اسائل عن سلمى فهل من مخبر ... يكون له علم بها اين تنزل

فزعق وقال لا والله ما فى الدارين عنه مخبر قال وقول القائل ان هذه

الهيئة

الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له انما البدعة المحذورة الممنوع منها بدعة تزاحم سنة مامورة وما لم يكن هكذا فلا باس به وهذا كالقيام للداخل لم يكن وكان من عادة العرب ترك ذلك حتى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يدخل ولا يقام له وفى البلاد التى هذا القيام عادتهم اذا اعتمد ذلك لتطييب القلوب والمداراة لا باس به لان تركه يوحش القلوب و يوغر الصدور فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصحبة ويكون بدعة لا باس بها لانها لا تزاحم سنة مامورة واما رده وانكاره فحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه اقوام قلت اعمالهم وانفسدت احوالهم واكثروا الاجتماع للسماع وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب فى السماع كما كان من سير الصادقين فيصير السماع معلولا تركن اليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات و ينقطع لذلك عن المريد طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الاوقات وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة فى الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واستروا حا الى الطرب واللهو والعشرة ولا يخفى ان هذا الاجتماع مردود عند اهل الصدق فكان يقال لا يصح السماع إلّا لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدى وقال الجنيد اذا رايت المريد يطلب السماع فاعلم ان فيه بقية البطالة وقيل ان الجنيد ترك السماع فقيل له كنت تسمع فقال مع من فقيل له تسمع انت لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون إلّا من اهل مع اهل فلما فقدوا الاخوان ترك فما اختاروا السماع حيث اختاروه إلّا بشروط وقيود وآداب يذكرون به الآخرة و يرغبون به فى الجنة ويحذرون من النار و يزداد به طلبهم وتحسن به احوالهم و يتفق لهم ذلك اتفاقا فى بعض الاحايين لا ان يجعلوه دابا وديدنا حتى يتركوا لاجله الاوراد قال الشافعى فى كتاب القضاء الغناء لهو مكروه يشبه الباطل وقال من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته واتفق اصحابه ان المراة غير المحرم لا يجوز

الاستماع اليها سواء كانت حرة او مملوكة او مكشوفة الوجه او من وراء حجاب ونقل عن الشافعى انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال لا باس بالقراءة بالالحان وتحسين الصوت بها باى وجه كان وعن مالك رضى الله عنه اذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله ان يردها بالعيب وهو مذهب سائر اهل المدينة وهكذا مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه سماع الغناء من الذنوب وما اباحه إلّا نفر قليل من الفقهاء ومن اباحه من الفقهاء لم ير اعلانه فى المساجد والبقاع الشريفة وقيل فى تفسير قوله تعلى ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال عبد الله بن مسعود هو الغناء والاستماع اليه وقيل فى قوله تعلى وانتم سامدون اى مغنون روى عكرمة عن عبدالله بن عباس قال هو الغناء بلغة حمير يقول اهل اليمن سمد فلان اذا غنى وقال مجاهد فى قوله تعلى واستفزز من استطعت منهم بصوتك الغناء والمزامير وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى وقال بعضهم اياكم والغناء فانه يزيد فى الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر قال وهذا الذى ذكره هذا القائل صحيح لان الطبع الموزون يفيق بالغناء والاوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقة بالاصابع والرقص والتصفيق وتصدر منه افعال تدل على سخافة العقل وما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع الشعر لا يدل على اباحة الغناء فان الشعر كلام منظوم وغيره كلام منثور فحسنه حسن وقبيحه قبيح وانما يصير غناء بالالحان وقال عبد الله بن عروة بن الزبير قلت لجدتى اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما وصفهم الله تعلى تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال قلت ان اناسا اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان عبد الله بن عمر رضى الله

عنهما مر برجل من اهل العراق يتساقط قال ما لهذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط ان الشيطان ليدخل فى جوف احدهم ما هكذا كان يصنع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وليس هذا القول انكارا منهم على الاطلاق اذ يتحقق ذلك لبعض الصادقين وقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لقصور علم ومخامرة جهل ممزوج بهوى يلم باحدهم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل ان ذلك يضر بدينه وقد لا يجهل ان ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا يخرج الوجد عن الحد الذى ينبغى ان يقف عليه وهذا يأتى الصدق واما القول فيه ترفعا واستغناء فهو ان الوجد يشعر بسابقة فقد فمن لم يفقد لم يجد وانما كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه فلو تمحض عبدا تمحض حرا ومن تمحض حرا افلت من شرك الوجد فشرك الوجد يصطاد البقايا ووجود البقايا لتخلف شئ من العطايا قال الحصرى رحمه الله ما ادون حال من يحتاج الى مزعج يزعجه فالوجد بالسماع فى حق المحق كالوجد بالسماع فى حق المبطل من حيث النظر الى انزعاجه وتاثر الباطن به وظهور اثره على الظاهر وتغييره للعبد من حال الى حال وانما يختلف الحال بين المحق والمبطل ان المبطل يجد لوجود هوى النفس والمحق ارادة القلب وسئل شيبان عن السماع فقال اجتمع سبعون شيخا فاتفقوا جميعا على ان السماع لا يورد على الباطن فائدة بل يشهر ما فيه ولهذا قيل السماع لا يحدث فى القلب شيئا وانما يحرك ما فى القلب فمن متعلق باطنه غير الله يحركه السماع فيجد بالهوى ومن متعلق باطنه محبة الله يجد بالارادة ارادة القلب فالمبطل محجوب بحجاب النفس والمحق محجوب بحجاب القلب وحجاب النفس حجاب ارضى ظلمانى وحجاب القلب حجاب سماوى نورانى ومن لم يفقد بدوام التحقق بالشهود ولا يتعثر باذيال الوجود لا يجد ولا يسمع ومن هذه المطالعة قال بعضهم انا

ردم كله لا ينفذ فى قول ومر ممشاد الدينورى بقوم فيهم قوال فلما راوه امسكوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فوالله لو جمعت ملاهى الدنيا فى اذنى ما شغل همى ولا شفى بعض ما بى فالوجد صراخ الروح المبتلى بالنفس تارة فى حق المبطل وبالقلب تارة فى حق المحق فمثار الوجد الروح الروحانى فى حق المحق والمبطل ويكون الوجد تارة من فهم المعانى يظهر وتارة من مجرد النغمات والالحان فما كان من قبيل المعانى تشارك النفس الروح فى السماع فى حق المبطل ويشارك القلب الروح فى حق المحق وما كان من قبيل مجرد النغمات يتجرد الروح للسماع ولكن فى حق المبطل تسترق النفس السمع وفى حق المحق يسترق القلب السمع ووجه استلذاذ الروح النغمات ان العالم الروحانى مجمع الحسن والجمال ووجود التناسب فى الاكوان مستحسن قولا وفعلا ووجود التناسب فى الهياكل والصور ميراث الروحانية فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والالحان المتناسبة تاثر به لوجود الجنسية ثم يتقيد ذلك بالشرع لمصالح عالم الحكمة ورعاية الحدود للعبد عين المصلحة عاجلا وآجلا قال ووجه آخر انما يستلذ الروح النغمات لان النغمات بها نطق النفس مع الروح بالايماء الخفى اشارة ورمزا بين المتعاشقين وبين النفوس والارواح تعاشق اصلى ينزع ذلك الى انوثة النفس وذكورة الروح والميل والتعاشق بين الذكر والانثى بالطبيعة واقع قال الله تعلى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وفى قوله سبحانه منها اشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق فالنغمات يستلذها الروح لانها مناغاة بين المتعاشقين وكما ان فى عالم الحكمة كونت حواء من آدم كذلك فى عالم القدرة كونت النفس من الروح فهذا التالف من هذا الاصل وذلك ان النفس روح حيوانى تجنس بالقرب من الروح الروحانى وتجنسه بان امتاز من ارواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح الروحانى فصار نفسا فاذا تكون النفس من الروح الروحانى فى عالم القدرة كتكون حواء من آدم فى عالم الحكمة فهذا التالف والتعاشق

ونسبة الانوثة والذكورة من ههنا ظهر وبهذا الطريق استطاب الروح النغمات لانها مراسلة بين المتعاشقين ومكالمة بينهما وقد قال القائل

تكلم منا فى الوجوه عيوننـــــا فنحن صموت والهوى يتكلـــم

فاذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس المعلولة بالهوى وتحركت بما فيها لحدوث العارض ووجد القلب المعلول بالارادة وتحرك ما فيه لوجود العارض فى الروح «وللارض من كاس الكرام نصيب» فنفس المبطل ارض لسماء قلبه وقلب المحق ارض لسماء روحه فالبالغ مبلغ الرجال والمتجوهر المتجرد من اعراض الاحوال خلع نعلى النفس والقلب بالوادى المقدس وفى مقعد صدق عند مليك مقتدر استقر وعرس واحرق بنور العيان اجرام الالحان ولم يصغ روحه الى مناغاة عاشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه والهائم المشتاق لا يسعه كشف ظلمة العشاق ومن هذا حاله لا يحركه السماع راسا واذا كانت الالحان لا يلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفى لطف مناغاتها كيف يلحقه السماع بطريق فهم المعانى وهو اكثف ومن يضعف عن حمل لطيف الاشارات كيف يتحمل ثقل اعباء العبارات ثم انه رضى الله عنه قال بعد كلام تحسن مطالعته وتجمل بالحريص على الاطلاع مراجعته واعلم ان للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكى خوفا ومنهم من يبكى شوقا ومنهم من يبكى فرحا كما قال القائل

طفح السرور علي حتى انـــنى من عظم ما قد سرنى ابكانـــى

قال ابو بكر الكتانى سماع العوام على متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الاولياء روية الآلاء والنعماء وسماع العارفين على المشاهدة وسماع اهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هولاء مصدر ومقام وقال ايضا الوارد يرد فيصادف شكلا او موافقة فاى وارد صادف شكلا مازجه واى وارد صادف موافقا ساكنه وهذه كلها مواجيد اهل السماع وما ذكرناه حال من ارتفع عن السماع قال وهذا الاختلاف ينزل على اختلاف اقسام البكاء الذى ذكرناه من الخوف والشوق والفرح واعلاها

بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على اهله بعد طول غربته فعند روية الاهل يبكى من قوة الفرح وكثرته قال وفى البكاء رتبة اخرى اعز من هذه يعز ذكرها و يكبر نشرها لقصور الافهام عن ادراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار ويجفى بالاستكبار ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولا او فهمها نظرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدوث ذلك فى بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين فى الدنيا لامات يسيرة فيوجد البكاء فى بعض مواطنه لوجود تغاير بين الحدث والقديم فيكون البكاء رشحا هو وصف الحدثان لوهج سطوة عظمة الرحمان ويقرب من ذلك مثلا فى الشاهد قطر الغمام بتلاقى مختلف الاجرام ثم قال رضى الله عنه بعد كلام ضاقت حوصلتى عن حمله وكل ذهنى عن اطاقة حله ومن اقسام البكاء ما روى ان رسول صلى الله عليه وسلم قال لابى اقرا قال اقرا وعليك انزل فقال احب ان اسمعه من غيرى فافتتح سورة النساء حتى اذا بلغ قوله تعلى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا فاذا عيناه تهملان وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبكى وقال ياعمر ههنا تسكب العبرات والتمكن تعود اليه اقسام البكاء وفى ذلك فضيلة سالها النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارزقنى عينين هطالتين ويكون البكاء فى الله ويكون لله ويكون بالله وهو الاتم لعوده اليه بوجود مستانف موهوب له من الكريم المنان فى مقام البقاء واما القول فيه تادبا واعتقادا فيعلم ان مبنى التصوف على الصدق فى سائر الاحوال وهو جد كله فلا ينبغى للصادق ان يتعمد الحضور فى مجمع يكون فيه سماع الا بعد ان يخلص النية لله تعلى ويتوقع به مزيدا فى ارادته وطلبه ويحذر من ميل النفس لشئ من هواها ثم يقدم الاستخارة لحضور و يسال الله اذا عزم البركة فيه واذا حضر يلزم الصدق والوقار بسكون الاطراف قال ابو بكر الكتانى المستمع يجب ان يكون فى سماعه غير مستروح اليه يهيج السماع منه وجدا او شوقا او غلبة والوارد عليه

يغنيه عن كل حركة وسكون فينفى الصادق استدعاء الوجد ويجتنب الحركة فيه مهمى امكن سيما بحضرة الشيوخ حكى ان شابا كان يصحب الجنيد وكلما سمع شيئا زعق وتغير فقال له يوما ان ظهر منك شيء بعد هذا فلا تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه وربما كان يقطر من كل شعرة منه قطرة عرق فلما كان يوما من الايام زعق وخرجت روحه قال فليس من الصدق اظهار وجد من غير وجد نازل او ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق قيل كان النصراباذى كثير الولوع بالسماع فعوتب فى ذلك فقال نعم هو خير من ان نقعد ونغتاب الناس وقال له ابو عمرو بن نجيب وغيره من اخوانه هيهات يا ابا القاسم زلة فى السماع شر من كذا وكذا سنة تغتاب الناس وذلك ان زلة السماع اشارة الى الله تعلى وترويج الحال بصريح المحال وفى ذلك ذنوب متعددة منها انه يكذب على الله تعلى انه وهب له شيئا وما وهب له والكذب على الله من اقبح الزلات ومنها انه يغر بعض الحاضرين فيحسن به الظن والاغرار خيانة قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومنها انه اذا كان مبطلا ويرى بعين الصلاح ويظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتقد فيه فتفسد عقيدته فى غيره ممن يظن به الخير من امثاله ويتشعب من هذا آفات كثيرة يقف عليها الباحث ومنها احواج الحاضرين الى موافقته فى قيامه وقعوده فيكون متكلفا للناس بباطله فليتق الله ربه ولا يتحرك الّا اذا صارت حركته كحركة المرتعش والعاطس الذى لا يقدر ان يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس الذى يتنفس به قال السرى رحمه الله تعلى شرط الواجد فى زعقته ان يبلغ الى حد لو ضرب بالسيف وجهه لا يشعر بوجع وقد يقع هذا فى حق بعض الواجدين نادرا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج كالنفس بنوع ارادة ممزوجة بالاضطرار وهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات فى تمزيق الثياب اكد فان ذلك يكون اتلاف المال وانفاق المحال وهكذا

رمى الخرقة الى الحادى لاينبغى ان يفعل الّا اذا حضرته نية يجتنبها التكلف والمرايات واذا حسنت النية فلا باس بالقاء الخرقة الى الحادى فقد روى ان كعب بن زهير دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وانشده ابياته التى اولها « بانت سعاد فقلبى اليوم متبول » حتى انتهى الى قوله فيها

ان الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قال اشهد ان لا اله الّا الله واشهد ان محمدا رسول الله انا كعب بن زهير فرمى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية بعث الى كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجه اليه ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى اولاده بعشرين الفا واخذ البردة قال وهى البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله امير المومنين اليوم قال رضى الله عنه وللمتصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الادب فى الصحبة والمعاشرة وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن كل شئ استحسنوه وتواطئوا عليه ولا ينكره الشرع لا وجه لانكاره فمن ذلك ان احدهم اذا تحرك فى السماع ووقعت منه خرقة او نازله وجد ورمى عمامته الى الحادى فالمستحسن عندهم موافقة الحاضرين له فى كشف الراس اذا كان ذلك من متقدم او شيخ وليس على الشيوخ موافقة الشبان فى ذلك وينسحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين فى ترك الموافقة للشبان فاذا سكتوا عن السماع يرد الواجد الى خرقته ويوافق الحاضرين برد العمائم على الرؤس فى الحال للموافقة والخرقة اذا رميت للحادى هى له اذا قصد اعطاوها اياه وان لم يقصد اعطاء الحادى فقيل هى للحادى لانه المحرك ومنه صدر الموجب لرمى الخرقة وقيل هى للجميع والحادى واحد منهم لان المحرك قول الحادى مع بركة الجمع فان بركة الجمع فى احداث الوجد لا تتقاصر

من قول القائل فيكون الحادى واحدا منهم فى ذلك روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من وقف فى مكان كذا فله كذا ومن قتل قتيلا فله كذا ومن اسر فله كذا فتسارع الشبان واقام الشيوخ والوجوه عند الرايات فلما فتح الله على المسلمين طلب الشبان ان يجعل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا ظهرا لكم وردءً فلا تذهبوا بالغنائم دوننا فانزل الله يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقسم النبى صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية وقيل اذا كان القوال منهم يجعل كواحد منهم والّا فما له قيمة يوثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم بالسوية وقيل ان كان القوال اجيرا فليس له منها شئ وان كان متبرعا يوثر بها وكل هذا اذا لم يكن شيخ يحكم فاذا كان هناك شيخ مهاب يمتثل امره فهو يحكم فى ذلك بما يرى فقد تختلف الاحوال فى ذلك وللشيخ اجتهاد يفعل ما يرى ولا اعتراض لاحد عليه وان فداها بعض المحبين او بعض الحاضرين ورضى القوال والقوم بذلك وعاد كل واحد الى خرقته فلا باس بذلك واذا اصر واحد منهم على الايثار بما خرج منه لنية له فى ذلك يوثر بخرقته الحادى واما تمزيق الخرقة المجروحة التى مزقها واحد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس فيمن يتعمد امساكه فنيتهم فى تمزيقها وتفريقها التبرك بالخرقة لان الوجد اثر من آثار فضل الحق وتمزيق الخرقة اثر من آثار الوجد فصارت الخرقة متاثرة باثر ربانى من حقها ان تفدى بالنفوس وتترك على الرءوس اكراما واعزازا

تضوع ارواح نجد من ثيابهم يوم القدوم لقرب العهد بالدار

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الغيث فيتبرك به ويقول حديث عهد بربه فالخرقة الممزقة حديثة العهد فحكم المجروحة ان تفرق على الحاضرين وحكم ما يتبعها من الخرق الصحاح ان يحكم فيها الشيخ فان خصص بشئ منها بعض الفقراء فله ذلك وان خرقها خرقا له ذلك ولا يقال ان هذا تفريط وسرف فان الخرقة الصغيرة ينتفع بها

فى موضعها عند الحاجات كالكبيرة روى عن امير المومنين علي بن ابى طالب كرم الله وجهه انه قال اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فارسل بها الي فخرجت فيها فقال ما كنت لاكره لنفسي شيئا ارضاه لك فشقها بين النساء خمرا وفى رواية اتيته فقلت ما اصنع بها البسها قال لا ولكن اجعلها خمرا بين الفواطم اراد فاطمة بنت اسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفى هذه الرواية ان الهدية كانت حلة مكفوفة بحرير قال وهذا وجه فى السنة تمزيق الثوب وجعله خرقا حكى ان الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا فى دعوة فوقعت الخرقة وكان شيخ الفقهاء ابو محمد الجويني وشيخ الصوفية ابو القاسم القشيرى فقسمت الخرقة على عادتهم فالتفت الشيخ ابو محمد الى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف واضاعة للمال فسمع ابو القاسم القشيرى ولم يقل شيئا حتى فرغت القسمة ثم استدعى الخادم وقال انظر فى الجمع من معه سجادة خرق ائتنى بها فجاءه بسجادة ثم احضر رجلا من اهل الخبرة فقال هذه السجادة بكم تشترى فى المزاد قال بدينار قال ولو كانت قطعة واحدة كم تسوى قال نصف دينار فالتفت الى الشيخ ابى محمد وقال هذا لا يسمى اضاعة للمال والخرقة الممزقة تقسم على الحاضرين كلهم من كان من الجنس او غير الجنس اذا كان حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقة وذهب بعضهم الى ان المجروح من الخرق يقسم على الجميع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقوال واستدل قائله بحديث من قتل قتيلا فله سلبه قال وهذا له وجه فى الخرقة الصحيحة واما المجروحة فحكمها اسهام الحاضرين والقسمة لهم ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا قسم معهم قال ابو موسى الاشعرى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خيبر بثلاث فاسهم لنا ولم يسهم لاحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره القوم حضور غير الجنس معهم فى السماع كمتزهد لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر او صاحب

دنيا يحوج الى المداراة والتكلف او متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده ثم انه رضى الله عنه اسند حديثا بلغ به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه عن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله ان فقراء امتك يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمس مائة عام ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افيكم من ينشد شيئا فقال بدوى انا يا رسول الله فقال هات فانشد

قد لسعت حية الهوى كبدى   فلا طبيب لها ولا راقى
الّا الحبيب الذى شغفت به   فعنده رقيتى وترياقى

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد معه الاصحاب حتى سقط رداوه من منكبيه فلما فرغوا آوى كل واحد منهم الى مكانه قال معاوية ابن ابى سفيان ما احسن لعبكم يا رسول الله فقال مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب ثم قسم رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حاضرهم باربعمائة قطعة قال فهذا الحديث اوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه وقد تكلم فى صحته اصحاب الحديث وما وجدنا شيئا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاكل وجد اهل هذا الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم الّا هذا وما احسنه من حجة للصوفية واهل الزمان فى سماعهم وتفريقهم الخرق وقسمتها لو صح والله اعلم قال ويخالج سرى انه غير صحيح ولم اجد فيه دون اجتماع النبى صلى الله عليه وسلم ويابى القلب قبوله قال ابن عباس هذا حديث باطل لا يحتج به وهو من الاحاديث التى تذكر ليعلم انها موضوعة وفى اسناده جماعة مجهولون لا يعتبرون وقال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه فيما يرجع الى فضل السماع واعلم ان سماع الاشعار بالالحان الطيبة والنغم المستلذة اذا لم يعتقد المستمع محظورا ولم يسمع على مذموم فى الشرع ولم ينجر فى زمام هواه ولم يتحرك فى سلك لهوه مباح فى الجملة ولا خلاف

ان الاشعار انشدت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه سمعها ولم ينكر عليهم فى انشادها فاذا جاز سماعها بغير الالحان الطيبة فلا يتغير الحكم بان تسمع بالالحان هذا ظاهر من الامر قال وقد سمع السلف والاكابر الابيات بالالحان فممن قال باباحته من السلف مالك بن انس واهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء قال واما الحداء فاجماع منهم على اباحته وقد وردت الاخبار واستفاضت الآثار فى ذلك قال وروى عن ابن جريج انه كان يرخص فى السماع فقيل له اذا اتى بك يوم القيامة ويوتى بحسناتك وسيآتك ففى اى الجنبتين سماعك قال لا فى الحسنات ولا فى السيآت يعنى انه من المباحات قال فاما الشافعى رحمه الله فانه لا يحرمه ويجعله فى العوام مكروها حتى لو احترف بالغناء واتصف به على الدوام فسماعه على وجه التلهى ترد به شهادته ويجعله مما يسقط المروءة ولا يلحقه بالمحرمات قال وقد روى ان رجلا انشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

اقبلت فلاح لها عارضان كالسبج
ادبرت فقلت لها والفواد فى وهج
هل علي ويحكما ان عشقت من حرج

فقال صلى الله عليه وسلم لا ثم قال رضى الله عنه الا وان حسن الصوت مما انعم الله به على صاحبه من الناس فقال عزوجل يزيد فى الخلق ما يشاء جاء فى التفسير ذلك الصوت الحسن وذم الله سبحانه الصوت الفضيع فقال ان انكر الاصوات لصوت الحمير واستلذاذ القلوب واستئناسها الى الاصوات الطيبة واستروا حها اليها مما لا يمكن جحوده فان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسى تعب السفر ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء قال الله عزوجل افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وحكى اسماعيل بن علية قال كنت امشى مع الشافعى رحمه الله وقت الهاجرة فجزنا بموضع يقول احد فيه شيئا فقال مل بنا اليه ثم قال ايطربك هذا

فقلت

فقلت لا فقال مالك حس وحكى ابو بكر محمد بن داود الدينورى الدقى قال كنت فى البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافنى رجل منهم فرايت غلاما اسود مقيدا هناك ورايت جمالا ماتت بفناء البيت فقال لى الغلام انت الليلة ضيف وانت على مولاى كريم فتشفع لى فانه لا يردك فقلت لصاحب البيت لا آكل طعامك حتى تخلى هذا العبد فقال هذا الغلام قد افقرنى واتلف مالى فقلت ما فعل فقال له صوت طيب وكنت اعيش من ظهر هذه الجمال فحملها احمالا ثقيلة وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة ايام فى يوم واحد فلما حط عنها ماتت كلها ولكن قد وهبته لك فحل عنه القيد فلما اصبحنا احببت ان اسمع صوته فسالته عن ذلك فامر الغلام ان يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقى عليه فحدا فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ولم اظن انى سمعت صوتا اطيب منه ووقعت على وجهى حتى اشار عليه بالسكوت وسئل الجنيد ما بال الانسان يكون هاديا فاذا سمع السماع اضطرب فقال ان الله سبحانه لما خاطب الذر فى الميثاق الاول بقوله الست بربكم استفرغت عذوبة سماع الكلام الارواح فاذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك وكان الحارث ابن اسد المحاسبى يقول ثلاث اذا وجدن متعن وقد فقدناها حسن الوجه مع الصيانة وحسن الصوت مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء وسئل ذو النون عن السماع فقال وارد حق يزعج القلوب فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق وقال الجنيد تنزل الرحمة على الفقراء فى ثلاثة مواطن عند السماع فانهم لا يسمعون إلّا عن حق ولا يقومون إلّا عن وجد وعند اكل الطعام فانهم لا ياكلون إلّا عن فاقة وعند محاورات العلم فانهم لا يذكرون إلّا صفة الاولياء وحكى عن الجنيد انه قال السماع يحتاج الى ثلاثة اشياء الزمان والمكان والاخوان وسئل الشبلى عن السماع فقال ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبارة وإلّا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية قيل ولا يصلح السماع

إلّا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة وقلبه حي بنور الموافقة وقيل السماع لطف غذاء الارواح لاهل المعرفة وقال الاستاذ ابو على الدقاق رحمه الله السماع طبع إلّا عن شرع وخرق إلّا عن حق وفتنة إلّا عن عبرة وقيل السماع على قسمين سماع بشرط العلم والصحو فمن شرط صاحبه معرفة الاسامى والصفات وإلّا وقع فى الكفر المحض وسماع بشرط الحال فمن شرط صاحبه الفناء عن احوال البشرية والتنقى من آثار الحظوظ بظهور احكام الحقيقة وعن احمد بن ابى الحوارى قال سالت ابا سليمان الدارانى عن السماع فقال من اثنين احب الى من واحد وسئل ابو على الروذبارى عن السماع يوما فقال ليتنا تخلصنا منه راسا براس وقال ابو عثمان المغربى من ادعى السماع ولم يسمع صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفتر مدع وجاء عن مجاهد فى التفسير فى قوله تعلى فى روضة يحبرون انه السماع من الحور العين باصوات شهية نحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن الناعمات فلا نباس ابدا وكان ابو سهل الصعلوكى يقول المستمع بين استتار وتجل فالاستتار يوجب التلهف والتجلى يوجب الترويح والاستتار تتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلى يتولد منه سكون الواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وذلك صفة الحضرة ليس فيها إلّا الذبول تحت موارد الهيبة قال الله تعلى فلما حضروه قالوا انصتوا وقال ابو سعيد الخراز من ادعى انه مغلوب عند الفهم يعنى عند السماع وان الحركات مالكة له فعلامته تحسين المجلس الذى هو فيه بوجده قال الشيخ ابو عبد الرحمن فذكرنا هذه الحكاية لابى عثمان المغربى فقال هذا ادناه وعلامته الصحيحة ان لا يبقى فى المجلس محق إلّا انس به ولا يبقى فيه مبطل إلّا استوحش منه وقال بندار بن الحسين السماع على ثلاثة اوجه منهم من يسمع بالطبع ومنهم من يسمع بالحال ومنهم من يسمع بحق فالذى يسمع بالطبع يشترك فيه الخاص والعام فان جبلة

البشرية استلذاذ الصوت الطيب والذى يسمع بالحال فهو يتامل ما يرد عليه من ذكر عتاب او خطاب او وصل او هجر او قرب او بعد او تاسف على فائت او تعطش الى آت او وفاء بعهد او تصديق لوعد او نقض لعهد او ذكر قلق او اشتياق او خوف فراق او فرح وصال او ما جرى مجراه واما من يسمع بحق فيسمع بالله ولله ولا يتصف بهذه الاحوال التى هى ممزوجة بالحظوظ البشرية فانها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء التوحيد بحق لا بحظ وقيل اهل السماع على ثلاث طبقات ابناء الحقائق يرجعون فى سماعهم الى مخاطبة الحق وضرب يخاطبون الله تعلى بقلوبهم بمعانى ما يسمعون فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به الى الله وثالث هو فقير مجرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات يسمعون بطيبة قلوبهم وهولاء اقربهم الى السلامة وقال الخواص وقد سئل ما بال الانسان يتحرك عند سماع غير القرآن ما لا يجد ذلك فى سماع القرآن فقال لان سماع القرآن صدمة لا يمكن لاحد ان يتحرك فيه لشدة غلبته وسماع القول ترويح فيتحرك فيه وقال الجنيد اذا رايت المريد يحب السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة وقال ابن الجلاء كان بالمغرب شيخان لهما اصحاب وتلامذة يقال لاحدهما جبلة وللثانى زريق فزار زريق يوما جبلة فى اصحابه فقرا رجل من اصحاب زريق شيئا فصاح واحد من اصحاب جبلة ومات فلما اصبحوا قال جبلة لزريق اين الذى قرا بالامس فليقرا آية فقرا فصاح جبلة صيحة فمات القارئ فقال جبلة واحد بواحد والبادى اظلم وسئل ابراهيم المارستانى عن الحركة عند السماع فقال بلغنى ان موسى عليه السلام قص فى بنى اسرائيل فمزق واحد منهم قميصه فاوحى الله تعلى اليه قل له مزق لى قلبك ولا تمزق ثيابك وسال ابو علي المغازلى الشبلى فقال ربما تطرق سمعى آية من كتاب الله تعلى فتحضنى على ترك الاشياء والاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالى والى الناس فقال الشبلى ما جذبك اليه فهو عطف منه عليك ولطف وما

رددت الى نفسك فهو شفقة منه عليك لانه لم يصح لك التبرى من الحول والقوة فى التوجه اليه وحكى عن الجنيد انه قال دخلت على السرى يوما فرايت عنده رجلا مغشيا عليه فقلت له ما له قال سمع آية من كتاب الله فقلت يقرا عليه ثانيا فقرا فافاق فقال لى من اين علمت هذا فقلت ان قميص يوسف ذهب بسببه بصر يعقوب عليه السلام ثم عاد به بصره فاستحسن منى ذلك وقال ابو نصر السراج حكى لى بعض اخوانى عن ابى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سالت عن منزله فكل من اسال عنه يقول لى ايش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت جئت هذا البلد فلا اقل من زيارته فلم ازل اسال عنه حتى دفعت الى مسجده وهو قاعد فى المحراب وبين يديه رجل ومعه مصحف يقرا واذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فدنوت وسلمت فرد السلام وقال من اين فقلت من بغداد وقصدت زيارة الشيخ فقال لو ان فى بعض البلدان قال لك انسان اقم عندى حتى اشترى لك دارا وجارية اكان يمنعك عن زيارتى فقلت يا سيدى ما امتحننى الله تعلى بذلك ولو كان لا ادرى كيف كنت اكون فقال اتحسن ان تقول شيئا فقلت نعم وقلت

رايتك تبنى دائما فى قطيعتى ولوكنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فاطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال يابنى اتلوم اهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا اقرا القرآن لم تقطر من عينى قطرة وقد قامت علي القيامة بهذا البيت وقيل قام الدقى ليلة الى الصباح يقوم ويسقط على هذا البيت والناس قيام يبكون

بالله فاردد فواد مكتئب ليس له من حبيبه خلف

وحكى ابن سالم قال رايت سهل بن عبد الله مرة قرئ بين يديه الملك

يومئذ الحق للرحمن فتغير وكاد يسقط فقلت له فى ذلك فقال ضعفت
وهذه صفة الاكابر لا يرد عليهم وارد وان كان قويا الّا وهم اقوى منه وقيل
سمع الشبلى قائلا يقول الخيار عشرة بدانق فصاح وقال اذا كان الخيار عشرة
بدانق فكيف الشرار وقيل اذا تغنت الحور فى الجنة توردت الاشجار
وسئل بعضهم عن السماع فقال بروق تلمع ثم تخمد وانوار تبدو ثم تخفى
ما احلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين ثم انشد

خطرت فى السر منه خطرة خطرة بدا ثم اضمحل
اى زور لك لو قصدا سرى وملم بك لو حقا فعل

وقيل السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع الى العين تبكى وما وقع الى
اللسان يصيح وما يقع الى اليد يمزق الثياب وما يقع الى الرجل يرقص
وقيل مات بعض ملوك العجم وخلف ابنا له صغيرا فارادوا ان يبايعوه
فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فتوافقوا على ان يأتوا بقوال يقول شيئا
فان احسن الاصغاء علموا كياسته فاتوا بقوال فلما قال القوال شيئا ضحك
الرضيع فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه وقال ابو الحارث الاولاسى رايت
ابليس فى المنام على بعض سطوح اولاس وانا على سطح وعلى يمينه جماعة
وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف فقال لطائفة منهم قولوا فقالوا وغنوا
فاستفرغنى ذلك وطيبه حتى هممت ان اطرح نفسى من السطح ثم قال
ارقصوا فرقصوا اطيب ما يكون ثم قال لى يا ابا الحارث ما اصبت شيئا
ادخل به عليكم الّا هذا

* فصل فى بيان عقيدة المشايخ العارفين *
* والايمة الربانيين المكاشفين *

قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه التوحيد الحكم بان الله
واحد والعلم بان الله واحد توحيد يقال وحدته اذا وصفته بالوحدانية
كما يقال شجعت فلانا اذا نسبته الى الشجاعة ويقال فى اللغة

وحد يحد فهو واحد ووحد ووحيد كما يقال فرد فهو فارد وفرد وفريد واصل احد وحد فقلبت الواو همزة والواو المفتوحة قد تقلب همزة كما تقلب المكسورة والمضمومة ومنه امراة اسماء بمعنى وسماء من الوسامة ومعنى كونه تعلى واحدا على لسان العلم قيل هو الذى لا يصح فى وصفه الوضع والرفع بخلاف قولك انسان واحد لانك تقول انسان بلا يد ولا رجل فيصح رفع شئ منه والحق سبحانه احدى الذات بخلاف اسم الجملة الحاصلة وقال بعض اهل التحقيق معنى انه واحد نفى التقسيم لذاته ونفى التشبيه عن حقه وصفاته ونفى الشريك معه فى افعاله ومصنوعاته والتوحيد ثلاثة توحيد الحق للحق وهو علمه بانه واحد واخباره عنه بانه واحد والثانى توحيد الحق للخلق وهو حكمه تعلى بان العبد موحد وخلقه توحيد العبد والثالث توحيد الخلق للحق وهو علم العبد بان الله تعلى واحد وخبره وحكمه عنه بانه واحد قال فهذه جملة فى معنى التوحيد على شرط الايجاز والتحديد قال واختلفت عبارات الشيوخ فى معنى التوحيد فقال ذو النون المصرى وقد سئل عن التوحيد ان تعلم ان قدرة الله فى الاشياء بلا مزاج وصنعه للاشياء بلا علاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه ومهمى تصور فى وهمك شئ فالله بخلافه وقال الجنيد التوحيد افراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال احديته بانه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الاضداد والانداد والاشياء بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقال الجنيد ايضا اذا تناهت عقول العقلاء فى التوحيد تناهت الى الحيرة وقال ايضا وقد سئل عن التوحيد معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل وقال الحصرى اصولنا فى التوحيد خمسة اشياء رفع الحدوث وافراد القدم وهجر الاخوان ومفارقة الاوطان ونسيان ما علم وجهل قال وسمعت منصور المغربى يقول كنت فى صحن الجامع ببغداد يعنى جامع المنصور والحصرى يتكلم فى التوحيد فرايت ملكين يعرجان الى السماء فقال احدهما لصاحبه الذى

يقول

يقول هذا الرجل علم والتوحيد غيره قال يعني كنت بين اليقظة والنوم وقال فارس التوحيد هو اسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع اليها عند الاحكام وان الحسنات لا تغير الاقسام من الشقاوة والسعادة وقال الشبلي التوحيد صفة الموحد حقيقة وحلية رسما وسئل الجنيد عن توحيد الخواص فقال ان يكون العبد شبحا بين يدى الله تعلى تجرى عليه تصاريف تدبيره في مجارى احكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجود وحدانيته في حقيقة قربه بذهاب حسه وحركته لقيام الحق له فيما اراد منه وهو ان يرجع آخر العبد الى اوله فيكون كما كان قبل ان يكون وقال سهل بن عبد الله وقد سئل عن ذات الله تعلى فقال ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالاحاطة ولا مرئية بالابصار في دار الدنيا وهي موجودة بحقائق الايمان من غير حل ولا حلول وتراه العيون في العقبى ظاهرا في ملكه وقدرته وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر اليه المومنون بالابصار من غير احاطة ولا ادراك نهاية قال وقال الجنيد اشرف كلمة في التوحيد ما قاله ابو بكر رضى الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته قال الاستاذ رضى الله عنه ليس يريد الصديق رضى الله عنه انه لا يعرف لان عند المحققين العجز عجز عن الموجود دون المعدوم كالمقعد عاجز عن قعوده اذ ليس بكسب له ولا فعل والقعود موجود فيه كذلك العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه لانها ضرورية وعند هذه الطائفة المعرفة بالله تعلى في الانتهاء ضرورية فالمعرفة الكسبية في الابتداء وان كانت معرفة على التحقيق فلم يعدها الصديق شيئا بالاضافة الى المعرفة الضرورية كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه وقال الجنيد التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو افراد القدم عن الحدوث والخروج عن الاوطان وقطع الحجاب وترك ما علم وجهل وان يكون مع الجميع وقال يوسف بن الحسين من وقع في بحار التوحيد

لا يزداد على ممر الاوقات إلّا عطشا وقال الجنيد علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مفارق لعلمه وقال الجنيد علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون فى حواشيه ووقف رجل على الحسين بن منصور فقال من الحق الذى تشيرون اليه فقال معل الانام ولا يعتل وقال الشبلى من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف على حمل نفسه لثقل ما حمل وسئل الشبلى فقيل له اخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد فقال ويحك من اجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ومن اشار اليه فهو ثنوى ومن اوما اليه فهو عابد وثن ومن نطق فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ومن توهم انه واصل فليس له حاصل ومن اوما انه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد وكل ما ميزتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم فى اتم معانيكم فهو مصروف مردود اليكم محدث مصنوع مثلكم وقال يوسف بن الحسين توحيد الخاصة هو ان يكون بسره ووجده وقلبه كانه قائم بين يديه سبحانه تجرى تصاريف تدبيره واحكام قدرته فى بحار توحيده بالفناء عن نفسه وذهاب حسه بقيام الحق له فى مراده منه فيكون كما هو قبل ان يكون فى جريان حكمه سبحانه عليه وقيل التوحيد اسقاط اليا آت لا تقول لى وبى ومنى والى فقال رويم التوحيد محو آثار البشرية وتجرد الالوهية قال وسمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رضى الله عنه يقول فى آخر عمره وكان قد اشتدت به العلة فقال من امارات التاييد حفظ التوحيد فى اوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ماكان فيه من حاله هو ان تقرضك مقاريض القدرة فى امضاء الاحكام قطعة قطعة وانت ساكن جامد وقال الشبلى ما شم رائحة التوحيد من تصور عنده التوحيد وقال ابو سعيد الخراز اول مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بذلك فناء ذكر الاشياء عن قلبه وانفراده بالله وقال الشبلى لرجل اتدرى لما لا يصح لك توحيد فقال لا قال لانك تطلبه بك وقال ابن عطاء علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو ان يكون القائم به واحدا ويقال من الناس من يكون فى توحيده

مكاشفا بالافعال يرى الحادثات بالله ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل احساسه بما سواه فهو يشاهد الجميع بسرا بسر وظاهره بوصف التفرقة **قلت** لا نزاع ان القوم رضى الله عنهم كما قال فى حقهم الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه ومن تامل الفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع اقوالهم ومتفرقها ما يتيقن به من تامله ان القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شاو ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير وقال ايضا واعلموا رحمكم الله ان شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد امرهم على اصول صحيحة فى التوحيد وصانوا عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف واهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القدم وتحققوا ما هو نعت الوجود عن العدم والذى يدل عليه مجموع كلامهم ومتفرقه وما اشتملت عليه مصنفاتهم فى التوحيد ان الحق سبحانه وتعلى موجود . قديم . واحد . حكيم . قادر . عليم . قاهر . فاطر . رحيم . مريد . سميع . مجيد . رفيع . متكلم . بصير . متكبر . قدير . حى . احد . باق . صمد . وانه عالم بعلم . قادر بقدرة . مريد بارادة . سميع بسمع . بصير ببصر . متكلم بكلام حى بحياة . باق ببقاء . وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء على التخصيص . وله الوجه هو صفة ذاته مختصة . بذاته لا يقال هى هو ولا هى اغيار له بل هى صفات له ازلية ونعوت سرمدية وانه احدى الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شئ من المخلوقات ليس بجسم ولا جوهر ولا صفاته اعراض ولا يتصور فى الاوهام ولا يتقدر فى العقول ولا له جهة ولا مكان ولا يجرى عليه وقت ولا زمان ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان ولا تخصه هيئة ولا قد ولا تقطعه نهاية ولا حد ولا يحله حادث ولا يحمله عن الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور ولا يعزب عن علمه معلوم ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم ولا يقال له اين ولا حيث ولا كيف ولا

يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهى له بقاء فيقال استوفى الاجل والزمان ولا يقال لم فعل ما فعل اذ لا علة لافعاله ولا يقال ما هو اذ لا جنس له فيتميز بامارة عن اشكاله يرى لا عن مقابلة ويرى لا عن معاقلة ويصنع لا بمباشرة ومزاولة له الاسماء الحسنى والصفات العلى يفعل ما يريد ويذل لحكمه العبيد لا يجرى فى سلطانه إلّا ما يشاء ولا يحصل فى ملكه إلّا ما سبق به القضاء ما علم انه يكون من الحادثات اراد ان يكون وما علم انه لا يكون مما جاز ان يكون اراد ان لا يكون خالق اكتساب العباد خيرها وشرها ومبدع ما فى العالم من الاعيان والآثار قلها وكثرها ومرسل الرسل الى الامم من غير وجوب عليه ومتعبد الانام على لسان الانبياء عليهم السلام بما لا سبيل لاحد باللوم والاعتراض عليه ومويد نبينا صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة بما ازاح به العذر واوضح به اليقين والذكر وحافظ بيضة الاسلام بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بخلفائه ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على السنة اوليائه عصم الملة الحنيفية على الاجتماع على الضلالة وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة وانجز ما وعده من نصرة الدين بقوله جل جلاله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه دلت هذه المقالات على ان عقائد مشايخ الصوفية توافق اقاويل اهل الحق فى مسائل الاصول **قلت** ولهم رضى الله عنهم الى شاو التحقق بذلك اعز وصول وعقائدهم الماثورة شاهدة بان لهم فى علم التوحيد القدم الراسخ والتمكين الذى شفوف مكانته لتوهمات الجهلة ناسخ ومن عرائس عقائدهم الجليلة ونفائسها التى هى بكل مدحة كفيلة عقيدة الشيخ المكين الحائز قصب السبق فى التمكين شرف العارفين ابى عبد الله محمد بن احمد القرشى الهاشمى نور الله قبره واعلى فى مقامات المقربين قدره فقد جمعت بين البلاغة وحسن الترتيب والمساق الحسن والاسلوب الغريب والمعانى الجليلة فى الالفاظ القليلة والبراعة الفائقة والعلوم الرائقة وهى

هذه

هذه صدق الله العظيم الحي القيوم الكريم الذى تقدست عن سمة الحدوث ذاته وتنزهت عن التشبيه بصفات الجثة صفاته ودلت على وجوده محدثاته وشهدت بوحدانيته آياته الاول الذى لا بداية لازليته الآخر الذى لانهاية لابديته الظاهر الذى لا شك فيه الباطن الذى ليس له شبيه الحى الذى لا يموت ولا يفنى القادر الذى لا يعجز ولا يعيى المريد الذى اضل واهدى وافقر واغنى السميع الذى يسمع السر واخفى البصير الذى يدرك دبيب النمل على الصفا العالم الذى لا يضل ولا ينسى المتكلم الذى لا يشبه كلامه كلام موسى كلم موسى بكلامه القديم المنزه عن التاخير والتقديم لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع ولا بحروف ترجع كل الحروف والاصوات والنداء محدثة بالنهاية والابتداء جل ربنا وعلا وتبارك وتعلى له العظمة والكبرياء وله الملك والقدرة والسناء وله الاسماء الحسنى والصفات العلى حياته ليست لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقة قدرته ليست لها نهاية فالنهاية بالتخصيص ملحوقة ارادته ليست بحادثة فالحوادث بالاضداد مطروقة سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة علمه ليس بكسبى فالكسب بالتامل والاستدلال يعلم ولا بضرورى فالضرورة عن الارادة والالزام تلزم كلامه ليس بصوت فالاصوات توجد وتعدم ولا بحروف فالحروف توخر وتقدم جل ربنا عن التشبيه بخلقه وكل خلقه عن القيام بكنه حقه بل هو القديم الازلى الدائم الابدى الذى ليس لذاته قد ولا لوجهه خد ولا ليده زند ولا له قبل ولا بعد ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء زمانين موصوف ولا بجسم فالجسم بالجهات محفوف هو خالق الاجسام والنفوس ورازق اهل الجود والبوس ومقدر السعود والنحوس ومدير الافلاك والشموس هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس لا العرش له من قبل القرار ولا استواء عليه من قبل الاستقرار العرش له حد ومقدار والرب لا يحل بالاقطار العرش مخلوق من مخلوقاته اظهر

فيه بعض مقدوراته العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول والقديم لا يحول ولا يزول كيف والعرش بنفسه هو المكان وله جوانب واركان وكان الله قبل ان يكون مكان ولا عرش ولا زمان خالق المكان والعرش والزمان وهو الآن على ما عليه كان ليس له تحت يقله ولا فوق يظله ولا جانب يعدله ولا خلف يسنده ولا امام يحده لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان فى شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان مخلوقا جل ربنا عن التحديد والتقدير والتكييف والتغيير والتاليف والتصوير والتشبيه والتنظير ليس كمثله شئ وهو السميع البصير هو الحى لا اله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير وعلى آله وصحبه وسلم

* فصل فى شرح الفاظ دائرة بين اهل الطريقه *
* وبيانها لمن لم يرمن سيف الحقيقة إلّا بريقه *
* فلم تزل فى مخاطبات هذه الطريقة دائره *
* وبينهم متداولة كالمثل السائره *
* وقد يحتاج الى الفحص عن معانيها بعض اهل *
* السلوك * فليست مخاطبة السوقة كالملوك *

وقد ذكر منها الشيخ ابو الحسن الششترى فى رسالته نحو من مائتين وخمسين اسما فاردت ان ارتبها على حروف المعجم واعطى منها لكل حرف مشاكل قسما ليزول بذلك عن المطالع التباسها ويسهل عليه عند الحاجة اقتباسها وبالله جل جلاله نستعين فهو حسبنا ونعم المعين

حرف الالف . الاسم حروف الاستدلال على الذات قيل وهو الحاكم على حال فى الوقت من الاسماء الالهية الاسماء علامات الحقائق الاشارة تكون مع القرب بحضور غير وتكون مع العبد الاثر كلما ظهر للحواس

ورد

وورد على القلب انا بلا انا ونحن بلا نحن يريد بذلك
التخلى عن الافعال اى لا فاعل الا الله انا انت وانت انا
هو ذهاب رسم المحب فى محبوبه وغيبته بحضوره وكان مجنون بنى عامر
يقول عن ليلى انا الامر يقال على ما يوجد فى النفس من غير سبب وقيل
هو السر الوارد على النفس الافعال كلها سوى الله تعلى الازل يعبر به
عن الماضى والحاضر وقيل القدم الذى لا اول له الابد الدوام الذى
لا انقطاع له الامد لحوظ العقل الدهر وانقطاعه دونه وعجزه عن الاحاطة
به الانزعاج ترك القلب الى الله بتاثير الوعظ والسماع فيه الاصطلاح
نعت وارد يرد على القلب فيسكنه بقوة سلطانه وقيل هو الوله الغالب على القلب
وهو قريب من الهيمان الادب ادب الشريعة وهو الوقوف عند مرسومها
وادب الخرقة وهو الفناء عن رويتها مع المبالغة فيها وادب الحق وهو
موافقة الحق بالمعرفة وقيل ان تعرف ما له وما لك الافراد الرجال
الخارجون عن نظر القطب اى مجاورته وناحيته الاوتاد اربعة رجال
على اركان العالم الاربعة وهم فى الرتبة قبل البدلاء الامامان رجلان
احدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله وقيل الذى عن يمينه نظره
فى الملكوت والذى عن شماله نظره فى الملك وهو الذى يخلف القطب
الامناء هم الملامتية الانس اثر مشاهدة جمال الحضرة الالهية وقيل الانس
جمال الجلال الاساة اقامة احكام العبودية الامان السلطان الزاجر
الاتحاد تصيير الذاتين واحدة الانانية من قولك انا فهى نسبة لها
وقيل الانانية الحقيقة التى يضاف اليها كل شئ من العبد كقولك نفسى
وروحى وقلبى ويدى ارين محل الاعتدال فى الاشياء الانتباه ايقاظ
الحق للعبد الالهية كل اسم الهى اضيف الى البشر الالية كل اسم
الهى اضيف الى روحانى حرف الباء • البادى ما يبدو على القلب
البسط حال الرجاء فى الوقت وهو وارد يرد على القلب يشير الى الرحمة
والانس ويرد الى تناول المناجاة وما منع منه القبض وقيل هو ما يسع

الاشياء ولا يسعه شيء **البقاء** رؤية العبد قيام الله تعالى على كل شيء
وقيل هو بقاء رؤية العبد قيام الله تعالى في قيامه لله وقيل هو اسم لما بقي
بعد فناء الشواهد وسقوطها **البلاء** الاختبار وهو ظهور امتحان الحق للعبد
البون البينونة بلا نفس قالوا هو الذي لا تظهر عليه شهوة ولا غضب **البدلاء**
سبعة وهم كل من سافر عن بلد او موضع وترك به خليفة على صورته حتى
لا يعرف انه فقد **البعد** الاقامة على المخالفة **البوادة** ما يفجأ القلب
من الغيب فيوجب فرحا او ترحا **البرزخ** العالم المشهود بين عالم المعاني
والاجسام **حرف التاء المثناة من فوق** . **التواجد** استدعاء
الوجد وقيل اظهار حالة الوجد من غير حضور وجد **التحقيق** رؤية
الوجود بالحق **التفرقة والفرق** الاشارة الى الكون والخلق وقيل مشاهدة
العبودية **التجريد** اماطة السوى والكون عن القلب والسوى هو خلع
النعلين وقيل الانخلاع عن شهود الشواهد **التفريد** وقوفك بالحق معك
وهو تفريد الشهود اتصالا **التشبيه** الاتصاف بمكارم الاخلاق وبصفات
الروحانيين **التخلي** بالخاء المعجمة قطع العلائق وهو قطع كلما تعلق
بالقلب من غير الله وقيل اختيار الخلوة والاعراض عن الكونين **التحلي**
بالحاء المهملة التشبه بالصادقين بالاحوال واظهار الاعمال **التجلي** بالجيم ما
ينكشف للقلوب من انوار الغيوب **التلوين والتلون** تنقل القلب في احواله
وهو عند الاكثرين مقام ناقص وعند المحققين مقام كامل وحال العبد به حال
ازدياد **التمكين** حال اهل الوصول **التكلف** ذهاب العبد بملاحظة الوجود
التلبيس نورية تشاهد معان عن موجود قائم وهو تلبيس الحق على اهل التفرقة
بما يكون وعلى اهل الجمع برؤية الفناء **التدلي والترقي** نزول المقربين
وصعودهم **التلقي والتولي** اخذك ما يرد عليك من الحق ورجوعك اليك
منك **التصوف** الوقوف مع الاعمال الشرعية والخلق الالهية ويقال بازاء
التخلق بمكارم الاخلاق وتجنب سفاسفها **حرف الجيم** . **الجمع** الاشارة الى
الحق بلا خلق وهو غاية مقامات السالكين **جمع الجمع** الاستهلاك في

الله بالكلية وفناء الاحساس بما سوى الله تعلى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى **الجلال** نعوت القهر من الحضرة الالهية **الجمال** نعوت الرحمة والانس من الحضرة الالهية **الجبروت** عالم الارواح **الجلوة** خروج العبد من الخلوة بالنعوت الالهية **حرف الحاء المهملة** . **الحدس** اجمال الخطاب بضرب من القهر **الحق بالحق** الله الله **الحال** ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب وشرطه ان يزول ويعقبه المثل بعد المثل ترقيا الى ان يصفو وقد يعقبه الضد والاختلاف ومن قال بدوامه غلط وقيل الحال تغيرات الاطوار على العبد **الحضور** حضور القلب بالحق عند غيبته عن الخلق وقيل مشاهدة الحضرة الالهية بعد الغيبة بالحق **الحيرة** وارد يرد يتردد بين البقاء والفناء **الحق** هو الله تعلى ذلك بان الله هو الحق والحق ما اوجبه على نفسه جل جلاله وما وجب على العبد من جانب الله وقد يطلق على الوجد **الحقيقة** التى تقال بازاء الشريعة هى سلب آثار اوصافك عنك باوصافه فانه الفاعل فيك منك لا انت وما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها وقيل الحقيقة مشاهدة الربوبية والحقائق فى اللغة النساء والحقيقة المراة وحقيقة الحقائق هى الذات الاحدية الجامعة لجميع الحقائق وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود والحقيقة المحمدية هى الذات مع التعين الاول وله الاسماء الحسنى كلها وهو الاسم الاعظم **الحس** الرجوع الى التفرقة **الحجاب** هو السر وهو فى اللغة الستر **حق اليقين** ما حصل من العلم الالهى بواسطة الشريعة وقيل هو شهود الحق حقيقة فى مقام عين جمع الاحدية **الحرية** اقامة حقيقة العبودية فيكون العبد حرا عما سوى الله تعلى **الحرف** خطاب الوجود **الحد** حيث منتهى العقل ووقوفه **حجاب العزة** تحير العبد بما يلقى على بصيرته **حرف الخاء المعجمة** . **الخاطر** انبعاث القلب بتحريك السر فاذا خطر لا يثبت ويزول بخاطر آخر وقال ابن العربى هو ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانيا كان او ملكيا او شيطانيا او نفسانيا وقيل الرباني

من فوق القلب والملكى عن يمينه والشيطانى عن شماله والنفسانى من تحته **الخصوص** الذين خصهم الله تعالى بالحقائق والاحوال **الخلق** عالم الملك ويقال على كل ما وجد من سبب **الخضر والياس** يعبرون بالخضر عن البسط وبالياس عن القبض **الخلوة** محادثة السر مع الله تعالى **الختم** علامة الحق على قلوب العارفين فلا يلتفتون الى الخلق فان يشا الله يختم على قلبك والختم فى حق النفوس الطبع والغفلة **حرف الدال المهملة** . **الدهش** سكرة تعدم عقل المحب من هيبة محبوبه **الدعوى** ان تضيف النفس الفعل اليها **الدفن والرسم** الاحاطة بالقلب والاستيلاء عليه بالمحبة حتى يغيب عن كل موجود **الدرة البيضاء** العقل الكلى قال عليه السلام اول ما خلق الله درة بيضاء الحديث واول ما خلق الله العقل **حرف الذال المعجمة** . **الذهاب** مغيب القلب عن حس المحسوسات بالمشاهدة **الذات** الحقيقة الثابتة **الذوق** اول مبادى التجليات الالهية **حرف الراء** . **الرمس** عبارة عن البقاء بعقب الذهاب وهو فى اللغة بقية الحياة **الرسم** ما رسم الله به المخلوقين فى سابق علمه وقيل هو كون روية القلب والروح مشاهدة لا يحضرها الا المشهود الرمس ذكر فى الدفن **رب حال** هو بمعنى صاحب قلب على ما يذكر غير انه لا يثبت له المقام كثبوته لصاحب القلب **الراجع** هو الذى ينزل عن مقامه ليكمل غيره **الرغبة والرهبة** الرجاء والخوف **الرعونة** الوقوف مع الطبع **الرداء** الظهور بصفات الحق **الرويا** المشاهدة بالبصر **حرف الزاى** . **الزوائد** زيادة الايمان بالغيب واليقين **الزمردة الخضراء** النفس الكلية **حرف الطاء المهملة** . **الطوالع** انوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين فتطمس غيرها **الطارق** ما يبصره قلوب العارفين على طريق السمع فيجدد لهم حقائقهم **الطمس** عجز العقل وسد باب العزة فى وجهه ومحو البيان **الطريق** عبارة عن مراسم الله وحدوده **الطبع** ما سبق به العلم فى حق كل شخص **حرف الظاء**

المثالية * الظل وجود الراحة خلف الحجاب حرف الكاف
الكشف بيان ما يستتر عن الفهم فينكشف للعبد كانه رآه عيانا الكون
اسم لما كون بين الكاف والنون الكمال نعت الحضرة الكاملة الكرسي
موضع النهي والامر كلمة الحضرة هي كن حرف اللام • اللوائح
ما يلوح الاسرار الظاهرة من الزيادة في الارتقاء والصعود اللوامع ما يبدو
من انواع التجلي ويتبين ماخوذ من لمعان البرق اللسان البيان عن
عالم الحقائق اللحظ ملاحظة القلوب ما يلوح لهما من زوائد المنن
اللطيفة كل اشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم لا تسعها العبارة ويقال على
النفس الناطقة اللوح محل التدوين والتسطير اللب ما طبق من
العلوم على القلوب المقلقة بالكون حرف الميم • المقام ما يقوم به
العبد كالتوبة والصبر والرضا وغيرها من انواع المقامات والمجاهدات وقيل
سمي مقاما لقام العبد فيه المكان عبارة عن منزلة في البساط لا تكون
إلّا لاهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والاحوال وجاوزوها بلا صفة ولا نعت
المريد المتجرد عن ارادته وقيل هو الذي صح له الابتداء ودخل في
عباد الله المنقطعين اليه وقيل الذي صح له الابتداء ولم يرسم بحال ولا
مقام المراد المجذوب عن ارادته مع تسهيل الامور له فجاوز الرسوم
والمقامات بحاله لا بعلمه ولم تبق له ارادة المسلوب الماخوذ بالجذب
في العالم الاول وقيل هو الذي كانت له حالة شريفة فسلبت
الماخوذ كالمسلوب إلّا انه لا يكون إلّا صاحب سكر المشاهد له
روية الاشياء بدلائل التوحيد قال القشيري هي وجود الحق من غير بقاء
تهمة فاذا اصحت سماء الشر عن غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة
عن فرج الشرف المشهود هو الحق تعلى الموجود ما خرج من
العدم الى الوجود المنازلة ما خرج من الوجود الى العدم المناجاة
خطاب العبد للحق والمصلي يناجي ربه المنازلات الرجوع الى المقامات
وهو قطعها للعبادة والترحمة للمريدين ومنازلات الاحوال منازعة العوالم

التلبيسية **المحادثة** خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة
المسامرة خطاب الحق للعارفين من عـــالم الملكوت والامر **المجد**
ذهاب العبودية لقيام الله عليها بالوجود وقيل المجد رفع اوصاف العادة
وقيل ما شهده الحق ونفاه عنك من قبائحك وقال القشيرى من نفى عن
احواله الخصال الذميمة واتى بدلها بالافعال والاحوال الحميدة فهو صاحب
محو واثبات **المقصود** الغاية لكل واقع ورد على القلب **المعدم** مـا
خرج كنز الوجود ثم لم يثبت **الملكوت** باطن الكون **والملك**
ظاهر الملكوت وذكر بعضهم عن الاجوبة المسكتة عن الاسئلة المبهتة للامام
ابي حامد انه قال عالم الملكوت ما بوجود الله بالامر الازلى فلا

وبقى على حالة واحدة من غير زيادة فيه او نقصان منه وهو
الباطن فى العقول وعالم الملك ما ظهر للحواس وتكون بقدرة الله بعضها
من بعض وصحبه التغيير وعالم الجبروت ما بين العالمين مما يشبه ان
يكون فى الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة الازلية بما هو فى عالم الملكوت
المبتدى الداخل فى طريق الله **المجذوب** الذى اختطف وسير به
على المقامات **المسافر** الذى عبـر من العدوة الدنيا الى العـدوة
القصوى اى خرج من الاوصاف الدنية الى الاوصاف العلية ويقال على
السالك وهو المسافر بقلبه **الملامتية** الذين لا يبدو على ظواهرهم مما
فى بواطنهم شئ **المجاهدة** مخالفة الهوى **المحن** ذهاب التركيب
بحسب القهر **المحاضرة** الوقوف مع الله تعلى **المكاشفة** اتم من
المشاهدة وقيل المشاهدة اتم لانها سقوط الحجاب **المكر** حالة المسلوب وهو
ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب وقيل المكر فى النعم
الباطنة والاستدراج فى النعم الظاهرة **المطالعات** توقيعات بين العارفين
المخدع بضم الميم موضع ستر الغضب عن الافراد الواصلين **المطلع**
بشد الطاء البصر الى عالم الكون بعين الحق **المثـــل** الانسان والمراد
صورته التى فطر عليها لانه عالم صغير مثل العالم الكبير **حرف النون**

النفس

النفس بفتح الفاء روح يرسله الله على نار القلب ليطفئ شرها نحن بلا نحن تقدم فى انا بلا انا النقباء الذين يستخرجون خبايا النفوس لانكشاف السرائر لهم عن وجوه السرائر وهم ثلاث مائة النجباء المشغولون بحمل اثقال الخلق وهم اربعون النزالة الخلع التى تخص الافراد النون علم الاجمال والقلم علم التفصيل النور كل وارد الهى يكشف الاكوان على القلب والظلمة ضده ويقال الظلمة عن النظر فى الذات لانها لا ينكشف معها غيرها حرف الصاد المهملة الصفاء خلوص الحقائق ممن معارجه الطبع ورؤية الفعل الصحو الرجوع الى الاحساس بوارد قدم بعد الغيبة صاحب قلب هو الواجد فى عبوديته المؤثر فى الكون صاحب مقام هو الذى اشتهر بخرق العادة الصفات نعوت القلب الصعق البقاء عند التجلى الصفة ما اوجب لمحله معنى كالعالمية للعالم اوجبها العلم حرف الضاد المعجمة الضياء الرؤية بعين الحق حرف العين المهملة العارض ما يعرض للقلب من الخواطر المذمومة بالقاء النفس والشيطان العقل هو الذى يقضى بخلع الكون وبخلعه هو فى الجملة عالم الملك هو الجسوم العبادة الاجتهاد فى اداء الوظائف التكليفية العبودية رؤية البعد نفسه بالله العبودة مشاهدة العبد نفسه من رؤية العبودية عين التحكيم اظهار الولى مرتبته بامر يراه علم اليقين ما اعطاه الدليل عين اليقين ما اعطاه المشاهدة والكشف العلة تنبيه الحق لعبده العرش مستند الاسماء المقيدة العيد ما يعده على القلب من التجليات باعادة الاعمال العنقاء كناية عن الهولى لانها لا ترى كالعنقاء ولا توجد إلّا مع الصورة فهى معقولة وتسمى الهيولى المطلقة المشترطة بين الاجسام كلها العقاب القلم وهو العمل الاول حرف الغين المعجمة . الغيب غيب القلب عن القلب عما يجرى من احوال الخلق لشغل الحس فيه بما ورد عليه وقيل هى غيبة الحق فى شهود الخلق الغفلة قوة الهموم الغيرة غيرة الحق لتعدى الحدود وتطلق بازاء كتمان

الاسرار **الغوث** هو القطب اذا الجا الوقت اليه ولا يسمى فى غير ذلك الوقت غوثا **الغيب والشهادة** الملك والملكوت **الغراب** الجسم الكلى **حرف الفاء** • **الفناء** فناء روية العبد لفعله بقيام الله تعلى على ذلك كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقيل اضمحلال ما دون الحق علما وهو فناء المعرفة فى المعروف ثم فخرا وهو فناء العيان فى المعاين ثم حقا وهو فناء الطلب فى الوجود **الفوائد** ما يرد على القلب من المعارف عقب التوبة **الفصل** التفرقة بين القديم والمحدث وقيل الفصل تمييزك عن محبوبك بعد حال الاتحاد **الفرق** سر فى التفرقة المذكورة قبل **الفترة** خمود نار البداية **الفتوح** حب العبادة ظاهرا والحلاوة باطنا ووجود المكاشفة البرهانية خطاب المكافحة الوجودية **الفقر** نهاية التصوف وقيل البراءة من روية الملك **حرف القاف** • **القادح** يكون لاهل الغفلة اذا انقشع عن قلوبهم غيم الغفلة فقدح فيها قادح الذكر ما جوف من قدح الزناد **القبض** حال الخوف فى الوقت وهو وارد يرد على القلب يشير الى عتاب وقد يرد على اهل المعرفة فيمنعهم عن تناول المباحات لاكل والشرب والكلام **قطع العلائق** قد مر فى التجلى **القطب** اكمل اهل زمانه وهو موضع نظر الله من العالم **القرب** القيام بالطاعة **القلم** اسلفناه فى النون **القس** المعلم الذى يصون المحقق **القدم** ما ثبت فى علم اليقين **حرف السين المهملة** **السابح** الوارد الذى يخطر على القلب ولا يثبت **السكر** غيبة بوارد قوى وهو يشار به الى سقوط التهالك فى الطرب وهو من مقامات المحبين **السر** المعنى القائم على قلب العبد فلا يعلم به الا الحق وسر السر ما يعلم به السر **السبب** روية الوسائط **السرمد** الابد **السالك** السائر بقلبه **السائر** هو الذى لا يقول بنهاية وفتح له باب الملا الاعلى **السير** توجه القلب للحق **السمسمة** معرفة لا تسعها العبارة **السوى** بكسر السين هو الغير **حرف الشين المعجمة** **الشاهد** ما تعطيه المشاهدة من الاثر فى قلب المشاهد

فشاهدك

فشاهدك هو خاطر قلبك وقيل الشاهد الحق **الشطح** ترجمة اللسان عن وجد يفيض من معدنه مقرونا بالدعوى **الشفع** وجود العبودية وهو الوسائط وقيل الشفع الخلق والوتر الحق **الشريعة** الامر بالتزام العبودية **الشرب** اوسط التجليات واكملها الرى **الشجرة** الانسان الكامل

حرف الهاء . **الهاجس** الخاطر الاول الربانى وهو لا يخص ابدا وقد يسميه سهل السبب الاول فاذا تحقق فى النفس سمى ارادة فاذا زاد سمى هما فاذا زاد سمى عزما ويسمى عند التوجه للفعل قصدا ومع الشروع فى العمل نية **الهم** جمع الاخبار لخبر واحد **الهجوم** سائرة على القلب بقوة الوقت من غير تمتع وقيل وارد يرد بقوة طلب فى الزيادة وبه يكون فعل صاحب الغلبة **هو بلا هو** اشارة الى التفريد بذاته هو **الهيبة** اثر مشاهدة الله فى القلب **الهمة** جمع الهم بصفاء الالهام

حرف الواو . **الوارد** ما يرد على القلب من القبض والبسط من غير ان يستعمله العبد ويطلق بازاء ما يرد على القلب من كل اسم **الواقع** ما يثبت ولا يزول الا بواقع آخر مثله **الوقت** عبارة عن حالة فى زمن الحال لا تعلق لها بالماضى ولا بالمستقبل **الوجد** مصادفة القلب الصفاء بذكر كان قد فقده **الوصول** خلع النعلين وهو عبارة عن ورود ماء التوحيد **الوسم** ما طبع الله به على قلوب عباده **الوصل** ادراك الفائت **الوطن** بلوغ المقام الى جذب العبد **الوتر** اشارة الى جمع بلا ملاحظة له **الواقف** الذى لم يفتح له باب الملكوت الاعلى وقد يلبس عليه بالوصول **الوحدة** جمع الجمع **الواقعة** سائرة على القلب من خطاب او مثال الغيب **الورقاء** النفس الكلية وقيل التى هى قلب العالم وهو اللوح المحفوظ والكتاب المبين

حرف الياء **اليقظة** الفهم عن الله فى زجره **اليدان** هما اسماء الله تعلى المتقابلة كالفاعلة والقابلة ولهذا وبخ ابليس بقوله تعلى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ولما كانت الحضرة الاسمائية تجمع حضرتى الوجوب والامكان قال بعضهم ان اليدين هما حضرتا

الوجوب والامكان والحق ان التقابل اعم من ذلك فان الفاعلة قد تتقابل كالجميل والجليل واللطيف والقهار والنافع والضار وكذا القابلة كالايس والهايف والراجى والخايف والمنتفع والمتضرر والله

معنى الذوق فيه قد ثبت عقله وما عسى ان تدركه من ذلك الافهام الثاقبة والعقول النقية وعلوم القوم كلها فى الحقيقة انما هى ذوقية لكن متلقى احوالهم بطلاقة الوجه والبشر يقنع متى فاته اللب من علومهم بالقشر وبتمام ذلك تم من المقدمة المراد وان كان اطنابنا فيها جاوز القدر الذى يراد فقد انسع الخرق فيها على الراقع واميطت بها عن صور معانى علومهم البراقع وتفرزنت بين اعواد الشاه منها البيادق وابى صحيح عزمى على الايجاز فيها ان يصادق وما ذاك إلّا ان بعض اصفياء الاخوان استطاب الاطناب وارخى عزمه علي فى ذلك الاطناب حرصا منه على انزال المعتقد من عرفات المعرفة بين الجبل والسفح وارهاب المنتقد عند بارقة سيوف التخويف عن الحد منها بالصفح وانما يحصل الغرض من ذلك ببسط المقال ونشر بساط الانقال فلا يزال الناظر فيها بين ابعاد وتقريب وتشريق فى معانى علومها وتغريب الى ان يفجاه الفتح المبين وتلوح له محجة الهدى وتستبين فحينئذ يميل مختارا الى كل مرشد ويرفع عقيرته وقد استفزه الطرب وينشد

لى سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه
ان لم اكن منهم فلى فى حبهم عز وجاه

فيظفر لذلك بالقيمة الباردة ويتاهل لقبول المنح الواردة ويحصل الخير الشامل بالافادة لكل من المستفيد والافادة وتغمرنا من الله العطايا وتصحبنا برحمته العناية بحب الصالحين من البرايا فقد قالوا محبتهم ولاية وقد اشتملت بحمد الله على نبذ من الادب رائقة وجمل تمهد من كريم علم القوم

طرائقه

طرائقه توقف الناظر على شرف هذه الطريقة وتعرفه شفوف منزلة اهل الحقيقة فان اقتصر عليها كفته عما سواها واغنته وان تطلع الى المزيد ادته الى مراده واذنته على انها فى جنب علومهم وآدابهم كقطرة من بحر او واسطة من جملة سلوك تقلدها نحر ولا يوحشك منها ان قرفى وطن الغربة قرارها او باح بسر عبيرة بعد العشية عرارها فتلك شكاة ظاهر عنك عارها على انها ليست بمانعة جمع او مستحيلة وساء رشدك ان استطلتها الى وجه الحيلة

هذا رياض فيه ما قد راق من   انواع ما نهوى جناه ونقطف
فاقرب على قدر اهتمامك والتقط   من ذا وذا اوعد بما قد تخطف

فان كنت ممن يتشوف الى احوال الشيخ فهى فى ابوابها بكل مليحة موسومة او ممن يتطلع الى علوم القوم فهى فى هذه المقدمة موسومة وان كنت ممن جهل جلالة مقدارها غير مفتقر فى ذلك الى رابطة فلا تتعرض لبدايات الضعفاء فلكل ساقطة لاقطة

وحسبى بهذا كله ان مهجتى   لاهل الصفا والقرب صيرتها رقا
فان قبولها حبذا منهم الرضا   ولست اذا ارضى وقد ملكوا عتقا
وان هم ابوا ان يقبلوها معيبة   فلست لصدقى فى محبتهم اشقى
على ان لى الرصاع منهم   عمادا بما اهواه من رفده يلقى
وظنى به الظن الجميل وانه   زعيم بآمالى كفيل بها حقا

فلننعطف الآن الى ما قبضنا عليه بكلتا اليدين لننجز منه صادق وعدنا فان الوعد دين ومن الله جل جلاله نستوهب العون والامداد فما للعبد عن كرم مولاه الكريم استبداد

* الباب الاول فى التعريف بالشيخ رضى * * الله عنه وذكر بدايته * وترتيب القول * * فى احواله الدالة على صلاحه وهدايته *

هو الشيخ ابو العباس احمد بن عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن عروس

الهوارى وكنت جمعت بالزاوية العروسية من نظن به معرفة نسب الشيخ من سائر اصحابه وقرابته فاتفقوا على صحة ما قبل ابى بكر من آباء الشيخ واختلفوا فى ابى بكر فمنهم من صححه ومنهم من قال انما هو علي ولم يستند واحد منهم فى صحة دعواه الى امر جلى فلما كثر بينهم فى ذلك الاختلاف ولم يحصل منهم فيه على ما اكتبه ائتلاف صعدت الى الشيخ رضى الله عنه مع بعض اصحابه متعرضين فى المسالة الى جوابه فقال وقد اطلعه الله من امر اختلافهم على سره ما عرفوا راسه من رجله من ظهوره منقبة له ظاهرة وكرامة باهرة

يخاطبنا عن سرنا وهو غائب كانا باذن منه نستودع السرا
ويبدى لنا اخباره الامر لا نرى لاخفائه عن ذا وذا انه يدرى

فعلمت باشارة الشيخ ان اختلافهم لا اثر لقائله واثبت من ذلك ما تراه وعهدة القول على قائله وكان جده عروس المذكور من اكابر الصالحين على ما ذكره قرابة الشيخ والله تعلى اعلم واما نسبه رضى الله عنه فالذى عند قرابته فيه وعليه انعقدت عقود اشريتهم وغيرها انهم هوارة وحدثنى الثقة انه سمع الشيخ فى غير ما موطن يقول نحن من عرب تميم وكذلك سمعته منه رضى الله عنه فهو على هذا تميمى والله أعلم ومولده بقرية بالجزيرة القبلية على مسافة خمسين ميلا عن تونس اسمها المزاتين بوادى الرمل حدثنى الشيخ المسن ابو عبد الله محمد بن ابى بكر بن عروس وكان يناهز الشيخ رضى الله عنه فى سنه وقد سالته عن بداية الشيخ رضى الله عنه عندهم وحاله فى صغر سنه قال كان يدعى عندنا باحمد الرضاع من اجل انه كان ملازما للرضاع وهو فى سن من يلعب مع الصبيان ولقد رايته يلاقى امه وعلى ظهرها جرة الماء قد استقتها وهى منقلبة بها الى بيتها فيحلف لها لترضعنه فتحنى عليه وهو قائم وتناوله ثديها قال وامه مسراتية النسب واسمها سالمة تايمت بموت زوجها والد الشيخ وتزوجت وحملت معها لبيت زوجها الشيخ لصغر سنه دون اخويه الاكبرين ابى بكر وعبد المغيث

وابو

وابو بكر اكبر الثلاثة ولم يترك والده سوى الشيخ واخويه المذكورين وما زال مع امه الى ان مات زوجها واولاده من غير امه لوباء استاصلهم فرجع الى اخويه واهله وقال لهم حين رآهم جاءت فى التفرمات هو واولاده يريد زوج امه وسلمت انا وامى فضحكوا منه لمقالته هذه رضى الله عنه قال قرابته كان ابغض الناس اليه ارباب الدنيا لا يالفهم ولا يدانيهم ولا يعبا بهم ولا يجالسهم واحب الناس عنده اهل الخمول والفقراء والمساكين ياوى اليهم ويالفهم ويتسول لهم الطعام بنفسه ويخدمهم ويبالغ فى اكرامهم وبرهم ما استطاع قالوا وكان على صغر سنه هو الذى يقم المسجد ويقوم بسائر ما يحتاج اليه مبالغا فى ذلك عاكفا عليه وكان اذا راى احدا من المسافرين القادمين على موضعهم يحمل على عنقه جرة بالماء ويتلقاهم بها على مسافة بعيدة تخوفا عليهم من لحوق العطش قالوا وكان اهل قريتنا يتوسمون فيه الصلاح والخير على صغر سنه بحيث ينادونه فيما بينهم يا مرابط قالوا وكان من امره انه اذا وجد بقرا او غيرها من المواشى والدواب تحوم حول الماء من شدة العطش ياتى بالدلو ولا يزال يملا الى ان يروى كل ما هنالك من الحيوان كثر او قل هذا دابه وشفقة حنانا ورحمة رضى الله عنه قالوا من غريب اتفاقياته فى ذلك انه مر ذات يوم برجل يسنى الماء على فرس له لسقى زرعه فراى بها من الجهد والتعب ما حمله لفرط شفقته على ان قال لصاحب الفرس البهائم فى زرعك ليصرفه بذلك عن العمل فبنفس ان غاب عنه شخص الرجل نزع الحبل من صدر الفرس ورده فى صدر نفسه بعد ان ابعدها وجعل يسنى الماء مكانها وكان رضى الله عنه صحيح البنية سويها وجاء صاحب الفرس فالفاه على تلك الحالة فانكر عليه ذلك فقال له دعنى اعمل لك فى مكان فرسك واترك سبيلها فانها تعبت مسكينة فسبحان من الهمه على صغر سنه رشده ووفقه الى مسالك الخيرات وما بلغ اشده وحبب اليه اقتناء ارباح هذا التجر ودرفه مدلول فى كل ذى كبد رطبة اجر عناية له

سابقة شرح الله بها لاعمال البر صدره واظهر بعد حين من الدهر فى سماء الولاية بدره فلذلك كان يعمل ولا تكليف كانه الراغب الراهب و يسعى كلفا بما عجز عنه المكلفون سعى من شملته المواهب

زكت منه فى اصل الخليقة طينة   لها قلبه بالخير للخير يجنح
فبانت لنا منه عليه شواهد   وكل اناء بالذى فيه يرشح

ثم انه رضى الله عنه فر عن اهله قبل بلوغه وجاء الى تونس وآوى منها الى زاوية الشيخ ابى عبد الله محمد المحجوب التى عند جامع الهواء وصار يقرا القرآن باللوح ويخدم الزاوية المذكورة فى كل ما تحتاج اليه ثم انتقل منها الى الزاوية التى بالسوارى وكان شيخها حينئذ الشيخ الصالح ابو زيد عبد الرحمن بن البنا وكان ايضا يقرا القرآن بها ويقوم بكلف خدمتها كلها وحدثنى ابن عون قال اخبرنى من اثق به ان الشيخ رضى الله عنه جود القرآن على الشيخ المقرى ابى عبد الله محمد الحسيب بسويقة عساكر من تونس قرا عليه ختمة كاملة لورش وانه رضى الله عنه كان يحضر مجلس الشيخ الفقيه السيد ابى محمد عبد الله الباجى بمدرسة المعرض من تونس قال واتفقت له مع هذا الشيخ اتفاقية عجيبة اخبرنى بها الفقيه الاكمل ابو محمد عبد الرحيم الحصينى وكان من طلبة الشيخ الباجى المذكور قال كنا فى جماعة من الطلبة نقرا على الشيخ ونحن جلوس عند باب المسجد من داخل بحيث ان الداخل والخارج بمراى منا فبينما نحن فى امر قراءتنا واذا بسيدى احمد بن عروس متوجه الينا واعضاوه تقطر بالماء وقد توضا فى الميضاة وهو خارج من المسجد وما كان به قبل ذلك فسقط فى ايدينا حين رايناه خارجا وما كنا رايناه فى المسجد قبل ذلك زاد الامير الاجل ابو محمد الحسن ابن الامير الاجل ابى الذبيح اسمعيل ان الشيخ المذكور قال لطلبته هذا الشاب من اولياء الله او قال ولي الله زاد غيره انه قال اما انا فلا اشك ان الحائط شق لهذا ودخل منه وكان رضى الله عنه ملازما لخدمة مقام الشيخ الولى الربانى سيدى محرز بن خلف

نفع الله تعلى به ثم انه خدم نشارا للخشب بدار العود وخدم ايضا نجارا بالزبوجيين خارج باب السويقة من تونس قال واخبرني والدي انه رآه يجر المحاريث بقرية الانصارين بجبل شعيب غربي تونس وخدم وقافا بفرن الجمال بمقربة من زاوية الشيخ الولي الكبير ابي محمد عبد العزيز المهدوي رضى الله عنه ووقف ايضا بفرن زاوية الشيخ الصالح ابي محمد عبد العزيز الطبلبي بطبلبة قرية من عمل المهدية وخدم في عمل البنيان ووقف بفرن القصيبة من بلد بنزرت مدة فكان قرابته على ما حدثني به من ادركت من مشايخهم لحقتهم معرة من وضعه نفسه بهذه المواضع وامتهانها بوقوفه مع هذه الصنائع وما دروا انه يبني لهم بذلك الشرف الدائم والفخر الصميم القائم فاجتمعوا ومضوا ليأتوا به من قصيبة بنزرت المذكورة دفعا لما توهموه من لحوق المعرة وجلبا لما تخيلوه من عاجل المسرة وليس مراد الله منه مرادهم ولا قدره القدر الذي يعلمونه ولكنهم قاسوا سرائر غيبه بشاهدهم والسر لا يفهمونه فلما وصلوا اليه ووبخوه على ما اوقف نفسه فيه من معاطاة هذه الصنائع ولاموه على ذلك وعزموا عليه في اسعافهم الى مرادهم منه وتخليه عما تمسك به من هذه الامور فكانه رضى الله عنه اظهر لهم الاسعاف فيما ارادوه منه وباتوا بالفرن عنده على هذا واكرمهم معلم الفرن الكرامة الوافرة وجعل يحدثهم عن الشيخ متعجبا من حاله وانه يعطيه الاجرة ولا يقبل منها الا ما يقيم له اوده فلما اصبحوا وطلبوا منه الوفاء بما جاءوا من اجله والحوا عليه في ذلك استلقى رضى الله عنه على قفاه وقال لهم كروني من كراعي ثم سكت عنهم وتركهم على ما هم عليه من اعلان الملام وتوسيع دائرة الكلام

عابوا المحب وقد راوا لغرامه ... اثرا اعاد ربوعه آثارا

عذلوه ان خلع العذار ولو دروا ... سر الغرام لا وسعوا الاعذارا

كم بين من يستعذب التعذيب في ... مرضاة من يهوى ويصلى النارا

وخلى قلب ليس يعلم ما الهوى ... ابدا ولا يدرى الحمى والدارا

فدعوا الملام واعذلوا ان الهوى   ما بيننا قد اسبل الاستـــارا

ولما وصلت من تونس الى بلد بنزرت المذكورة فى شهر ربيع الاول الشريف من عام ثمانية وستين وثمانمائة دخلت مع من كان فى صحبتى من فضلاء الاخوان للفرن المذكور لنقف به على معاهد من نهواه ونعفر الوجنات فى آثار من ملك القلب هواه ثم انه رضى الله عنه انتقل من قصيبة بنزرت الى باجة وكان اكثر جلوسه عند باب الجامع الاعظم منها وكان مدة اقامته بها يعمد الى الافئدة التى يلقيها الجزارون ايام رخص اللحم عندهم فيغسلها ويجعلها فى برمة ويطبخها اما على نار افران الجيارين او يلتقط ما لا   به من القشب والاعواد الملقاة ويطبخ على نارها وغالب اقتياته من ذلك وكان رضى الله عنه ياكل المنبوذات من الخضر والكسر الملقاة ولا يتسول ولنا فى معنى تجرده عن اسباب الدنيا وتخليه وتزيينه بحلى الزهد فيها وتحليه

بانت له اعلام نجد والحمى   فتشرقت لوصاله ليــلاه

فاشار مهلا فاللقاء مقـــــدر   ومضى سريعا فى رضا مولاه

متخليا عمـا سواه مجـــردا   ولكـــل شئ تاركا الّاه

ثم انه رضى الله عنه انتقل الى ميلة وجلس بها لتاديب الصبيان قال ابن عون المذكور ولم نزل نسمع الشيخ غير ما مرة يقول كنت مودبا للصبيان بميلة قال ومن هنالك انصرف الى المغرب واقام بمقام الشيخ الولى الكبير ابى مدين شعيب رضى الله عنه مدة بعباد تلمسان قال وكنا نسمع مما يقتضى انه دخل فاس فى ايام   ووصل الى مراكش ودخل سبتة اعادها الله لاقامة كلمة التوحيد بها ومن كلامه الدال على صحة ذلك المستفيض النقل عنه قوله رضى الله عنه

جميع البلاد شولــــــت   حتى لسبتة الحصينـــــه

انا مثل بنزرت ما رايـــت   الوادى وسط المدينـــــه

ثم يقول رضى الله عنه كذاب فرخ كذاب من شكر لى بلد العناب بهذا

اللفظ وهذه الصيغة واقام بالمغرب الاقصى مدة طويلة ثم عاد الى تونس وقد شب واكتمل وعلى ما اهل له من المعارف الربانية اشتمل فاشرقت بمقدمه الكريم بقاع الارض وعمت البركة القطر الافريقي بالطول والعرض ولكن انبهم ذلك في طي خموله وانكتم وستر الّا عن اهل الخصوص الى ان اكتمل امره وتم ولو انكشف الحجاب الحائل وعلم ما اليه امره آيل لانشد مغتبطا بقدومه كل انسان وكل جارحة منه لو امكنه ذلك لسان

عدتم فعادت ليالي الوصل اعيادا من قربكم ولذيذ الانس قد عادا
ابنتم الصبر ما ابنتم فاننا لاجل ذلك ارى الاغواء ارشادا
واليوم سامحني دهري بوصلكم وصالح الصلح وفي بعد ان عادا
لا اوحش الله عيني من جمالكم يا نورها لاقضى الدهر اسعادا

حدثني ابن عون المذكور عن الشيخ الصالح ابي الخير الزنجاري التونسي تلميذ الشيخ الصالح ابي الفتح اليمني رحمة الله تعلى عليه قال اجتمعت بالشيخ رضي الله تعلى عنه بعد قدومه من المغرب بالسوق الجديد من تونس المحروسة فقلت له اين كانت هذه الغيبة فقال لي رضي الله عنه كنت ارعى الدواب فان هذه النفس ما وجدتها تصلح الّا لرعي الدواب

تصدى ليفحص عن امره باين فابدا الجوى بالجواب
اذا كان يرضى ومقداره كما قد علمت برعي الدواب
فحق لنا بعده ان نرى بعين الحماقة وهو الصواب

قال ولم يكن السوق المذكور هنالك حينئذ وانما نشا بذلك الموضع وعمره الله تعلى فيما نراه ببركة حلول الشيخ فيه واقامته به فانه رضي الله عنه كثيرا ما كان ياوي اليه و يالف خرابه قالوا وتلك عادة الله تعلى التي هي من الشيخ مالوفة ومن خوارقه الخارجة عن السنن المعقول معروفة اذا آوى الى خراب عاجلته باذن الله العمارة او احتل بمكان ظهرت فيه من سره امارة كانما اليه يرشد من قبلنا ينشد

تحيى بكم كل ارض تنزلون بها كانكم لبطاح الارض امطار

وتنظر العين منكم منظرا حسنـا   كانكم لعيون الناس ابصـار

وكان رضى الله عنه حينئذ حسن الهيئة نظيف الحال يلبس عليه جبة بيضاء من صوف وشملة بيضاء ويلبس القبقاب فى الشتاء والصيف ويعمل من الحلفاء زمامه وكان يشهد الصلوات كلها بجامع الزيتونة ثم انه رضى الله عنه اخذ يسترحل مقامه العالى بحال التلويين ويخفى بذلك عن امثالنا قدره الشامخ المكين واول امره فى ذلك تلويث الحال واظهار الحقيقة فى صور المحال وقد انشدت فى معنى امره وان كنت اجهل الناس بقدره

ارتها حسنها المرآة يومـا   فبادرت الحجاب وبرقعته

وواجهت المحب فكاد يصبو   وفى شرك الهوى قد اوقعته

فابدت غيرة منها لبوسـا   ببوس الحـال منهـا ارقعته

فابصرها فغض الطرف عنهـا   فصانت حسنها واستدفعته

ثم انه رضى الله عنه اتخذ الصرائر ولم يحملها دفعة واحدة ولا نقلها فى آن واحد وانما كان الامر فيها على التدريج ليكون له بذلك على ادب السلوك بعض تعريج وان كان رياض رياضته شميم الخمائل اريج فصر اولا فى طرف كسائه صرة قدر النارنجة ثم زاد فيها الى ان عادت قدر الصاع ثم قدر الويبة ثم كذلك الى ان عظمت جدا وصارت جملة صرائر فاخذ لثقلها خشبة علقها بطرفيها وجعل يحملها على كتفه الايمن تارة وعلى كتفه الايسر اخرى وهو رضى الله عنه يمشى بها فى سائر ازقة تونس بحيث انه لم يترك منها شارعا الّا مر به ولا موضعا من عمرانها او خرابها الّا سلكه او آوى اليه

كيما يراه اخو بث يمـر به   فيكشف البث مرآه ومنظـره

وتعمر الارض بالسر المتـاح له   ويترك القصد فى الدارين مبصره

وكانت هذه الصرائر حمولة عظيمة ومن اعظم الادلة على ذلك ما حدثنى به ابن عون المذكور قـال حدثنى من اعتقد صدقه وسماه ان الشيخ رضى الله عنه مر يوما بسوق الجزاريـن من تونس المحروسة وانـزل

صرائره وقام بازائها فاذا بعريف الحمالين الذين يحملون الزيت وهو الحاج عثمان الاسماعلى وكان آية وقته فى حمل الاثقال فجاء الى رحل الشيخ رضى الله عنه وهزه ليحمله على وجه الامتحان فلم يقدر على ذلك فلما ان بان عجزه وظهر للناظرين عدم قدرته على ذلك قال يا جماعة المسلمين بلغت حاتى ثمانية قناطير او قال اكثر وعجزت عن هذه الصرائر كما ترون فما يحملها هذا الرجل بقوة انسانية ولا بقدرة بشرية وانما ذلك بامر ربانى وسر الهى وكان رضى الله عنه يحملها دون كلفة فى حملها ولا مشقة يظهر اثرها عليه وربما يعلق بها برمة فيها ما يطبخ وهى على نارها كانما هى بالارض وهو يمشى بها كذلك وبها قد كان اشتهر بابى الصرائر وسارت به الرفاق كالمثل السائر

وليس لهذا لقبوه وانمـــا لما سوف يبدى من خفى السرائر
فابهم ايهام التماثل امـــره ليخفى سين السر صاد الصرائـر

حدثنى الشيخ الصالح ابو الحسن علي المقدم بموضعه من دخلة الجزيرة القبلية فى شهر ربيع الاول الشريف من عام سبعة وستين وثمانمائة. قال كنت ليلة من ليالى الشتاء الشديدة البرد الخارجة فى ذلك عن الحد بتونس فى علو مشرف على طريق الناس فادركنى من البرد ما لم اقدر معه على العمل ورمت النهوض الى شيء من العبادة فما قدرت مع انى على فراش وعلي من اللباس ما يليق بمثلى فكانى خوطبت فى سرى اخرج راسك من هذه الطاق فاخرجت راسى واذا سيدى احمد بن عروس تحت الطاق واقف وسط الطين وحمولة صرائره على كتفه وهو مستقبل القبلة فاخذنى العجب منه ومن تجلده الذى لا يطيقه احد غيره وجعلت اعظ نفسى به وقد صغرت عندى وما زال على هذه الحالة لا ينقل قدما عن موضعه ولا يحط حمولته وانا كلما آذانى البرد فى وجهى بالنظر اليه عدت الى موضعى فاذا وجدت من نفسى قوة عدت اليه الى ان طلع الفجر فسمعته حينئذ قال لا اله إلّا الله ومد صوته بها ثم انصرف رضى

الله عنه حدثني الشيخ الثقة المسن ابو عبد الله محمد بن شجرة قال كان
من امر الشيخ رضى الله عنه ايام حمله الصرائر اذا ادركه الاذان وبالقرب
منه مسجد من المساجد يلقى رحله بالارض ويوذن عند باب ذلك المسجد
ثم ينصرف وحدثني الشيخ الكامل المسن ابو محمد عبد السلام بن محمد
القطان وهو اقدم اصحاب الشيخ واكبرهم سنا ان الشيخ رضى الله عنه
كان في اول امره الى بداية حمل الصرائر ملازما للجماعات والجمعات
حريصا على ذلك مبالغا في مراقبة اوقات الصلوات وحدثني ايضا بذلك غير
واحد قال وكان من سيرته رضى الله عنه انه يتوضا في ميضاة ابن عبد
السلام القريبة من جامع الزيتونة عمره الله فاذا اكمل وضوءه عمد الى
ابريق في رحله وملاه بالماء ليغسل به رجليه عند الخروج للنظافة فاذا
فعل ذلك ولبس قبقابه ووصل الى باب الجامع المذكور وقف هنالك
وجعل يروح رجليه في القبقاب يجففهما بذلك من الماء فاذا جفتا دخل
الجامع وعنده على فم الابريق قاعدة ابريق آخر يضع تلك القاعدة للقطع
بطهارتها وجفافها قريبا من مصلاه ويضع فيها ابريقه لئلا يصل الى فرش
الجامع من ابريقه ما عسى ان يلوثه وحدثني ايضا الشيخ المسن المذكور
قال كان من سيرة الشيخ رضى الله عنه وقد تناهت في الثقل صرائره انه ياتي
الى معاصر الزيتون ايام العمل فيها فيجد هنالك الفيتور فيسال عن اربابه
فاذا اخبروه بصاحبه سال منه الاذن في الاكل منه ولا بد ان يجيبه الى
مراده فيجلس رضى الله عنه للاكل منه ويطلب الماء فيعطى الماء الذى لا
يساغ لكونه ملحا اجاجا فيتناوله غير سائل عن حقيقة امره وياخذ في اكل
الفيتور ويسيغه بذلك الماء وهو غير مشمئز النفس من شئ من ذلك وهم
في عجب من امره فاذا قضى من ذلك نهمته حمل صرائره وانصرف
رضى الله عنه وحدثني الشيخ المسن المذكور ايضا قال كان الشيخ رضى
الله عنه ايام حمل الصرائر كثيرا ما يباسط النسوة ومن صغر سنها من
البنات ويداعبهن ويخاطبهن في اثناء ذلك من الكلام الذى اجرى الجد

فيه

فيه مجرى الهزل بما ينهيهن الدهر اليه ويوقفهن بعد طول الامر عليه فتعاين كل واحدة منهن مما خاطبها به برهان امره وتقف من ذلك على خفى سره رضى الله عنه فمن ذلك ما حدثنى ابه الشيخ الحاج الناسك ابو عبد الله محمد بن محمد الربعى عرف المفرغى قال كان الشيخ رضى الله عنه ايام حمل الصرائر وطوافه بها كثيرا ما يتردد الى دارنا ويتعاهد الوقوف على والدتى فانها كانت صالحة الحال وكانت معلمة للبنات تغزلهن وكنا نرى ان كثرة تردد الشيخ الينا انما كان ليسمع الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من افواه الصغار فانهن يغزلن مصليات على النبى صلى الله عليه وسلم حسبما هو معلوم فى ذلك عندهن فكانت امى اذا راته تقول له الى متى تحمل هذه الصرائر فيقول لها حتى يريد الله يا ام الحجاج ثم يقول لها اسقنى الماء يا ام الحجاج وكلما خاطبها يقول يا ام الحجاج ولا نلقى لكلامه هذا بالا قال وكان لى اخوان صغيران جدا فاتفق بعد الامد الطويل ان حج اخى علي وهو اوسطنا عشر حجج وصار هو صاحب العلام بالركب وحججت انا بعده ثلاث حجج وحج اخونا يحيى حجة واحدة توفى فيها ودفن بتلك الاماكن الشريفة وحج ولده بعده اربع حجج قال فحينئذ فهمنا معنا اشارته ومدلول بشارته ونرجو من الله جل جلاله ان يبقى ذلك فى عقبنا الى يوم القيامة ببركة الشيخ رضى الله عنه

فهذا سر هذا الشيخ بـــاد ولكن من لنا بالفهم عنـــه
نطالب بالدليل على عـــلاه وقد ثبت الدليل عليه منه

وما زال امر كرامته رضى الله عنه دائم الظهور وحاله فيها فى البداية والنهاية مشهور حدثنى ابن عون المذكور قال حدثنى الشيخ الصالح ابو القاسم القديدى وكان من اكابر الصالحين رحمة الله عليه بمسجد سولان من جبل مرسى تونس المحروسة قال كنت ايام الشبيبة الازم السواحل بقصد الرباط فكانت علي مرة صلاة المغرب براس الحمراء مرسى من عمل بونة وهى من المراسى المعلومة فاذنت لها واقمت الصلاة وما معى هنالك احد

من الناس فلما دخلت فى الصلاة واستفتحت القراءة واذا بسيدى احمد
ابن عروس قد اتى الى موضع قريب منى فاقام الصلاة وصلى فسلمت
قبله وقصدته فلما راى توجهى اليه ولى منصرفا عنى فتبعته هو يمشى
وانا اجرى الى ان غاب عنى وقد كان الامر فى هذا قبل ان يحمل الصرائر
فلما حملها اجتمعت به يوما قريبا من السوق الجديد الآن بتونس وكان
حينئذ خرابا فلما رآنى قال لى ايما اشد مشيى او جريك رضى الله عنه

اذا كان هذا فى البداية امـــــره   واحواله فى الناس ليس لها رسم
فكيف اذا حال الرسوخ وقد غدا   وكل المعالى من علاه لها وســـــم

وعنه ايضا قال حدثنى الفقيه ابو عبد الله محمد الحمى عرف هلال وكان
احد طلبة الشيخ الفقيه الصدر ابى العباس احمد الشماع رحمه الله
قال كنت ساكنا بمدرسة جامع الهواء من تونس وكان لى مسجد اصلى
به اماما فمررت اليه لصلاة الظهر فوجدت سيدى احمد ابن عروس حول
معصرة العدة بموضع كان هنالك خرابا هو الآن زاوية عمرها الله تعلى
ببركته وصرائره حوله رضى الله عنه وبرمته على النار وهو يدخل يده
فيها ويخرج منها وياكل فنادانى وقال لى كل فهممت بادخال يدى فى البرمة
كما يفعل فلم اطق لحرارة البرمة فقال لى كل فقلت احترقت يدى فادخل
الشيخ يده فى البرمة واخرج منها الطعام ووضعه فى يدى معتدل الحرارة
ثم اكل وقال كل فادخلت يدى واخرجت لقمة باردة واكلتها ثم قال لى
كل فرمت ان ادخل يدى فى البرمة كما ادخلتها اولا فما قدرت على
ذلك واحترقت يدى قبل ان تصل الى الطعام فضحك رضى الله عنه وقال
لى هكذا الرجال يا ديوث هكذا ثم قال لى تكون من اولادى فقلت له
نعم فلزمت صحبته من يومئذ رضى الله عنه وحدثنى الشيخ الصالح ابو
عبد الله محمد بن احمد المسلاتى الخراز شهر ابو خريصة قال كنت اماما
بمسجد سيدى ابى عبد الله المغربى فاتفق ان كانت ليلة شديدة البرد
كثيرة الامطار شديدة الظلمة مع كثرة الطين وكنت قليلا ما اجمع به فصلينا

العشاء الاخيرة واوترنا وخرج الناس ولم يبق فى المسجد احد غيرى فسمعت حركة انسان فى الميضاة فاخذنى العجب من ذلك وقصدته فاذا هو الشيخ رضى الله عنه فقلت له ما هذا ياسيدى احمد فقال امض لشغلك فلم ازل عنده الى ان توضا وغسل ما تعلق به من الطين وحينئذ خرجت وتركته هنالك وصرائره حوله فقال لى اغلق باب المسجد علي فاغلقت عليه الباب وانصرفت فلما كان آخر الليل قبل طلوع الفجر جئت الى المسجد وفتحته فلم اجد له هنالك اثرا رضى الله عنه

فحسب الجاهلين به وحسبى فخامة امره عند البدايه
فمن حسنت بدايته وصحت هدايته نصح له النهايه

ثم انه رضى الله عنه لازم فندق الرصاص الذى هو بازاء حوانيت العدول مدة يسيرة ثم انتقل الى الفندق الذى هو اليوم زاويته الجليلة القدر المنيفة الخطر وهو حينئذ فى ترتيب امره كله كسائر الفنادق بل كان فيه من الخناء وانواع الفسوق ما لم يكن بغيره من الفنادق

وما السر الّا هكذا ليس ان يرى وقد جل قدرا فى مكان له قدر
لان حل هذا النور موضع ظلمة ففى الليلة الظلماء يستحسن البدر
اليس عجيبا حله وهو حفرة فعاد رياضا منه ينشرح الصدر

فكان جلوسه منه اولا عند الباب فاذا جن عليه الليل آوى الى سقيفته ثم انتقل الى وسط قاعته تحت سقف الطبقة العليا منه ثم كذلك

على التدريج شيئا بعد شىء بامداد بما يهوى حفى
تملكه واظهر فيه نورا بامر الله واللطف الخفى

حدثنى الحاج ابو عبد الله محمد المسراتى الجزرى وكان متحريا للصدق على ما اخبرت به وقديما فى معرفة الشيخ على ما حدثنى به هو وغيره ان الشيخ رضى عنه كان يمازح من هنالك من الخرازين الذين حول الفندق المذكور ويباسطهم ويصارعهم ويعاملهم بما يليق بعقولهم ويوافق طباعهم استيلافا لهم وجبرا لقلوبهم ويدفعهم عند مجاوزة حد الادب بالتى

هى احسن وما يفتح به عليه من الطعام يطعمه لهم ولمن يقدم عليه من
الواردين ولسكان الفندق مع مجاهرة بعضهم بالكبائر وعدم الوقوف معه
على حد الاحترام وقلة المبالاة بامره مع الازراء بعظيم قدره رضى الله عنه

لين هزءوا بمنصبه وازروا فسوف يرون عاقبة الامور
وسوف ترى المليحة منتهاها اذا امتاز البغاة من الصقور
فتحمل من لها فى الحسن اصلا على يد ماجد سامى الظهور
وتلزم وكرها الاخرى وتقصى وينتف ريشها بين الطيور

وظهرت له رضى الله عنه وهو بقاعة الفندق خوارق ولاحت من مقامه
العالى وهو بصفة ما ذكرناه بوارق منها ما حدثنى به الشيخ المعتقد ابو
الفضل قاسم بن احمد الزيات وكان من الاقدمين فى معرفة الشيخ على
ما اخبرنى به هو ومن اثق به غيره قال اخبرنى انسان سماه ممن كان
يسكن الفندق المذكور ويرتكب فيه الكبائر مخبرا عن نفسه والحسن ما
شاهدت به الاعداء انه كان متعرضا لاذاية الشيخ بالفعل والقول غير
منته عن ذلك قال فاتفق لى انى اغلقت باب البيت علي والقيت
نفسي فى صورة النائم وانا يقظان واذا بالحائط قد انشق وشاهدت ما كادت
تزهق عند مشاهدته نفسى واخذنى من الخوف والذعر ما لا اقدر على
وصفه ولم يذكر ما رآه من ذلك قال واذا بقائل يقول لى ان عدت الى
اذاية سيدى احمد ابن عروس لا تلومن إلّا نفسك فخرجت فى الحين الى
الشيخ وهو بقاعة الفندق وتراميت على رجليه وانا ابكى معتذرا مما سلف
منى من الاذاية متخلصا من ذلك وهو رضى الله عنه يقول لى ايش رايت
وانا اقول يا سيدى انى تائب الى الله تعلى لا اعود ثم انه لاطفنى وصرفنى
رضى الله عنه ومن يومئذ انا على اعتقاده وتعظيمه رضى الله عنه ونفع
به واما المخنث الذى كان يوذى الشيخ رضى الله عنه فقد اختلف
النقل عندنا فى حكايته بين القطان والجزرى المذكورين وان كان الراجح
عندى والظاهر كونهما قضيتين لعدم تواردهما على محل واحد فى زمن

واحد مع ثبوت تعدد المخنثين فان حكاية الجزرى ذكرها والشيخ فى قاعة الفندق ولم يدخل بعد الى البيت وسنثبتها بعد هذا فى الباب الثانى ان شاء الله وحكاية القطان ذكرها والشيخ فى البيت قال فيها كان هذا المخنث يوذى الشيخ غاية الاذاية مستمرا على اسبابها فعلا وقولا الى ان بلغ من اذايته انه القى العذرة على الشيخ رضى الله عنه من كوة فى البيت التى فوق بيت الشيخ قال فلما اصابه ذلك لم يزد على ان قال ما هذا الكفر قال وطلب الشيخ الماء وغسل ذلك عن نفسه واتفق ان اصاب المخنث بلاء عظيم فى جسده وتعلقت به رائحة لا يشم انتن منها واعيته الحيلة فى ذلك فلجا الى الشيخ معتذرا من ذلك متذللا بين يديه والشيخ يعرض عنه فى ذلك كله فلما طال عليه الامر وتفاقم حاله سافر الى بلاد العناب ثم ركب منها البحر قاصدا للاندلس فاسر والعياذ بالله وصار فى ايدى الكفرة قال فبلغنا انه ارتد وانه مات على ردته والعياذ بالله تعالى ومن مستفيض خوارقه رضى الله عنه ما حدثنى به جمع كبير ان الشيخ رضى الله عنه كان اذا راى احدا يبول فى موضع فى الفندق اعد لذلك يقول له لا تبل فى البئر وكذلك اذا راى احدا اجتاز من ذلك الموضع يقول له دونك البئر لئلا تقع فيه وما هنالك بئر بل ولا فى الفندق كله بئر وانما فيه الماجن الذى هو اليوم فى وسط قاعة الزاوية ولا يلقى الناس لكلامه هذا بالا وانما يرون ذلك من الكلام الذى لا محصول له فلما صار الفندق زاوية وبنيت به الميضاة وجدوا بئرا قديما فى الموضع الذى كان الشيخ ينهاهم عن البول فيه وهو اليوم بئر الزاوية وما كان يعلمه احد قبل ذلك وحدثنى ايضا غير واحد من قدماء اصحابه وغيرهم انه رضى الله عنه كثيرا ما كان ينادى على انسان كان يسكن من الفندق المذكور فى بيت هو اليوم فى موضع المسجد وكان المسكين لاسرافه على نفسه يقترف المعاصى فى ذلك البيت مدمنا على ذلك يا عدو الله تعصى الله فى بيت الله والناس معرضون عن مدلول كلامه رضى الله عنه فاتفق ان صار ذلك البيت

مع سائر بيوت جهته مسجدا وحقق الله كلام وليه وطال عمر الرجل الى ان ادركته وقد عمى وهو يتسول فى الاسواق والعياذ بالله تعالى وحدثنى الشيخ ابو محمد عبد السلام القطان قال كان الشيخ رضى الله عنه ينادى اهل الفندق غير ما مرة يا فيران اخرجوا من الغيران وغاية امر الناس من ذلك سماع كلامه قبل وما ظهر لهم مراد الشيخ الّا بعد انتقال الفندق زاوية وخروجهم منها وهذا من لطيف كنايته رضى الله عنه عن فسقهم بجعلهم فيرانا فان النبى صلى الله عليه وسلم سمى الفارة فويسقة فى حديث الامر باطفاء السراج وما زال رضى الله عنه على ما وصف من حاله بقاعة الفندق المذكور الى ان خلى بيت من بيوته فانتقل اليه وهو البيت الاوسط من الجهة الشرقية من سفلى الزاوية ويفتح للمغرب بحيث يواجه المدخل حدثنى الجزرى المذكور انه اجتمع فى دفع كرائه عنه اربعة نفر احدهم والد الفقيه الصدر ابى عبد الله محمد البيدمورى متولى الاحباس للتاريخ بتونس المحروسة قال ثم ان من له النظر فى الربع السلطانى سمع بذلك فقال السلطان اولى بهذه الحسنة واسقط مناب كراء البيت عن الذى اكترى الفندق واقام به شيئا يسيرا ثم ادخل معه فيه صرائره واغلقه بالحجارة على نفسه ولم يترك سوى تشقيقا يسيرا بين دفتى الباب ومنه يتناول ما يوتى به اليه من طعام وغيره قال الجزرى وامال الله تعلى اليه قلوب عباده فكانوا ياتونه من كل ناحية افواجا واطلق الله له ايديهم بالعطاء الّا انه لاياخذ منهم الدراهم الّا قليلا قال وكان يقول اذا مد انسان اليه شيئا من ذلك تعطونى اوساخكم واما الطعام فيقبله من كل احد فى غالب اوقاته ويعطى لمن حضر عنده و بعد ان اغلق البيت على نفسه لا يعلم له احد تصرفا فى الطعام الذى يوتى به اليه على كثرته ولا يرد شيئا من الاوانى التى ياتيه فيها الطعام واقام رضى الله عنه فى البيت بعد غلقه على هذه الحالة مدة تقرب من سبعة اعوام فما خرج منها فى هذه المدة قط الّا ان يكون على وجه خرق العادة وما زال ما فى البيت

من

من الحجر والقش والفخار يتراكم بعضه على بعض الى ان كاد يصل الى سقف البيت وصار يتناول ما يعطاه من فوق الباب مما يلى الاسكفة رضى الله تعلى عنه ونفع به

والناس عن سرهذا الامر فى سنة ❊ لا يعلمون له وردا ولا صـــدرا
وكل احواله غيب وليس لنـــا ❊ من علمها غير ما منه لنا صـــدرا

وحدثنى غير واحد من ثقاة العارفين بحال الشيخ رضى الله عنه انه كانت معه فى البيت فيران كثيرة عظيمة الخلقة جدا وكانت لا تنفر منه ولا تنزعج من حركاته اخبرنى ابن عون المذكور قال اعجب ما رايت معه للفيران انه رضى الله عنه اخذ الخبز وفتته بين يديه فاجتمعت عليه الفيران تتناهبه وبيده قضيب يضرب به الارض ويقول مخاطبا لها على مهل واحد واحد ثم ان فارا من تلك الفيران صعد على الشيخ وتعلق بصدره الى كتفيه وصعد الى سقف البيت والشيخ على حاله لا يتحرك ومما ظهر له وهو فى البيت من المناقب واخبرنى به من يتفقد احواله ويراقب ما حدثت به من الشيخ ابى الفضل ابالقاسم بن غربال وكان على المعترف من امره ثقة ملحوظا رحمة الله عليه عارفا باحوال الشيخ رضى الله عنه قال اتيت الى الشيخ يوما وهو فى بيته فلما رآنى قال النصارى نزلوا جربة فاهمنى ذلك فلما كان بعد ايام ورد التعريف بنزولهم فى اليوم الذى اخبرنى فيه رضى الله عنه وعنه ايضا قال صليت صلاة عيد الاضحى عام سبعة وثلاثين وثمانمائة وجئت لروية الشيخ رضى الله عنه وللتقبيل عليه فنظر الى وقال لى السلطان مات فقلت له سلطان النصارى ان شاء الله فقال لى ابو فارس يا ديوث هكذا فسقط فى يدى وكنت فارغ الوقت من الطعام فشكوت له ذلك فقال لى لا تخف الحال يمشى بخير ثم ان الخبر وافى بعد ذلك بموته رحمه الله يوم تعريف الشيخ بالمغرب على ازيد من مسيرة عشرين يوما من تونس ومشى الحال بخير كما قال رضى الله عنه فاستقل بعده بالخلافة وقام باعبائها احد حفدته الاكرمين وتوجه من

المغرب لدار ملكه تونس وقد كان الخليفة الجد المرحوم خلف بها نائبا عنه في النظر في امر البلد وتوابعها صاحب وزارته فتغيرت بموت مخدومه لامر اضمره في سريرته وانطمست لما قدر من هلاكه بصيرته فاراد ان ان يطفئ من شمس الخلافة نورا ويطلع اهلته بدورا وكان امر الله قدرا مقدورا فوجه الى الشيخ متجسسا عن غائب امره ودفين سره اعز بنيه لديه واكرمهم عليه على ما حدثني به ابن عون المذكور عن ابن غربال قال فلما وقف بين يدي الشيخ قال له الشيخ رضى الله عنه بعد ان امرهم بنزع ما يبسطوه لجلوسه اذا سالتك عن شئ تخبرني قال نعم قال له انت بر او داخل فتاخر الولد عن الجواب وما زال الشيخ به الى ان قال له برا فقال له الشيخ علي الطلاق لو قلت لي داخل لقلت لك كذبت ثم قال له انصرف والله ما بقى لكم فيها مغرز ابرة فانصرف الولد الاعز تحت امر لا يعلمه إلّا الله واخبر بالموطن امه فجاءت الى الشيخ مع بعض حواشيها من النساء بحيث لا يعرفن من الليل وحملت اليه طعاما وجعلت تبكى بين يديه والشيخ يقول لها هذا امر الله ايش اعمل لك في حكاية طويلة واتفق ان كان الوزير المذكور هرب آخر نهار استقبلته تلك الليلة وكان اتفق ان خرج يوما من بيت الشيخ فار كبير لا ادرى قال قبل هروب الوزير المذكور او بعده وجعل يجرى في قاعة الفندق والشيخ رضى الله عنه ينادى في الحاضرين اقتلوه الحقوه هكذا ثم يقول لهم والله ان منع منكم الاعور الهجين لاعاقبنكم فما زالوا به الى ان قتلوه وتاملوا عينيه لتحقيق قول الشيخ فيه الاعور الهجين فوجدوه اعور العين كما قال رضى الله عنه فاخذهم العجب من ذلك واعجب من عجبهم ان الوزير المذكور الذى هرب اعور العين وان امره اياهم بقتل الفار انما كان كناية عن قتل الوزير المذكور وكذلك كانت عاقبة امره في حديث يطول جلبه وينصدع به من السامع لسرعة تقلب الايام قلبه

فسبحان من خص خلقا بما يشاء وخولهم نعمته

واظهر فى الخلق تصريفهـــم ليظهر فيهم لنا حكمتـــه
وزاد الثقة ابن الشيخ رضى الله عنه قال لابن الاعز المذكور بعد الكلام السابق ارنى رقيبتك فازال لثام العمامة عن رقبته واراهـا له فجعل الشيخ يقول خسارتك من رقيبة ويكرر ذلك فلما امتحن بمحنة والده قتل المسكين بفك رقبته على ما قيل والله اعلم ثم ان الخليفة المذكور قد استقر بدار ملكه وانتظمت فوائد المحاسن كلها بسلكه وكان الفندق المذكور ملكا من الاملاك السلطانية التى له فيها النظر التام والتصرف العام فامده الله تعلى وقد اعاده زاوية بثوابه وشملته بحسن نية عناية من ثوابه واضاف اليه من ربعه الشريف جملة اصول فوصل الى مراده من ربه بذلك ازكى وصول وللناس فى سبب امالة همته العلية الى ذلك طرق تتجاذبها السنة الحاكين ومسالك ولم يصح لدى فى ذلك ما ابنى عليه او استند على يقين من امرى اليه وكل من النقلة الى صحة نقله راكن ولم اقف من ذلك على ما يثلج صدرى ولكن

لا بد من سند لذاك وان خفت عنا بوارقه ومن برهـــان
فالامر جد والعقول شريفـــة ان الملوك نقية الاذهـــان

حدثنى الشيخ ابو سالم ابراهيم بن احمد عن الشيخ المعتقد التالى لكتاب الله تعلى الحاج ابى الثناء محمود بما حدثنى به الحاج ابو الثناء المذكور وقد اجتمعت به عن نفسه كما كان حدثنى به ابو سالم المذكور قال جمعتنى مرة بيت اللفائف من المحلة المظفرة العثمانية مع الفقيه الارفع ابى سالم ابراهيم السليمانى رحمة الله عليه وبعض كبار قواد الدولة الفاروقية العثمانية فذكرنا سيدى احمد ابن عروس واخذنا نتفاوض فى امر كرامته فقال الفقيه ابو سالم المذكور انا احدثكم بما وقع لى مع الشيخ رضى الله عنه وجهنى اليه مولاى المنتصر رحمه الله تعلى وامرنى ان اكتب جميع ما اسمعه منه وارفعه اليه مكتوبا وكان رحمه الله قد اضمر فى نفسه سوال الشيخ ونعرف ما عنده فى سبع مسائل قال الشيخ ابو الثناء المذكور فذكر لنا منها

ثلاث مسائل وطوى الذكر عن باقيها قال فقال لنا اول شيء بدانى به الشيخ
رضى الله عنه ان قال لى وقد وقفت بين يديه جئت تكتب اجلس ثم
قال اكتب الذين نزلوا مرج الزواغين لا تهتم منهم انا اكفيك مئونتهم واشارته
بهذا رضى الله عنه الى عرب حكيم الذين نزلوا بالمرج المذكور لحصار تونس
وقد كان النـاس من امرهم فى شدة فاصابهم من امر الله ما ازعجهم عن
منازلهم تلك ومـا وصلوا الى القيروان الا بعد اياس من انفسهم واموالهم
وذهب لهم من حيوانهم كثير وهـذه احدى المسائل الثلاث ثم قـال لى
رضى الله عنه اكتب اردتهـا زاوية اعملهـا زاوية وهذه والله اعلم
موامرة فى تحبيس الفندق وعمله زاوية وهى ثانية المسائل ثم قال لى
رضى الله عنه اكتب وادخل راسه فى ثوبه فاخرج سفرجلة فى غير ابان
السفرجل لا يرى احسن منها وقال لى تحمل له هـذه ثم امسكها وقال
ما معناه انها ليست كلها له ثم عضها فنزع منها شيئا يسيرا وناولنيه وقال
ما له منها الا هذا والباقى شك الحاج ابو الثناء المذكور هل قال هو لاخيه
او سكت قال فكتبت كلامه رضى الله عنه فى السبع المسائل ودفعت البطاقة
لمولاى المنتصر واعطيته ما ناولنى من السفرجلة مصونا فى كاغد وذكرت
له انه اخرج سفرجلة صفتها كـذا اعطانى منهـا هـذا ولم اذكر له بقية
كلام الشيخ تخوفا من ايلامه بما انهيه اليه من تمام اعلامه فقال لى ما
اعطاك منها الا هـذا فقلت له نعم فقال لى قال لك ما له فيها الا هذه
الكديمة السمع والطاعة الذى عمل الله مبارك قال ثم امر رحمه الله
بتحبيس الزاوية وتوابعها على الشيخ واقاربه واخرج الله تعلى منهـا اهل
الاذاية وكلهم رهين لسعات افاعى فعله وعقاربه فكانت هـذه احدى
كرامات الشيخ التى لا يخبو نورهـا ولا يخفى على من تنورت بصيرته ظهورها

فقل للعائبين له استقيلـوا   فان الشيخ واسطة السلوك
وقد ظهرت خوارقه ويكفى   اخا التحقيق اذعان الملوك

ثم ان هذا الخليفة المحبس المذكور قد انطوت ايامه وعاجله لما يرجوه من

الروح والريحان حمامه وطار من قفص سجن الدنيا الى سعة الرحمة حمامه
وانتظمت بعده كلمة التوحيد باخيه لا رضى الوارث سر الخلافة تعصيبا
وفرضا وهو الامام ابو عمرو عثمان الذى تجملت اليوم بذكره المنابر وارتوت
بنشائه العطر افواه الاقلام من اعين المحابر ومد الملك اليه ودادا يد الانقياد
وما كان استعجله واسفرت العاقبة انه فى اشارة الشيخ هو صاحب
السفرجلة وكان اتفق فى اول دولته المباركة ان المزوار الهلالى اتى الى
الشيخ رضى الله عنه زائرا وهو حينئذ فى البيت السفلى فاخرج الناس
ليخلو فى مراده بالشيخ واراد اخراج خادم الشيخ ابو حوال فزجره الشيخ
عن ذلك قال ابو حوال الخادم المذكور فامره الشيخ رضى الله عنه ان
ياخذ حبلا كان ملقى بقاعة الزاوية ويربط احد طرفيه بوسطه ويربط
طرفه الآخر بسارية من سوارى الزاوية فلما فعل ذلك امره ان يدور
مع السارية ففعل وجعل كلما دار قصر الحبل لالتفافه على السارية الى
ان التصق الهلالى بالسارية فقال له الشيخ زد فقال صفا يريد الحبل
فقال له الشيخ صفت لك اى فرغت ايامك ثم قال له الشيخ ايش
اعمل لك ثم قال له انا نردك مثل البندقى بالجاجل مرجز على الحدادين
فجعل الهلالى يقول ما نزل من السماء حملته الارض وما بقى بعد هذا
الوطن الا اياما يسيرة جدا واخذه الخليفة ومات بدار الثقاف والعياذ
بالله تعالى من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء ومن كراماته
الظاهرة عنه وهو بالبيت ما حدثنى به ابو عبد الله محمد حماد الغريانى
قال حدثنى فلان لرجل سماه ذكر انه ثقة قال اجتمعت بالشيخ رضى الله
عنه وهو حينئذ بالبيت بربض باب السويقة من تونس فى وقت القائلة
فاخذنى العجب من ذلك وجئت مسرعا الى البيت لاقف على حقيقة الامر
فيما رايت فلما رآنى رضى الله عنه قال وهو يضحك طى كانه يعبث بى

اليست خوارقه هذه تدل على قدره الشامخ
وان معارجه للعلى معارج ذى قدم راسخ

ثم انه رضى الله عنه لما تراكمت عليه البيت امتلاء بما فيها فتح فى سقفها منقاصا صعد منه الى البيت الذى فوقه فى الطبقة العليا وغرز فى قاعة الذى انتقل عنه مربعين عظيمين من الخشب شاهدتهما وقد اعادوا البيت وما حواليه من البيوت روضة للدفن بموت اول دفين فيها وهو الشيخ ابو محمد عبد الله بكسر الدال نائبه بالزاوية وولد اخيه رحمه الله واستفاض ان الشيخ رضى الله عنه لم يطلع له احد من خدمته الاقربين واصحابه المقربين مدة اقامته بالبيت على فضلة غائط ولا شاهدوا له شيئا من ذلك بالبيت المذكور بخلاف السطح وكانت اقامته بهذا البيت العلوى على ما اخبرنى به غير واحد نحوا من ثلاثين شهرا قالوا ومنها ظهر فوق السطح فى عام احد واربعين وثمانمائة قالوا واقام فوق السطح سنة او قريبا منها وليس بينه وبين الحر والبرد حاجز من بناء او غيره ثم انه رضى الله عنه اتخذ كساء تكنه وارقفها باعواد ثم جعل يضيف اليها الحصر ويرقيها ويوسعها شيئا فشيئا الى ان عادت نوالة على ما ادركناها عليه فانظر الى تقلبات هذا الشيخ فى قوالب الطوارة وانكماش امثالنا عن ادراك خفيات اسراره اخصب روض رياضته وتارج وما زال لديه ما حلا والف مرافقة رفاق المحبين فلا تراه إلّا راحلا

لسلمى بسلع ووادى النقـا فتى فى الغرام هو الاعـزل
يرى اللوم لوما بحكم الهـوى وعن مذهب الحق لا يعـزل
ويهوى التنقل لكن متى يقال اطمان به المنـزل

وكانت سيرته المستفيضة المعلومة بعد صعود السطح ان الزائرين لا يصعدون عنده الى السطح كما يصعدون اليوم ولا يصلون اليه وانما يصل اليه اقاربه لمناولة ما عسى ان يحتاج اليه او تدعوه الضرورة الى الخدمة فى مهم يراه عنده فيصعد اليه اصحابه بقصد ذلك وكان يخاطب الناس من فوق سطحه وهم وقوف بالممر الذى امام الزاوية وتارة يشرف عليهم من العلو الذى فى طالع السطح من الزاوية ويخاطبهم من

المنقاص

المنقاص المشرف على وسطه وكل ما ياتى به الزائرون من انواع الطعام وغيرة يتناوله رضى الله عنه بحبل رقيق اعده لذلك وربما يحمل به الاشياء الثقيلة بحيث يخيل للناظرين ان الشئ المحمول محقق السقوط قالوا وربما يطمع رضى الله عنه الواقفين فى سقوط الشئ المحمول حتى يتهيأ بعضهم لتلقيه فاذا راى ذلك من فاعله باسطه بقوله طماع اقام على هذه الحالة مدة طويلة ثم سرح للناس السطح السفلى وكان اخفض ارتفاعا مما هو عليه فكان الناس يقفون هنالك بين يديه ولا يصل اليه حيث النوالة احد إلّا من ضرورة وعلى هذه الحالة ادركت امره فى شعبان عام سبعة وخمسين وثمانمائة ولما كان فى اواخر عام خمسة وستين وثمانمائة وجدت الامر كما كنت اعهده تبدل والشيخ رضى الله عنه الى مخالطة الناس تنزل فكان يصل الى نوالته القريب والقاصى والمطيع والعاصى وامره ذلك معهم بين القبض والبسط دائر والناس الى محله الارفع بين مهرول وساتر وقد تم ترتيب البداية ههنا على وجهه الارضى وغايته التصوى

ولم اعز إلّا بالذى صح نقله لدى ولم اجنح الى كل ما يروى
فنبعة حلو كوثرى رحيقها يروى وما بالبحر ملحا فتى يروى
وما الامر مما يزدرى بحديثه ولا الشيخ ممن حظه عندنا الدعوى
وقد بعدت شاوا شماخة قدره فما ان يساميها سماك ولا عوا

ولا بد هنا من الاشارة الى التعريف بقدره العالى ومقامه الشريف الحالى وذكر من شهد له بالولاية واعترف ممن كان فى زمانه من بحر المواهب اغترف فمن ذلك ما كاتبنى به امين المملكة العثمانية وصاحب الاشغال الافريقية السلطانية وهو الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن الكماد وكان له على مكانة من اسند اليه حديثه هذا اصح اعتماد وقد وجه الينا ان لا نحيد فى النقل عن نص كتابه فاعراضنا عن ذلك بعد الافصاح به تعرض لعتابه قال يقول كاتبه العبد الفقير الى رحمة الله تعلى محمد بن عبد الكريم بن الكماد لطف الله به وعفا عنه سمعت من سيدنا ومولانا وشيخنا

وبركتنا الولى بحق والثابت القدم بصدق سيدى سعيد الصفروى رضى الله
عنه غير ما مرة يقول ابو العباس احمد ابن عروس من اولياء الله تعلى وهو
من السبعة الابدال وكان والدى رحمه الله تعلى ينهانى عن الدخول للشيخ
رضى الله عنه وكنا مجاورين للشيخ رضى الله تعلى عنه فحضر يوما
مجلس السيد الشيخ الولى الصالح العارف الكبير الشهير ابى عثمان سعيد
الصفروى رضى الله عنه والقارى يقرا بين يديه بعض كتب السادة
المتصوفة رضى الله عنهم والشيخ يتكلم ثم انه قال فى اثناء كلامه رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وقال لى ابو العباس احمد ابن
عروس ولى الله وهو من السبعة الابدال فرايت والدى رحمه الله يبكى
حتى اشفقت عليه ثم انه انكب على رجلي الشيخ رضى الله عنه بعد
افتراق المجلس وقابله رضى الله عنه بخير ودعا له فلما خرجنا قال لى
يا ولدى اقول كما قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رضى الله عنه لما
سمع كلام الشيخ القطب سيدى ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه
هذا هو الكلام العجيب الغريب القريب العهد من الله واستغفر الله ورجع
الى اعتقاد الشيخ الصالح الولى الغوث الكبير سيدى ابو العباس احمد ابن
عروس رضى الله عنه وتعظيمه واقلع عن اعتقاده الاول والشكر لله على ذلك
وكان كلام الشيخ رضى الله عنه مكاشفة لوالدى رحمه الله وههنا انتهى
كلامه وتم على شوطه اعلامه

فهل بعد هذا حجة لاخى الحجا ... يقوم بها يوما وقد قرطس السهم
ولى روى عن سيد الخلق انه ... ولى وما فى نقله عندنا وهم

وزاد بعض الفضلاء فى الحكاية ان الشيخ الصفروى المذكور رضى الله عنه
جاء الى الشيخ رضى الله عنه فى بقية ليلته التى راى فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبره عنه بما ذكره فلما كان عند صومعة جامع الزيتونة
عمره الله ناداه الشيخ رضى الله عنه من فوق سطحه الى اين الى اين
بعد آش بعد آش

كانه قال هلا جئت زائرنـــــا والسر منا بسر الله مكتـــــوم
اما وقد بان مما قد رايت بهــــا رويته فعليك البر محتـــــوم

ومما له فى المكاتبة المذكورة من مقول وهو على الشريطة السابقة منقول قوله وسمعت من الشيخ الحاج الصالح سيدى ابى القاسم الفيتورى رضى الله عنه قال كان الشيخ الولى الشهير سيدى عبد المومن رضى الله عنه يقف تحت السطح الذى الشيخ الآن به والموضع حينئذ على الصفة التى كان عليها فى القديم وقبل ان يظهر الشيخ رضى الله عنه يقول يافقراء هنا نخلف القنديل ويكرر هذا الكلام وفى رواية اخرى عن غيره انه كان يقول ياربع جاءك قنديلك

فقد ظهر القنديل بدءا وعــاد فى توسطه بدرا وام العلى شمســـا
فان غابت الشمس المنيرة اطلعت حقيقته شمسـا فنمسى وما امسى

ومن الصريح فى رفعة مقام الشيخ رضى الله عنه وعلو قدره وسمو درجته عند الله تعلى وتزكية سره ان احد اصحاب الشيخ الولى ابى عبد الله محمد الجلاد رضى الله عنه وكان شاذلى الطريقة ومن ارباب الحقيقة كان ربما يصل الى منزلنا بتونس المحروسة فاتفق ان الفاه يوما عندنا بعض اصحاب الشيخ رضى الله عنه فاسر الي فيه ان هذا الرجل ممن لا يعتقد الشيخ رضى الله عنه فكان الرجل كوشف بمقالته فقال لى مفاتحا اما الشيخ سيدى احمد ابن عروس فهو من اولياء الله وقد كنت مرة مع شيخنا الجلاد فذكروا عنده الشيخ رضى الله فلم يجب فى امره بشئ ثم اعيد من الغد الكلام على الشيخ فقال لا تقولوا فيه إلّا خيرا فسالناه عن موجب سكوته بالامس وكلامه اليوم فقال انكم لما ذكرتموه بالامس بقى فى النفس من ذلك شئ فلما كان الليل وخلوت بوردى خاطبنى مخاطب من وراء ظهرى اسمع الصوت ولا ارى الشخص ابن عروس • من الرءوس ذكره يحيى النفوس • عطية الملك القدوس • فقلت هذا مَن الشيطان فاعاد الثانية ثم اعاد الثالثة فاستغفرت الله تعلى

فهل مثل هذا الامر يصدر عن هوى ويبرز عن هزل ويبدو بلا ســـــر
وما امر هذا الشيخ عند اولى النهى سوى الشمس اشراقا وان كان فى ستر

ومن ذلك ما حدثنى به غير ما مرة الشيخ المسن ابو محمد عبد الكريم الغريانى القاطن بتونس المحروسة وكان كثيرا ما يتعاهد الاربعينية وكان باخباره عن نفسه لا يعتقد الشيخ رضى الله عنه قال اتفق لى مرة فى خلوة اربعينيتى ان الروحانية خاطبونى فى امر الشيخ وكان من خطابهم ان قالوا لى ما عندك فى امر الشيخ فقلت اى شيخ فقالوا ابن عروس فقلت لا اعتقده فقالوا ولم لا تعتقده وهو من اهل العلم اللدنى فقلت ايضا انى لا اعتقده فقالوا انه شيخ الوقت قال ثم انتقلوا معى الى الكلام فى امر الخضر عليه السلام وذكر ما لا حاجة بنا الى ذكره هنا قال ومع هذا كله فالنفس غير منشرحة منى الى اعتقاده قلت والى الآن قال والى الآن وهذا هو اعجب العجيب دعى الى رشده فابى ان يجيب

تبدى له الحق لكن ابى وصد لسابقة ابعدتـــــه
ولو لاح من رشـــده لائح لكانت سعادته ساعدته

ومن ذلك ما حدثنى به الحاج الناسك ابو الحسن على النفاتى وهو من فضلاء اصحاب الشيخ الاقدمين قال وجهنى الشيخ رضى الله عنه الى بلد الحامة صحبة بعض فضلاء معتقديه من اهل الطلب لرجل سماه وقد كان قاضى البلدة المذكورة لم يعامله بالانصاف فى مرتبه الجارى له على يديه من البلدة المذكورة وبعد اجتماعى بالقاضى المذكور وبلوغى معه فى مراجعة الكلام الى الحد الذى امرض باطنى وازعجنى خرجت الى نفزاوة لروية الشيخ الصالح الشهير الحجة الواضحة الولى الكبير ابى عبد الله محمد الزنجارى النفزاوى رضى الله عنه وكان من اهل التصريف والمقام الشريف فقلت له وقد اجتمعت به انت سلطان موضعك ولو كان فيك ربح ما بعثنى الشيخ رضى الله عنه من تونس الى هنا فقال لى والله لو تغير من قلب الشيخ هكذا وجمع بين طرفى سبابته وابهامه

لاملك الله به اقليما لكنه رضى الله عنه تخلق باخلاق الرحمة بحيث ينفع الناس كلهم البر والفاجر قال ثم ذكر لنا امر قدومه الى تونس فقال لما قدمتها اقمت بالمرناقية قرية غربى تونس ثلاثة ايام وقلت لا ادخل حتى ياذن لى اصحاب البلد فقال لى اصحابى ومن اصحاب البلد فقلت لهم سلطانها سيدى احمد ابن عروس ونقيبها سيدى احمد شوشو ثم استاذنت فجاء النقيب للاقانى ثم ذكر لنا امر اجتماعه هو والنقيب المذكور بقاضى الجماعة حينئذ وهو الفقيه القسنطينى رحمة الله عليه فى مجلس الخليفة وانه قال للنقيب وقد امعن فى ذكر الشيخ رضى الله عنه سيدى احمد ابن عروس من اهل الاذن مع الله تعلى وممن يقول قلت لربى وقال لى ربى وانه اجاب القاضى المذكور وقد انكر عليه هذه المقالة بعد نشر فسطاط المفاوضة ونشر احاديث المعارضة فى ذلك والمناقضة سيدى احمد ابن عروس سيد الناس كلهم فى وقته من هنا الى باب المشرق ومن هنا الى باب المغرب وانا من بعض خدمته وانما جلست باذن الله ثم باذنه فانظر الى اعتراف هذا الكامل له بالمنزلة التى حازها اتصالا وقربا والمكانة التى ساد بها كافة اهل زمانه شرقا وغربا

وهذا وما اهدت حقيقة حاله ... لمستطلع للسر من امرها نولا

فلو شاهد اليوم المقام وشيخه ... لضاق به ذرعا ولم يستطع قولا

ومن ذلك عن الحاج البقانى المذكور قال دخلت بلد العناب واجتمعت فيها بالشيخ الصالح ابى محمد عبد الوهاب المراكشى وكان من كبار اولياء الله تعلى ومن اهل خرق العادة فقال لى انت بجوار الشيخ ابن عروس وفى البيت الذى عن يساره والشيخ رضى الله عنه حينئذ فى البيت السفلى لم يصعد بعد الى السطح وجعل يخبرنى عن حالى كله مع الشيخ الى ان اخبرنى عن اوانى البيت فقلت فى نفسى وقد ادركنى من امره العجب هذا شيطان تصور لى فما اتممت الخاطر إلّا وهو يقرا علي سورة الواقعة ثم قبلنى فى جبينى ثلاث مرات وقال انت اخى من الشيخ وان ادبناك

يكون ذلك سوء ادب مع الشيخ لسنا بشياطين ولا يتطور الشيطان علينا
ان شاء الله فقلت له يا سيدى صحيح ان الشيخ هو السلطان يريد
سيدى احمد ابن عروس قال فقال لى السلطان القرآن لكن الشيخ
رضى الله عنه هو الاستاذ واذا عرضت لنا عنده حاجة نرسل عليه طوارق
فتقضى منه حوائجنا وننصرف وكل واحد منا حاكم على موضعه

اذا كان هذا وامثاله يرون الى مجده الامر آل
فنحن على عجزنا منهم احق واولى بذل السؤال

ومن ذلك عن النفاتى المذكور قال كنت منقطعا الى شيخ وقته الفقيه
العلم الادرى سيدى قاسم العبدوسى رضى الله عنه ورحمه وكان يعلمنى
آداب الشريعة وكان سيدى احمد ابن عروس ابغض الناس الي وكان
رضى الله عنه اذا رآنى يقول يازفيت اقم مويزنك ليدى ترجع قال
فبينما انا يوما اصلى على النبى صلى الله عليه وسلم في مسجد الصفصافة
من ربض نفات بتونس المحروسة واذا بقائل يقول لى وانا متيقظ اسمع
الصوت ولا ارى الشخص عليك بابن عروس تنتفع واعاد ذلك ثلاث
مرات فتعوذت بالله من الشيطان الرجيم وقرات آية الكرسى فقال لست
بشيطان عليك بابن عروس تنتفع قال ثم انى رايته رضى الله عنه فى
سبعة من المشايخ لا اعرفهم وكانما معهم سلطاننا للتاريخ وكان اولئك
المشايخ يقولون للسلطان المذكور ان سالت عن هذا واشاروا الى الشيخ
فما فى الزمان من يلحق له درجة قال ثم رايته بعد ذلك فى النوم
رضى الله عنه وكانى مربوط بوسطه ثم انى اتيته رضى الله عنه فى
اليقظة فقال لى لا اله إلّا الله سمعنا فى جامع الصفصافة وما صدقنا
ورأينا فى النوم السبعة المشايخ وما صدقنا ورأينا ارواحنا مربوطين فى
وسطه وما صدقنا ثم قرا رضى الله عنه واما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى ثم قال لى رضى الله عنه من شرق
او غرب خاطرى يرعاك اين ما كنت قال فمن يومئذ وقفت عند مراسم

حدوده

حدوده نهيا وامرا وتركت بانقطاعى الى منيع حماه زيدا وعمرا

اليس عجيبا انه شيخ وقتنا وليس له فى عصره عندهم مثل

ونحن اذام الجهل اعين فهمنا فلسنا نرى شيئا وجهل الفتى قتل

ومن ذلك ما حدثنى به المعلم ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان عرف البزويش قال دخل سيدى محمد شوشو يوما للزاوية العروسية فلاقاه بعض المعتقدين من طلبة العلم لرجل سماه فسأله عن الشيخ اين هو فقال له هو فوق سطحه فقال له سيدى محمد المذكور لازم النظر فى وجه هذا الشيخ فما من مطلع الشمس الى مغربها احد مثله

فمثل هذا فى جلالة قدره ان قال يوما يقتدى الفضلاء

واليك ما ابدى هنا للشيخ من شرف اليه قد انتهى الكملاء

وعنه ايضا قال مرض سيدى محمد شوشو المذكور رضى الله عنه ثم نقه فجاءه انسان من اهل قرطاجنة بقرص من الشعير وعشرين بيضة فتناول منه ذلك وقال حين رآه هذه هدية قريانى فلما اراد الخروج قال له الى اين تمشى قال الى سيدى احمد ابن عروس قال فمما حملت اليه قال مثل ما حملت اليك فقال اذا وصلت اليه فقل له محمد شوشو يسلم عليك يا ولى الله

فانظر اليه على علو مقامه وشفوفه لم يدع استبدادا

بل امه متطلعا لمزيده متطلبا من بحره استمدادا

وعنه ايضا قال اخبرنى منشد الشيخ المذكور رضى الله عنه قال اتيت مع الشيخ الى الشيخ ابن عروس رضى الله عنهما فلما وصلنا اليه قال له شيخنا اقول لك كلاما تقبله منى قال ما هو قال على بركة الله البس ثوبين نظيفين وانزل الى جامع الزيتونة يجتمع عليك الاطفال ويدعون لك بخير فقال له انى اشتهيت برمة من لحم الوحش فقال له شيخنا اولاد ابن عبد العزيز يعتقدونك وهم يطعمونك ما اشتهيت قال ثم التفت الى وقال لى عرفت ما وقع بينى وبين هذا فقلت لا فقال طلبت منه النزول

الى مخالطة الناس لينتفعوا به فقال لى لا اعرف إلّا الله فقلت له اقم اعزك الله وعنه فى المعنى عن المنشد المذكور قال وقفت مع شيخنا بين يدى الشيخ رضى الله عنهما والناس ياتونه بانواع الاطعمة وغيرها فقلت لشيخنا هذا هو الرجل ياتيه الناس بكل شيء مشتهى وهو جالس فى مكانه وانت انما ياتيك ذلك بعد التعب الكبير فقال لى سبحان من اقام العباد فيما اراد ابن عروس يرى انه لا يعرف إلّا الله ونحن نعرف الله ونعرف الخلق ومن ذلك ما حدثنى به الشيخ الصالح الولى ابو الحسن علي بن علي عرف المقدم وقد اجتمعنا بموضعه من دخلة الجزيرة القبلية فى اواخر شهر ربيع الاول الشريف من عام سبعة وستين وثمانمائة وكنا اطلعناه على كتابنا هذا فاستبشر لمرآه وذكر انه احسن كتاب فى هذا المعنى رآه وكان من دعائه لى ان قال اسال الله ان لا يعدمك بركة هذا الشيخ وان ينور قلبك ويزيدك نورا على نور قال بينما انا فى دارى يوما بتونس واذا بسيدى محمد شوشو رضى الله عنه فى جماعة من اصحابه يسالون عنى فلما خرجت اليهم قال لى رضى الله عنه اعزم على زيارة الرى دردريك ومعناه باللسان الرومى السلطان الكبير فقلت ومن هو قال ابن عروس فقلت على بركة الله وانصرفنا نحوه فلما قربنا من زاويته قال ادخلوا عليه بالذكر فاخذنا نذكر الى ان دخلنا الزاوية وكان الشيخ رضى الله عنه امرهم بطعام فهيئوه قبل قدومنا عليه فلما وصلنا اليه امرهم باحضار ذلك الطعام فاخذوا فى الاكل وسيدى محمد شوشو رضى الله عنه لم يزل يذكر فقال الشيخ فى عدم موافقة اصحابه فى الاكل وانفراده عنهم بالذكر الناس ياكلون يا حمار فسال رضى الله عنه عن مقالة الشيخ فلم يجبه احد بذلك اجلالا له وهيبة فقال لابد ان تخبرونى فاخبروه فقال لاصحابه قولوا معى كما اقول وجعل يقول (آش قالت النخلة للداليه انت القصيرة وانا العاليه) ويكرر هذا الكلام واصحابه يتبعونه فى هذا والشيخ رضى الله عنه ساكت لا يزيدهم فى ذلك شيئا

فهذا

فهذا اعتراف منه للشيخ انه لديهم هو السلطان والعلم الارضى
وان له الامر المطاع وانه مكين يرى ذو الراى اعزازه فرضا

ومن ذلك عن الشيخ الصالح المقدم المذكور قال اجتاز سيدى محمد شوشو رضى الله عنه امام الزاوية العروسية فاشرف عليه الشيخ رضى الله عنه من فوق سطحه وقال له غلبتك لحيتك يا ديوث هكذا فقال له وايش نعمل خاطرك خاطرك وانصرف وهو يقول خاطرك فانظر الى اعتراف هذا الكامل له باليد البيضاء فى احكام الولاية والقدم الراسخ فى درجات النهاية وهو فى وقته من الصدور المحققين والاعلام الصادقين واحد من اظهره الله تعلى بافريقية الى الوجود وصرفه فى الكون واراه شواهد الغيب من مشكاة الجود وانتهت اليه رئاسة هذا الشان بتونس المحروسة واضحكت بها احواله الخارقة من رياض الصالحين غروسه وله الاحوال السنية العلية والكرامات الواضحة الجلية منها ما حدثنى به قريبه ابو عبد الله محمد البزويش المذكور قال قال لى يوما رضى الله عنه كنت فى صحن جامع الزيتونة يوما ومعى الشيخ الصالح ابو العباس احمد ابو حوال ونحن شابان صغيران واذا بالشيخ الجديدى رضى الله عنه دخل علينا فقمت اليه وقبلت يده وقلت يا سيدى ادع الله لى فامسك باذنى وقال يا شوشو يكون لك بتونس شان كبير ومنها عنه ايضا قال قال لى رضى الله عنه خرجت مرة مع سيدى احمد ابو حوال المذكور ومعنا ثالث ذكر محدثى انه نسيه ومعنا برمة فيها ما يوكل فلما دنونا من الزلاج وجلسنا للاكل واذا بفارس معتجر لا يظهر منه إلّا سواد الحدق فسلم علينا ووقف ولم نعلم من هو فدعوناه للاكل معنا فقال انا فارس وانتم جلوس فقمت اليه وانزلته فجاء يمشى وجلس بيننا ثم انه اسفر عن وجهه فاذا هو شيخنا القرنبالى رضى الله عنه وكان مقعدا فلم نر به عاهة فادهشنا منه ذلك المشهد فقال لا تخافوا انما كان هذا منى باذن من الله ثم قال اما انت يا شوشو فقد اعطيناك تونس تتصرف فيها وتنظر فى امر الناس فالله الله فى امة سيدنا

ومولانا محمد وانت يا ابا حوال ملزم من ملازم الدخلة اعطيناها لك
واعطينا مصر لفلان للرجل الثالث وانا ان شاء الله القى ربي فى هذه
السنة فكان الامر فى جميع ما ذكره كما قال رضى الله عنه ومنها ما حدثنى
به الشيخ الصالح ابو الحسن علي المقدم المذكور رضى الله عنه قال كنت
يوما بجامع الزيتونة واذا بسيدى محمد شوشو رضى الله عنه يحوم فى الجامع
وكلما وجد جماعة وقف عندها كالباحث عمن ذهب عنه فقلت فى نفسى
وانا بعيد منه يا ليت شعرى هل هذا الشيخ من البدلاء او هو صاحب
الوقت او نقيب فاذا به رضى الله عنه قد توجه نحوى واجتاز عنى
كانه لا يريدنى ثم رجع الي وقال وقد داسنى بقدميه من انت لانه
ضرير فقلت المقدم فجلس الي وقال فيما بينى وبينه انا نقيبها وانا من
البدلاء وانا صاحب الوقت وانا مجنونها وانت جحاها فقلت له كيف
ذلك قال تمزح وتقول الحق ومنها عن الشيخ المقدم المذكور رضى الله
عنه قال كنت فى دارى بتونس واذا بسيدى محمد شوشو ناداني فلما
خرجت اليه قال لى هذا السلطان ابو فارس يعتقدنا ونعتقده ويحبنا
ونحبه فاعزم على زيارته فقلت على بركة الله فلما دخلنا القصبة وقربنا
من المجلس تلقانا الزوار الهلالى وردنا عن الوصول الى السلطان ردا
منكرا فبينما نحن معه على هذا واذا بصاحب التنفيد حينئذ وهو ابن قليل
الهم قد ورد علينا فقال للهلالى المذكور ما لك مع هولاء فقال له انهم ارادوا
الدخول لمجلس السلطان وما لهم عنده حاجة واخذ يقبح فينا بكل منكر
من القول وزور فقال له المنفد المذكور اصبت فى هولاء الدرابلية الكذا
الكذا وتكلم من قبيح الكلام ما شاء الله فلما راينا ذلك منهما جميعا خرجنا
فبلغ السلطان ما كان منهما لنا فوجه فى طلبنا فلما دخلنا عليه مجلسه قال
له سيدى محمد سلام عليكم نصركم الله ثم قال لى يامقدم بايع فقلت سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلطان علي وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته ثم قال سلام عليكم نصركم الله وقال لى يا مقدم بايع فقلت ايضا

سلام

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلطان علي كما تقدم هكذا مرارا متعددة ثم سالني رضي الله عنه وكان ضريرا عن السلطان فقلت هو الذي يكلمك فقال له بعد ان امسكه ما لي بك يا امير المومنين خلافة فقال له ولاي شيء ياحبيبي وانا اعتقدك واحبك ثم مد يده رضي الله عنه فوقعت على انسان فسالني عنه فقلت له هو مولاي ابو عبد الله فقال له مقالته التي قال للخليفة والده ثم مد يده رضي الله عنه فوقعت على صبي صغير كان بين يدي السلطان في سن من لا يلبس العمامة وعليه اذ ذاك شاية منصفة من ملف وعلى راسه شاشية كسبت راسه الى ان كادت تصل الى حاجبيه فسال عنه وما كنت اعرفه قبل ذلك فسالت عنه من كان قريبا مني فقيل لي هو حفيد السلطان وابو مولاي ابو عبد الله واسمه عثمان فاخبرته بذلك فضمه اليه وقال له سلام عليكم نصرك الله ياامير المومنين ثم قال له ياامير المومنين يامولاي عثمان ياحبيبي ما تحكم لي في الهلالي وابن قليل الهم فقال له وهو يضحك نعم نحكم لك فلما قال له ذلك قال لي يامقدم قم انقضت الحاجة فما زال امر الخلافة دائرا الى ان استقر بامر الله لديه وكان هلاك من ذكر باذن الله على يديه وحقق الله قول وليه فيما قاله وصدق فيه ويفعل الله ما يشاء مقاله ومنها ما حدثني به ابو سالم ابراهيم المذكور قال حدثني الشيخ الكامل ابو عبد الله محمد السوقي ان سيدي محمدا شوشو رضي الله عنه اغتسل في ليلة شديدة البرد غزيرة المطر في فصل الشتاء سبعين مرة كلما اخذته سنة احتلم وقام الى الميزاب فاغتسل بما يجري منه من ماء المطر الى ان استكمل العدة المذكورة رضي الله تعلى عنه ومنها عن ابي سالم المذكور قال حدثني الشيخ السوقي المذكور قال حدثني الشيخ ابو عبد الله محمد النويشي قال حدثني الشيخ الصالح ابو الفضل قاسم الفيتوري رحمة الله تعلى عليه قال كان في حمام سوق الفلقة بتونس المحروسة معلم جربي وكان بئر الحمام المذكور قد نزح فانتهى الامر فيه الى صاحب الحبس ليقيله او يرفق به فلم يجبه الى مراده من ذلك فاخبر بامره بعض

اصحابه واظهر له التوجع من مصابه فقال له الفكاك عندك فى الحمام وانت فى
هذا الكرب العظيم فقال له صاحب الحمام ومن هو قال سيدى محمد شوشو
فتجرد الحمامى من ثيابه وقصد الشيخ فى داخل الحمام فوجده ملقى على
ظهره وحواليه اولاد الدخان الذين يلوذون به فجلس عند رجليه ورفع
احدهما ووضعها على ركبته فضمها الشيخ ونهض قائما وقال من انت فقال
له انا معلم الحمام يا سيدى وذكر له امره وبكى بين يديه فقال له
رضى الله عنه مرادك فى كثرة الماء او فى الاقالة فقال له يا سيدى
لا اقدر على ترك باب السبب ان امكننى ذلك فقال احمل فى يدك قلة
واملاها من بئر سيدى سفيان وافرغها فى البئر واذا خرجت من الحمام
اجتاز من هنالك واكلمه من الطاق قال ففعلت ما امرنى به وجلست
فى مكانى من الحمام واذا بالسواق الذى يسنى على البئر قد جاء الى وقال
لى ارفعوا فى الحبل فان البئر كثر فيه الماء فقمت معه ووجدت الامر كما
قال ونقصنا من طول الحبل لارتفاع الماء فى البئر ورجعت الى مكانى فبينما
انا جالس واذا بالسواق قد عاد الى وقال لى كثر الماء فارفعوا لى فى الحبل
فقمت ايضا معه ونقصنا من طول الحبل وعدت الى مكانى فاذا به ايضا
قد عاد وقال ارفعوا لى فى الحبل فان الماء غلبنى ففعلت وما زال الماء يتزايد
ونحن نقصر من طول الحبل الى ان بلغ الماء فى ارتفاعه فى البئر كذا كذا
قامة تزيد على العشر ومن يومئذ الى الآن ما نزح البئر المذكور ولا فرغ
ماوه قال الحمامى المذكور وكان رضى الله عنه قال لى اوصيك ان تجعل
فيه نصيبا لله تعلى ومن دخل اليك من هولاء الاطفال يريد اولاد الدخان
تعاملهم بخير فقلت له السمع والطاعة قال وكان يوصينى وهو يبكى رضى
الله عنه وعنه ايضا عن الشيخ السوقى المذكور قال كان سيدى محمد شوشو
رضى الله عنه يقول لى يا محمد لى اولاد بالمشرق واولاد بالمغرب الوذ على
الجميع بسر لطيف لا يعلمه الا الله تعلى قال وكان رضى الله عنه يقول
اذا كان المتبوع ذليلا كان التابع اذل وكراماته رضى الله عنه كثيرة جدا

واحواله

واحواله الخارقة لا نبلغ لغايتها حدا وفيما ذكرناه منها قصد التماس البركة بذكرها كفاية والله نسال به وبامثاله ان يسلك بنا لمرضاته سبيل التوفيق والهداية ومن المعترفين للشيخ رضى الله عنه برسوخ قدم الولاية وعلو المقام ممن اثبت صدرا فى ديوان الاكابر وعلى الطريقة استقام الشيخ الصالح القائم على قدم التجريد الحجة فى زمانه على كل سالك ومريد ابو الفضل قاسم بن نافع الاندلسى المالقى وهو على ما حدثنى به جماعة من ثقاة العارفين به عند سلطان المسافرين اليوم قالوا وذلك انه كان يقول فى غير ما موطن ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه هو سلطان المسافرين فى وقته وانا اليوم فى مقامى سلطان المسافرين فى وقتى وسئل من استاذك فقال ما لى استاذ انما استاذى ابو العباس الخضر عليه السلام وانا تحت دائرته قالوا ثم انتقل بعد هذا من تونس الى المشرق واقام به نحوا من اثنى عشر عاما ثم عاد الى تونس فكان يقول انا تحت دائرة الشيخ سيدى احمد ابن عروس فقيل له انك كنت قلت لنا خلاف هذا فقال انما دخلت فى دائرته باذن ابى العباس الخضر عليه السلام فان الشيخ رضى الله عنه خليفته فى التصريف فى الكون

اليس هذا بكاف فى مكانته ورفعة القدر منه عند مولاه
احله رتبة جلت ورفعه قدرا فسبحان من اعطى واولاه

ومنهم الشيخ الصالح الولى الربانى ابو العباس سيدى احمد عسيلة رضى الله عنه كان يقول كلما سئل عن سبب حلقه لحيته ما لاحد مع ابن عروس لحية او ما هو قريب من هذا المعنى وحدثنى ابن عون وابو الفضل ابن باقوش قال كان اصحاب الشيخ رضى الله عنه يعملون يوما فى الطين بين يديه للبنيان وهو جالس ينظر فيهم وينهضهم للعمل فاحتاجوا فى عمل ذلك الى الماء وطلبوه من الشيخ فقال لهم اعملوا الساعة ياتيكم الماء فبينما هم كذلك واذا بالسقائين قد اتوا بالماء وقالوا بعثنا سيدى احمد عسيلة وقال لنا احملوا الماء الى الزاوية فان السلطان عنده الحركة يريد سيدى احمد

ابن عروس وعن ابن عون ايضا قال حدثني منصور البنزرتي قال اجتمعت بسيدى احمد عسيلة رضى الله عنه وشكوت اليه بعض ما كان اهمني فاعطانى ربع دينار وقال لى سيدى ابو سعيد الباجى نفع الله به سيدى احمد ابن عروس براءته نافذة فى المشرق والمغرب وحدثنى الامير الاجل ابو محمد الحسن ابن الامير الاجل ابى الذبيح اسماعيل قال اجتمعت مرة على زيارة الشيخ سيدى احمد ابن عروس ثم بعده سيدى احمد عسيلة فزرت الشيخ ولما جئت الى سيدى احمد عسيلة قال لى جئت من عند السلطان فسكت وما كنت رايته فى تلك المدة كلها فعلمت ان مراده سيدى احمد ابن عروس وحدثنى الشاب الصالح ابو الحسن علي بن عبد الحليم قال حملت الى الشيخ يوما خبزة فيها عسل جامد فلما دنوت من باب الزاوية وجدت هنالك سيدى احمد عسيلة فرمانى بالارض وجعل يضربنى برجله فاشرف عليه الشيخ من فوق سطحه وقال له اطلقه يا ثور ثم قال له هذا الذى فعلته به انما فعلته بى ثم قال له اذا جزت من هذا الموضع فلا سبيل ان تزيد على ان تقول السلام على السلطان فى قصبته وتنصرف قال فما زال رضى الله عنه بعد هذا الكلام نحوا من ثمانية ايام يحوم حول الزاوية ليلا ونهارا ثم انصرف رضى الله عنه

فيا من امالته الهواجس والهوى
عن الرشد مل صدقا الى صاحب الوقت
ورد فيه ورد البر برا لك الرضا   والا فقد عرضت نفسك للمقت

وهذا الشيخ ممن له بافريقية المقام الشريف والاحوال الخارقة والتحكم فيها والتصريف وقد انطوت طريقته فيها على امور عجيبة وسيرة الى خطاب خطيب رقة شمائلها كل نفس زاكية مجيبة وله الكرامات الجلية الوافرة والمناقب التى هى عن بديع جمال جلالة قدره سافرة منها ما حدثنى به ابن عون المذكور قال حدثنى الفقيه الشريف قاضى بنى ياوزار من عمل بجاية وقد كان الى الخليفة محنة ابتلى بها قال اجتمعت يوما بسيدى

احمد عسيلة رضى الله عنه فتحامل علي ولطم وجهى فحملتنى حمية النفس على ارادة الانتصار لها ثم انى صرفت عن ذلك فانصرفت وفى النفس منه امر عظيم فلما كان بعد ايام اجتمعت به فى مسجد من المساجد او قال فى غيره فلما رآنى قصدنى وقال لى يا سيدى ما لنا لا نقول استغفر الله فقلت استغفر الله وازال الله ما كان فى باطنى منه ثم انه رضى الله عنه ناولنى قطعا صغيرة من الفخار وقال لى خذ هذه عندك للبركة فتناولتها منه وجعلتها فى جيبى فلما كان الليل ونزعت ثيابى للنوم سقطت من جيبى دنانير جديدة الضرب احسن ما يرى على عدد القطع التى ناولنى وتفقدت القطع فلم اجدها وعلمت انها هى الدنانير فقلت فى نفسى هذه تخيلات وستعود كما كانت ولم تطب نفسى بها وما زالت عندى الى ان وصلت الى بجاية واطلعت عليها بعض مشايخى وهى دنانير جيدة فاخبرته بالموطن فقال لى هذه منقبة عظيمة لهذا الشيخ فحينئذ تصرفت فى الدنانير المذكورة وصرفتها فى مصالحى رضى الله تعالى عنه ومنها عنه ايضا انه قال حدثنى الفقيه ابو سالم ابراهيم اللولو قال كان سيدى احمد عسيلة رضى الله عنه فى السنة التى مات فيها رحمة الله عليه كثيرا ما ياوى الى دارنا ويبيت عندنا فاتفق انه بات عندنا ليلة فلما كان جوف الليل وهو معى فى بيت واحد انتبذت عنه ناحية من البيت واخرجت من الخزانة لطائف المنن لابن عطاء الله لانظر فيه فلما امسكته فى يدى قال لى هذا كتاب سيدى احمد الذى من الاسكندرية يريد سيدى ابا العباس المرسى فقلت له نعم واخذنى العجب من اطلاعه على الكتاب ومعرفته له وما كان يعرفه قبل ذلك ولا رآه فى يدى رضى الله عنه قال وكان قبل قتله بنحو من اربعة اشهر يقول لاهلى كلما دنت منه لتتبرك به اليك عنى الدم فى حوائجى ويبعدها عن نفسه بذلك فتقول يا سيدى ما ارى فى ثيابك شيئا فيقول الدم فى حوائجى ثيابى ملطخة بالدم وما كان يخاطبها بمثل هذا قبل ذلك وما

علمنا مراده من ذلك حتى قتل رضى الله عنه ومنها عنه عن الشريف
العوانى قال كنت يوما فى سقيفة دارى واذا بسيدى احمد عسيلة رضى
الله عنه قد دخل علي وقال لى يا شريف اشتر لى خسا بقيراط فخرجت
لارى من ارسله فى ذلك فوجدت انسانا خارج الدار قد كان جاء معه
فاردت ان اوجهه لذلك فانتهرنى رضى الله عنه وقال لى يا سيدى متلطفا
على عادته فى ذلك هذا اذا امسك الخس بيده يحترق هذا من اهل النار
مسكين فادهشنى منه ذلك ثم انصرف عنى فكان ذلك المسكين هو قاتله رضى
الله عنه وحينئذ عرفت مداول كلامه وخفى ما بطن فى ظاهر اعلامه
ومنها عنه وعن غيره ان قاتله المذكور لما سجن بعد قتل الشيخ رضى الله
عنه دخل عليه بعض اصحابه السجن وساله عن علة مصابه ورجاه فى
الخلاص فقال له مخبرا عن نفسه هيهات ان لابعد يموت مرجوما بالحجارة
والعياذ بالله فقال له من اين علمت ذلك قال كان سيدى احمد عسيلة
ناولنى قبل هذه الايام حجرا وقال لى احتفظ بهذا الحجر فانك تحتاج اليه فاخذت
الحجر منه واقام الله عندى فى ذلك ما اخبرتك به فمات رجما بالحجارة
كما قال ولم يقدر احد على رد العامة عنه فى ذلك قالوا واخبر المسكين عن نفسه
انه كان يبيت معه فى غالب وقته يروم قتله قال فاذا قمت الى ذلك من
جوف الليل وقصدته لم اجده فى مكانه وابحث عنه فلا اقف له على
خبر وحدث المسكين عن نفسه فى ذلك قال خرجت معه الى زاوية سيجوم
ومعى السكين التى اريد قتله بها فلما انفصلنا عن المدينة وقف وقال لى تريد
قتلى فقلت له اريد قتلك فنزع السكين من يدى ولم اقدر على ممانعته
فى ذلك واعطاها لبدوى اجتاز علينا ثم قال لى اذا اردت قتلى فاطرح لفعة
بها تقتلنى فطرحت سكينا وجئت بها اليه فقال ما زلت تريد قتلى
ثم قال لى بقى لك لما تريد خمسة وعشرون يوما او قال سبعة عشر يوما
فكان كذلك قتل لهذه المدة رحمة الله عليه حدثنى ابن عون المذكور
وغالب ظنى ان غيره ايضا حدثنى بذلك قال لما قتل سيدى احمد عسيلة

رضى

رضى الله عنه قال سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه يارب شارب بلا لحية يموت قتيلا وقال رضى الله عنه يرثيه (ابنى احمد راجل الزناقى منيتوا ناداتوا * فى بستان الزهر مشاتوا ابنى احمد منيتوا وافاتوا * فى رياض الزهر ما شاتوا) هكذا بهذا الكلام وحدثنى من اثق به من الفضلاء ان الشيخ الصالح الاكمل ابا محمد عبد الكريم بن محمد النفاتى القاطن بالرومية شرقى طرابلس المحروسة على نحو من خمسة عشر ميلا قام مرة بتغيير المنكر واراقة الخمر بطرابلس المحروسة على عادته فى ذلك فقال له قائد البلاد حينئذ يباسطه بذلك يا سيدى اخاف عليك من بعض هولاء المفسدين الذين تقوم فيهم بتغيير المنكر ان يقتلك فقال للقائد المذكور واين لى هذه السعادة اموت على الشهادة كما يموت عسيلة وكان بين كلامه هذا وبين قتل سيدى احمد عسيلة اكثر من عشرة اعوام وكان هذا الشيخ المذكور فى وقته من الصالحين الاكامل القائمين بسر الله فى اغاثة ملهوف ضعفة الايامى والارامل وله بطرابلس المحروسة وسائر عمالها الكلمة المطاعة والمنزلة التى ما زال من اتقى الله واطاعه حدثنى ابن عون المذكور قال وجه سيدى عبد الكريم المذكور للشيخ سيدى احمد ابن عروس كتابا يسلم عليه فيه ويطلب منه المدد بالخاطر والدعاء الصالح وارسل اليه صحبته رمانا ففتحت ذلك الكتاب بين يديه رضى الله عنه وقلت يا سيدى هذا كتاب ارسله اليك سيدى عبد الكريم النفاتى وفيه السلام عليك وطلب المدد بالدعاء الصالح فما تقول له وقد كان سيدى عبد الكريم المذكور وجه الى ان اعرفه بما يقوله الشيخ عند قراءة كتابه فقال لى قل له لا تطلعى الكديا ولا تدلولى حتى ترانى فى القطار الاول ثم قال قل له انت شيحة والشيحة ترجع دالية والدالية ما تثمر حتى تاتى الى هكذا بنص هذا الكلام

ففى المنقول من هذا دليـــل لسيدنا العماد ابى الصرائـــر
بان القوم نحو علاه ســـاروا كما عقدوا على محبته الضمائر

ومن المعترفين للشيخ رضى الله عنه بالولاية الكاملة والمنزلة التى هى فى شفوفها لمواهب الفتح شاملة الشيخ الصالح المسن ابو الحسن على الغربى رضى الله عنه القاطن بقمرت احد قرى قرطاجنة من عمل تونس المحروسة وقد كنت زرته يوم السبت خامس العشرين من ذى القعدة عام ستة وستين وثمانمائة واتفق ان كنت يوم زيارته مجتازا بساحل مرسى جراح فرايت هنالك من السمك الطرى ما اثار علي من بواعث الشهوة ما عجزت عن دفاعه والوصول الى قضاء النهمة من ذلك لا يمكننى فى ذلك الوقت فبنفس ان اجتمعنا به وجلسنا عنده احضر لنا السمك والخبز وجعل يناولنى من السمك المرة بعد المرة ويلاحظنى فى اثناء ذلك ملاحظة مطلع على غيبى فى ذلك ويخصنى بذلك دون بعض اصحابى فرايت ذلك منه كرامة حيث كوشف بغائب امرى فى ذلك رضى الله تعلى عنه ثم انا اخذنا فى مذاكرة احوال الشيخ رضى الله عنه بذكر كتابنا هذا فجعل يشكر اهتمامنا بذلك ويدعو لنا بصالح الدعاء ثم قال اما الشيخ سيدى احمد ابن عروس فلا يشك فى ولايته إلّا مخذول وكراماته اكثر من ان تحصى وذكر لنا منها ما سنثبته فى محله ان شاء الله تعلى

فما عذر من ينفى ولايته التى　بها اولياء الله قد اعلنوا القولا
ودانوا له فى كل امر واذعنوا　وخصوه بالتكريم والمنزل الاعلى

وحدثنى الحاج ابو عبد الله محمد بن سالم المسراتى الجزرى قال كنت فى حيرة من امر الشيخ رضى الله عنه فيما يرجع الى تصحيح اعتقادى فيه فسالت عنه الشيخ الامام حجة الاسلام الجامع بتونس المحروسة بين الامامة والفتيا الحائز قصب السبق فى ذلك ولا ثنيا سيدى ابا الفضل بلقاسم البرزلى رحمة الله تعلى عليه فسالنى عما اراه موجبا فى امره للاعتقاد وسببا مثيرا لبواعث الانتقاد فذكرت له ما اعلمه من ذلك حسبما ادت معرفتى اليه فقال لى رضى الله عنه اذا كان على الحالة المرضية الحسنة الصالحة فى بداية امره فهو قرنبالى زمانه وإلّا فالله يلطف بنا

وبه فقلت انه كان على خير وهدى وصلاح وحال وحسن سمت ومحافظة على القربات منذ كان وانما عرضت له هذه الاحوال وظهرت منه هذه الامور في الزمن القريب فقال لي اذا كان الامر كما ذكرت فهو قرنبالي زمانه وهذا الشيخ القرنبالي المشار اليه هو صاحب الوقت في زمانه ومالك ازمة التصريف في اوانه وله الاحوال السنية العلية والامور الخارقة الجلية والتصرف التام والقدم الراسخة والمكانة الجليلة والرتبة الشامخة. وكان رضي الله عنه موسوما بتخريب العادات والاخلال في الظاهر بامر العبادات وله الكرامات الظاهرة والمناقب السنية الباهرة وهو شيخ الشيخ المكين الحائز قصب السبق في التمكين ابي عبد الله محمد شوشو الذي بسطنا في هذا الباب امره وعطرنا بذكر بعض كراماته ذكره وذكرنا حكايته معه التي رفع فيها من مقداره واعلى وقلده باذن الله ولاية القطر الافريقي واولى وذكرنا ايضا امر تصريفه الخارق المغرب في اطعامه وهو بتونس من هو في اقصى المغرب وعجائب غرائب احواله رضي الله عنه كثيرة ومناقبه الجليلة لكل كريمة من قلوب المخلصين مثيرة منها ما حدثني به ابو سالم ابراهيم بن احمد المذكور قال حدثني الشيخ البلاغ قال حدثني رجل كان عندنا يقال له القفصي الزجاج قال كان سيدي عثمان القرنبالي رضي الله عنه مجاورا لنا فخرجت يوما من الدار وانا صبي صغير لا اعقل فذهبت ولم تعلم امي اين ذهبت ولا وقفت لي على خبر فادركها من ذلك ما يدرك الام من فقد ولدها فجاءت الى سيدي عثمان واخبرته بذهابي وجعلت تبكي بين يديه رضي الله عنه وتتقلى فقال لها اسكتي هذا امر قريب ثم امرها ان تشتري له بقيراط من الحلواء وان يكون شراوها ذلك من الذي يبيع الحلواء تحت جامع الزيتونة دون غيره فقامت ممتثلة الامره فلما وصلت اليه لم تجد اليه مسلكا من كثرة من احتف به من الناس وما زالت تتلطف في الوصول اليه الى ان امكنها ذلك فلما اشرفت عليه وجدتني في حجره والحلواء في يدي يشغلني بهما عن البكاء فترامت علي وقالت

ولدى فتركنى لها وقال الحمد لله الذى جبر صدعك فحملتنى الى الشيخ بعد ان اشترت له ما طلب من الحلواء فلما وصلنا اليه قالت يا سيدى هذا ولدى وجدته عند صاحب الحلواء فقال رضى الله عنه الحمد لله وعنه ايضا عن السوقى المذكور ان الشيخ الامام حجة الاسلام ابن عرفة رضى الله عنه ورحمه صلى العشاء الاخيرة بجامع الزيتونة وهو امامه حينئذ وانصرف الى داره فوجد سيدى عثمان رضى الله عنه جالسا عند باب مسجد عقبة التراب وهو عريان لا يستره إلّا السراويل وكان ذلك فى ليلة باردة فى فصل الشتاء قال فقلت فى نفسى هولاء الفقراء هذا شانهم اذا سالهم احد شيئا لا يجده عندهم نزعوا ما يكون عليهم من اللباس ويعطونه ثم انى قلت فى نفسى تعينت الآن على مواساته بما يصلح من اللباس فانى قادر على ذلك واخاف عليه الهلاك من البرد ان تركته فلما وصلت الى دارى اخذت ما يصلح له من اللباس وحملته اليه فلم اجده حيث تركته ولم ادر اين اطلبه فاردت الرجوع الى مكانى واذا به يكلمنى من وراء الباب ارجع يا فقيه الحر والبرد آيتان من آيات الله يرسلهما على من يشاء ويصرفهما عمن يشاء من عباده قال فاستغفرت الله تعلى ورجعت بما معى الى منزلى ومنها عن ابن عون عن الشيخ الامام السيد ابى الفضل بلقاسم البرزلى رحمه الله قال حدثنى شيخنا الامام ابن عرفة رحمه الله قال قلت لاهل الدار اقطعوا شيئا من الطعام فى صحفة لذلك الرجل عثمان مسكين ففعلوا فلما حضر حملته اليه فجعل يقول وهو من وراء الباب اقطعوا الطعام فى صحفة لعثمان مسكين ويكرر هذا الكلام محاكاة لمقالتى لاهل الدار فادهشنى ذلك ثم قال لى وانت يابن عرفة ما انت مسكين ثم فتح الباب وقال لى ادخل فدخلت فاذا عنده مائدة عليها من اشرف انواع اطعمة اهل المشرق واهل المغرب وقال لى ما عند عثمان ما ياكله إلّا طعامك احمل طعامك وانصرف او ما هو قريب فى المعنى من هذا الكلام وكراماته رضى الله عنه كثيرة وفى المنقول منها كفاية

فلنصرف

فلنصرف الى امر الشيخ وهو المقصود بالذات العناية فانت ترى اعلان من ذكر من هولاء السادة باعلاء قدره وابداء شفوف منزلته الشامخة وفخامة امره واعترافهم له بانافة رتبته العالية والمكانة التى لا تسام لنفاستها بالقيم الغالية فلا مطمع بعد اعترافهم لمنكر فى تصحيح انكاره ولا محيد لمنصف عن دخول جنة اعتقاده التى حفت بالمكاره فالى كريم هدى هديهم فى ذلك يرجع الطالب وعند توجه القصد اليهم بخالصة الاخلاص تساعده المطالب ولا عبرة فى ذلك بسواهم اعجم او اعرب اتى بما يولف من احوالهم او اغرب وقد آن ان نذكر من شطحات الشيخ رضى الله عنه ما نعطر بذكره المشاهد ونقيم به فى اثبات شرف الشئ من نفسه عليه دليلا والشاهد ما تشاهد ولا عبرة بالمنكر فى ذلك فقد اصلنا رده وحصلنا ابعاده عن مراده وطرده حدثنى ابن عون قال امرنى الشيخ رضى الله عنه يوما بانشاد بعض كلام الشيخ الكبير محى الدين عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فانشدته

يسقى و يشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ولا يلهو عن الكاس
اطاعه سكره حتى تحكم فى حال الصحات وذا من اعجب الناس

فقال رضى الله عنه هذا راجل فقلت له نعم فقال وانا عروسة زمانى ثم استزادنى فانشدته للشيخ المذكور رضى الله عنه ابياتا منها

واهل الصفا يسعون خلفى وكلهم له همة امضى من الصارم العضب

ثم قلت له هذا الذى قال قدمى على رقبة كل ولى لله فقال لى رضى الله عنه هذا راجل فقلت له نعم فقال وانا يدى ورجلى فوق الناس كلهم وانا مسلط على من يقول انا ولا يقول احد انا وانا عبد من يطاطى وطاطا الى ان بلغ حد الركوع رضى الله عنه وحدثنى الشيخ ابو محمد عبد السلام القطان قال كنت عند الشيخ رضى الله عنه يوما فنظرت الى سباطه فى رجله وعليه حبل قد لفه به فقلت فى نفسى متعجبا من امره اين هذا الشيخ من سيدى عبد القادر الذى قال قدمى هذه على رقبة كل ولى لله فما اتممت هذا إلّا وهو رضى الله عنه ينادينى يا محمد وكذلك كان ينادينى

وانا سباطي على رقبة كل ولى لله فقلت الله اكبر ولما ذكرت هذا الكلام للشيخ الصالح الولى ابى الحسن علي المقدم ونحن بموضعه من دخلة الجزيرة القبلية رايته اظهر الاذعان والسمع والطاعة لذلك وطاطا راسه متواضعا وعنه ايضا قال كنت جالسا حول بيت الشيخ رضى الله عنه وهو بها اذ ذاك وانا بحيث اشاهد المجتازين من امام الزاوية فاجتاز سيدى محمد شوشو رضى الله عنه فلما رايته قلت فى نفسى هذا هو الرجل او ما هو قريب من هذا الكلام يريد سيدى محمد المذكور فاذا بالشيخ نادانى من داخل البيت انا راجلها من مطلع الشمس الى مغربها فاستغفرت الله تعلى مما تحدثت به نفسى من ذلك ثم بعد مدة اجتاز ايضا الشيخ المذكور وانا بمكان اشاهده منه فعرض لى ما كان عرض اولا فى امر الشيخ وامره فما تم لى ذلك الخاطر الّا والشيخ رضى الله عنه يناديني فلما وقفت بين يديه قال لى انا عقاب كل عقاب كل عقاب انا عقابه ثم بعد مدة طويلة قال رضى الله عنه فى بعض مفاخراته الدنيا كلها نساء وانا راجلها ثم بعد مدة قال لى رضى الله عنه انا شيخ سبعين مدينة من قواعد الاسلام ثم بعد مدة قال لنا رضى الله عنه انا راجل السطوح ثم بعد مدة خاطب ابنة اخيه فى امر تاثر له باطنها ولم تصبر كلمتك فما ارضاك كلامى وانا قلب الدنيا قال ثم طرا لى فى خاصة نفسى ما تخوفت منه فقال لى تخاف وانا قلب الدنيا وعنه ايضا قال اتته امراة يوما وجعلت تتملق بين يديه وتقول ياسيدى خاطرك فقال لها خاطرى مثل عين الشمس وحدثنى ابن عون المذكور قال لم ازل اسمع الشيخ رضى الله عنه يقول خاطرى مثل عين الشمس وانا الغيث قل يا غيث اغثنى وعنه ايضا قال كثيرا ما نسمعه يقول رضى الله عنه انا شيخ سبعين قاعدة من قواعد الاسلام وعنه ايضا قال سمعت الشيخ رضى الله عنه فى بداية امره كثيرا ما يقول انا قلب الدنيا وكل اصبع من اصابع يدى ورجلى يشفع فى سبعين الفا وعنه ايضا قال من مستفيض كلام الشيخ رضى الله عنه جميع النساء تكذب

إلّا العجوز امى وانا الفيل حى بعشرة وميت بالف وحدثنى الثقة قال
اخبرنى ولد اخى الشيخ رضى الله عنه وهو الشيخ عبد الله بكسر الدال
نائبه فى الزاوية رحمه الله تعلى ان الشيخ رضى الله عنه قال فى مفاخراته
انا قرن الثور الذى عليه الدنيا وانا قلب الدنيا وانا سيد اهل قرنى وانا
راجل كل راجل وانا الذى اراها من مطلع الشمس الى مغربها وحدثنى
الشيخ ابو محمد عبد الله ولد اخى الشيخ رضى الله عنه قال سمعت الشيخ
رضى الله عنه يقول فقيرى يشفع فى مائة الف وانا شيخ سبعين قاعدة
من قواعد الاسلام وانا قلب الدنيا وانا قرن الثور وقدمى على رقبة كل ولى
لله وحدثنى الحاج ابو الحسن علي بن محمد التلمسانى المنانى قال تحامل
علي مرة ولد سيدى فتح الله فى الدخول فى دائرتهم والتمسك بطريقتهم
وقد كنت دخلت فى دائرة الشيخ رضى الله عنه قبل ذلك فلما جئت الى
الشيخ ووقفت بين يديه واحد فقراء سيدى فتح الله معى قال رضى الله
عنه ارادوا ان ياخذوا اولادى وانا مجولى موشومة لا يتعدى احد عليها
وانا مخلى السروج العامرة وانا مسلط على من يقول انا ثم قال رضى الله
عنه يريد ولد سيدى فتح الله المذكور ما فلح الجراد يفلح بيضه وبمثل
هذا سواء حدثنى ابن عون قال كنت من الحاضرين لهذا الموطن كله وما
خالفه فى شيء مما حدثنى به وعن الحاج التلمسانى المذكور قال صعدت يوما
الى الشيخ رضى الله عنه فسمعته يقول كل من طلع الي حسابه علي وكل
من يطلع الي حسابه علي وانا صباغ من زارنى صبغته ومن دخل موضعى
كان محسوبا علي فى الدنيا والآخرة وحدثنى الفقير قاسم بن خلف الله قال
سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول انا امين الله ومن مطلع الشمس الى مغربها
رجالها وجارها محسوبة علي وانا عساسهم وبمثل هذا حدثنى ايضا الشيخ ابو
محمد عبد الله ولد اخى الشيخ رضى الله عنه وعن الفقير المذكور ايضا قال
سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول انا العوام وانا بوغطاس وانا البحيرة وانا
البحر وانا العقاب الذى لا ثانى لى فى العقبان وعنه ايضا مع الحاج التلمسانى

المذكور قالا سمعنا الشيخ رضى الله عنه يقول منجلى حصاد المناجل كلها
وجميع النساء يكذبن إلّا العجوز امى وحدثنى الحاج ابو الحسن علي النفاتى
قال كنت بوابا للزاوية العروسية وكنت اذا رايت موسوما بالخير والصلاح
متشبها لم امنعه من الدخول واذا رايت معروفا بالسوء موسوما بما لا يليق
اصرفه عن الوصول الى الشيخ فقال لى رضى الله عنه لا تفعل موضعى مثل
الحمام من دخل اليه يطهر ويخرج فقلت له حمام فى الليل والنهار فقال
نعم فى الليل والنهار ثم قال لى رضى الله عنه من جاز عتبة موضعى منى والي
ومحسوب علي وحدثنى ابن عون قال لما امر القاضى باغلاق الزاوية على
الشيخ من اجل دخول النساء اليه نزل رضى الله عنه وفتح الباب ودخل
الى قاعة الزاوية واخذ حبلا وجده هنالك فاحتزم به وجعل يقول مصارع
يا رجال الدنيا مصارع يا رجال الآخرة ثم قال انا ابو العباس السبتى انا ابو
مدين انا محرز بن خلف انا عبد القادر وعد رجالا مثل هولاء ثم قال انا
راجلها من مطلع الشمس الى مغربها وبالله الذى لا اله إلّا هو ما فيها
رجل مثلى رضى الله عنه وحدثنى النفاتى المذكور قال كنت يوما عند
الشيخ رضى الله عنه فجاءته امراة كانت وعدت درهما ناصريا لله تعلى
جلعت ثلثه للشيخ وثلثه لسيدى ابى العباس السبتى والثلث الآخر
لسيدى محرز بن خلف فصرفت الدرهم لقضاء ذلك وجعلت مصارفته
فى يدها فلما وقفت بين يدى الشيخ رضى الله عنه قالت له يا سيدى
هذه وعدتك فقال لها كم هى قالت ثلث درهم قال اريد الدرهم كله فانا
ابو العباس السبتى وانا محرز بن خلف اولئك ماتوا وانا وارثهم فسقط فى
يد المراة لاطلاعه رضى الله عنه على خفى امرها فى ذلك وناولته الدرهم
كله وانصرفت وحدثنى ابو الفضل بن باقوش قال كنت يوما بين يدى
الشيخ رضى الله عنه فدعا بالمقص والمرآة وقص شاربه وسوى لحيته ثم
لبس العمامة وجعل ينظر فى وجهه ثم ابدى اسنانه والمرآة فى يده وجعل
ينظرها فيها ثم قال كانهن اللولو والمرجان ثم قال للحاضرين كل ما يفعله

السلطان مليح يشير الى نفسه رضى الله عنه وحدثني ابو عبد الله محمد بن محمد الشرقي قال كانت عندنا بتونس شدة عظيمة فخدمت وانفقت بما حصل لي من الاجرة نفقة وسعت بها على بعض قرابتي صلة مني لهم وجئت الى الشيخ رضى الله عنه فلما وقفت بين يديه جعل يقول (يا ربنا باهل التقى اخلف على من انفق) ثم قال وانا من اهل التقى وحدثني الامير الاجل الاكمل ابو محمد الحسن ابن الامير الاجل ابي الذبيح اسمعيل ابن الامام السلطان المقدس المرحوم ابي العباس احمد وكان على ما شاهدته منه وتعرفته من حاله ملازما لمقام الشيخ رضى الله عنه قال ما زلت اسمع الشيخ رضى الله عنه غير ما مرة يقول انا الغوث قال وسمعته مرة يقول انا الحاكم بتونس فوقع في النفس من ذلك مرض من جهة اني ارى له التصرف التام في تونس وغيرها فما استتم لي هذا الخاطر إلّا وهو يقول انا الحاكم في الدنيا كلها وعن الامير المذكور قال سمعته رضى الله عنه يقول انا مريم بنت عمران يشير والله اعلم الى مقام الصديقية فانها صديقة رضى الله عنها وحدثني الفقيه الكاتب الاجل ابو العباس احمد الطبيب وهو من المعتقدين في الشيخ رضى الله عنه ومن اهل دائرته المحبين قال سرت مرة مع بعض سادات عرب افريقية فقال لي وقد انجر لنا ذكر الشيخ رضى الله عنه ما لكم تزورون ابن عروس وتتركون سيدى فلان وسيدى فلان لرجال صالحين سماهم فساءني ذلك منه ولكن تجملت له وقلت الحي اولى بالزيارة من الميت وجئت الى الشيخ رضى الله عنه فقال لي ان كان للمدينة سلطان فانا سلطانها وان كان للبحر سلطان فانا سلطانه وان كان للبر سلطان فانا سلطانه وانا الغوث وعلى الغانجات جر الذيول وعنه ايضا قال سمعته رضى الله عنه مرة يقول انا جبريل فكاني استكرهت في نفسي سماع ذلك منه فقال دون ان يواجهني بالخطاب ان جبرتم كسر قلبي يا ثور ان جبرتم كسر قلبي يا ثور فاستغفرت الله تعالى وعلمت ان مراده بجبريل معنى الجبر الذي تضمنه اشتقاق اسم الجبر من جبريل عليه السلام ففي

شطحاته هذه رضي الله عنه ما هو صريح في اثبات حجته البالغة وانافة مرتبته الشريفة الدامغة واكثرها انما صدر عن الشيخ في بداية امره ووجد منه في حال استغراقه بطفحات سكره وقد اسلفنا من كلام الامام السهروردي رضي الله عنه ما هو كفيل باقامة العذر عن ذلك والتماس المخرج الارضى لمن سلك من الاكابر هذه المسالك حيث قال وقد نقل عن جمع من الكبار كلمات موذنة بالاعجاب وذلك لبقايا السكر عندهم وانحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج الى فضاء الصحو في البداية فمن ذلك قول بعضهم ما تحت خضراء السماء مثلي وقول بعضهم قدمي على رقبة كل ولي لله وكقول بعضهم اسرجت والجمت وطفت في اقطار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج الي احد اشارة منه الى تفرده في وقته ثم قال ولكن نجعل لكلام الصديقين وجها في الصحة ونقول ان ذلك طفح عليهم في سكر الحال وكلام السكارى يحمل وجعل اليافعي في كتابه نشر المحاسن الغالية هذه الشطحات من انواع التخريب قال ومعنى التخريب بالشطح ان يتكلم بكلام عظيم يدعي فيه حالا عظيما فوق ما يظن به بحيث يسقط بذلك من القلوب ويساء به الظن فيحصل مقصوده في نفي الصلاح عنه والشطحة عندهم ترجمة اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرونا بالدعوى

فهذا طريق العذر عندك واضح ... عن الشيخ فيما عنه قد ابرز السكر
وتلك يد بيضا له وعناية ... وفضل علينا فيه للمنعم الشكر

وله رضي الله عنه كلام عال يدل على اتساع حقيقته وارتفاع منزلته الشامخة وعلو طريقته حدثني به عنه الشاب الصالح ابو الحسن علي بن عبد الحليم وكان ضنينا بعدم الافصاح في النقل عنه باسمه حرصا منه على ان يسدل اردية الخمول على آثار رسمه فانه باخباره انما ورد من الشيخ هذه الموارد وصدر عنها في حال غيبته بالموارد وان سماعه ذلك كان على وجه مخصوص في مجالس اهل الخصوص فلعل من لا رسوخ لقدمه في

ارض

ارض الاعتقاد يستبعد هذا القدر ويلحق لرمد بصيرته بالسهـا البدر ولا
يعلم انه قل ما حلى متحل بالاستبعاد الّا بالخيبة والابعاد لكن راينا
اسعافه فى هذا المطلب مثيرا لسوء الظن بالناقل وتجنب مواقع التهم
عندنا صفة العاقل وقد ذكر ذلك رضى الله عنه فى صورة المراسلة كانه
خطاب لمن راسله وهذا عين كلامه ونصه وقد طابق الخاتم فيه فصه من
الرجل الميت ابو العباس احمد ابن عروس الذى لا يخالط قلبه احد غير
الله اما بعد فان البيت العتيق له سر رقيق فمن ذلك السر انه لا يصل
اليه احد من اهل الخصوص الّا بشق الانفس فكيف يدرك الوصول الى
ربه علامة الوصول قطع المالوفات والخروج من الوكر بالزاد الى هجرة الله
ورسوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله جلت فى السر الاعظم فوجدت عقيدتى ثابتة فى
الرسول الاكرم او قال فى النبى الاكرم على انى آمر بالمعروف وانهى عن
المنكر الآن قطعت عن قلبى كل حجاب وتركت الاهل والاقارب والاولاد
من كان يعرفنى حيا فانا اليوم ميت والميت لا يعرف الحى واتساع
حقيقتى اورثنى كتم طريقتى اللهم انى عبد فقير اليك لا املك لنفسى
شيئا فارزقنى السلوك والسياحة فى ارضك كى افعل بالحديث كن فى
الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعنه ايضا من كلامه الجارى على هذا
الاسلوب وسر الصدق فى خلال حكايته يستميل القلوب الحمد لله على كل
نعمة والشكر لله على كل بلوى اما بعد نعرفك يا من لا يعرفنى طريقتى
نقمة شديدة الحر مجازها صعب على الذى يعرفها كيف من لا يعرفها
جعلت نظرى متصلا فى نبيى بالمحبة كفى معرفتك فى قلوبنا وانت
متجل على حق حقائق سر سرائر علومنا والشرع واتباعه هو طريقنا المعتقد
لا يبوح بسر اعتقاده لانه صار سرا موتمنا عليه ولا يشهد ذلك الامر الّا
بقلة البوح به منا وخضنا بحرا فيه الموت بشنعة المخلوقين المتمسكين
بالسنة صار الامر سليما فى سابق علم الله سَنّ الله علينا بنبينا ومعرفة استاذنا

جعلناه واسطة فى السلوك لربنا وامر المخلوق والله صعب علينا ولا طب
لذلك الامر إلّا الزهد فى كل شئ يحجبه علك كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقد اضربنا عن بعض هذا الكلام لصعوبة
مجازه وغموض فهمه ومن لا ذوق لديه فى علوم القوم كيف يطمع فى
اصابة سهمه ومن كلامه ايضا رضى الله عنه ما حدثنى به الشيخ ابو علي
منصور بن زيد خادمه قال اتاه يوما بعض اصحابه او قال بعض قرابته
وقال يا سيدى ان فلانا تكلم فيك بما لا يليق فقال رضى الله عنه اللهم اغفر
لمن نحسن اليه ويسئ الينا وما انا ببغاض لمن لا يؤدنى ولا نمام ولا حسود
وكفانا الله شر الجاهل والجاهلة قال وانشد يوما بين يديه رضى الله عنه انسان
قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من انشادها قال له
رضى الله عنه ما هكذا قال عندى قال وكيف قال فانشد رضى الله تعلى عنه

يحبون محبوبى وما يعرفونه ولو انهم ذاقوا الغرام لهاموا

ثم قال رضى الله عنه سيدى ساكن فى جنانى خير الرسل ظريف المعانى
ثم قال يا حبيب قلبى يا واحد يا ربيع قلبى لا زايد الرحمان الف
يا رحمان يارحيم يا الله نسالك التوبة والمغفرة والنجاة من النار يا الله اللهم
الطف بنا لطف الحبيب بحبيبه قالها ثلاثا اللهم لا تجعل فينا شقيا ولا
محروما ثم قال يا فقراء الدعاء فتوح من الله ومن نفيس تصلياته على النبى
صلى الله عليه وسلم المستفيضة النقل عنه رضى الله عنه قوله اللهم صل
على سيدنا محمد على قدر مقامه العظيم الاعظم عندك وحدثنى الحاج ابو
الحسن علي النفاتى قال اجتمعنا مرة بين يدى الشيخ رضى الله عنه
لنذكر فاستفتح الذكر بنا رضى الله عنه وقال فى الورد الاول مغفرتك
يا رب اوسع من ذنوبى ورحمتك يارب ارجى عندى من عملى ثم قال
فى الورد الثانى يارب والطف بنا فيما قدرت علينا ثم قال فى الورد الثالث
يا رب لا تفضحنا يارب انت معنا ثم قال فى الورد الرابع بالشاذلى والغزالى
يا رب واصلح حالى وحدثنى ابن عون قال كنت عند الشيخ رضى الله

عنه

عنه فانته امراة وفى يدها سبحة فاستدعاها منها فلما استقرت فى يده قال للحاضرين سبحوا كما نسبح ثم جعل يقول سبوح سبوح قدوس سبوح قدوس سبح مملوك المالك واما الشعر فيعجبه منه رضى الله عنه ما رق معنى وراق ويحركه من حسنه ما كان فيه ذكر الحب والمحبوب والوصل والفراق والذى يجرى على لسانه منه فى الغالب انما هو ما خالف قانون الوزن واستوى فيه عند منشده السهل والحزن فمن مستفيض ذلك عنه قوله

ما اهبل من جا البحر هاج   وطمع بالعوم يفتخـــــــر
صبى احمال الزجـــــاج   يحب اللزمع الحجـــــر

ومن ذلك وقد جاءه على ما حدثنى به غير واحد بعض فضلاء تلمسان زائرا وقد كان قال لمن معه هلم بنا الى هذا الشيخ لنرى حقيقة ما عنده وهل معه شيء من العلم فلما دنا منه قال رضى الله عنه

ان جيت تنشد عن العلـــــم   ما ثم علم ان تجى لـــــــه
وان جيت تنشد عن الشيـــخ   شيخ العرب بالطويلـــــ ـــه

فاخذ الزائر المذكور حاجته من هذا الكلام وانصرف متعجبا من اطلاعه على ما ابطن ومن ذلك ما انشدنيه ابو الحسن بن عبد الحليم

آه من علة الفـــــــم   ومن جرح ما له مداوى
ومن عرض ما عاد يلتـــم   جا عند ناس الشهـــاوى
ومن رجل تمشى على ثم   ومن دهر ما صح يســاوى
ومن ناس تطلى على وهم   ويثلثوا فى الرســـــاوى
ومن قلب واسق من الهم   ومن حمل فوقه عـــلاوى
ومن غيظ ما له سبب علم   سوانها فى تهـــــــــاوى

ومن ذلك عنه

من كان له شور يمضيــــــه   لن يترك الضو لايــــــــح
وان كان كاده يخليـــــــــه   لا يعترض للفضايـــــــــح

ومن مستفيض ذلك عنه رضى الله عنه وهو ادل دليل على سعة علمه وكمال صبره ومبذول عفوه الشامل وحلمه قوله

تسعة وتسعين دوار في وسط راسى مقيمه
النار ما تشبح النار ولا تعطش لنا بهيمه

وحدثنى ابن زيد انه سمع من الشيخ مائة وتسعين دوار فى وسط صبعى مقيمه ويشير رضى الله عنه الى الخنصر من اصابع يده ومن ذلك عنه وقد الح علي يوما فى الوصول اليه رضى الله عنه بعض الفقراء الواردين لزيارته من طرابلس وقد كنت فى شغل من هذا الكتاب بحيث لا يمكننى فى ذلك الوقت اسعافه فقلت له اما انت فاعزم على الوصول اليه وسلم عليه باسمى وقل له العبد عاكف على خدمة امدادك واحفظ ما يخاطبك به عنى واكدت عليه فى ذلك حرصا على استنشاق رائحة مقامى عنده رضى الله عنه فعن قريب واذا به قد عاد الي وعليه طلاقة البشر فاخبرنى انه لما خاطبه عنى كما امرته واستوعى عنى كلامه قال رضى الله عنه

يا سيدى منك الحديث يغذينى اذ جانى بيه من عندك سعيف
ول غير خاطرك طير عينى واعملها فيده وخلافى كفيف

قال ولم يزل رضى الله عنه يخاطبنى بهذا الكلام ويعيده علي الى ان اتقنته حفظا فلا جرم انه لم يدع السرور من قلبى لسماع ذلك محلا الا وحله ولا عقد هم احكم صرف الزمان عقده الا توجه نحوه وحله واطمعنى بذلك حسن ظنى انى متحصن بحرز امانه داخل تحت كفالة كفاية ضمانه

فلى البشارة والهنا ان تم لى منه المراد وضمنى ناديه
او نالنى من فيض بحر سماحه رش فقد نزل الرجا واديه

وايضا

نلت المقاصد والمنى ان صح لى ما ارتجيه من سحائب فيضه
واكون ممن قد رعاه بسره وحماه من شر الزمان وغدره

غيث اذا لهج المريد بذكره نال السعادة والعلى من فضله
فالله اسال بالنبى وصحبه يمنن علي بان ارى من حزبه

ومن ذلك عنه إلّا انه لا ينافر الميزان ولا يخرج لموافقة وزن الرجز عن الاوزان وقد كان عنده رضى الله عنه جماعة من الزائرين واكثرهم على ما حدثنى به ابن عون لا يعتقده لما يرون من ظاهر احواله التى لا تنقاس عندهم فقال

انا هو البهلول من ياتى الي يلازم الصمت ولا يعتب علي
فان تروا خيرا فذا ما قد جرى وان تروا غيرا فسلم يا ذكى

وانما ذكرنا هذا القدر من كلامه رضى الله عنه تيمنا بذكره واقتباسا للبركة من كتب ما جرى على لسانه او مر بفكره

فلعل عينا نافرت طيب الكرى كلفا بهذا الامر دون تكلف
ان يستبين لها الهدى فتميل عن سبل الهوى بتودد وتالف
وترى المنى واليمن فى سعى الى دار القرار بذلة المتخلف
فالله جل جلاله وتقدست اسماوه ذو منة وتعطف

فقدر هذا الشيخ الذى خدمت كماله عنده جليل وظنى به سبحانه وهو اعلم بمكنون سرى جميل وحاشاه واليه عنت الوجوه ان يقصى عن باب جوده من يرجوه

صفة الشيخ رضى الله عنه

ازهر اللون ضخم العظام بعيد ما بين المنكبين عريض الصدر ربعة فى قده الى الطول كث اللحية اشهل العينين عريض الوجه مستديره مع الجمال البارع فى البنية الكاملة السوية والصورة القويمة القوية

تقدس السر منه واستتم بما به تناسب منه السر والعلن
تشاكلت فيه اوصاف مكملة وطلعة الحسن ابدى وجهه الحسن

وكان رضى الله عنه على المستقر من سيرته لا يحلق شعر راسه فى الغالب ولا يقصره بل يتركه مع كثرة تلبده الى حد يتردد فى كونه شعرا مبصره ثم

لا يزال الى ان ينفصل مع طول الزمان عن راسه وينجذب متداعيا الى السقوط بنفسه فاذا انفصل بحيث لا يبقى له من اصله ماسك اوثقه بخيوط يبقى معها وهو بها متماسك ثم ان دعته الضرورة لازالة ما خرج من لحيته عن حد الاعفاء او لحد شاربه كان هو المتولى بنفسه من ذلك قضاء مآربه حدثنى الثقة ان الشيخ رضى الله عنه استدعى يوما الموسى واصلح به من شان لحيته وشاربه ثم نزع الخيوط التى كانت ماسكة لما تلبد من شعر راسه فزال وكانه اجنبى عن راسه وقال عند ما ازاله زال عنا الهم فاخذ شعره ذلك ولد اخيه النائب عنه بالزاوية واهداه لبعض نساء ارباب الدولة الحفصية العثمانية ٢ فاعطته عنه سبعين دينارا ذهبا وهى اشد امثالها من ذوات القدر غبطة بما نالته من ذلك فانظر رحمك الله الى انافة هذا الشرف العزيز شعر ينافس فيه بزنته او اكثر من الذهب الابريز

وكم عند المزين من شعور نمر وما لنا منها شعور

سر الله الذى بهر وفى اوليائه الاكرمين ظهر وقد كمله الله بكمال الخلق الرضى والتخلق الكامل المرضى فنعته رضى الله عنه مع اهل زمانه الصبر والحلم والرافة والحنان والرحمة والتعطف والتودد وحسن المعاملة والشفقة على سائر الامة فيدفع رضى الله عنه اساءة المسئ بالتى هى احسن ويراه بعين كماله كمن اليه احسن ولو انه قام لنفسه فى ذلك بطلب الانتصار لحل بالمسئ من اليم اخذ الله ما هو فى سرعة هلاكه كنار فى اعصار لكنه رضى الله عنه يرى الصفح اجمل والعفو احسن ما به قادر تجمل ومن نعته رضى الله عنه القيام بالنصرة للنزيل والرغبة الى الله فيما يكشف بوسه ويزيل وبسط الامل لمن ام من الراجين جنابه او اناخ به مستجيرا مما نابه وقد انشب فيه بوس الزمان مخلبه ونابه لكن مذهبه رضى الله عنه تقديم الصدقة بين يدى نجواه فى جلب نفع قاصده او دفع بلواه سر به خص كالسبق قبل يرى تقديم ذلك شفيعا غير مردود

٢ كذا بالنسخ التى بايدينا تامل

فى صورة البيع ذا يعطى لذاك وقد رقت معانى ذوى التصريف بالجود

فنسال الله الذى اهلنا لنشر محاسنه الغالية ونشر طيب الكلم من محامده العالية ان ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون ويغمرنا ببركته فى الدارين وعند احتضار المنون

وهذا القدر فى ذا الباب كاف لمن عرف الحقيقة والمجاز

فبحر الشيخ فى الاحوال طام وقد اخفت حقيقته المجاز

وكانت وفاته نور الله تعلى قبره واعلى فى مقامات المقربين قدره صبيحة يوم السبت ثامن صفر عام ثمانية وستين وثمانمائة ولم يكن به رضى الله عنه مرض وانما اصبح فى اليوم المذكور وقد تفقده بعض قرابته داخل نوالته الكريمة وهو مستقبل القبلة بين الجالس والمضطجع وارنبة انفه الكريم على حجر وهو مخضوب الوسمة بدم رعافه الذى كانت وفاته فيما نعلمه منه وان كان عند الصريخ بموته ودهشة صدمته الاولى توهم اول من رآه انه جريح لتلطخ ثيابه وموضعه بذلك الدم لكن عند تفقد حاله والبحث عن حقيقة امره بنزع ثيابه عنه وهو على اعواد مغسله تبين لمن رآه ان ذلك الدم انما خرج من انفه وقد حضرت غسله رضى الله تعلى عنه وتاملت جسده المبارك لاقف على حقيقة ما قيل فما تحققت إلّا انه دم رعاف وما بسائر جسده كله رضى الله عنه اثر لغير ذلك وكانت لموته قدس الله تعلى روحه ونور ضريحه نباة اذابت الاكباد وافجعت الحاضر والباد واصمت كل سامع واصمت المسامع واصمتت الناطق وافزعت الصامت والناطق ولم تدع قلبا إلّا واضرمت وقده وابرمت يد الاسى لتوارد الاحزان بفقده عقده

ولولا التاسى والتصبر لم تزل جفونى بطوفان المدامع تسبح

لفقد ولي فى رياض سماحه مدى الدهر ما بين الخمائل نمرح

وكان رضى الله تعلى عنه قد نعى لنا نفسه وهيا بالاذن فى بناء تربته رمسه واحيى بذكر الموت المبيد يومه وامسه ونحن فى غفلة عما اراده

ووراء حجاب يمنعنا ان نفهم مراده وكان صحيح الاذن فى كسب سره صريحا بان الامر منه قد اقترب وحدثنى الشيخ ابن زيد خادم الشيخ رضى الله عنه قال وجهنى صاحب الاشغال بتونس الى الشيخ رضى الله عنه وقد كان الخليفة دخل المدينة ذلك اليوم و به مرض وقال لي قل له يا سيدى ما الذى تطعم الضيف هذا اليوم يريد السلطان فقال لى رضى الله عنه وقد اخبرته بمقالته قل له لا اله إلّا الله كلهم اذنين بهذا اللفظ وانتم تنظرون فى الناس كيف طلعوا للجبال وتحصنوا بالاودية والشعاب وقد انصرفت عنها وتركتها خربة ثم توجه بخطابه الي وقال ان سالت عن نفسك امشى لتلك التربة يشير الى تربته الكريمة وابكى فيها حتى تشبع وذلك قبل موته رضى الله عنه بازيد من شهر فاتفق ان بلغ المرض بالسلطان الى حد اخافت فيه الاعراب السبل والرعايا كما اشار الشيخ لارجاف المرجفين بموته وعوفى بعد ايام من موت الشيخ رضى الله عنه

ابان لنا السر المصون خطابه ولكن وصف الجهل قد عطل الفهما
ومن لم يجد بالذوق معنى حديثه فمثلى اصم الاذن عن سره اعمى

وكان رضى الله عنه فى اول يوم من الشهر الذى مات فيه يقول بالصوت العالى على صفة البريح وهو يمشى من طرف سطحه الى الطرف الآخر وينادى على سائر اهل الصناعات يا خياطين لا يخط احد ويا خرازين لا يخرز احد ولا يسافر احد ولا يبع احد ولا يشتر احد السلطان مات وانا السلطان

اشار الى كف الاكف بفقده عن الشغل شغلا بالمصاب الذى حلا
فكان كذاك الامر يوم مماته ومحظور محذور الاسى بعده جلا

وفى رابع الشهر المذكور اخرج رضى الله عنه جميع ماكان فى النوالة من طعام وغيره ودفن كثيرا من خشبها ثم قال هذا خباء اوقفناه وقطعناه وهذه نوالة عمرناها وخليناها وهذه سارية اوقفناها وهدمناها ولا يدوم إلّا الله

وفى هذا صريح النعى بـداد   واين الذوق يفهمنا المـراد

وعن ابن زيد المذكور قال امرنى رضى الله عنه فى يوم الجمعة الموالى ليوم وفاته رحمه الله بتكميل بعض ما بقى فى النوالة وفى جملته حصير فقال لى رضى الله عنه ازل هذه الحصير ما بقى من يقعد عليها ثم اخذ مكبا جاءه فوق قصعة طعام ووضعه على راسه واخذ فى امر النوالة فسقط المكب المذكور عن راسه فقال لى ايش هذا فقلت له طاح المكب فقال لى رضى الله عنه اى والله طاح اى والله طاح اى والله طاح ثلاثا

وفى هذا لذى الفهم اعتبار   واندار بان الشيخ مات

قال وفى يوم الجمعة المذكور كان رضى الله تعلى عنه ينادى يا امة محمد هذه راحة عظيمة انا فيها ويكرر ذلك وكان رضى الله عنه يقول فى ذلك اليوم وليلة وفاته (يا قمر علالى طال الهجار زارنى محبوبى وصفا الغيار) هكذا بهذا اللفظ وبمعنى القول فيه

وهل يبقى التواصل لى قلوب   سقاها الحب كاس هوى غيارا

واخبرنى الشيخ ابو محمد عبد الله ولد اخى الشيخ رضى الله عنه قال اتيته ليلة موته رحمه الله بعشائه بعد العشاء الاخيرة فامرنى بوضعه بين يديه وقال لى اذا مات لفه فى عباءته هكذا بضمير الغائب

موت المحبة كالشهادة عندهم   وكذا الشهيد بما عليه يدفن

ولما اتصل بى خبر موته رضى الله عنه ضاقت بى من جميع الجهات الاركان ولم يقلنى لنقل ما حملت من ذلك مكان وقصدت المقام لتحقيق المسموع وانا الى تكذيبه اميل منى الى التصديق به تغليبا منى لجانب الرجا وطمعا فى الحياة التى ترجى فاذا ما اطعته من الامل المطاع باطل وجيد رجاءى الذى قلدته قلائد الامانى عاطل

واذا الصريخ الشيخ مات وكل من   تلقاه يخبر بالرزية سائله

والناس قد حشروا اليه وكلهم   من دمعه اجرى عيونا سائله

فعند ذلك حوقلت خروجا من الحول والقوة واسترجعت والى اساة التاسى

وجميل التحمل رجعت

على انني بيني وبين تحملي   مجال فسلطان الهوى مهجتي ملك

ورمت الوصول اليه رضى الله تعلى عنه لرويته وحضور غسله فماقدرت على ذلك لازدحام الخلق وخوض بعضهم فى بعض وتراكمهم على الزاوية طمعا فى الوصول اليه وما امكننى ذلك إلّا بعد ان تسورت السطح من حائط تسوره قبلى جماعة من المحبين ولولا ان لفقراء الشيخ وقرابته عناية بى ما تم لى ذلك ولم ازل بعد صعود السطح احاول بحسن التخلص والسياسة الى ان وصلت اليه رضى الله تعلى عنه وقد انزلوه من نوالته الى بيت من بيوت علو الزاوية فوجدتهم وقد ارادوا تجريده للغسل وهنالك جماعة من اهل الامارة واربساب الدولة يمنعون الناس من الوصول اليه بالضرب والرد العنيفين

وما فى القوم إلّا من بكاه   بدمع من عيون كالعيون

ومن نعم الله تعلى الوافرة واياديه المتظافرة ما مَنّ به سبحانه علينا من حضور غسله وتكفينه ومواراته والصلاة عليه بعد ما كان انعم به من الدخول صريحا فى دائرته والانتظام فى كريم سلكه واختياره لنا رضى الله تعلى عنه لكتب سره الباهر وفخره الظاهر وقد كان سال ذلك منه رضى الله تعلى عنه جماعة من الفضلاء وكلهم منتسب لمنيع جنابه مومل محرما جنابه فلم يبرز ذلك إلّا على لسان ترجمان بيانى ولم تتم محاسن طروز طروسه إلّا بحركة بنانى

وهذه نعم جلت فنسالـــــه   جل اسمه شكر ما اولى من النعم

وكنت فى قائم حياته رضى الله عنه اشد الناس حرصا على تحصيل بعض ما فيه البركة والخير من ملبوسه الكريم فما قدرت على ذلك ولا وصلت اليه بوجه من الوجوه مع شدة الطلب منى لذلك وقوة البحث عنه الى ان اتفق انا لما ادرجناه يوم وفاته فى اكفانه رضى الله عنه وردت عليه من قبل الخلافة اكفان امروا بدفنه فيها وعدم اسعافهم فى ذلك لا يمكن

لتوجه

لتوجه وجوب امتثال كلمتهم الطاعة فنزعوا عنه بعض ما كان ادرج فيه
وعوضوا عنه مما وجه به الخليفة لذلك وكان فى جملة ما نزعوه من ذلك
عمامته الكريمة التى كانت على راسه وطولها خمسة وعشرون ذراعا
فكانت لنا من الشيخ رضى الله عنه غنيمة باردة وهدية على يد الموهبة
واردة وهى فى خزائن تكريمى عوذة شافية وتميمة كافية

وها هى عندى للمكاره جنـــــة   وما اتقى ارجو وآمل ان تتقى
وعزت لدينا ان نسام نفاســـة   بما من نفيس الصفر والبيض انتقى

ولما فرغنا من غسله وتكفينه رضى الله عنه ولم يبق الّا التحدث فى امر
الصلاة عليه ودفنه ورد علينا صاحب الاشغال من قبل من له الامر معرفا
ان السلطان امر بعد اخراج الشيخ للصلاة عليه الى جامع الزيتونة خوفا
مما هو محقق الوقوع من الفتنة الناشئة عن ازدحام العامة على نعشه
وكان ذلك من الراى السديد والنظر الرشيد فانزل الى تربته الكريمة
فى سجادة على اعناق الرجال وكاد لولا حضور اولى الامر يقع ما كان يخشى
بخروجه الى الجامع وصلى عليه رضى الله عنه على شفير قبره وكان المتقدم
للصلاة عليه امام جامع الزيتونة حينئذ وهو الشيخ الفقيه الصالح المتفق
على كمال فضله ودينه ابو العباس احمد المسراتى وكان كامل الاعتقاد
والمحبة فى الشيخ رضى الله عنه وغالب ظنى انه لم يتخلف عن شهود
الصلاة عليه الّا من مسكه العذر الغالب او كان اعمى القلب مطموس
البصيرة عن شهود انوار الشيخ وكان له رضى الله عنه مشهد ما رايته لاحد
قبله قط وما اظن انه وقع بافريقية لغيره وذلك ان الزاوية وما حواليها
وجامع الزيتونة وما حاذاه من جميع جهاته كل ذلك مغتص بالخلق على
اختلاف انواعهم وطبقاتهم ولم يستطع امام الجامع للصلاة عليه الوصول الى
الزاوية من كثرة الخلق الّا بتسور سطح الزاوية من ميضاة السلطان ومع
هذا كله فقد كان الموذنون يسمعون التكبير من صومعة جامع الزيتونة
وصومعة جامع الموحدين من القصبة فان الناس كانوا يصلون حيث

امكنتهم الصلاة من الدور والاسواق وغير ذلك حرصا على ان يكتبوا فيمن شهد الصلاة عليه رضى الله عنه واما الخليفة فلم يشهد جنازته لعذر المرض المانع له من ذلك وما غاب عن شهودها احد من سائر اولاده وما زالوا بعد الصلاة عليه على شفير قبره الى ان هالوا عليه التراب فيمن هاله ودفن من تربته الكريمة فى البيت الذى كان اقام به سبعة اعوام ومات رضى الله عنه وهو صحيح البنية سويها ولم ار مخبرا بتاريخ مولده رضى الله عنه ولا معرفا بمقدار عمره إلّا ما حدثنى به الشيخ المعتقد ابو العباس احمد الدقى انه سمع من الشيخ رضى الله عنه فى مواطن عديده ما يقتضى انه يموت ابن تسعين سنـــة ولا بعد فى ذلك عندى فان حال الشيخ عند وفاته قريب من هذا الحد والله تعلى اعلم وقد سال منى بعض المحبين انشاد بعض ما يقوله يوم الفراق فانشدته على قدم الاستعجال وما لى فى ميادين السلو مجال

الله اكبر دمع العين قد وكفا ... فحسبنا الله مما قد دهى وكفا
وكم تهدم فى ترشيش نبـــاته ... لرشقها كل قلب صيرت هدفا
كم ذا التحمل يا قلبى فذب اسفا ... هذا المنادى بنعى الشيخ قد هتفا
ابو الصرائر شيخ الوقت سيدنـا ... معنى الزمان اخو السر الذى لطفا
ناداه سرا منادى الموت حى على ... لقيى الحبيب وعيش بالخلود صفا
فقال لبيك مشدود النطاق لما ... يراد منه وغض الطرف وانصرفا
واعقب الناس من ابلاس نبانه ... ذعرا كما القطر من افلاسه رجفا
ودت قبيل سماع النعى انفسنا ... ان لم تكن خاقت او لم تزل نطفا
نضام بالامر ننهيه اليه فمـــا ... عنى وذا قط يوما لا ولا ضعفـا
ويحدث الوقت فى اثواب جدتنا ... خرقا فيرقع والمبثوس ما عرفـا
رزئ اصم واصمى صوت صارخه ... فلم يدع مقلة إلّا بكت اسفـا
يا سيد الوقت ياقطب الزمان لمن ... من بعد بعدك نشكو والزمان جفا
كنا بسرك فى امن وفى دعـــة ... فالامر لله ذاك السر كيف خفى

وكنت فى الدهر كهفا لانضام به فبعدك الدهر منا نال وانتصفا
كيف التصبر والسلوان يا املى وربع انسى بكم لما ارتحلت عفا
يا قرة العين من للنائبات ومن يلقى عن الخلق من احوالهم كلفا
ومن لربة خدر قل ناصرها ومن لذى علة يرجو لديك شفا
ومن لذى امل قد هام فيك هوى واستعبد الفكر فى امداحكم كلفا
وبالمقام اقسام اليوم وهو على ما انت تعلمه منه قد اعتكفا
كسير قلب اسيرا فى يديك على ساق المبرة اجلالا لكم وقفا
ما رام انسا بقرب منك يطلبه الّا ترامت به ايدى الهوى شغفا
ولا رثاك ودمع العين شافعه الّا الى مجدك السامى الذرى انعطفا
منى عليك سلام لا يزال به ندى قبرك يهدى للورى تحفا

ثم رايتها بعد التامل قاصرة عن المراد قصيرة الباع فى المطلب الذى يراد فصرفت العناية الى انشاد اخرى واحتسبت ذلك عند الله ذخرا وانشدت والعجز بى منوط وعلي من قصورى مروط

ارى الدنيا وزخرفها محالا وحال محبها ان سر حالا
اذا والتك يوما بالامانى تولت عنك واستلبت نوالا
وان حسنت بما اولته حالا لابناء الهوى قبحت مآلا
شراب نعيمها الفانى سراب يرى ماء ولا يروى نهالا
تسر بوصلها وتسر هجرا وتقطع حبل ود منك طالا
وحطة خطة الآمال فيها تقود بمقود البلوى وبالا
وفى يوم السرور بها شرور يكدر شربها الماء الزلالا
وكم فتكت بمن فتنت وفكت مقاطعة مدابرة عقالا
يصول بوصلها المزرى فتاها فان ولت دعا ويلا وقالا
ارى قدمى لنيل الوفر فيها اراق دمى ولم ادرك منالا
وغايتها الزوال وان تراخى زمان المرء فيها واستطالا
بعين النقص ولازرا رآها رجال حق ان يسموا رجالا

كرام قد زكت منهم نفـوس كما طابت معاطفهم جـلالا
جهابذة ملوك ان تراهـم ترى المجد الذى عدم المثالا
بدت لهم الحقائق فاجتلوهـا عرائس البست منهم جمالا
وفوق منصة التخصيص سـرا انيلوا القرب منها والوصالا
سقوا خمرا بدين الحب منهـا تكاد الكاس تشتعل اشتعالا
وعند بذاذة العربيد هـاموا بساقيهم عن الدنيا اشتغالا
ومالوا عن زخارفها ركونـا الى ما عند مولاهم تعـالى
تحاموها وغضوا الطرف منهـا وعن نقصانها اعتاضوا الكمالا
بهم تستدفع اللاوى ويـاوى اليهم ان طمى بحر وهـالا
لكل منول منهم زمـان يسوق الفتح فيه اليه جـالا
ليصرف صارف التصريف عنا صروفا نختشى منها نكـالا
وذاك السر صار اليوم وقفـا على علم اليه الامـر آلا
سرت اسرارهم سرا اليـه فقيل ابو السرائر قد تعـالى
واصبح مفردا علـا معـلى ومن فى الارض نحو علاه مـالا
عروس جده لقبـا وهـذا عروس الفتح من وافاه نـالا
الى عليـاه تنتسب المعـالى وتطلب منه قربا واتصـالا
ونحو كمـاله الاعنـاق مالت خضوعا بالمحبة وامتثـالا
اطاع الله والاسرار تبـدو على ذى السر قولا او فعـالا
فساق وقد اطيع الخلق طوعـا لطاعته ليكسبهم كمـالا
ودون مقـامه ادبـا وميـلا الى التعظيم قد خلعوا النعـالا
علا قدرا على من قد يعـالى وسامى الفرقدين علا وعـالا
ارته كشوفه اسرار غيـب اليها سره الملكوت جـالا
وخول من بساط الانس قربـا ونول منه انوارا تـلالا
والبس بالكرامة تاج فخـر فلم يترك لمن ناوى مقـالا
ولما ان توغل فى بحـار من العرفان قد رحبت مجـالا

ونال السر والاكسير لمـا | راى الاشياء تنفعل انفعالا
واحرز طلسم الاسما بسر | تحمل منه احمالا ثقالا
وكان الكتم عندهم طريقا | تبوا كلهم منه الظلالا
تقلد عوذة من سوء فعل | ومن احواله ابدى المحالا
واظهر فتنة التخريب فينا | ليوهم فى طريقته اعتلالا
كفعل الموصلى وكان ممن | يشد الواصلون له الرحالا
وللكردى والعدنى فن | من التخريب ذروته اطالا
وللخواص بالحمام فعل | اثار النقص واستلب الكمالا
وسفيان الجليل القدر فيهم | دم الذمى فتكا قد اسالا
وللشيخ المكنى ابى يعزى | حديث اورث الداء العضالا
وللسبتى احوال رآها | كثير حين يبديها ضلالا
لكل مقرب منهم حجاب | نرى البدر لاتم به هلالا
ونحسبهم لوصف الجهل منا | عن الخيرات اجمعها كسالا
وهم قوم لسر الله فيهم | اقيموا بين اظهرنا جبالا
بهم يستعصم الجانى فيلقى | من الدهر ابتهاجا وابتهالا
وقد رحلوا وبعدهم راينا | فتى بالفتح قام لنا احتفالا
يرد طلائع المكروه مهمى | تواجهنا اهتماما واهتبالا
واهل الوقت ان دهمت صروف | عليه بصرفها كل احالا
لمغنى مجده معنى لطيف | اليه به القلوب هوى امالا
افاق فعطر الآفاق ذكرا | واولى رفده كرما ووالا
واصبح كعبة للناس تجلى | بتونس والرقاب لها استمالا
اقام لحسنها حرما وركنا | واودع فيه للتقبيل خالا
وكنا معشر الغرباء نـاوى | اليه ولا نرى منه انتقالا
فقد طوى البساط اليوم منه | وازمع عن محبيه ارتحالا
وبالنادى منادى النعى نادى | ابو العباس مات فمن يوالا

وخلف بعده الاكبـاد منـــا تكابد بالذى لاقت خبـالا
وقد سحت عيون العين تبكى نوالـه التى عمت نـــــوالا
فكم ساق الجمال لها مشوق وسار لكى يرى ذاك الجمـالا
وحث لها المريد السوق شوقا ليقضى من مطـــالبه ســوالا
فعادت حين عادتها الليـــالى فذاك المجد منها لا يبـــالا
وكانت والوفود بهـا عكوف فامست لا ترى فيهـا خيالا
وكان لمجدهـا سر عجـــيب فيا لله كيف اليـــــوم زالا
فمن يرجـــى اذا دهت دواه وحال الوقت المقت استحـالا
ومن يلقاك معتجرا مجيـــــرا اذا الداعى المثوب قـال يالا
ومن يدعى اذا اصطدمت كروب وكف النكس قد صفعت قذالا
وشيخ الوقت بالارماس امسى رهينا لا نفك له اعتقـــالا
وكل متيم بالحب فيــــــه عليه الترب يوم الدفن هـالا
وما راعته هيبته لدينـــــا وشيبته التى كسيت جـــلالا
فيـا سندى المفدى ان دمعى وقد حجبوك ينهمل انهمـــالا
ويا كهفى المعـــــلى ان قلبى عليه الحزن بعدكم تــــوالا
ولو انى بكم ذبت احتراقـــا ومت اسى لما كان اغتيـــالا
ولو ان الفواد كســـاه حزنى لبوس البوس بعدك ما استقالا
لحـى الله الفراق اراق دمعى وحالى بعد من اهوى احـــالا
ونومى قد اطـــار جوى وحزنا وارقنى ويومى قد اطـــالا
تبالت بعدك الدنيـــا وانى جديد فيك حبى ما تبـــالا
اتيتك زائرا عن صدق قصدى اروم بمجدك السامى اتصـالا
فكنت لنا ابا برا رحيمـــــا بكل كريمة منكم نـــوالا
وانى اليوم اذ حجبـــوك عنى وراشوا بالاسى نحوى نبـالا
اقمت بمـاتم الاحزان سوقى وقمت بها على سوقى احتفـالا
ولم اترك علا يعليـــــك الا وقلت عليه ارثيكم مقـــالا

وقلدت

وقلدت البديع بديع نظمى بنظم قلائدى فيك ارتجالا
وفوق منابر الامداح ابدى خطيب خطابها السحر الحلالا
ولم اجنح الى من قص جهلا جناحا منك بالاسرار طالا
وقصدى ان يقال بكم عشارى وما قصدى وسرك ان يقالا
وان لسان افصاحى لديكم قصاراه القصور وان تغالا
ولكن ان كبا يوما جوادى فمثلك من لمثلى قد اقالا
ولولا ان لى عقد اعتقاد لما طال اللسان بكم وصالا
فقابل بالرضا عنى اقتراحى فعجزى وصف اعجازى ازالا
وانجز بالاجازة لى وعودى فعودى قد ذوى والحال حالا
فلست بمخلف للوعد فينا واست كمن يرى ما قلت فالا
وودى ورده قد طاب فيكم وعقدى لا اروم له انحلالا
وقدى بعدكم قد قد حزنا ودمعى لو ترى كالسيل سالا
على انى وان حجبوك عنى اراك مصورا عندى خيالا
ولست بميت والذكر باق وسرك لا يزول ولن يزالا
وكل معمر منا سيفنى ويبقى الله مولانا تعالى
فقدس سرك المولى واولى ثواب الصبر من حرم الوصالا
وفى غرفات عليين ارجو لك الخلد الذى امن الزوالا
واختم بالصلاة على رسول اليه الامر يوم الحشر آلا
وعترته الكرام وتابعيهم صلاة تكسب العبد الكمالا

الباب الثانى فى الكشف عن طريقته الباهره والرد على منكرى ولايته الظاهره

ويشتمل على مقدمة وفصلين وهى بالنسبة لهما كفرع تمم محاسن اصلين فالمقدمة فى التحذير من التعريض بالاذاية لسائر اهل الكرامة والولاية والفصل الاول فى اثبات ما انتهجه رضى الله عنه من هذه الطريقة والاشارة

فى ذلك الى ما يفهم الحقيقة والفصل الثانى فى التماس المخارج لغرائب
تخريبه وتسديد الامر فى ذلك وتقريبه اما المقدمة فاعلم نور الله
بصيرتك وقرن بخالص اخلاص اليقين سريرتك انه يجب تعظيم قدر الولاية
والولى والتادب مع ارباب ذلك المقام العلى والقيام بين ايديهم على
قدم المبرة والتكريم والوقوف معهم على حد السمع والطاعة فللكريم فخرهم
حريم اما من بضاعة اعتقاده فيهم مزجاة وحجته فى ذلك اما له او عليه مرجاة
فسبيل سلامته سلوك منهج التسليم ورد الامر فيما لا يعلمه الى الواحد
العليم واما مجاذبة احاديث الانتقاد عليهم فمقرونة بالهلك وخائض ذلك
البحر المردى لا ينجيه من هلاكه مواخر الفلك وكيف لا والقائم بامر
نصرتهم على المعادين لهم العادين مولاهم والمتولى خذلان من رام اهتضام
جنابهم من اختصهم بما شاء واولاهم فهم غير مفتقرين لصدق التوكل على
الله فى دفاع المعادى الى جلاد وضرب وكفى المنتقد نكاية قوله عليه
الصلاة والسلام حكاية عن ربه من آذى لي وليا فقد بارزنى بالمحاربة وهو
حديث مسند صحيح وبقيامه جل وعلا بالنصرة لهم صريح فاى رتبة
لاولياء الله انفس من هذه واشمخ واى قدم لهم امكن من هذه وارسخ

انالهم الذى طلبوا واعلى مكانة قدرهم فى العالمينا
وعطر ذكرهم فينا واثنى وقام لهم باخذ الظالمينا

قال ابن عطاء الله رضى الله عنه فى لطائف المنن فاصغ رحمك الله الى
ما تضمنه هذا الحديث من عزازة قدر الولى وفخامة رتبته حتى ينزله
الحق سبحانه هذه المنزلة ويحله هذه المرتبة لان الولى خرج عن تدبيره
الى تدبير الله وعن انتصاره لنفسه لانتصار الله وعن حوله وقوته لصدق
التوكل على الله وقد قال الله تعلى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال
وكان حقا علينا نصر المومنين وكان ذلك لهم لانهم جعلوا الله مكان همومهم
فدفع عنهم الاغيار وقام لهم بوجود الانتصار

ومن قام بالنصر مولاه له يوق ويحظ بما امله

وبالنور يكتب فى وجهـــه   محياك سبحان من جملـــه

قال واخبرنى الشيخ شهاب الدين الابرقوهى قال دخلت على الشيخ ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فسمعته يقول يقول الله عز وجل عبدى اجعلنى مكان همك اكفك كل همك عبدى ما كنت بك فانت فى محل البعد وما كنت بى فانت فى محل القرب واختر لنفسك وقد جاء فى الحديث من شغله ذكرى عن مسالتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين فاذا كان الحق سبحانه قد رضى لهم ان يشغلهم ذكره عن مسالته فكيف لا يرضى لهم ان يشغلهم ذكره والثناء عليه عن الانتصار لنفوسهم ومن عرف الله سد عنه باب الانتصار لنفسه اذ العارف قد اقتضت له معرفته ان لا يشهد فعلا لغير معروفه فكيف ينتصر من الخلق من يرى الله فعالا فيهم وكيف يدع اولياءه من نصرته وهم قد القوا انفسهم لديه سلما واستسلموا لما يرد منه حكما فهم فى معاقل عزة تحت سرادقات مجده يصونهم من كل شئ إلّا من ذكره ويقطعهم عن كل شئ إلّا عن حبه ويختارهم من كل شئ إلّا من وجود قربه السنتهم بذكره لهجة وقلوبهم بانواره بهجة وطن لهم وطنا بين يديه فقلوبهم جاثمة فى حضرته واسرارهم محققة بشهود احديته قال ولقد سمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول ولى الله مع الله كولد اللبوة فى حجرها اتراها تاركة ولدها لمن اراد اغتياله وقد جاء فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض غزواته وامراة تطوف على ولدها رضيع فلما وجدته احنت عليه والقمته الثدى فنظر الصحابة اليها متعجبين فقال صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده المومن من هذه بولدها ومن هذه الرحمة برز انتصار الحق لهم ومحاربة من عاداهم اذ هم جمال اسراره ومعادن انواره وقد قال سبحانه الله ولى الذين آمنوا وقال ان الله يدافع عن الذين آمنوا غير ان مقاتلة الحق سبحانه لمن آذى اولياءه ليس يلزم ان تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله ولان الله لم يرض الدنيا اهلا لعقوبة اعدائه كما لم يرضها اهلا لاثابة احبابه وان

كانت معجلة فقد تكون قساوة فى القلب او جمودا فى العين او تعويقا
عن طاعة او وقوعا فى ذنب او فترة فى الهمة او سلب لذاذة خدمة
وقد كان رجل من بنى اسرائيل اقبل على الله تعلى ثم اعرض عنه فقال
يا رب كم اعصيك ولا تعاقبنى فاوحى الله تعلى الى نبى ذلك الزمان ان
قل لفلان كم عاقبتك ولم تشعر الم اسلبك حلاوة ذكرى ولذاذة مناجاتى
قال وفائدة هذا البيان ان لا يحكم لانسان آذى وليا من اولياء الله تعلى
بالسلامة اذا لم تر عليه محنة فى نفسه وماله وولده فقد تكون محنته اكبر
من ان يطلع العباد عليها

فنحن على حبنا فيهم   ندافع بالله ما لم نطيق
ونسال منه تعلى اسمه   خلوص محبة اهل الطريق

قال وسمعت الشيخ ابا العباس يقول كان اذا آذانى انسان يهلك للوقت
وانا الآن لست كذلك فرآنى رضى الله عنه مستشرفا لذلك فقال اتسعت
المعرفة وسمعته يقول لحوم الاولياء مسمومة ثم قال واعلم رحمك الله وعلمك
من العلم الذى يدلك عليه وجعلك من الدائمين بين يديه ان انتصار
الحق لاوليائه ليس ذلك لهم لانهم طلبوه من الله ولكنهم لما صدقوا التوكل
عليه وارجعوا الامر اليه انتصر الحق لهم الم تسمع قوله سبحانه ومن
يتوكل على الله فهو حسبه ولا تقولن هم ممن ينتصر لنفسه بل قل هم ممن
ينتصر الله لهم فانه الغالب الذى لا يغلب والقادر الذى لا يعجز والقاهر
الذى لا قبل لاهل السموات والارض بذرة من بلائه وقهره ولو وضع ذرة
من ذرات بلائه وقهره على الجبال لاذابتها قال ومعنى قول الشيخ رضى
الله عنه اتسعت المعرفة ان المريد فى مبدا ارادته بهمته وفى نهايته
بوجود معرفته فاذا كان فى مبدء ارادته بهمته توجه بصدق الهمة الى
الله لاجئا اليه فى الانتقام ممن آذاه فينتصر الحق له لتوجهه بصدق
الهمة فى طلب النصر ولضيق عطنه عن الصبر على تاخير الانتقام والعارف
اتسع عليه بحر المعرفة فانطوت همته واشاعته وتدبيره فى اشاعة الحق

له

له وتدبيره اياه ومن عليه شهود المشيئة فاى همة تبقى له وايضا اذا اخرت عقوبة من آذاه شهد حسن اختيار مولاه فلم يعجل له الانتصار لانه لا يخشى عليه مما يخشى على المريد من عدم الصبر اذا اخر الانتقام له وايضا ان العارف لو توجه بطلب الانتقام ممن ظلمه قامت الرافة والرحمة القائمان به لتخلقه بخلق معروفه فمنعاه من الانتصار وان كان على ذلك قادرا وكيف ينتصر من الخلق من يرى الله فعالا فيهم ثم اولياء الله اذا ظلموا على طبقات داع يدعو على من ظلمه واستثار الاذى منه القرح واستخرج منه الاضرار فهو الذى لا ترد دعاوه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب **والقسم الثانى** وهم الذين اذا ظلموا لجئوا الى الله سبحانه فى طلب النصرة وتعجيل الاذى غير انهم علموا ان الله سبحانه يعلم السر واخفى فرفعوا امرهم الى الله سرا بسر وهولاء اولى بانتصار الحق لهم لتوكلهم عليه ولارجاعهم الامر اليه وقد قال الله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولقد ذكر ان امراة كانت لها دجاجة ليس عندها غيرها وكانت تتقوت ببيضها فجاء سارق فسرقها فلم تدع عليه وارجعت الامر الى الله تعلى فاخذ السارق الدجاجة فذبحها ونتف ريشها فنبت جميعه بوجهه فسال فى ازالة ذلك فلم يستطع وسال الناس فلم يقدروا على ازالة ما نزل به الى ان اتى الى حبر من احبار بنى اسرائيل فقال لا اجد لك دواء الا ان تدعو عليك المراة التى سرقت دجاجتها فان فعلت ذلك شفيت فارسل اليها من قال لها اين دجاجتك التى كانت عندك قالت سرقت قالوا لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل قالوا وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك وما زالوا بها كذلك حتى اثاروا الغضب منها فدعت فتساقط الريش فقيل لذلك الحبر من اين علمت هذا قال لانها لما سرقت دجاجتها لم تدع عليه ورجعت الى الله سبحانه فى امره فانتصر لها فلما دعت انتصرت لنفسها فتساقط الريش من وجهه **القسم الثالث** عباد لما ظلموا لم يلجئوا ولم يدعوا

طلبا للانتقام ممن ظلمهم ولكن فوضوا الامر الى الله فكان هو المختار لهم
القسم الرابع وهم الطبقة العليا الذين اذا ظلموا رحموا من ظلمهم قال
الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه واذا آذاك ظالم فعليك بالصبر
والاحتمال واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك
وظلمك لنفسك فاذا فعلت ما الزمت من الصبر والاحتمال اثابك الله سعة
الصدر حتى تعفو وتصفح وربما اثابك من نور الرضا من ترحم به من
ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك وما احسن ذلك اذا رحم الله بك
من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب
المتوكلين ومن هذا القبيل الذى ذكره الشيخ رضى الله عنه ما اتفق لابراهيم
ابن ادهم رضى الله عنه انه قال له جندى اخبرنى اين العمران فاشار
الى المقابر فظن انه يهزا به فضربه فشجه فطاطا راسه وقال اضرب راسا
طال ما عصى الله فقيل للجندى هذا ابراهيم بن ادهم زاهد خراسان فاحتنى
على رجليه يقبلهما ويعتذر اليه فقال له ابراهيم بن ادهم والله ما رفعت
يدك عن ضربى الا وانا اسال الله تعلى لك المغفرة لانى علمت ان الله
تعلى يثيبنى على ما فعلت بى ويواخذك على ما فعلت بى فاستحييت
ان يكون حظى منك الخير وحظك منى الشر فقال الشيخ ابو العباس
رضى الله عنه ليس هذا عين الكمال بل ما فعله الصحابى سعد احد العشرة
هو عين الكمال ادعت عليه امراة انه احتاز شيئا من بستانها فقال اللهم
ان كانت كاذبة فاعمها وامتها فى مكانها فعميت وجاءت يوما تمشى فى
بستانها فوقعت فى بئر فماتت فلو كان ما فعله ابراهيم عين الكمال لكان
اولى به ولكنه كان سعد امينا من امناء الله نفسه ونفس غيره عنده سواء فما
دعا عليها لانها آذته ولكن دعا عليها لانها آذت صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابراهيم بن ادهم لم يصل الى هذه الرتبة فترك الدعاء على
الجندى لئلا يكون ذلك انتصارا لنفسه وسعد رضى الله عنه قد خلصه
الله من نفسه وابرزه الى الخلق يخاص به من يشاء من عباده والصوفى

لا يستقصى الحق لنفسه ولكن يستقصى الحق لربه ثم قال اعلم رحمك
الله تعلى ان اولياء الله تعلى حكمهم فى بدايتهم ان يسلط الخلق عليهم
ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا وكى لا يساكنوا الخلق باعتماد او
يميلوا اليهم باستناد ومن آذاك فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن
اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم جبلت
القلوب على حب من احسن اليها وقال صلى الله عليه وسلم من اسدى
اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من
احسان الخلق ويتعلق بالملك الحق قال وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلى
رضى الله عنه اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم
يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك ولان تصاب فى بدنك خير
لك من ان تصاب فى قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك من حبيب
يقطعك عن الله تعلى وعد اقبالهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا الا ترى
انهم اذا اقبلوا فتنوا وتسليط الخلق على اولياء الله تعلى فى مبدء طريقهم
سنة الله فى احبابه واوليائه ولذلك قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه
الهى ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد
حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك
وكل وجد يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه انوار محبتك قال
ومما يدلك على ان هذه سنة الله فى احبابه واصفيائه قول الله سبحانه
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله
قريب وقوله عزوجل حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا وقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ايمة
ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض وقوله تعلى اذن للذين يقاتلون
بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
الا ان يقولوا ربنا الله الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى فمن
حالتهم فى بدايتهم طاطا ابراهيم بن ادهم راسه حين ضربه الجندى فقال

اضرب راسا طال ما عصى الله وقوله ما فرحت من عمرى الّا ثلاث مرات كنت فى المسجد فاصابنى البطن فكنت اقوم واقعد فجاء صاحب المسجد فامرنى ان اخرج فلم استطع لقوة الضعف فاخذ برجلى يجرنى حتى اخرجنى والمرة الثانية نزعت ما كان علي من ملبوس فلم اره لكثرة القمل والمرة الثالثة ركبنا فى سفينة وكان هنالك مضحاك فكان يقول كنا ناخذ العلج فى بلاد العدو هكذا و يمد يده الى لحيتى فيهزها فاعجبنى اذ لم ير فى السفينة احقر منى قال وهذا شانهم في بدايتهم علما منهم بوجود البقايا فيهم فخافوا ان ينتصروا فينتصرون لانفسهم فيسقطون من عين الله فرجعوا الى وجود الحلم كافين ايديهم عن الانتصار لعلمهم بآفات الانتصار للنفس وشرعة الحق وعادته في اصفيائه كثيرة الاعداء والنصرة منه لهم عليهم قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه آذانى انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرايت يقال لى من علامة الصديقية كثرة اعدائها ثم لا يبالى بهم ويجب ان تعلم ان النفوس شانها استحلاء الاقامة فى مواطن العز والرفعة فلو تركها سبحانه وما تريد لهلكت فازعجها عن ذلك بما يسلطه عليهم من اذى الموذين ومعارضة الحاسدين وقال بعض العارفين الصيحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره ولولا ذلك لرقد القلب فى ظل العز والجاه وهو حجاب من الله عظيم وصدق رضى الله عنه وهذا الصنع من حسن نظر الله لاوليائه واحبابه واظهارا لاثار ولايته فيها لقوله سبحانه الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فاذا تمت انوارهم وتطهرت من البقايا اسرارهم حكمهم فى العباد وادلهم عليهم فحينئذ يكون العبد المجتبى سيفا من سيوف الله تعلى ينتصر به الله لنفسه ومن هذا الباب دعا سعد على المراة التى ادعت عليه كذبا اللهم اعم بصرها وامتها فى مكانها فاستجيب له ولما دخل على عثمان رضى الله عنه الدار لطم انسان زوجته فقال له عثمان رضى الله عنه قطع الله يديك ورجليك وادخلك فى النار فرىء ذلك الرجل بالشام وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يقول دعوة

عثمان استجيب له في اثنان وبقيت الثالثة ولذلك قد تلتبس احوال الرجال على عموم العباد فلا تفصل وليا ظلم فصفح على ولى ظلم فانتصر او دعا فقد يكون صفح من صفح لعلمه بالبقايا في نفسه ودعاء الداعي لعلمه بتطهيره من البقايا فدعا انتصارا لربه وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه علم الله ما يقال في اوليائه والصديقين فبدا بنفسه فغضب على قوم اعرض عنهم فنسبوا اليه الزوجة والولد فاذا قيل في صديق انه زنديق او قيل في ولى انه غافل عن الله غوى فان ضاق الولى والصديق بذلك ذرعا قيل له الذى قيل فيك هو وصفك لولا فضلى عليك وقد قيل فيى ما لا يستحقه جلالى وقال ايضا رضى الله عنه الهالك بهذه الطائفة اكثر من الناجى ثم قال رضى الله عنه واعلم ان الله سبحانه ابتلى هذه الطائفة بالخلق ليرفع بالصبر على اذاهم مقدارهم وليكمل بذلك انوارهم وليحقق الميراث فيهم ليوذوا كما اوذى من كان قبلهم فيصبروا كما صبر من قبلهم ولو كان من اتى بهدى اطبق الناس على تصديقه هو الكمال في حقه لكان الاولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صدقه قوم هداهم الله بفضله وحرم من ذلك آخرون حجبهم الله عن ذلك فانقسم العباد في هذه الطائفة الى معتقد ومنتقد ومصدق ومكذب وانما يصدق بعلومهم وانوارهم من اراد الله سبحانه ان يلحقه بهم والمعترف بتخصيص الله فيهم وعنايته قليل لغلبة الجهل واستيلاء الغفلة على العباد وكراهية الخلق ان يكون لاحد عليهم شفوف في منزلة او اختصاص بمنة ومن اين لعموم العباد ان يعلموا اسرار الحق في اوليائه وشروق نوره في قلوب احبابه وسبب هلاك الهالك بهم ان من اظهره الله منهم لا بد ان يظهر بباهر المنن وخوارق العادات فتستغرق عقول العموم ان يعطى احد ذلك غير الانبياء وان تظهر الخوارق إلّا في اهل العصمة وهولاء لم يعلموا ان كل كرامة لولى فهى معجزة لذلك النبى الذى هذا الولى تابع له فظن هولاء ان جريان الكرامات على الولى مساهمة لمقام النبوة وحاشا لله ان يشترك النبى والولى في مقام كيف وقد

قال ابو يزيد جميع ما اخذ الاولياء مما هو للانبياء كزق ملئ عسلا فرشحت منه رشاحة فما انطوى عليه الزق فهو مثل علوم الانبياء وتلك الرشاحة هى حظ الاولياء منهم ثم قال واعلم رحمك الله ان من اعتز بعزيز لم يشاركه فى العز فاولياء الله اعتزوا بالانبياء الذين اهتدوا بهديهم واقتفوا سبلهم فلا يشاركونهم فى عزهم لان بهم اعتزازهم الم تسمع الى المولى يقول ولله العزة ولرسوله وللمومنين فلم يكن اثبات العزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين من عباده يوجب شركة لله فى عزه وحكمة الله اقتضت عدم اتفاق العباد فى الولى بل انقسم الامر فيه كما بيناه لما بيناه ولامر آخر وهو انه لو كان الخلق كلهم مصدقين للولى فاته الصبر على تكذيب المكذبين ولو كان الخلق كلهم مكذبين للولى فاته الشكر على تصديق المصدقين فاراد الله سبحانه بحسن اختياره لاوليائه ان يجعل العباد فيهم قسمين مصدق ومكذب ليعبدوا الله فيمن صدقهم بالشكر وفيمن كذبهم بالصبر والايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر واعلم انه لعزازة قدر الولى عند الله لم يجعله إلّا محجوبا عن خلقه وان ظهر بينهم لانه ظهر لهم من حيث ظاهر علمه ووجود دلالته وبطن لهم ولايته وقد قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه لكل ولى حجاب وحجابى الاسباب فمنهم من كان حجابه ظهوره بالسطوة والعزة والنفوس لا تحتمل صحبة من هذا وصفه وسبب ظهور ذلك الولى بذلك تجلى الحق عليه به فاذا تجلى عليه بصفة ظهر بها فاذا غلبت عليه شهودا غلبت عليه ظهورا فلا يصحبه ولا يثبت معه إلّا من محق الله نفسه وهواه قال ومن هذا الصنف كان شيخنا ومولانا ابو العباس رضى الله عنه لا تجلس بين يديه إلّا والرعب قد ملا قلبك ومن خلصه الله من نفسه وهواه فلا يستغرب ظهوره بالعز فاى ملك اعظم من هذا الملك هذا ملك اعوز الملوك وجوده افلا ترى انه لم يزل فى كل قطر وعصر اولياء تذل لهم ملوك الزمان و يعاملونهم بالطاعة والاذعان ومنهم من يكون حجابه كثرة التردد الى الملوك والامراء فى حوائج عباد الله فيقول

القصير الادراك لو كان هذا وليا ما تردد الى ابناء الدنيا وهذا جور من قائله
بل انظر تردده اليهم ان كان لاجل عباد الله وكشف الضرر عنهم وتوصيل ما
لا يستطيعون توصيله اليهم مع الزهد والياس مما فى ايديهم والتعزز بعز
الايمان وقت مجالستهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فلا حرج على
من هذا شانه لانه من المحسنين وقد قال سبحانه ما على المحسنين من
سبيل قال وهكذا كان سبيل شيخ شيخنا القطب الكبير ابى الحسن الشاذلى
رضى الله عنه حتى لقد سمعت الشيخ الامام مفتى الانام تقى الدين محمد
ابن علي القشيرى رحمه الله يقول سبب جهل الناس وولاة الامر لقدر
الشيخ ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه كثرة ترداده اليهم فى الشفاعات
قال ويجب ان تعلم ان هذا امر لا يقوى عليه إلّا عبد متخلق بخلق الله
قد بذل نفسه واذلها فى مرضات الله وعلم وسع رحمة الله فعامل بالرحمة
عباد الله ممتثلا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن
ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وقد يكون حجاب الولى كثرة
الغنى وانبساط الدنيا عليه قال بعض المشايخ رضى الله عنهم كان رجل بالمغرب
من الزاهدين فى الدنيا ومن اهل الجد والاجتهاد وكان عيشه مما يصيده
من البحر وكان الذى يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فاراد
احد اصحاب هذا الشيخ ان يسافر الى بلد من بلاد المغرب فقال له هذا
الشيخ اذا دخلت الى بلدة كذا فاذهب الى اخى فلان فاقره منى السلام
وتطلب الدعاء منه لى فانه ولى من اولياء الله تعلى قال فسافرت حتى
قدمت تلك البلدة فسالت عن ذلك الرجل فدللت عليه فى دار لا تصلح
إلّا للملوك فتعجبت من ذلك وطلبته فقيل لى هو عند السلطان فازداد تعجبى
اكثر من الاول قال فهممت بالرجوع وعدم الاجتماع به ثم قلت لا يمكننى
مخالفة الشيخ فاستاذنت فاذن لى فلما دخلت رايت ما هالنى من العبيد
والخدام والشارة الحسنة فقلت له اخوك فلان يسلم عليك قال جئت من
عنده قلت نعم قال اذا رجعت عليه فقل له الى كم اشتغالك بالدنيا والى

كم اقبالك عليها والى متى لا تنقطع رغبتك فيها فقلت والله هذا اعجب من الاول فلما رجعت الى الشيخ قال اجتمعت باخى فلان قلت نعم قال فما الذى قال لك قلت لا شيء قال لابد ان تقول فاعدت عليه ما قال فبكى طويلا وقال صدق اخى فلان هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها فى يده وعلى ظاهره وانا اخذها من يدى وعندى اليها بقايا التطلع قال ومن حجب اولياء الله قبولهم من الخلق فاذا قبل الرجل ما يعطى صغر عند الخلق وهم لا يكبر عندهم إلّا من لم يقبل دنياهم ومن اذا اعطى رد عليهم ولعل فاعل ذلك انما فعله زندقة وزواقا واستيلافا لقبول العباد عليه وليتوجه بالتعظيم اليه ولتنطلق الالسنة بالثناء عليه وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه من طلب الحمد من الناس بترك الاخذ منهم فانما يعبد نفسه وهواه وليس من الله فى شيء ومما قد يصد عقول العموم عن اولياء الله تعلى وقوع زلة ممن تزيى بزيهم وانتسب الى مثل طريقهم والوقوف مع هذا حرمان ممن يقف معه وقد قال الله تعلى ولا تزر وازرة وزر اخرى فمن اين يلزم لما اساء واحد من الجنس او ظهر على عدم صدقه فى طريقه ان يكون بقية اهل تلك الطريق كذلك واشد حجاب يحجب عن معرفة اولياء الله تعلى شهود المماثلة وهو حجاب قد حجب الله به الاولين قال الله تعلى حاكيا عنهم ما هذا إلّا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون وقال سبحانه وتعلى مخبرا عنهم ابشرا منا واحدا نتبعه وقال سبحانه وتعلى وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق واذا اراد الله ان يعرفك بولى من اولياء الله تعلى طوى عنك شهود بشريته واشهدك وجود خصوصيته ثم قال رضى الله عنه فى وصية له وارشاد اعلى بها صرح النصيحة وشاد اياك ايها الاخ ان تصغى الى الواقعين فى هذه الطائفة والمستهزئين لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله فان هولاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق واخلاص الوفاء ومراقبة الانفاس مع الله سلموا قيادهم اليه والقوا انفسهم سلما بين يديه تركوا الانتصار لانفسهم حياء

من

من ربوبيته لهم واكتفاء بقيومته فقام لهم باوفى ما يقومون لانفسهم وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم ولقد ابتلى الله تعلى هذه الطائفة بالخلق خصوصا اهل العلم الظاهر فقل ان تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولى معين بل يقول نعم نعلم ان لاولياء موجودون ولكن اين هم فلا تذكر له احدا إلّا واخذ يدفع خصوصية الله فيه طلق اللسان بالاحتجاج عاريا عن وجود التصديق فاحذر من هذه صفته وفر منه فرارك من الاسد وقال التادلى رحمه الله تعلى قيل للشيخ ابى العباس السبتى رضى الله عنه ما للعلماء يكرهونك ويعادونك فقال لانى مومن بخبر الله تعلى حيث يقول وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهم غير مومنين بذلك قال وكان يقول ركن العلماء الى الدنيا وبخلوا بها وغلبوا جانب الرجاء وفيهم يقول الله تعلى فخلف من بعدهم خلف الى قوله اجر المصلحين وقال الشيخ ابو الحسن الششترى رضى الله عنه فى رسالته المنكرون على هذه الطائفة ثلاثة اصناف ارباب الدنيا واتباعهم والجامدون من الفروعية واتباعهم والمتعمقون فى الاعمال المتنمسون واتباعهم اما ارباب الدنيا فان الفقراء اضدادهم لرثة ثيابهم وقلة جاههم والضد ياْفى ضده والدنيا تورث القساوة وطول الامل وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور واتباعهم يمشون فى مرضاتهم وقالوا ربنا انا اطعنا ساداتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا واما الجامدون من الفروعية فانهم يعتقدون الاحاطة بالشريعة وينكرون على من ترك طريقهم وتتبعهم العوام على ذلك والاحاطة بالشريعة متعذرة وقد انصف الامام مالك رضى الله عنه حين قال له الرشيد اريد ان احمل الناس على ما فى الموطا فقال لا فان الصحابة رضى الله عنهم تفرقوا فى الامصار وعند كل واحد علم واما المتعمقون فى الاعمال المتنمسون فقد فتنهم الشيطان برؤية اعمالهم التى يتصنعون فيها ويرتكبون فيها ناموسا وطرقا يعظمهم الناس لاجلها وظاهرها الحسن فهم يبغضون الفقراء لعدم تصنعهم فى اعمالهم فان الفقير اذا راى عمله اشرك واذا راى انه قد اخلص احتاج

الى اخلاص يخلصه من شرك نفسه **قلت** وما ذكرناه آنفا فى حق اهل العلم الظاهر من مقالات فيما يعتمدون به هذه الطائفة الجليلة من منافرة ومقالات لا يعتقد ان ذلك المورد كلهم على جهة العموم يردونه او انهم جميعا اذا ذكر التصوف بلسان عملهم يردونه بل فيهم المقبل والمعرض والمسلم والمعترض والناكص على عقبيه جريا على مقتضى انتقاده والعاكف على تعظيم القوم لصحة قواعد اعتقاده قال الامام اليافعى فى روض رياحينه ولم يزل العلماء الصلحاء رضى الله عنهم قديما وحديثا يعتقدون طائفة الصوفية ويزورونهم ويتبركون بمجالستهم ودعائهم وآثارهم من ذلك ما جاء عن الامام سفيان الثورى رضى الله عنه فى مجالسته لرابعة رضى الله عنها وتادبه معها وبها وما جاء عن الامامين الشافعى واحمد رضى الله عنهما فى مجالستهما لشيبان الراعى رضى الله عنه وحكايته المشهورة معهما قال فقد روينا ان الامام احمد رضى الله عنه كان عند الامام الشافعى فجاء شيبان الراعى رضى الله عنه فقال احمد اريد يا ابا عبد الله ان انبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم فقال له الشافعى رضى الله عنه لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان رضى الله عنه ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ولا يدرى اى صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان فقال شيبان رضى الله عنه يا احمد هذا قلب غفل عن الله تعلى فالواجب ان يودب حتى لا يغفل عن مولاه فغشى على احمد رضى الله عنه وفى رواية اخرى فالواجب ان يودبه باعادة الخمس فلما افاق الامام احمد رضى الله عنه قال له الامام الشافعى رضى الله عنه الم اقل لك لا تحرك هذا وفى رواية اخرى انه ساله عن الزكاة ايضا فى كم تجب فقال شيبان رضى الله عنه اما على مذهبكم فتجب فى الابل فى كذا وكذا وفى البقر فى كذا وكذا وفى الغنم فى كذا وكذا وفى الفضة فى كذا وكذا وفى الذهب فى كذا وكذا واما على مذهبى فالكل له قال وكذلك روينا انه اجتاز ابو العباس ابن شريح الفقيه الامام الشافعى المذهب الملقب بالباز

الاشهب

لاشهب مجلس الاستاذ ابى القاسم الجنيد رضى الله عنه فسمع كلامه
فقيل له ما تقول فى هذا فقال لا ادرى ما اقول ولكنى ارى لهذا الكلام
صولة ليست بصولة مبطل وما مات ابن شريح رحمه الله حتى اعتقد
الصوفية واستحسن طريقهم رضى الله عنهم وقال بعضهم حضرت مجلس
ابى العباس ابن شريح رحمه الله فتكلم فى الفروع والاصول بكلام حسن
عجبت منه فلما راى اعجابى قال اتدرى من اين هذا هذا من بركة مجالستى
ابا القاسم الجنيد رضى الله عنه وقيل لابى القاسم الجنيد رضى الله عنه
ممن استفدت هذه العلوم فقال من جلوسى بين يدى الله تعلى ثلاثين
سنة تحت تلك الدرجة واشار الى درجة فى داره وروى ان ابا المعالى
امام الحرمين رضى الله عنه كان يدرس يوما فى المسجد بعد صلاة الصبح
فمر عليه بعض شيوخ الصوفية ومعه اصحابه من الفقراء وقد دعوا الى
بعض المواضع فقال امام الحرمين فى نفسه ما شغل هولاء الّا الاكل والرقص
فلما رجع الشيخ من الدعوة مر عليه وقال يا فقيه ما تقول فيمن صلى الصبح
وهو جنب ويقعد فى المسجد ويدرس العلوم ويغتاب الناس فذكر امام
الحرمين انه كان عليه غسل ثم حسن اعتقاده بعد ذلك فى الصوفية رضى
الله عنهم وفى هذا القدر من هذه الزواجر اعظم نكاية للمنتقد واكرم كفاية
يطمئن بها قلب المعتقد وتاخير القول فيها انسب الى ما انعقد له الباب
وادعى الى استمالة قلوب ذوى الالباب ولكن لا بد من صرف العناية
الى ارداف ذلك بحكايات صحيحة واخبار فى هلاك المتعرض لاذاية
القوم رضى الله عنهم صريحة تلين لسماعها القلوب القاسية وتتحرك لها
سفن الهمم التى هى فى مراسى الغفلة راسية فمع الترغيب ترهيب ومع
الابعاد تقريب والنفوس اذا سكنت الى مساكنة الكسل والتسويف انما
تزاح عنها ظلم الاغيار ببارقة التخويف وبذكرها يعلم صدق انتصار الله
لاوليائه وحقيقة معاجلة الانتقام ممن تعرض لاذاية اصفيائه ونكمل
طرز محاسن حلتها الفائقة بذكر حكايات عروسية سابقة لها فى الترتيب

ولاحقة فيحصل بذلك تمام النفع والدفع ويعلم المخذول قدر ما بين
الخفض والرفع فمن ذلك عن شيخنا الكامل مفزع الايامى والارامل ما حدثنى
به الحاج ابو عبد الله محمد بن سالم المسراتى الجزرى وكان على ما تعرفت
من حاله صدوقا ومن الاقدمين فى معرفة الشيخ رضى الله عنه على ما حدثنى
به هو وغيره قال لما انتقل الشيخ رضى الله عنه فى بداية امره الى الفندق
الذى هو اليوم زاويته المباركة وكان حينئذ عامرا بسكانه كسائر الفنادق
وفيه مخنث بيده المفاتيح فكان المسكين كثير الاذاية للشيخ رضى الله عنه
بالفعل والقول متعرضا لذلك فى غالب اوقاته واحواله والشيخ رضى الله
عنه مع ذلك كله يجامله ويحاسنه قال فلما رايت من المخنث المذكور
ما رايت من قلة المبالاة بحال الشيخ وعدم اكتراثه بامره ساءنى ذلك
فكنت اهم ان اوقع به المرة بعد المرة لكثرة ما ارى منه من سوء الادب
مع الشيخ رضى الله عنه قال وكان عندى فى حانوتى صانع له كفاية
فقلت له يوما وقد ضاق من امره صدرى وعيل بتكرر ذلك منه صبرى
اريد منك ان تمسك هذا المخنث وتضربه حتى لا تدع فيه حراكا
فتكفل لى بذلك فلما كان فى بعض الايام دخل الصانع المذكور للفندق
والشيخ هنالك جالس فلم يزل مع المخنث الى ان اوغر صدره واظهر منه
بسبب حمية نفسه ما فيه حروشة له فمد يده اليه والقاه بين رجليه
فى الارض ولم يزل يضربه الى ان كاد يقطع حراكه وخرج للحانوت
وتركه قال فنحن فى عملنا واذا بالمخنث افاق وجاء فى للحانوت ودعانى
للحاكم لينتقم له بزعمه منى فحملنى خوف العقوبة على ان نزلت للفندق
واخبرت الشيخ بانه دعانى للحاكم واظهرت له الجزع والخوف فقال لى
رضى الله عنه اتركه يمشى فى لعنة الله قال فوالله ماريء المخنث من
تلك الساعة ولا علم له خبر الى الآن ولم يعلم احد لامره عاقبة وكانما
الارض ابتلعته وترك قشه وسائر حوائجه بالفندق وذهب الى حيث
القت رحلها ام قشعم واراح الله تعلى وليه من اذاه وانتقم له ممن كان

آذاه فنعوذ بالله من سوء قضائه والتعرض لغضب اوليائه ويشهد لعدم تلافي تلاف هذا المخذول وقلة العثور من امره على خبر منقول ما ذكره الشيخ ابو محمد عبد الله اليافعي رضي الله عنه في كتابه في خلاصة المفاخر عن الشيخ الاصيل ابي الطاهر ابن الشيخ الجليل ابي العباس احمد بن علي الصرصري رضي الله عنه قال سمعت ابي رحمة الله عليه يقول مر الشيخ حماد الدباس رضي الله عنه ببعض قرى بغداد فراى بعض امراء الدولة المستظهرية راكبا سكرانا فانكر عليه فنط عليه الامير فقال الشيخ يا فرس الله خذيه فعدت به فرسه كالبرق الخاطف يسبق البصر وفقد ولم يعلم اين ذهب وبعث الخليفة الخيل وراءه فلم يسمع له بخبر ولم يقف له على اثر فقال الشيخ تاج العارفين ابو الوفاء رضي الله عنه وعزة من له العزة لم تستقر به فرسه دون بر ولا بحر ولا سهل ولا وعر حتى ذهبت به الى وراء جبل قاف ومن ثم يبعث فاعر سمعك هذه الحكاية واعلم بها وبمثلها تصرف اهل الولاية ومن ذلك عن شيخنا الحجة وعمادنا الذي اوضحت مناقبه المحجة ما حدثني به ابن عون المذكور وغيره قال كان رجل فتال يجلس للعمل غربي جامع الزيتونة عمره الله تعلى يلقب كتوت وكان يوذي الشيخ رضي الله عنه اذاية صريحة يواجهه بها كلما رآه فكان اذا سمع كلام الشيخ رضي الله عنه يقول بمراى منه ومسمع الثور يزوك فوق السطح فيقول له الشيخ رضي الله عنه الثور يصبح مذبوحا فاصبح المسكين بعد مدة طويلة مذبوحا لا يعلم له قاتل والعياذ بالله تعلى نسال الله العافية من بلائه والامن من سخطه لسخط اصفيائه وذكر الشيخ اليافعي رحمه الله تعلى انه تخاصم خادم الشيخ ابي الغيث المشهور رضي الله عنه وغلام السلطان فضرب خادم الشيخ غلام السلطان فبلغ ذلك السلطان فامر بخادم الشيخ فقتل فبلغ ذلك الشيخ ابا الغيث رضي الله عنه فاطرق ساعة ثم قال ما لي وللحراسة انا انزل من المشباب واترك الزرع فقتل السلطان في ذلك الوقت فجاء ولده الملك المظفر الى

الشيخ المذكور رضى الله عنه مستغفرا ونعاله على راسه او قال فى عنقه فقال له الشيخ ما تريد قال الملك قال رضى الله عنه وليتك قال والمشباب بكسر الميم ثم الشين المعجمة ثم الباء الموحده مكررة قبل الالف وبعدها يعنى مكانا عاليا من خشب منصوبة فوقها عريش يجلس عليه حارس الزرع فاحضر اصاحك الله قلبك لما نتلوه من هذه الزواجر عليك ونمليه طلبا لصلاحك على السنة اقلام تنهيه اليك وقس رجاءك فى ذلك بخوفك وسلامتك المرجوة بحتفك وارتكب انهج طريق تاحقك بالسلامة وتدخلك تحت كنف اهل الكرامة نسال الله لذلك سبيلا سابلة وهمة لايقاظ فترات العزمات قابلة ومن ذلك عن شيخنا المكين المطاع وعمادنا الذى تارج نشر عبيره وضاع ما حدثنى به ابن عون المذكور عن الشيخ ابن غربال رحمه الله تعلى قال كان فى بيت من بيوت الطبقة العليا التى فوق بيت الشيخ رضى الله عنه من الفندق الذى هو اليوم زاويته الكريمة رجل اندلسى تاجر وكان المسكين كثير الاذاية للشيخ رضى الله عنه مستهزئا به مزدريا بحاله ولم تزل به اذايته الى ان احتفر ثقبا فى قاعة بيته التى هى سقف بيت الشيخ والقى عليه من هنالك نجاسة فى آنية عنده معدة لذلك فلم يزد رضى الله عنه على ان قال ايش هذا الكفر وسكت عنه ثم ان الاندلسى المذكور سافر فى البحر للاندلس وترك من ماله بتونس قدرا له بال فاخذ اسيرا ومات فى ارض الكفر تحت ذل الاسر واستولى من له الامر بتونس على متروكه كله والعياذ بالله تعلى فاين انت عن سماع هذا يامن اذا دعته العبر تقاعس وان بدت له انوار الهدى اطرق لرمد بصيرته وتناعس قد آن لك ان تراجع لطلب السلامة نهاك وتقبل يمين من عن سوء ادبك نهاك وان انت ابيت إلّا اذاية لاولياء الله وطعنا وتكاثف طبعك عن المراد وقد قرب لك المعنى ففض الله اذا فاك وهيا لصفع النقم قفاك ونحن نعوذ بالله جل جلاله من اليم اخذه وموبق سخطه المبلغ الى سقوط العبد من نظر مولاه ونبذه وفى خلاصة المفاخر

الامام

للامام اليافعی رحمہ الله تعلی ان الشیخ العارف ابا عبد الله محمد بن
ابی الحسین المخزومی ذکر بسنده المتصل انہ کان رجل من وجوہ اهل
سنجار کثیر الوقیعۃ فی الاولیاء السالفین رضی الله عنهم اجمعین فلما حضرتہ
الوفاة جعل یتکلم بکل شیء الّا بالشهادة فاذا قیل لہ قل لا الہ إلّا الله
یقول لم یوذن لی فی ذلك فضج الناس واتوا الی الشیخ سوید السنجاری
رضی الله عنہ فاتاه وجلس عنده واطرق ملیا ثم قال لہ قل لا الہ الّا الله
فقالها وکررها مرارا فقال الشیخ انہ عوقب بذلك لوقیعتہ فی الاولیاء
السالفین وانی شفعت فیه فقیل لی قد شفعناك فیه ان رضی عنہ اولیاؤنا
السالفون فدخلت الحضرة الشریفة واستوهبت ذنبہ من معروف الکرخی
والسری السقطی والجنید والشبلی وابی یزید وغیرهم رضی الله عنهم فاطلق
لسانہ بالشهادة قال فقال الرجل انی کلما اردت ان اتشهد وثب شیء
اسود وشد الثقل علی لسانی ومنعنی النطق وقال لی انا وقیعتك فی اولیاء
الله تعلی ثم جاء بعده نور یتلالا فطرد ذلك السواد عنی وقال لی انا رضاء
اولیاء الله تعلی عنك وها انا انظر الی خیول من نور بین السماء والارض قد
ملات الجو علیها رکبان من نور مطرقة رؤوسهم ملبیة یقولون سبوح قدوس
رب الملئکۃ والروح قال وما زال ذلك الرجل یلهج بالشهادتین حتی مات
رحمۃ الله علیہ فانظر رحمك الله بواردات حنانہ وعطفہ وعاملك فی
الدارین بنفحات فضلہ ولطفہ کیف هدد هذا بسوء الخاتمة والعیاذ بالله
عند راس المنقلب وکاد علی اعز بضاعتہ لولا العنایۃ السابقۃ یغلب لکنہ
رحم لحسن سابقته بشفاعة هذا الکامل فکیف ایقظك الله حال موذ یحتضر
بین صعفۃ الارامل نسال الله ان یجعلنا ممن صفا فی محبۃ اولیائہ ورده
وخلص عن شوائب الکدر ولاوه الصمیم ووده ومن ذلك عن شیخنا الذی
کمل فی سماء السمو بدره وعلا فی مقامات المقربین قدره ما حدثنی بہ
ابن عون المذکور قال کان الشیخ رضی الله عنہ ربما یقول کالمتوعد انا
معك یا ابن القلال ولا نعلم لہ فی ذلك مرادا ثم انہ رضی الله تعلی عنہ

نادى يوما ولد اخيه الشيخ ابا محمد عبد الله بكسر دال عبد رحمه الله وهو
نائبه حينئذ فى امر الزاوية فلما وقف بين يديه زجره وقال يا عبد الله
هكذا مرتين او ثلاثا هذه البطن المشومة احوجتك الى من يردنا حلالف
وخنازير ثم قال رضى الله عنه انا حصدت ابن قليل الهم من الجدر قال فلما
رايت انحراف الشيخ رضى الله عنه سالت النائب المذكور عن موجب
ذلك فقال انه عرضت لى عند ابن قليل الهم حاجة وكان حينئذ صاحب
التنفيذ بافريقية فكلمته فى قضائها فكان من خطابه لى ان قال حصرتم
لنا حلوفا فى خشة وصرتم تتطرملون علينا به يريد الشيخ رضى الله عنه
قال فلم يمض المذكور الّا ايام قلائل واوغر الله عليه صدر السلطان فاخذه
اخذة رابية لم يترك له فيها سبدا ولا لبدا من جميع متمولاته وسائر
متملكاته واهين الاهانة البالغة ومثل به المثلة الدامغة وما زال المسكين
فى دار الثقاف والتنكيل الى ان اخترمته منيته وحسبنا الله ونعم الوكيل
فاصغ يا من يرى الجد بعين ازرائه هزلا وولاية الولاية لانطماس بصيرته
عزلا واجهد وانا النذير العريان فى خلاص نفسك المسكينة وتملق بين
ايدى صالحى عباده والقهم وعليك الوقار والسكينة فلعمرى ما لشمل
صلاحك من مفرق وان جمعوه ولا لسرير سوددك من واضع ان رفعوه
من الله علينا بمحبتهم التى هى جماع الخير كله وجامعة متناثر المتصف بها
ومفرقة كتائب همومه وثكله وفى خلاصة المفاخر عن بعض الشيوخ
الاجلة ان الشيخ الكبير يوسف ابن ايوب الهمدانى رضى الله عنه يتكلم
يوما على الناس فقال له فقيهان كانا فى مجلسه اسكت فانت مبتدع
فقال لهما اسكتا لا عشتما فماتا مكانهما قال وكان هذا الشيخ الجليل قد
انتهت اليه تربية المريدين بخراسان وكان له القدم الراسخ فى علوم
المعارف والباع الطويل فى الاحكام الشرعية والايضاح الجلى عن مخفيات
الخواطر والفعل الخارق فى التصريف الظاهر نفع الله به واعاد علينا من
بركاته فانظر سدد الله فى مرامى التوفيق سهمك واجزل حظك من قسم

سعادته

سعادته ووفر منهـا سهمك الى سوء عاقبة من ادبر عن اعتقادهم الحسن واعرض وتعرض بـالطعن والرد لوفود كراماتهم الجليلة واعترض هل تجد له عند اخذ الله من دافع او تقبل فيه عند نفوذ سهم القدر بهلاكه شفاعة شافع نسال الله ان ياخذ بنواصينا الى ما فيه رضاه ويوفقنا من امر القوم الى ما يحبه ويرضـاه ومن ذلك عن شيخنـا الملاذ وكهفنـا المنيع العياذ ما حدثني به غير واحد ان الشيخ الفقيه الاوحد ابا علي منصور ابن الشيخ الكبير الشهير ابى الحسن علي بن عثمان البجائي نور الله ضريحه وقدس روحه كان كثيرا ما يقع فى الشيخ رضى الله عنه ويصرح بالانكار الفضيع عليه ويشيع ذلك فى المجالس الجمهورية والمشاهد السلطانية وتلك طريقته المعروفة وسبيله التى هى منه مالوفة فانه رحمه الله كان شديد الصولة وله فى ميادين الكلام ايما جولة وانتهى امره الى ان تكلم بالانكار على الشيخ فى مجلس الخليفة مع الفقيهين الجليلين الصـدرين الكاملين قاضيى تونس اذ ذاك وقـال لهمـا رجعت تونس قرية ثور فوق سطح يزوك وانتم سكوت يريد الشيخ رضى الله عنه فاما قاضى الجماعة منهمـا السيد القسنطيني فلم يجبه عن هذا بشيء واما قاضى الانكحـة الفقيه الحجة ابو علي عمر القلجانى فانكر عليه بالتى هى احسن هـذا التشنيـع وانفصل المجلس ثم بعد مدة اجتاز الفقيه السيد ابو علي المذكور مع بعض ارباب الدولة تحت مقام الشيخ رضى الله عنه فنادى مسايره فلما وقف قـال له رضى الله عنـه حصل راس الكلب فى الجـرة وهو رحمه الله يسمع فلما انفصلا قال له يا سيدى ما اراد الشيخ بهذا الكلام إلّا انت فلو رجعت عن انكارك فلم يقـع منه كلام الشيخ موقعه من قلوب الناجين فكانت عاقبته عن قريب لما هو معلوم مشهور من اخذ الخليفة له والكبس عليه الى ان مات وهو بدار الثقاف رحمه الله تعلى فانظر رحمك الله هل تجد منك لهذا الداهم اذنا واعية او قابلية قابلة نصائح هى الى ساحل السلامة داعية هذا رجل من العلمـاء الاكابر والفضلاء الاشـاهر قد لسعته

عقارب الانتقام وهو يرى انه انما تحرك لله وقام وليته بعد على بساط
التسليم اقام فما ظنك بمن طمس الجهل بصيرته وسودت بوائق الخذلان
سريرته فان ادبر باحظ نفسه الامارة وان اقبل فما له فى مآثر اهل التوفيق
امارة وهو فى اذاية اولياء الله ابدا طلق اللسان كانما يرجو على جرائم
اساءته غنائم الاحسان وهو انما يسعى كما قيل لحتفه بظلفه ويجدع مارن
انفه بكفه نسال الله السلامة الدائمة والمنة التى لا تبقى معها لائمة
وفى خلاصة المفاخر عن الشيخ العارف عبد اللطيف بن احمد البغدادى
الفقيه رحمه الله تعلى قال قصد الى الشيخ عثمان رضى الله عنه رجلان
من البطايح احدهما اعمى والآخر مجذوم ليدعو لهما بالعافية فلقيهما رجل
معافى ليس به عاهة فسالهما عن قصدهما فاخبراه فقال لهما ان هذا
الرجل ما هو عيسى بن مريم ووالله لو شاهدته وقد ابراكما لما صدقته
واتى معهما فلما وصلوا الى الشيخ عثمان رضى الله تعلى عنه قال يا عمى
ويا جذام انتقلا عنهما الى هذا فابصر الاعمى وبرئ المجذوم وعمى المعافى
وتجذم فقال له الشيخ رضى الله عنه ان شئت الآن صدق وان شئت
لا تصدق فانصرفوا من بين يديه على هذه الحالة نسال الله الكريم العفو
والعافية فى الدين والدنيا والآخرة قال وكان الشيخ عثمان هذا رضى الله
عنه من اعيان العارفين واكابر المحققين عالى المقامات كثير الكرامات بحر
الحقائق والمعارف معدن الاسرار واللطائف له القدم الراسخ والتمكين
الشريف والجلالة العظمى والمحل الاسمى والتصريف رضى الله عنه ونفع به
فتامل عاملنى الله واياك بعوارف معروفه وكتب لى ولك الامان من نكبات
الدهر وكرات صروفه ما يرمى به المؤذون لاولياء الله المعادون ويسلط
عليهم من النقم المتلفة ولا جرم اولئك هم العادون فنسال الله جل جلاله
هدايته وتوفيقه وثبات ما ندعيه من محبة اوليائه وتحقيقه ومن ذلك
عن شيخنا الارضى وصارمنا الاوحد الامضى ما حدثنى به ابن عون المذكور
وهى قصية مشهورة قال كان الشيخ رضى الله عنه يمنع المتصرف فى دار

الايمة التي هي ملاصقة للزاوية من جميع ما يحدث فيها من بناء وغيره
ويقول الدار لي فاتفق انهم ارادوا ان يصلحوا فيها بعض ما يحتاج
الى الرم والاصلاح فمنعهم من ذلك على عادته فانهوا علم منعه للشيخ
الفقيه السيد ابي عبد الله محمد المسراتي رحمه الله وكان حينئذ امام جامع
الزيتونة فجاء الى الدار المذكورة وجلس على سطحها مواجها للشيخ وامر
البنائين بالعمل فرماهم الشيخ بالحجارة ومنعهم مما ارادوه فقال له الامام
المذكور باي وجه تمنع بناء هذه الدار وهي حبس على الايمة فقال له
الشيخ ومن هو الامام ثم انه رمى الامام بحجر اراد الحيدة عنها فسقطت
عمامته عن راسه فانف لذلك وتحامل على الشيخ بالقول والفعل ودعاه
للقاضي وهو حينئذ الشيخ الفقيه الصدر ابو عبد الله محمد بن عقاب رحمه
الله فقال له الشيخ تدعيني للمخيصي هكذا وانا ندعيك للاغوال ثم قال
له الشيخ انت منك المخيصي وانا هذه الصومعة مني يريد صومعة جامع
الزيتونة والجامع مني والزلاج مني والسموات مني والعرش مني والكرسي مني
والماء مني ثم ان الامام انهى الامر الى القاضي فارسل الى نائب الشيخ وهو
ولد اخيه المذكور وخاطبه في المسالة فقال له لا قدرة لي على مراجعة
الشيخ في ذلك ولا طاقة لي بمعارضته في امر من الامور فقال القاضي فاذا
ينزل حب او كره وتحكم فيه الشريعة فقال له ولد اخ الشيخ المذكور هذا
شيء عجز عنه القاضي القسنطيني قبلك وقد كان لاقى منه امورا عظيمة
فاوغر صدر القاضي بذلك فامر كل من كان بين يديه من الاعوان ان
ينزلوا الشيخ من مكانه كرها فوصلوا اليه والقى بعضهم بيده في حزام
الشيخ وهو رضي الله عنه لا يزيد الامر عنده ولا ينقص وكان في المسالة
طويل وعريض وانفصلت ولم يصلوا منه الى ما ارادوه ثم ان الامام المذكور
لم يمض له الّا زمن يسير وايام قلائل دون العشرين يوما ومات رحمه الله
تعلى وكان الشيخ رضي الله عنه قال له عند مكالمته اياه والله لولا انك
منا لاهلكتك اراد والله اعلم مراعاة والده فانه كان من الصالحين واما

القاضي المذكور فقال لي عنه كنت عند الشيخ يوما فامر احد خدمته باحتفار ساقية صغيرة بين يديه في تراب السطح وامره بايقاف حجرين عند طرفي الساقية ثم قال رضي الله عنه وقد صار ذلك في صورة قبر هذا قبر المخيصي يريد القاضي المذكور فعن قريب اصابه مرض البطن وطال به الى ان ادخله قبره وذلك لمدة اشهر من الواقعة رحمه الله تعالى قال وكان ولده محمد يتردد الى الشيخ رضي الله عنه في اثناء مرض والده باذنه لعلمه بان مصابه منه ويقول لي كلما سالته عن حال مرض والده ما اشوم علينا مسالة المسراتي يريد الامام المذكور رحمه الله تعالى فتفقد رحمك الله من مضمرات خبايا سرك غيبك ولا تنس اذا نشرت لديك صحائف احاديث اهل الولاية عينك واكتحل عند مشاهدة طلعة احوالهم بائمد الادب وكن في مقدمات طلائع من بادر لغنائم رضاهم وانتدب ولا تكن ممن حجبه في مذاهب القوم لسوء حظه منهم سقيمة واسلك بنفسك معهم في سائر تنقلباتك طريقتك المستقيمة واياك ثم اياك من شوم التعرض لهم وارتكابه فكم فتى زلت به قدمه فكانت سبب عطبه وانتكابه نسال الله الكريم الذي بيده مفاتيح خزائن الفتح والمواهب ان يسلك بنا لرضا اوليائه اسعد المسالك والمذاهب وفي خلاصة المفاخر من الشيخ ابي الحسن الجوشني رضي الله عنه قال حضرت سماعا مع سيدي الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه وحضر جماعة من المشايخ والصلحاء والفقهاء والقراء فلما اخذ المشايخ بحظهم من السماع انكر عليهم الفقهاء والقراء ببواطنهم فعلم الشيخ علي بن الهيتي ذلك فطاف عليهم وكلما قابل منهم رجلا نظر اليه فيفقد جميع ما في صدره من القرآن والعلم حتى اتى على آخرهم فانصرفوا ومكثوا كذلك شهرا ثم اتوا اليه كلهم وقبلوا رجليه واستغفروا الله تعالى فامرني فمددت لهم سماطا فاكلوا واكل الشيخ معهم ولقم كلا منهم لقمة فوجد كل منهم ما فقده مع تلقيم الشيخ له تلك اللقمة وانصرفوا مسرورين والحمد لله رب العالمين فانظر شرح الله لتعظيم اوليائه صدري

وصدرك وطهر من ران الشكوك سرى وسرك اذا كان السلب عندهم عقوبة
اعتراض عرض بالباطن فما عقوبة من هو على مستهجن اذايتهم قاطن اعاذنا
الله واياك من ذلك وسلك بالجميع لمحبتهم احمد المسالك ثم اعلم اكرمك
الله بطاعته وجعلك ممن خص بالتوفيق وبطاعته ان فيما ذكرناه من هذه
الحكايات مقنعة لاولى الالباب ومقمعة لمخذول عليه من التعرض لاذاية
اولياء الله جلباب وقد اوضحنا بها وبما قبلها من كلام اهل الحقائق طرق
المهالك وكشفنا بيسير الصدق فيها عن محيي النصيحة فما يهلك بعدها على
الله الّا هالك ولنرجع الآن الى ما نحن بصدده مستوهبين الحق جل جلاله
فى هبوب نسمات مدده فهو الكفيل باسعاف المقاصد واسعاد القاصد

* الفصل الاول فى اثبات ما انتهجه * رضى الله عنه من هذه الطريقه * والاشارة * فى ذلك الى ما يفهم الحقيقه *

اعلم ايقظ الله عزمتك وكشف عنك بفضله ازمتك انا قدمنا اولا حسن مذهب
الشيخ رضى الله عنه فى بداية امره وذكرنا ما كان عليه من الخير والعبادة
وصلاح الحال وملازمة الجماعات والجمعات وحضور مجالس العلم ومحبة
العلماء والصالحين والزهد فيما فى ايدى الناس والاشتغال بتلاوة القرآن وابتذال
النفس فى خدمة المساجد والزوايا والاخوان ومواضع القرب كمدافن
الصالحين وزيارة من يشار اليه منهم حيا او ميتا مع العفاف وعلو الهمة
عن مشاكلة ابناء الدنيا لنيل ما فى ايديهم وملازمة الصمت والحياء والوقار
والسكينة والفرار عن الناس وانفراده باماكن الخلوة والوحشة دون اماكن
الايناس مع ما كان عليه من الشفقة والرحمة والحنان والعطف والرقة
واللين وخفض الجناح لسائر عباد الله وتعظيم سائر اهل موضعه له وتوسمهم
الصلاح والخير فيه وعدم اشغال نفسه بامور الدنيا الّا ما فيه نوع مجاهدة
وقمع هوى وقهر نفس وكسر شهوة واستمراره على ذلك مع كمال الاستقامة

فى حالى الطعن والاقامة لا منازع لنا فى اثبات حميد هذه الاوصاف له
رضى الله عنه ولا مدافع وكل من يعرفه فى بداية امره بهذه الصفات
الجليلة هو عنده موصوف وبباهر حلاها هو لديه معروف ثم بعد طرو
واردات الاحوال عليه وانتهائها اما بطريق الجذب او السلوك اليه خفى
من ادراك عقول الضعفة امثالنا امره وانبهم عن سائر الخليقة الّا ارباب
الحقيقة سره لا سيما وقد اخذ فى تخريب العادات وزايلَ فى الظاهر ما عهد
منه فى كثير من العبادات فمن الناس من اخرجه لظاهر ذلك عن الطريقة
ومنهم الواقف لحيرته والمثبت له الحقيقة لكن حين اخفى الله سره بحائل
كثف عن مدركات العقول واظهر غيرة على نفيس احواله ستر التلون
المخالف للسنن المعقول سرى معنى من ذلك السر العجيب الى كثير من
القلوب فامال بالتشوف اليه الاحداق واغتدى رضى الله عنه وللناس به
تعلق واحداق وامره الباهر كلما تقادم فى ترق وصعود وكوكب كماله فى
سماء سموه ابدا مقارن للسعود وحال الملبس البائس وان حسنت مباديها
فهى سريعة الاستحالة ودوام صلاحها مع تطاول الزمان لا يكون الّا لمن
له مع الله حالة فحسب المصدق بكرامات الاولياء فى علو مقام الشيخ
هذا المقدار ولا حيلة لى فى انهاض من اقعدته بعد ذلك المقدار ثم ان
طريقته رضى الله عنه وان خاض فى محك النظر ابريزها فقد يعسر من
على سائر طرق القوم تمييزها فاعلم جبر الله قلبك واعلى بمنه كعبك ان الشيخ
رضى الله عنه فى عزيز احواله دائر بين الملامتية والقلندرية فانا اذا
اخذناه بمجرد وصف اخفاء اعماله دون وصف التخريب المتصف به وقلنا
انما لم يظهر الاعمال استلذاذا منه بكتمها واستيحاشا من ظهورها كما يستوحش
العاصى من ظهور معصيته تمسكا منه فى ذلك بالاخلاص والصدق او غيرة
من اطلاع الغير عليها فان المحب يبلغ به صدق محبته الى حد يكره
فيه ان يطلع احد على حبه لمحبوبه فان هذه احوال الملامتى على ما قدمناه
قبل من كلام الامام السهروردى رضى الله عنه فيكون بهذا الاعتبار ملامتيا

لا محالة

لا محالة وان نظرنا الى تحقيق وصف القلندرى على ما سبق ذكره عن الامام السهروردى ايضا وانه هو الذى ملكه سكر طيبة القلوب حتى خرب العادات وطرح التقييد بآداب المجالسات والمخالطات وساح فى ميادين طيبة القلوب فقلت اعماله من الصلاة والصوم الا الفرائض ولم يبال بتناول شئ من لذات الدنيا من كل ما كان مباحا برخصة الشرع وربما اقتصر على رعاية الرخصة ولم يطلب حقائق العزيمة وهو مع ذلك متمسك بترك الادخار والجمع والاستكثار لا يترسم بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين وقنع بطيبة قلبه مع الله تعلى واقتصر على ذلك وليس له تطلع الى طلب مزيد سوى ما هو عليه من طيبة قلبه فهذا هو القلندرى عنده واحواله هذه او اكثرها هى عين حال الشيخ رضى الله عنه فيكون بهذا الملحظ المذكور قلندريا ويوضحه ما زاده الامام السهروردى رضى الله عنه فى الفرق بين الملامتى والقلندرى وان الملامتى يعمل فى كتم العبادات والقلندرى يعمل فى تخريب العادات فانت ترى كيف اعتمد ههنا فى الفرق بينهما على ان تخريب العادات هو وصف القلندرى وان القلندرى ليس عنده اعز من طيبة قلبه هى مع الله راس ماله واعز احواله فان قلت اذا كانت خلاصة حال الملامتى انما هى ستر اعماله بظاهر ما يبديه من احواله فلا معنى لتخريب القلندرى الا هذا فانه يظهر من امره خلاف ما يضمر والا فلا تخريب فاذا كان كذلك فقد انسترت اعماله ايضا ابطنها فى ظاهر احواله التخريبية كالملامتى فصار القلندرى والملامتى بمثابة واحدة فى اخفاء الاعمال وسترها اما لقصد الاخلاص والصدق او للغيرة من ظهور احد عليها فقد استويا ولا فرق قلت ليس الامر كما توهمته ولو امعنت النظر فيما اسلفناه ما انبهم الفرق عنك فان فى كلام الامام السهروردى رضى الله عنه ما يكشف قناع اشكالك وذلك ان الملامتى متمسك بكل باب من ابواب البر والخير ويرى الفضل فى ذلك ولكن يخفى الاعمال والاحوال ويوقف نفسه موقف العوام فى الهيئة والملبس وسائر حركاته واموره سترا

للحال لئلا يفطن له وهو مع ذلك متطلع للمزيد باذل مجهوده فى كل مقرب
الى الله والقلندرى غير مقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله وما لا
يعرف ولا ينعطف الا على طيبة القلب وهى راس ماله فصار عمدة مطلب
الملامتى الاعمال لكن يخفيها وعمدة القلندرى الوقوف مع طيبة قلبه فافترقا
والله اعلم فان قلت قد يتولد من هذا الفرق اشكال فى حق الملامتى
وبيانه ان القلندرى على ما قررتم قد ملكه سكر طيبة القلوب ومن هذه
صفته له العذر فى كل ما يصدر عنه فى حال سكره من تخريب العادات
وغيرها فانه ماخوذ بذلك عن حسه وما كان بهذه الصفة فوجه العذر
لديه فى سائر تصرفاته السكرية واضح مستبين اغر الجبين والملامتى على
ما قررتم ليس كذلك فانه بصفة وفور العقل وكمال الميز وان اظهر من
نفسه من البله خلاف ذلك فله القدرة بالله على رد ميزه وحاله فما العذر
له فى انزال نفسه منزلة العوام ورعاع الناس فى سائر الاحوال والهيآت
وجملة الامور كلها وتعريضه نفسه بذلك للقول والطعن والذلة والاهانة
وايقاع الناس معه فى مثل هذه الاشياء وربما يوول الامر بمن آخاه غير
عالم بامره الى العطب والهلاك فيعرض نفسه بذلك لمواقع الذل والهون
والمومن لا يذل نفسه ويعرض الناس باذايته للهلاك اما عاجلا او آجلا
وذلك ينافى ما جبل عليه من الرحمة والحنان والشفقة لسائر الامة ودرء
المفاسد اهم من جلب المصالح قلت هذا سوال وارد والجواب عنه ان
يقال هذه طريقة درج عليها من الايمة الاكابر والاولياء المشاهر من لا يحصى
كثرة وكلهم ممن يجب ان يقتدى به لوفور علمى الظاهر والباطن لديه
وان لم يقع عليه اسم الملامتى لانه من الاوضاع الجديدة ثم ان هذه الامور
لا يرتكبها مع الله تعلى الا صادق مخلص له القدم العالى فى التمكن بالقيام
بحقوق سائر المقامات والاحوال ولا يرتكبها الا باذن من الله تعلى غيرة
منه سبحانه عليه فانه   من بريته وخصائصه من خلقه
كى لا يفطن له او يطلع عليه فيقابل لذلك السيئة بالحسنة ويتجاوز

ممن ظلمه ويصل من قطعه ويعطى من حرمه وينصر من خذله ويرفع
من وضعه ويدفع بالتى هى احسن واذا علم الله صدق عبده كان الناجى
به اكثر من الهالك على انه لا يرى الاشياء من الخلق وانما يشاهدها
من الواحد الحق ولا عبرة عنده بما ذكرته من اذاية الناس واهانتهم
له لاستواء الاهانة والاكرام والذل والعز عنده من الخلق بل ذلك لديه
اعز شئ يطلبه واحسن امر بحالته تلك يجلبه ولهو افرح بذلك منك
بتعظيم الناس لك قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه سالت
الشيخ سيدى ابا محمد عن قوله عليه الصلاة والسلام المومن لا يذل نفسه
فقال لى يا علي لهواه ولكن يذلها لمولاه فمن كانت هذه حالته لا يسوءه
شئ مما ذكرته ومن لا يسوءه ذلك لا ينتصر لنفسه بوجه بل قد يدعو
لمن قد اساء اليه بصلاح الحال ويرغب الله تعلى فى التوفيق له وذلك
منقول عن كثير والله اعلم واما ان اخذنا القلندرى بصفة ما ذكره الشيخ
ابو الحسن الششترى رضى الله تعلى عنه من انه صاحب الحفاء وكشف
الراس والتقشف المحض دون نظر الى طيبة القلوب ولا تعريج على
ذكرها فما الشيخ رضى الله عنه بذلك من القلندرى فى شئ وانما هو
قلندرى بالنسبة الى ما قررناه من غلبة سلطان سكر طيبة القلوب عليه
والله تعلى اعلم ويتضح لك علو مقام الشيخ رضى الله عنه وشرف حاله
بمعرفة حقيقة سكر هذه الطيبة عند اهل الحقيقة قال الشيخ الكبير ابو
الحسن الشاذلى رضى الله عنه فيما ذكره الشيخ ابو محمد عبد الله اليافعى
رحمه الله فى كتابه روض الرياحين قال سئل رضى الله عنه ما شراب
الحب وما كاس الحب ومن الساقى وما الذوق وما الشرب وما الرى
وما السكر وما الصحو فقال الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب
والكاس هو اللطف الموصل ذلك الى افواه القلوب والساقى هو المتولى
الخصوص الاكبر والصالحين من عباده وهو الله تعلى العالم بالمقادير ومصالح
احبابه فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى بشئ منه نفسا او نفسين

ثم ارخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ذلك ساعة او ساعتين فهو الشارب حقا ومن توالى عليه الامر ودام له الشرب حتى امتلات عروقه ومفاصله من انوار الله المخزونة فذلك هو الرى وربما غاب من المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقال ولا ما يقول فذلك هو السكر وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ويردون الى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذاك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون فى ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون فى نهارهم اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال وقال بعض المشايخ الكبار المحبة اخذ من الله تعلى قلب من احب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله قال ويكون الشرب بالتدريج بعد التدريب والتهذيب فيسقى منهم على قدره فمنهم من يسقى بغير واسطة والله سبحانه وتعلى يتولى ذلك ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالملئكة والعلماء الاكابر من المقربين والصديقين العارفين فمنهم من يسكر بشهوة الكاس ولم يذق بعد شيئا فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالرى وبعد بالسكر ثم بالصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما ان السكر ايضا كذلك قلت الشرب لذة الارواح وللنفس والقلب والاسرار والعقل لذاذة غير هذه كل بحسب شفوف منزلته ولكل مقام مقال قال الشيخ العارف ابو الطاهر احمد الصرصرى رحمه الله تعلى فيما ذكر عنه الشيخ ابو محمد عبد الله اليافعى رحمه الله تعلى فى كتابه خلاصة المفاخر لذة النفس معرفة الرفيق الاعلى ومناجاة العلى العظيم ولذة القلوب من اميرانس النظر فى مقاصير قدس بالحان توحيد فى رياض تمجيد بمطربات المعانى من تلك المثانى الرافعة لاربابها فى مدارج الامانى الى مقعد صدق عند مليك مقتدر ولذة الارواح الشرب بكاس المحبة فى ايدى عرائس الفتح اللدنى فى خلوة الوصل على بساط المشاهدة والهيام بين معالم الكون او قال عوالم الكون حيرة فى نور العزة

وقراءة

وقراءة ما كتب على صفحات الواح نسمات ذرات الوجود كلا بل هو الله العزيز الحكيم ولذة الاسرار مطالعة نسيم الحياة الدائمة والوصول الى حقائق الغيوب بضمائر القلوب والمعاينة بالافكار لسائر الاسرار ولذة العقول ملاحظة اسرار الملكوت الخفية عن الابصار بالسرائر المحيطة بالافكار فتعاين القلوب حقائق الغيوب ويصحبها قبول شواهد الاسرار فتلج الضمائر بحار الافكار وتطمئن النفوس الى ما اتحفت به من العالم المحجوب فكلها كشف عن الغيوب اذيال دلالتها على اتقان صنع وابداع فطرة قابلة من العقول هيبة وفكرة ومخرج الاعتبار من القلب فاذا كان القلب طاهرا بعد الاعتبار بالشواهد وسمت به الهمة ورقى به الفكر ولم يمنعه مانع فالفكر طريق الى الحق ودليل على الصدق والفكر اصل ثمرته المعرفة والمعرفة ثمرة طبعها العمل والعمل طعمة الذتها الاخلاص والاخلاص لذة غايتها النعيم والنعيم غاية ليس لها انقضاء وايدى العقول تمسك اعنة النفوس والنفس مسخرة للعقل والعقل يستمد من الانوار الالهية وعنه تصدر الحكمة التى هى راس العلوم وميزان العدل ولسان الايمان وعين البيان وروضة الارواح ونور الاشباح وجيد المحاسن وميزان الحقائق وانس المستوحشين ومتجر الراغبين ومنية المشتاقين والحكمة اصابة الحق فاذا وردت على القلب دلت على مكان الهدى وجلت اصدية القلوب وامانت عيوب البواطن وقال ابو الفتح الهاشمى الواسطى المقرى رحمه الله تعالى اذا كوشف العبد بوصف الجمال سكر القلب فطرب الروح وهام السر وقال الشيخ ابو المفاخر عدى رضى الله عنه من سكر بكاس المحبة لا يصحو الا بمشاهدة محبوبه فان السكر ليلة صباحها المشاهدة كما ان الصدق شجرة ثمرتها المجاهدة ومن نفيس كلام الشيخ الكبير الامام العارف بالله محى الدين عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فى ذلك قوله وقد ذكر السكر والشراب سقى بعض العارفين من هذا الشراب قطرة وافرغ ساقى القوم له نبغة فقامت روحه ترقص طربا بين ندمائه واهتز جبل موسى شوقا عند لمع برق التجلى فنظر سر المحبوب فقال من غلبته طفحات عشقه انا الحق

سكر نديمه الآخر فقال سبحاني فارقت جماعة من طيور ارواح اقفاص لاشباح وطارت باجنحة الشوق فى فضاء الغرام وامت من بحر الوجد بوادي مبادي لازل وطمعت ان ترعى من طور القدم حب المشاهدة فانقضت على حمام طلبها بزاة العظمة فصعق من فى السموات ومن فى لارض إلّا من شاء الله قلت اراد بالمغلوب بطفحات عشقه القائل انا الحق الحلاج وبالنديم الآخر القائل لغلبة سكره سبحاني ابا يزيد البسطامى ولهما رضى الله عنهما حسن التاويل فى ذلك كما قال لامام السهروردى رضى الله عنه حاشا ان يعتقد فى ابى يزيد انه يقول ذلك إلّا على معنى الحكاية من الله تعلى قال وهذا ينبغى ان يعتقد فى الحلاج فى قوله انا الحق ومن كلام هذا الشيخ المكين الحائز قصب السبق والتمكين فى معنى شطحة الحلاج التى اعيى لاساة فى حسم علتها العلاج قوله رضى الله عنه طار طائر عقل بعض العارفين من وكر شجرة صورته وعلا الى السماء خارقا صفوف الملئكة كان بازيا من بزاة الملك مخيط العينين بخيط وخلق لانسان ضعيفا فلم يجد فى السماء ما يحاول من الصيد فلما لاحت له فريسة رايت ربى ازداد تحيره فى قول مطلوبه فاين ما تولوا فثم وجه الله عاد هابطا الى حضرة خطة لارض طلب ما هو اعز من وجود النار فى قعور البحار تلفت بعين عقله فما شاهد سوى الآثار فكبر فلم يجد فى الدارين مطلوبا سوى محبوبه فطرب فقال بلسان سكر قلبه انا الحق ترنم بلحن غير معهود من البشر صفر فى روضة الوجود صفيرا لا يليق ببنى آدم لحن بصوته لحنا عرضه لحتفه ونودى فى سره يا حلاج اعتقدت ان قوتك بك قل الآن نيابة عن جميع العارفين حسب الواحد افراد الواحد قل يا محمد انت سلطان الحقيقة انت انسان عين الوجود على عتبة باب معرفتك تخضع اعناق العارفين فى حمى جلالتك توضع جباه الخلائق اجمعين وقد تقدم لنا فى شرح لاحوال عن لامام السهروردى رضى الله عنه ان السكر هو استيلاء سلطان الحال وانه لارباب القلوب والصحو العود الى ترتيب لافعال وتهذيب لاقوال وانه

للكاشفين بحقائق الغيوب وقال الشيخ ابو الحسن الششترى رضى الله عنه السكر غيبة بوارد قوى ويشار به الى سقوط التمالك فى الطرب وهو من مقامات المحبين والصحو الرجوع الى الاحساس بعد الغيبة بالوارد القوى **قلت** وهذا كلام قريب فى المعنى من الاول وان كان فى هذا قد جعل السكر مقاما وهو فى الحقيقة حال لتحوله ما لم يثبت فيصير مقاما لكن قد تتداخل المقامات والاحوال وتشتبه فيتراآى الشيء للبعض حالا وللبعض مقاما وكلا الرويتين صحيح لوجود التداخل وان كانت المشايخ قد تداولت السنتهم ان المقامات مكاسب والاحوال مواهب على انها فى الحقيقة كلها مواهب اذ المكاسب محفوفة بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب فالاحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد ولكن فى المقامات ظهر الكسب وبطنت الموهبة وفى الاحوال بطن الكسب وظهرت الموهبة فالاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات طرقها وقد تقدم لنا تحقيق القول فى ذلك فليطالعه المتطلع الى الوقوف على الحقيقة هنالك وقد بان امدك الله بتوفيقه وجعلك ممن سلك لهدايته سواء طريقه شرف ما ذكرنا انه غلب على الشيخ رضى الله عنه من سكر طيبة القلوب الذى هو عند المحبين العارفين اعز مطلوب ولاح لك من افق افاقة حاله الحالية لمح بارقة وبدت لك من سماء سموه نيرات انوار هى لك بين الشك واليقين فارقة وفى ضمن ذلك ما يحقق لكماله رضى الله عنه مقاما يقعد لديك شرفه ويقيم وينتج لك مع التوفيق من قضايا حسن ظنك واعتقادك كل عقيم ويخرج قيم جلالته من مارستان سوء ظنك ما لك به من مرض الخواطر مقيم وسنردف لك ذلك بحكايات تسند عن اهل الحقيقة توضح ما نحن بصدده من اثبات انافة هذه الطريقة وتوذن بارتفاع الحق من حضيض المجاهدة الى شرف التطلع الى اوج المشاهدة وان الشيخ رضى الله عنه ما هو ببدع فى سلوكها وانه واسطة اجادت اجادتها انتظام سلوكها ومن الله تعلى نستوهب الاعانة فمن حقق اللجا اليه اعانه قال الشيخ ابو محمد

عبد الله اليافعي رضي الله عنه في كتابه روض الرياحين ما معناه ان
الاولياء رضي الله عنهم في اظهار الوله والجنون والتخريب على طبقات منهم
من غلب عليه الوله ومنهم من زاد عليه حتى نسب الى الجنون وهم
كثيرون وهم المعروفون بعقلاء المجانين وحبس كثير منهم وقيد فيحسب انهم
مجانين وهم العقلاء الالباء ولكن محبة الله ومعرفته وعظيم ما شاهدوا
من عظمة الله تعلى وجلاله وجماله وكماله حيرهم وهيمهم وشجاهم
وتيمهم ومنهم من غلب عليه السكر براح محبة الجمال المشهود فهام في حبه
وغاب عن الوجود ومنهم آخرون ايضا محبون ولكن تستروا بالجنون كما تقدم
ومنهم آخرون جمعوا في التستر بين الوله والتخريب يوهمون الناس انهم
لا يصلون ولا يصومون ويكشفون عوراتهم حتى يساء بهم الظن ولا ينسبوا
الى الصلاح وهم يصلون ويصومون في الباطن فيما بينهم وبين الله تعلى
قال وقد شوهد كثير منهم يصلون في الخلوات ولا يصلون بين الناس تنبيه
قال الامام اليافعي رحمة الله عليه في كتابه نشر المحاسن الغالية التخريب
هو ان يفعل من يظن به الصلاح وعمارة الباطن شيئا يوهم خراب باطنه
وعدم صلاحه وذلك باشياء كثيرة يدل فعل كل واحد منها على تهاونه
بالدين فالتخريب بالشطح هو ان يتكلم بكلام عظيم يدعي فيه حالا عظيما
فوق ما يظن به بحيث يسقط من القلوب ويساء به الظن فيحصل
مقصوده في نفي الصلاح عليه قال والى ذلك اشرت بقولي من قصيدة

وبعض الى التخريب مال تسترا لكيلا يرى فيه الصلاح ويحمدا

ثم قال وانواع التخريب كثيرة والمخربون كثيرون لا يزالون يتعاطون
ما يودي الى اساءة الظن بهم وسقوطهم من قلوب الخلق ورميهم لهم بالعظائم
فيوهم بعضهم اذا بات عند الناس انه نائم ويخرج الى بعض المزابل
يوهمهم انه يبول وليس به نوم ولا بول بل يصلي الصبح بوضوء العشاء
وبعضهم يكشف عورته للناس وبعضهم يشتم الناس بالالفاظ القبيحة وبعضهم
يجعل قصبة بين رجليه يعدو عليها كانها فرسه وبعضهم يشتغل ببعض

الحرف الدنية وبعضهم جاءه بعض الملوك يزوره في عسكر فاستدعى بطعام وجعل ياكله اكلا بشيعا شنيعا فانصرف عنه الملك لما راى ذلك وبعضهم ياخذ شيئا للناس حتى ينسب للصوصية وتزول عنه شهرة الصلاح قال ومع هذا فلا ينبغى ان يقرب الحرام اصلا إلّا اذا علم بنور الله انه ان لم يقدم على الحرام المذكور دخل عليه من الفساد والضرر اكثر مما يدخل بارتكاب الحرام ومع هذا فيستدرك ذلك بالاستغفار بالعفو لمن ظلمه بسبب تخريبه بالسب ومجاوزة الحق الواجب عليه فى ظاهر الشرع قال وفى جواز ارتكاب الحرام للتخريب بمجرد ظن دخول الفساد والضرر الراجحين على فساد الحرام وضررة عندى نظر ويترتب على هذا سوال فيقال اذا تعارض مفسدتان صغرى قطعية وكبرى ظنية فايتهما اولى بالدفع قال وكذلك اذا حصل الغرض بالتخريب بمكروه لا يجوز بحرام فمن المخربين الشيخ ابو الحسن علي الكردى رضى الله عنه كان يظهر الوله والتخريب ولا يصلى فى الظاهر ويمشى مكشوف العورة فى اكثر اوقاته قال الشيخ صفي الدين ابن ابى المنصور رضى الله عنه كان يتحكم فى اهل دمشق بحكم المالك قال ولما دخلت دمشق كنت فى حشكلة من الغلمان واللباس والاهل وانا ابن ثلاث عشرة سنة فقعدت فى الجامع ساعة دخولى اليها واذا بشخص قد اقبل له راس كبير وعليه لباد مقطع فشق ساحة الجامع من باب جيرون الى ان جاءنى عند مقصورة الامام الغزالى رضى الله عنه فمد يده الي مملوتين تفاحا وقال خذ ففزعت منه وتاخرت الى خلفى فرمانى بالتفاح واحدة بعد واحدة ومضى ثم جاءنى عقب ذلك الشيخ ابو القاسم الصقلى رضى الله عنه وكان معتبرا ومعه الفقيه نجم الدين خال والدى وكان مدرسا بدمشق فاخبرناهما بذلك فتعجبا منه عجبا كثيرا وقالا يابنى ابشر فسيكون لك شان هذا الرجل قطب الشام يقال له علي الكردى اتاك بالضيافة وعزيز ان يفعل مثل هذا مع احد فقمت ومشيت اليه وسلمت عليه عند باب جيرون وقبلت يده فهش فى وجهى وضحك

الي وسالت عنه سيدى الشيخ عتيقا رضى الله عنه فقال لى يابنى هو امام وقته فى فنه فكان عاقبة الشيخ صفى الدين المذكور الى ما هو معلوم من التخلى عن الدنيا والزهد فيها والاقبال على الله تبارك وتعلى قال ومما اتفق لعلي الكردى المذكور من الكرامات انه قال فى بعض الاوقات لرجل من اعيان دمشق يقال له بدر الدين اعمل للفقراء فى دارك سماعا واطعمهم شيئا فقال له السمع والطاعة فرتب الرجل طعاما وقوالا ودعا الفقراء المعروفين بالجامع وغيره فهم مجتمعون واذا بالشيخ علي قد جاء الى الدار فراى فى صفة منها قوالب سكر فقال لصاحب الدار ارمها كلها فى البركة قال نعم ثم رمى الجميع فى البركة فصار الفقراء يشربون الجلاب ويسمعون الى آخر النهار ثم اكلوا وانصرفوا ثم قال الشيخ علي لصاحب الدار اخرج القوالب فاخرجها ووجدها كلها صحاحا لم يذهب من السكر شىء ثم قال لصاحب الدار اخرج واغلق علي الدار واقفلها ولا تات إلّا بعد ثلاثة ايام ففعل ذلك وتركه فى الدار وحده فلما كان اليوم الثانى لقيه فى الطريق فسلم عليه ثم ذهب الى داره فوجدها مغلقة على حالها ففتحها ودخل فوجد اكثر رخام الدار مقلوعا فخرج الى الشيخ علي وقال له ياسيدى لم قلعت رخام الدار قال يا بدر الدين تكون رجلا جيدا وتضيف الفقراء على رخام حرام قال يا سيدى هذه الدار ارثى عن ابى وجدى فتمغيظ الشيخ عليه وخلاه ففكر فى فعل الشيخ وعمله بمكاشفاته فتذكر انها كانت قد قلع رخامها واصلح فارسل الى الصناع الذين رخموها وقال لهم عرفونى ما صنعتهم فى ترخيم الدار والح عليهم فى ذلك وامنهم وبسط نفوسهم فقالوا رخامك بعناه ورخمناها بشئ من رخام الجامع قال وقال الشيخ صفى الدين المذكور رضى الله عنه فى رسالته لما جاء الشيخ الامام شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه الى دمشق فى رسالة الخليفة الى الملك العادل بالخلعة والطوق وغير ذلك قال لاصحابه اريد ان ازور الشيخ عليا الكردى رضى الله عنه فقال له الناس يا مولانا لا تفعل انت امام الوجود وهذا

رجل لا يصلي ويمشي مكشوف العورة فى اكثر اوقاته فقال لا بد لى من ذلك قال وكان الشيخ علي الكردى رضى الله عنه مقيما اكثر اوقاته فى الجامع حتى دخل عليه مولّه آخر يقال له ياقوت فساعة دخوله من الباب خرج الشيخ علي الكردى رضى الله عنه من باب دمشق وسكن جبانتها بالباب الصغير وما دخلها بعد ذلك الى ان مات وياقوت فيها يتحكم فقالوا للشيخ شهاب الدين هو فى الجبانة فركب بغلته ومشى فى خدمته من يعرفه موضعه فلما وصل الى قريب مكانه ترجل واقبل يمشى اليه فلما رآه علي الكردى رضى الله عنه قد قرب منه كشف عورته فقال الشيخ شهاب الدين ما هذا شيء يصدنا عنك وما نحن ضيفانك ثم دنا منه وسلم عليه وجلس معه واذا بحمالين قد جاءوا ومعهم ماكول معتبر فقيل لهم من تريدون قالوا الشيخ عليا الكردى فقال لهم ضعوه قدام ضيفى وقال للشيخ شهاب الدين سم الله وكل هذه ضيافتك فاكل الشيخ رضى الله عنه وكان يعظم الشيخ عليا الكردى رضى الله عنهما قال ومن جملة المخربين الشيخ ريحان رضى الله عنه كان فى عدن واظنه حبشيا معتقا كان يصدر منه فى الظاهر شيء مما ينكره ظاهر الشرع قال وله كرامات مشهورة منها ما اخبرنى به بعض الاخيار انه كان بعض الناس فى ساحل البحر فاغلق الباب دونه فلم يقدر يدخل عدن فبات بالساحل ولم يكن معه عشاء فراى الشيخ ريحان رضى الله عنه فى الساحل فاتى اليه وقال له يا سيدى اغلقوا الباب دونى وما عندى عشاء وانا اشتهى منك ان تطعمنى هريسة فقال الشيخ ريحان رضى الله عنه انظر هذا قال لك يطلب منى العشاء وما يريد ايضا إلّا هريسة كانى كنت مهرسا اصنع الهريسة فقال له يا سيدى لابد ان تطعمنى ذلك قال فلم اشعر إلّا والهريسة حاضرة حارة فى الحال فقلت له يا سيدى بقى السمن فقال انظر هذا الفاعل التارك وما يرضى ياكل الهريسة ايضا إلّا بالسمن وانا كنت سمانا ابيع السمن قال فقلت يا سيدى ما آكلها إلّا بسمن فقال اذهب بهذه

الركوة الى البحر واتني بماء اتوضا به قال فذهبت الى البحر فغرفت منه بالركوة وجئته به فاخذ مني الركوة وصب منها سمنا على الهريسة فاكلت من ذلك ولم اذق مثله قط رضي الله عنه قال ومن كراماته ايضا رضى الله عنه ما اخبرني به بعض المباركين قال ارسلنا شيخنا نشترى له تمرا من سوق عدن فلم نجد في السوق شيئا منه فرجعنا اليه بغير شئ فلقينا الشيخ ريحان رضى الله عنه في الطريق فقال انظر هولاء الرسل الملاح ارسلهم شيخهم في شهوة اشتهاها فرجعوا بغير قضائها اذهبوا الى بيت فلان في المكان الفلاني تجدوا حاجة الشيخ عنده قال فذهبنا الى ذلك الشخص في الموضع الذى سماه فوجدنا عنده التمر فاشترينا منه للشيخ وجئنا به واخبرناه بما قال لنا الشيخ ريحان فضحك وقال اشتهى ان ارى هذا الشيخ ريحان فلم نشعر بعد الّا بالشيخ ريحان رضى الله عنه قد دخل عليه المسجد الذى هو فيه فخلا به وتحدثا ساعة فلما خرج الشيخ ريحان رضى الله عنه تعجب الشيخ مما راى منه واثنى عليه وعظمه فلما راى هذا الشيخ المذكور هو شيخ شيوخنا الذى كان في عدن وهو الشيخ الكبير العارف بالله تعلى الفقيه العالم ذو المناقب العديدة والسير الحميدة ابو محمد عبد الله بن ابى بكر المدفون في موزع رضى الله عنه صحب الشيخ الجليل الامام العارف بالله عظيم الكرمات رفيع المقامات ابا الذبيح اسمعيل ابن محمد الحضرمي رضى الله تعلى عنه قال ومن كراماته رضى الله عنه ما اخبرني به انسان ثقة قال خرجت في شهر رمضان المبارك اشترى لاهلي شيئا من السوق بين العشاءين فلقيني الشيخ ريحان رضى الله عنه فجرني وارتفع بى في الهواء ارتفاعا كثيرا فبكيت عليه وقلت له ردني فردني الى الارض وقال اردت ان افرجك فابيت قال ومن كراماته رضى الله عنه ما اخبرني به بعض الصالحين ايضا قال قلت للشيخ ريحان رضى الله عنه خاطرك معي فقال ما دام هذا الراس صحيحا لا تخف واشار الى راسه قال فحسبت انه يعني ما دمت حيا ولم يظهر لى مراده الّا بعد موته

وذلك

وذلك انه سقط بعد ذلك بمدة طويلة من الجبل فانكسر راسه ومات رحمة الله عليه قال ولقد سمعت بعض الفقهاء الكبار فى بلاد اليمن يقول رايت الشيخ ريحان رضى الله عنه يفعل بعض الاشياء المنكرة فى ظاهر الشرع جهارا فقلت فى نفسى انظر هذا الفاعل التارك الذى يقال انه صالح كيف يقدم على هذه المنكرات المحرمة فلما كان الليل احترق بيتى بالنار قال ومن المخربين الشيخ قضيب البان الموصلى رضى الله عنه كان من احد الاولياء المشهورين ومن اهل الاحوال المذكورين صاحب كرامات باهرة واشارات فاخرة ومقامات سنية ومعارف جلية ومواهب جزيلة اجمع المشايخ والاولياء على ولايته عجما وعربا وسارت الركبان بآثاره شرقا وغربا وكان الغالب عليه فى حال الاستغراق الوله وكان رضى الله عنه يتردد فى الرسائل بين الشيخ محى الدين عبد القادر وبين الشيخ عدى ابن مسافر رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم وكان لا يظهر الصلاة ايضا مع ولهه وتخريبه قال وعن الشيخ ابى حفص عمر بن مسعود البزار ببغداد رحمة الله عليه قال ذكرت قضيب البان عند شيخنا محى الدين عبد القادر رضى الله عنه فقال هو ولى مقرب ذو حال مع الله تعلى وقدم صدق عنده عز وجل فقيل له انه ما نراه يصلى فقال انه يصلى من حيث لا ترونه ولا يخرج يوم وليلة وعليه منهما فرض ابدا وانى اراه اذا صلى بالموصل او بغيرها من آفاق الارض يسجد عند باب الكعبة قال ومن كلامه رضى الله عنه فى كلام طويل واعلم ان التطلع لعالم النهايات لا يصح الّا بتحقيق البدايات وكان رضى الله عنه ينشد

يا ناهرى لما وقفت ببابــــه ... والرفق بالشاكى هو الاولى به
اكذا جرى رسم الذين تقدموا ... يشكو المحب الجور من احبابه
قال اشتكانى بعد ما قربتــــه ... وجعلت لمح الطرف بعض ثوابه
فو حق حاجته الي وفقـــره ... لاوصلن نعيمه بعذابـــــه
ولامزجن حياته بمماتـــــه ... حتى يقصر وصفه عما بــــه

لا تتعب المحبوب قبل محبته   فلديه ما يغنيه عن التعابه
وحياته لو سل سيف لحاظه   بلغ المنى ويداه فى اثوابه

قال ومن مناقبه رضى الله عنه ما اخبر به به الشيخ ابو محمد الماردينى رحمه الله تعالى قال كنت عند الشيخ الامام كمال الدين بن يونس شارح التنبيه بمدرسته بالموصل فذكروا قضيب البان ووقعوا فيه ووافقهم ابن يونس فبينما هم فى المجلس يخوضون فيه اذ دخل عليهم قضيب البان فبهتوا فقال يابن يونس انت تعلم كلما يعلمه الله تعالى قال لا قال فان كنت انا من العلم الذى لا تعلمه انت فلم يدر ابن يونس ما يقول قال الماردينى فقلت فى نفسى لا بد ان الزمه اليوم والليلة حتى ارى ما يصنع فلزمته بقية يومى فلما كان العشاء اخترق الازقة واخذ منها سبع كسر واتى الى باب دار فطرقه فخرجت اليه عجوز وقالت له يا قضيب البان ابطات علينا فناولها تلك الكسر وانصرف حتى اتى باب الموصل وهو مغلق فانفتح له فخرج وانا خلفه ومشى يسيرا واذا نهر يجرى وعنده شجرة فخلع ثيابه واغتسل فى ذلك النهر وعمد الى ثياب معلقة على تلك الشجرة فلبسها وانتصب يصلى الى ان طلع الفجر وغلب علي النوم فما استيقظت الا بحر الشمس وانا فى صحراء مقفرة لا ارى بها احدا ولا يترااى لى بنيان قريب ولا بعيد فوقفت متحيرا لا ادرى باى ارض انا فمر بى ركب فاتيتهم وسالتهم وقلت لهم انا من الموصل وخرجت منها الليلة وقت العشاء فانكروا امرى وقالوا ما ندرى اين تكون الموصل فتقدم الي منهم شيخ وقال اخبرنى بقصتك فاخبرته فقال والله لا يقدر على ردك الى الموصل الا الذى جاء بك الى هنا يا اخى انت ببلاد المغرب وبينك وبين الموصل ستة اشهر فامكث ههنا لعله يعود ثم تركونى وساروا فلما كان الليل اذا انا بقضيب البان قد نزع ثيابه واغتسل وقام يصلى الى الصبح فلما طلع الفجر نزع تلك الثياب ولبس اهدامه وسار فتبعته فلم يلبث الا يسيرا حتى جئنا الموصل فالتفت الي وعرك اذنى وقال لى لا تعد الى

مثلها

مثلها واياك وافشاء الاسرار قال فوافينا الناس يصلون صلاة الصبح بالموصل رضي الله تعلى عنه قال ومن مناقبه رضي الله عنه عن الشريف ابى عبد الله محمد بن الخضر بن عبد الله الحسيني الموصلي رحمة الله تعلى عليه قال سمعت ابى رحمه الله تعلى يقول كنت سيء الظن بقضيب البان على كثرة ما يبلغني من كراماته ومناقبه ومكاشفاته وكنت عزمت على ان اكلم السلطان على اخراجه من الموصل اذ رايت قضيب البان مقبلا من راس الزقاق على هيئته المعروفة ولم يكن ذلك الوقت فى ذلك الزقاق احد غيرى وغيره فقلت فى نفسي لو كان معي احد امرت بامساكه فمشى خطوة واذا هو على هيئة كردى بصورة غير صورته الاولى ثم مشى خطوة اخرى فاذا هو على هيئة بدوى بصورة غير الصورتين المتقدمتين ثم مشى خطوة فاذا هو على هيئة فقيه بصورة غير الصور المتقدمة وقال لى يا قاضى هذه اربع صور رايتهن فمن قضيب البان منهن حتى تكلم السلطان فى اخراجه فلم اتمالك الّا ان اكببت على يديه اقبلهما واستغفرت الله تعلى قال ومن مناقبه رضى الله عنه عن الشيخ الاصيل ابى المفاخر علي ابن الشيخ ابى البركات بن صخر بسنده المتصل ان قضيب البان رضى الله عنه خرج يوما عند اذان الظهر من زاوية فى لالش بالشين المعجمة على ما ضبط فقال له بعض الصالحين من الفقراء هل لك فى الصحبة قال نعم يا اخى بشرط ستر الحال قال ذلك الفقير فقلت له نعم فمشينا غير بعيد فاتينا الى مدينة لا اعرفها ولا ادرى فى اى ارض هى فقام اليه اهلها وتلقوه وبالغوا فى اكرامه واذا هو من اكمل الناس ادبا واوفرهم عقلا واكثرهم خشوعا فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وخرجنا من عندهم وقت الاسفار ولا اكلنا ولا شربنا فسار غير بعيد وصار يلقمني من انواع الفواكه والحلواء وسقانى ماء فوالله ما اكلت ولا شربت الذ مما اطعمنى قضيب البان وسقانى ولقد خرجنا من تلك المدينة وما معه شيء فلم يكن الّا يسيرا حتى اتينا الموضع الذى خرجنا منه فقلت له

ما هذه المدينة قال يا اخي هذه مدينة من وراء بحر الهند اهلها مسلمون ويصلي بهم كل يوم ولي من اولياء الله تعالى الذين في ذلك الزمان وانه لا يدخلها عليهم إلّا ولي ولو لم يؤذن لي في مصاحبتك لما استطعت ان ترافقني رضي الله عنهما ونفع بهما وقال ابو البركات بن صخر رضي الله عنه وهو ابن الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه مكث عندنا قضيب البان بالزاوية شهرا لا ياكل ولا يشرب ولا يضع جنبه على الارض وهو مستغرق وكان عمي الشيخ عدي بن مسافر يقف عليه ويقول هنيئا لك يا قضيب البان قد اختطفك الشهود الالهي واستغرقك الوجد الرباني ويقول لمن يرد عليه سلم على ولي الله حقا رضي الله تعالى عنهم اجمعين وقال اليافعي ايضا في كتابه نشر المحاسن الغالية عن الشيخ عبد العزيز المنوفي رضي الله عنه انه اشتهت عليه نفسه في بعض سياحاته شهوة والحت عليه فيها فعدل الى بعض القرى فاذا فيها ناس مجتمعون فدعته نفسه الى الوقوف عليهم لينظر على اي شيء اجتمعوا فاذا فيهم شيخ يضرب لهم بدف اوقال بطبل قال فقلت في نفسي ما لقي هذا الشيخ إلّا هذه الصناعة فرفع الشيخ الي راسه وقال يا شيخ عبد العزيز حاجتك التي جئت اليها حاصلة قال فتعجبت من ذلك وسكت اوقال وخجلت فلما فرغ من ذلك الشغل وقام خلوت به وقلت يا سيدي ما لقيتم إلّا هذه الصنعة فقال لو لقينا صنعة انحس من هذه الصنعة دخلنا فيها ثم مشى بي الى بيته فدق الباب فخرجت بنية له صغيرة وقالت يا ابتي ترى حاجة الشيخ عبد العزيز قد جهزناها له قال فمقت نفسي ونويت اني ما بقيت آكلها فقال يا بنيتي هو قد خرج عنها قال فبت عنده وبات معنا فقير ورد عليه فلما اصبحنا نوينا ان نخرج نزور من لقينا من الفقراء فخرجنا ثلاثتنا فلما مررنا ببعض القرى قالوا في هذه القرية امراة صالحة فقصدنا زيارتها ودققنا عليها الباب فخرجت الينا وهي مستترة بثوب فوقفنا عندها فاخرجت الينا سبحة فاخذنا نذكر الله تعالى ونديرها بيننا

فبينما

فبينما نحن كذلك اذ مسكت السبحة فما بقيت تدور فقال الفقير الذى
بات معنا عند الشيخ ليس فى هذه السبحة شئ يذكر الله تعلى سوى هذه
الحبة واذا هو قابض على حبة منها ثم سال تلك المراة من اين لك هذه
الحبة فقالت اعطانيها الشيخ ابو عبد الله القرشى رضى الله عنه فقال لها
اعطنيها كما اعطاكها فابت وجذبت السبحة كلها واقفلت عليها فى صندوق
فقال لها الفقير ان لم تعطنيها اخذتها من اصلها ثم خطف بيده شيئا من
الهواء فاذا بتلك الحبة فى يده فلما رات المراة ذلك قالت له هبها لى حتى
اعطيكها واجمع لك بين الشريعة والحقيقة فوهبها لها ثم اعادتها اليه رضى
الله عنهم اجمعين قلت ارادت بالشريعة والحقيقة الظاهر والباطن فانه
ملكها بالباطن وهو الحقيقة وبقى لها فيها حق بالظاهر الذى هو الشرع ولا
يزول حقها منها إلّا بتسليمها له مقدورا عليها قال فى الكتاب المذكور ومن
حكايات المغربيين ما روى عن بعض الفقهاء ببلاد اليمن انه قيل له
ذات ليلة فى النوم انت من الابدال فلما اصبح قال فى نفسه اذا كنت انا
من الابدال فما بقيت اسلم للسلطان شيئا من خراج الارض الذى يكتب
على اهل الحرث ويوخذ منهم للسلطان وكان الفقيه المذكور حراثا فاتى اليه
اعوان السلطان الذين يجمعون الخراج وطلبوه فابى ان يعطيهم شيئا فاعلموا
الامير بذلك فلاطفه الامير فى تسليم ذلك فامتنع فقال له يا فقيه نحن
نحترمك ونبجلك وما نشتهي لك اهانة فلا تحوجنا الى الشر والخروج
الى ما تكره فلم يفعل فقام مشاعلى يخدم ولاة الامر فقال للامير ومن عنده
من كبراء الديوان دعونى اخلو بالفقيه واكلمه فقالوا ما جاء منه شئ
بكلامنا له يجئ بكلامك انت فقال خلونى وما عليكم فقالوا دونك وتباعد
منهم ثم قال له يا فقيه هم قالوا لك البارحة فى النوم انك من الابدال قال نعم
قال فقالوا لك انك منهم الآن قال لا قال فاعطهم حقهم الذى طلبوه منك
وانت سالم حتى يجئ ذلك الوقت فاذا جاء فحينئذ اقطع وصل واول
واعزل وما يكون ذلك حتى اموت انا فاذا مت جعلت مكانى فقم الساعة

واعطهم الذى لهم مثل غيرك فقال السمع والطاعة ثم قام واعطاهم فتعجبوا
من ذلك وما دروا انه من الابدال السادة اولى التوفيق والسعادة ستر
بحمل المشعل حاله ولم يبال بكل ما من الذل والهون ناله لعلمه بما فى
ذلك من المصالح قال ومن ذلك ما اشتهر بزبيد من ارض اليمن ان بعض
الكلابة كان يخرج كل ليلة وقت المغرب الى خارج البلد بكلبين معه
فتبعه انسان ليلة عيد مستخفيا منه فلما وصل الى بعض الكثبان اخرج ثوبا
من جراب معه فلبسه وبات يصلى ثم جاء اسد فبات يلاعب الكلبين
فلما اصبح دخل البلد بكلبيه وجعل يصيح كصياح الكلابة ومن لا يستحى
ثم اجتمع باصحابه من الكلابة فلما ارادوا الخروج من حمى حاشية السلطان
كما جرت عادتهم فى العيد قالوا له عسى تقول شيئا تغنى به يعنون شيئا
يطربون به كما جرت عادتهم فى الافراح فقال لهم نعم ثم انشد

قد علق قلبى بحبه   ولعب كلبى وكلبه

باسكان القاف من علق والباء من لعب والهاء من آخر المصراعين معا وضم
الباء الثانية من قوله بحبه ملحونا مخرجا له مخرج شعر العوام فعند ذلك
جاء اليه ذلك الانسان الذى خرج خلفه ورأى منه ما راى فساله الدعاء
وهو يلعب مع الكلابة والناس ينظرون اليهم ففهم منه انه قد اطلع على
حاله بالليل فلما تحقق ان حاله قد انكشف مات فى الحال وفى رواية
اخرى ان ذلك الانسان اعلم السلطان فاستحضره وقال له نبنى لك رباطا
فقال كيف اصلح للرباط وانا كلاب فقال له السلطان قد رضينا بذلك
فامتنع فراجعه فى ذلك مرارا فلما راى انه لا يتركه قال امهلونى حتى
اعود ثم رجع الى بيته فدعا الله تعالى ان يستره بالموت فمات فى الحال
رضى الله عنه ونفعنا به وحكايات المغربيين لا تكاد لكثرتها تحصى وقيم
حجتها القائمة عند اهل الحقيقة لا يعصى ولنا فيما اثبتناه منها بالنسبة لمقام
الشيخ رضى الله عنه اسوة وثبات نسبه تذهب آثار وثبات من فى قلبه
من مثار الشك قسوة وتصرخ بك مجتلبة لهداك ما لك قد امالك عن

الرشد

الرشد هواك اما لك بهولاء السادة فى اعتقاد الشيخ قدوة اما آن لك ان تثنى لوقع الم تسويف الاوبة بين مساء وغدوة اما كفك وقد تراكم على قلبك سحاب الغفلة ما لك فى مجال سوء الظن من روحة وغدوة عج على منازل اعتقادك الحسن فروض رياضته الاريض ريان ولا تملك من شجة حجتك اخبار من لاخبرة لديه فليس الخبر كالعيان واعلم بانك ان فاتك انتهاز فرص هذه الغنائم فقد اعنت على نفسك ولا عطر بعد عروس وافق كمال من تسترق شياطين اذايتك السمع عنه بانجم الرجم محروس فعلام تعرض نفسك للهلاك وانت عن سى قصدك مصدود وفيم تجدها وباب مرادك من امعان الطلب فى اهتضام الجناب مسدود فاجهد ساعيا فى خلاصك من عقوبة عذاب اخذ ربك فهو اليم وان فاتتك صدور مجالس حسن اعتقادك فقف لسلامتك بباب التسليم وان ابيت الا جاجا فى ابرام امرك واضرام ما تحمرة من لهب جمرك فاعلم ان عين بصيرتك عن اسباب نجاتها نائمة ومن انذر فقد اعذر وعليك من نفسك اللائمة تذييل واعلام بنصب حبائل الالام ان المنكرين قد عثروا فى اثناء كرات الانكار واستنطاق مستعجم رائد الافكار على حكايات تنقل عن الاولياء الاكابر اغرت المستهزئ بهلاكه واوغرت صدر المكابر واظهرت له بظاهر الوان التلوين فانتهز بغارة اذايته الفرصة واعرض عن صولة نظرة ان الله يدافع عن الذين آمنوا فاستفرغ لطعنة تكالبه حرصه فهو فى فيافى سفر اعتراضه غير معرج على منازل التغاضى ولا ثان عنان ء ايته الى ربوع سلمى سلم التراضى وله فى مجال جلاد الجدال باسقاط حسن التاويل اعلان ولنا الى الله جل جلاله صدق الضراعة فى صرف بواعث الخذلان فلنذكر ههنا منها ما فيه لاهل التخريب شاهد ونلتمس بعد طى بساط نشرها المخرج لاشكالها كما تشاهد فعسى ان نجد ذلك لما نحن بصدده عونا ولمقام شيخنا الباهر الكرامات صونا فمن ذلك عن سيد الخواص ابراهيم الخواص وكان رضى الله عنه لا يقيم فى بلد الا اياما معلومة خوف الشهرة فلما دخل بعض البلاد

اشتهر فيها فاراد ان يزيل عنه الشهرة وما يترتب عليها من الضرر فدخل الحمام ووجد ثياب ابن الملك قد نزعها ووضعها عند الحمامى ثم غفل الحمامى عنها فلبسها الخواص رضى الله عنه ولبس من فوقها ثيابه وخرج يمشي رويدا حتى يلحقوه وينسبوه الى اللصوصية وتزول عنه شهرة الصلاح فلحقوه واخذوا منه الثياب وضربوه وسموه فى تلك البلدة لص الحمام فقال لنفسه ههنا ههنا طاب المقام قال المعترض انه ارتكب معصية تمنعه المثوبة حيث عرض نفسه للتهمة والعقوبة ومن ذلك ما حكى عن الشيخ الولى الذخر العماد ابى بكر الشبلى قال قال لى خاطرى يوما انت بخيل فقلت ما انا ببخيل قال بلى انت بخيل فقلت ما انا ببخيل فقال بلى انت بخيل فنويت ان اول شئ يفتح به علي اعطيه اول فقير القاه فما تم هذا الخاطر حتى دخل علي فلان لرجل سماه بخمسين دينارا فاخذتها وخرجت فاول من لقيت فقيرا ضريرا او قال اكمه بين يدى مزين يحلق شعره فناولته ذلك فقال اعطه المزين فقلت انها دنانير فرفع راسه الي وقال لي ما قلنا لك انك بخيل فناولتها المزين فقال منذ قعد بين يدى هذا الفقير عقدت مع الله تعلى عقدة ان لا آخذ على حلاقته شيئا قال فاخذتها وذهبت الى البحر ورميتها فيه وقلت* فعل الله بك وفعل ما احبك احد إلّا اذله الله تعلى رضى الله عن الثلاثة ونفعنا بهم قال المعترض ارتكب بذلك ما لا يحل من تضييع المال ومال الى ما عنه ظاهر الشرع العزيز امال ومن ذلك عمن سامى علو مقامه مطالع الدرارى شيخ العارفين احمد بن ابى الحوارى كان رضى الله عنه استجر التنور ليطبخ فيه خبزا فلما حمى جاء الى شيخه ابى سليمان الدارانى رضى الله عنه فقال يا استاذ حمى التنور واكثر عليه من ذلك والشيخ مشغول القلب فقال له الشيخ اذهب فادخل فيه وكان عاهده ان لا يخالفه فى شئ فدخله ومكث ثم قال ابو سليمان الحقوا احمد فاتوه واخرجوه ولم يحترق منه شئ رضى الله عنه قال المعترض عرض نفسه بذلك للتهلكة وارتكب

بطاعة شيخه معصية ربه فيما سلكه ومن ذلك واقتطاف جنى الاماني عند اشعب الطمع داني حكاية ابي حمزة الخراساني قال رضي الله عنه حججت سنة من السنين فبينما انا امشي اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا فما استتم هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال نسد راس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وطمسوا راس البئر فهممت ان اصيح فقلت في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكت فبينما انا بساعة اذا بشيء جاء وكشف عن راس البئر وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة منه كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يابا حمزة اليس هكذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول

نهاني حيائي منك ان اكشف الهوى　واغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تطفلت في امري فابديت شاهدي　الى غائبي واللطف يدرك باللطف
تراءيت لي بالغيب حتى كانما　تبشرني بالغيث انك في الكف
اراك وبي من هيبتي لك وحشة　فتونسني باللطف منك وبالعطف
ويحيي محب انت في الحب حتفه　وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قال المعترض القى بيده الى التهلكة اذ لم يستغث بابناء جنسه واعان بذلك على اتلاف نفسه ومن ذلك عن بعض الاكابر الواقفين على قدم التجريد وهو رضي الله عنه حجة في ذلك لكل سالك ومريد انه سافر رضي الله عنه للحج متجردا وعاهد الله تعلى ان لا يسال احدا شيئا فلما كان في بعض الطريق مكث مدة لا يفتح عليه بشيء فعجز عن المشي ثم قال هذا حال ضرورة تودي الى التهلكة بسبب الضعف المودي الى الانقطاع وقد نهى الله تعلى عن الالقاء باليد الى التهلكة ثم عزم على السوال فلما هم بذلك انبعث من باطنه خاطر رده عن ذلك العزم ثم قال اموت ولا انقض عهدا بيني وبين الله تعلى فمرت القافلة وانقطع ثم استقبل القبلة مضطجعا ينتظر الموت فبينما هو كذلك اذا بفارس قائم على راسه معه اداوة فسقاه وازال ما به من

الضرورة وقال له تريد القافلة فقال واين منى القافلة فقال قم وسار معه خطوات ثم قال قف ههنا والقافلة تاتيك فوقف واذا بالقافلة مقبلة من خلفه قال المعترض هذا رجل خالف ظاهر الشريعة بترك الوقوف مع الاسباب ودخل الى مدينة اقامة اود البشرية من غير باب ومن ذلك عن الشيخ الذى بساحة جلالة قدره يستنعج كل ليث صاحب الكرامات الباهرة اليمنى النسب ابى الغيث قال اشتهى الفقراء يوما عليه لحما فقالوا له على ذلك فقال لهم الى اليوم الفلانى وكان يوم سوق تاتيه القوافل فلما جاء ذلك اليوم جاء الخبر ان قطاع الطريق اخذوا القافلة ثم جاء بعض القطاع الحرامية بحب وجاء آخر منهم بثور فقال الشيخ للفقراء تصرفوا فيه فتصرفوا واحضروا العيش فتنحى الفقهاء فدعاهم الفقراء للاكل فامتنعوا فقال الشيخ للفقراء كلوا الفقهاء ما ياكلون الحرام فلما فرغوا من الاكل جاء انسان الى الشيخ وقال يا سيدى نذرت للفقراء كذا وكذا من الحب فاخذه الحرامية وجاء آخر اليه وقال نذرت للفقراء ثورا فنهب فقال لهما الشيخ قد وصل الى الفقراء متاعهم فبقى الفقهاء يضربون يدا على يد متندمين على ترك موافقة الفقراء رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين فانت ترى كيف حسن فى الظاهر انتقاد هولاء واعتراضهم وبان عند نشر بضائع علم الغيب انتقالهم عن وطن مالوفهم واعتراضهم وقد تكفلت الحكاية عن مثير الجوى بالجواب وتجرع من راى انه فى الرد قد اصاب كاس صاب فلا تطلع من نفس المريد فى الجواب إلّا مزيد ومن الله جل جلاله نستمد العون على ما نريد ومن ذلك وقل ان يقال كما يقال للباغى عثار ما نقل عن الشيخ العارف بالله عيسى اليمنى المعروف بالهتار انه رضى الله عنه مر يوما على امراة بغى فقال لها بعد العشاء آتيك ففرحت بذلك وتزينت وتعجب من سمع منه ذلك فلما كان بعد العشاء دخل عليها فصلى ركعتين فى البيت ثم خرج فقالت له اراك خرجت فقال حصل المقصود فتمزقت عن حالها وخرجت بعد الشيخ تائبة وخرجت عن كل ما تملكه لله تعالى فزوجها

الشيخ

الشيخ لبعض الفقراء وقال اعملوا الوليمة عصيدة ولا تشتروا لها اداما ففعلوا ذلك واحضروه فذهب انسان الى امير رفيق لتلك المراة فقال له فلانة تابت قال ايش تقول قال اى والله تابت وقد تزوجها بعض الفقراء واولموا بعصيدة وقد احضروها وما معهم ادام فاخرج له قارورتين فيهما خمر وقال اذهب بهما الى الشيخ وسلم عليه وقل له سرنى ما سمعت وبلغنى ان ما عندكم ادام للوليمة خذوا هذا فتادموا به واراد ان يستهزئ بالفقراء ويفضحهم فلما دنا رسول الامير من الشيخ قال له ابطات ثم تناول احدى القارورتين منه وخضها ثم صبها على العيش ثم كذلك فعل بالاخرى ثم قال للرسول اجلس فكل قال الرسول فطعمت سمنا لم ار اطيب منه ثم رجع الى الامير واخبره بالقضية فجاء الامير فراى شيئا حيره فتاب ايضا على يد الشيخ المذكور نفع الله به وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يقول المعترض ارتكب منهيات فى هذه المسالة مجموعة التعرض للتهمة والكلام مع الاجنبية والخلوة بها وكلها بظاهر الشرع ممنوعة ومن ذلك عمن له على اساس الولاية اشمخ بنيان وهو الشيخ الكبير اليمنى العارف بالله سفيان دخل رضى الله عنه عدن فى وقت فقيل له ههنا يهودى ولاه السلطان على بعض الجهات الكبيرة المناصب عنده فحصلت له منزلة عالية ومنصب كبير وصار المسلمون يمشون تحت ركابه واذا جلس يقومون على راسه فمشى الشيخ سفيان رضى الله عنه وهو يومئذ فى الرياضة والتجرد فى زى فقير فوجده جالسا على كرسى والمسلمون تحته على الارض قائمون فى خدمته فلما وصل اليه قال له قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فصاح اليهودى واستغاث بجنده عليه فلم يقدروا ان يفعلوا شيئا ثم اعاد عليه الشهادة ثانية وثالثة وهو فى كل ذلك يصرخ بالجند ولا يقدرون على شئ ثم بعد المرة الثالثة اخذ الشيخ بجمة اليهودى او قال بذوابته بيده اليسرى واخذ سكينا صغيرة كانت معه بيده اليمنى وقال باسم الله والله اكبر وتقرب بذبحه

الى الله تعلى ثم رجع الى مكانه حيث يقعد فى الجامع فبلغ الخبر الى الامير
فلم يصدق واستبعد ذلك لكون المقتول غلام السلطان ومن خاصته لا سيما
والقاتل ذكروا انه مسكين ثم تواتر الخبر عند الامير فقال لغلمانه ائتونى به
فذهبوا الى الجامع فلم يقدر احد منهم على الدخول اليه فرجعوا الى الامير
فركب فى عسكره حتى بلغ باب الجامع فلم يقدروا على الدخول الى الجامع
فضلا عن ان يمدوا اليه يدا بسوء فعرف الامير انه محمى من قبل الله تعلى
فرجع وخاف على نفسه الشدة من قبل السلطان لكون البلد فى دركه
فاستشار اهل العقل والراى ما ذا يفعل فقال له بعض الالباء هولاء الاولياء
ما لهم الّا بعضهم بعض وفى لحج بالحاء المهملة ثم الجيم على نحو مرحلة
من عدن رجل من الاولياء يقال له العائدى بالعين المهملة وبعد الالف
ياء مثناة من تحت ثم دال مهملة فارسل اليه ياتيك واشك اليه الحال
فارسل اليه فجاءه فشكا اليه وتلزم به وقال له اشتهى ان لا يخرج
القاتل من البلد حتى اعرف السلطان ويأتينى الجواب قال له نعم ان
شاء الله تعلى ثم خرج العائدى من عنده وجاء الى الشيخ سفيان رضى الله
عنه وكان بينهما صحبة وود فشكره العائدى على ما فعل وقال قلعت حجرا
من طريق المسلمين ثم قال اخرج بنا نتماشى فخرجا يتماشيان حتى بلغا
باب الحبس فقال العائدى للحباس دونك قيده واحبسه فمد سفيان
رضى الله عنه رجله للقيد وقال السمع والطاعة فقيده وبقى فى الحبس
مدة ايام ان شاء ترك القيد فى رجليه وان شاء فتحه ورمى به فلما جاء
يوم الجمعة وحضر وقت الصلاة حل القيد وذهب الى الجامع فوجده قد
امتلا بالناس فدخل حتى وصل الى قريب من الامير ثم نظر الى الناس
وقال اصلى على هولاء الموتى اربع تكبيرات الله اكبر ثم خرج ورجع
الى الحبس واقام به حتى جاء كتب السلطان وهو يقول اطلقوه فنحن
نطلب السلامة منه فقد كان قبل هذا ادعى ان البلاد بلاده وان الملك له
دوننا فخرج من الحبس ولم يكن للسلطان ولا للشيطان عليه سلطان رحمة

الله

الله عليه ورضوانه وقد كان جرى له مع السلطان قضية فدخل على
السلطان يوما وقال له اخرج من بلادى وكان ذلك فى ابين بالباء الموحدة
الياء المثناة من اسفل بلد بينها وبين عدن نحو من مرحلتين فخرج
سلطان منها خائفا من عقوبته رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته يقول
لمعترض هذا سافك دم لا فسح عندنا لسفكه وفاتك بمن لا نرى بظاهر
لشريعة وجها لاباحة فتكه وكل آيل الى اهتضام جناب الشرع العزيز
وهتكه فلا نزاع فى منافرته لدعوى صلاح مرتكبه ونسكه ثم لا بد لنا
بعد ارتسام هذه الحكايات من الوفاء بعدة حط نقاب اشكالها وابتسام صور
معانى اشكالها لندفع بذلك فى صدور المعترضين ونرفع به علم الارشاد
لرشاد من وفق من المعترضين ونريح من شبه المنتقدين كل دبير وقبيل
ونريح من وسواسها صدور المعتقدين وعلى الله قصد السبيل اما حكاية
ابراهيم الخواص رضى الله عنه فقد ذكر اليافعى رضى الله عنه فى كتابه
روض الرياحين ان بعض الفقهاء سال عنها بعض الفقراء وقال اريد ان
تقيم على جوازها دليلا ظاهرا من ظاهر الفقه ولا اقبل ما يذكره الفقراء
فقال له الفقير المذكور ما طلبت من الدليل حاصل مشهور قال وما هو قال
اليس يجوز فى ظاهر الفقه استعمال بعض المحرمات عند بعض الضرورات
قال الفقيه بلى يجوز ذلك قال الفقير فكذلك فى هذه المسالة داوى
قلبه بهذا المحرم فاعترف الفقيه وقال هذا الجواب هو الفقه بعينه قال
اليافعى رحمة الله عليه واما انا ازيد فى هذا الجواب بعض بيان وهو
ان يقال اذ اجاز ان تداوى الاجسام من الاسقام بشئ حرام فلان يجوز
ان تداوى القلوب التى هى محل المعرفة والنور بشئ محذور اولى وابعد
من المحذور وشتان ما بين الموضعين فمرض الاجسام نعمة وحسنات ومرض
القلوب نقمة وهلكات واين هلاك الابدان من هلاك الاديان وفى هلاك
الاديان سخط الملك الديان والبعد من الرحمان والقرب من الشيطان
وليس كذلك هلاك الابدان فظهر ان مداواة القلب من مرض ضرر الشهرة

وغيرها اولى واحرى ثم الامراض انما تداوى باضداد عللها فالحرارة تداوى
بالبوارد والبرودة تداوى بالحرارة فكذلك مرض شهرة الصلاح داواه الخواص
بدواء شهرة الطلاح قال وهذا واضح لا يحتاج الى زيادة ايضاح وقد نبه
النبى الكريم على شرف القلب بقوله صلى الله عليه وسلم الا ان فى الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا
وهى القلب واما حكاية الشبلى رضى الله عنه والقائه الدنانير فى البحر
فقال ايضا فى روض الرياحين الجواب فيها عن انكار المنكر واعتراض المعترض
وزعمه ان هذا اضاعة للمال من ثلاثة اوجه احدها ان يكون فعل ذلك
فى حال حال ورد عليه وذو الحال الغائب غير مكلف الثانى ان يكون
اشهد فيها سما مهلكا كل من صارت اليه فاتلفها كما يتلف الافعاء الثالث
ان يكون باشارة موذنة بالاذن اضطرته الى ذلك بحيث لم يجد عنه
محيصا والله اعلم **قلت** وفى الوجه الثانى نظر وذلك انه لو اشهد فيها
ما يهلك من صارت اليه ما عرضها على الفقير ثم على المزين باذن الفقير
وكيف يعرض عليهما ما فيه تلافهما ثم ان السياق يقتضى انه انما القاها
لما اكسبه عدم قبول كل واحد من المزين والفقير للدنانير من ذلة عدم
القبول منه حتى قال فعل الله بك وفعل ما احبك احد إلّا اذله الله تعلى
فانه رضى الله عنه راى انهما اثم تخليا منه من الدنيا وانه لبقائها فى
يده دونهما كالمحب لها وان كان من الزاهدين المتخلين عن الدنيا واسبابها
ويكون ذلك كالادب له عن معارضة خاطره جازما بنفى البخل عن نفسه
والله اعلم واما حكاية احمد ابن ابى الحوارى رضى الله عنه فى القائه
نفسه فى التنور فقال ايضا فى روض الرياحين الجواب عن ذلك انه علم
بقوة يقينه ان مراعاته للعهد المذكور وقيامه بالوفاء به يدفع عنه كل مخوف
ومحذور وكسى حالا من الله تعلى هو فيه من حرارة النار مستور وقد روى
عن بعض العارفين انه قال الصادق اذا ارتكب المهالك من صدق حماه
صدقه من الهلاك وانقلب ذلك الهلاك نجاة باذن الله تعلى ومن ذلك

قوله تعلى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال وهذا عين الجواب عن حكاية الذى سافر للحج على قدم التجريد وعاهد الله تعلى ان لا يسال احدا شيئا الى ان بلغ الامر به الى حد اشرف منه على هلاك نفسه واما حكاية ابى حمزة الخراسانى رضى الله عنه حيث لم يستغث من قعر البئر بابناء جنسه وقد امكنه ذلك فقد قال ايضا فى روض الرياحين ما زعمه القائل من ان هذا الذى فعله ابو حمزة رضى الله عنه لا يجوز ليس بصحيح لان ابا حمزة المذكور صدر منه هذا وقد منح يقينا كاملا وقلبا مشاهدا وحالا غالبا وحبا زاجرا له وحاجزا عن ان يلتفت الى غير مولاه او يرى معه سواه كما قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انا لا نرى مع الحق من الخلق احدا ان كان ولا بد فكالهباء فى الهواء ان فتشته لم تجده شيئا قال ولو حصل للمنكر عليهم بعض ما حصل لهم ما انكر عليهم والعجب من المنكر المذكور فى انكاره مثل هذا مع انه يعتقد القوم ويطرز كلامه بكلامهم وحكاياتهم وكراماتهم **قلت** اراد بهذا الكلام ابا الفرج ابن الجوزى فانه هو الذى بالغ فى الانكار وقال وقام طاعنا بمثل هذه الحكاية كانما نشط من عقال واكد انكاره على اكابر الطائفة بتاليف تاسيسه وان كان من مشايخنا من يرى انه من دسات المنكر وتلبيسه فانه رحمه الله كثيرا ما طرز بمناقبهم الجليلة مواعظه واستنار بانوار نيرات حقائقهم كلها نوى عظة والله سبحانه اعلم بحقيقة ذلك وهو جل وعلا مرشدنا لاحمد المسالك قال وكيف تنكر مثل هذه الحكاية على من صار فانيا عما سوى الحق صاحب قلب مشاهد لا يرى فى الملك والملكوت الا من هو اقرب اليه من نفسه كاشف الضر الاله الواحد قال والعجب كل العجب ان هذا الذى انكره له شاهد فى الشرع اى شاهد وذلك ما جاء عن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم لما القى فى النار عرض له جبريل عليه السلام فى الهواء بامر الله تعلى فقال له ا لك حاجة فقال له اما اليك فلا قال فاسال الله تعلى ربك قال حسبى من سوالى علمه بحالى وقال حسبى

الله ونعم الوكيل فهل كان هذا من ابراهيم عليه السلام الّا كمال يقين ومقام رفيع مكين **قلت** وفي بهجة الاسرار انه قال فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا الى سوانا فسكت فلا مقال للمتعرض على هذا والله اعلم قال وايضا فقد ذكر العلماء رضى الله عنهم ان الناس فى التوكل على ثلاثة اقسام **القسم الاول** قوم قد سلموا نفوسهم لله تعلى فلم يجلبوا لها نفعا ولا دفعوا عنها من الضر دفعا وطردوا ذلك فى كل شئ من الضرورات وغيرها فلم يتحفظوا من عدو ولا سبع ولا تسببوا لنفوسهم بسبب من الاسباب حتى كان بعضهم يمر بالشجرة فتلزم ثوبه بشوكها فلا يتسبب فى تخليص الثوب حتى تهب الريح فتخلصه وقد قال قطب مقامات اليقين وحجة الله تعلى على العارفين ابو محمد سهل بن عبد الله رضى الله عنه اول مقام فى التوكل ان يكون العبد بين يدى الله تعلى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير **القسم الثانى** من الاقسام الثلاثة قوم تسببوا فى الضرورات دون غيرها جلبا ودفعا ضرا ونفعا وهذه الطريقة عليها الجمهور من الانبياء والاولياء ومن هذا القبيل ما احتج به المنكر من احتراز النبى صلى الله عليه وسلم من الاعداء الكفار فى هجرته واختبائه فى غار ثور وغير ذلك فهذه طريقة جمهور الانبياء كما ذكرنا فليس فى ذلك للمنكر حجة لان بعض الاولياء لا يحترزون ولا يتسببون لنفوسهم فى شئ اصلا كما قدمنا وقد تصدر منهم اشياء فى حال احوال غالبة عليهم تسلبهم الاختيار فلا يقاسون بغيرهم ولا نقول ان تارك التسبب فى الضرورات افضل من المتسبب فيها من الاولياء بل قد يكون الامر بالعكس ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم محترزا فى كل شئ بل قد كان يواجه بعض المخاوف وحده كيوم حنين وغيره وكذلك اصحابه رضى الله عنهم وذلك كثير فى الاحاديث التى يطول جلبها واما قوة احوال بعض الاولياء وما اعطوا من اليقين والكرامات فكلها مستمدة من فيض فضله صلى الله عليه وسلم ومنسوبة اليه وقد كان صلى الله عليه وسلم مشرعا يسلك

الطريق السهلة التي يقوى على سلوكها العام والخاص ولو سلك مقدم الركب والقوافل طريقا وعرة يقوى هو على سلوكها دون كثير منهم لم يكن بهم رءوفا رحيما ولكنه صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعلى عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم جزاه الله عنا افضل الجزاء وقد يسلك بعض الاقوياء من القوافل بعض الطرق الوعرة لمصلحة ولا يمنعه المقدم **القسم الثالث** من الاقسام الثلاثة قوم دخلوا في الاسباب كلها في الضرورات وغيرها لكن مع اعتمادهم على المسبب دون السبب واما حكاية الشيخ ابي الغيث اليمني رضي الله عنه فقد احتويت على جوابها وتكفلت باقصاء اربها واما حكاية الشيخ عيسى اليمني المعروف بالهتار رضي الله عنه مع المراة البغي وكلامه معها والتعرض بذلك للتهمة والخلوة بها فلم اقف فيها على جواب ولكن ارى ان الكلام معها بحسب اسفار العاقبة من صلاحها وتوبتها وجها وهو انه اذا كان يجوز عندنا النظر الى الاجنبية والكلام معها في غير ما مسالة من مسائل الفقه والمحوج الى ذلك في الغالب انما هو مراعاة صلاح الدنيا والحظ العاجل منها فلان يجوز ذلك لضرورة صلاح الدين اولى واهم واقوى اعتبارا وان كانت الشريعة انما تعبدتنا بالامور الظاهرة لان حكم الباطن منوط بخصوص وافراد لكن انكشاف العاقبة لنا في هذه المسالة الحقها بالامور الظاهرة فيلتمس له فيها بعد بروزها من احسن المخارج ما يلحقها في الجواز بما يدانيها من ظاهر الشرع ويلائم ما ذكرناه انه رضي الله عنه اقتصر في مكالمتها على محل الضرورة والقدر الحاجي الموصل الى المقصود من حصول صلاحها وتوبتها حسبما كوشف به واطلع عليه ويبقى امر الخلوة بها فاصح شئ عندي في التماس المخرج لذلك انه رضي الله عنه لم يقدم على ذلك على الوجه الذي فعله الا لموجب اذن اقتضاه على الوجه المامور به بحيث انه لم يجد عن ذلك محيصا والرجل كان من اهل الاذن مع الله تعلى وحسن العاقبة في المسالة متمم لما اردناه ومكمل للغرض الذي قصدناه

والله تعلى اعلم واما حكاية الشيخ سفيان اليمنى رضى الله عنه فى قتله اليهودى وهو من اهل الذمة وان قلنا انه بصفة نقض العهد العاصم لدمه وماله فليس اليه قتله وانما ذلك لمن قلده الله تعلى امورعباده فى ظاهر الشريعة لكن مثل هذا الكامل انما يقدم على ذلك باذن من الله تعلى فى اباحة اراقة دمه لامر اطلعه الله تعلى منه على باطنه وكشف له من حقيقته على معنى حكاية الخضر عليه السلام وشاهد ذلك كف ايدى المنتقمين عنه وعدم قدرتهم على الوصول الى شئ مما ارادوه من الايقاع به مع وصف خموله وقلة ناصره رضى الله تعلى عنه ولنجعل هذا الكلام من هذا الفصل الغاية فيما قصدناه والنهاية فيما المنا به من اثبات مقام الشيخ واردناه وفى ذلك للسالك والمريد اقناع ولا داعى للاطالة وقد انكشف للمنصف القناع فلنرجع و بين ايدينا بركة السبع المثانى الى انجاز الوعد ببسط الكلام فى الفصل الثانى ونسال الله تعلى المزيد من عونه ودوام المدد برعايته التامة وصونه

* الفصل الثانى فى التماس المخرج لغرائب *
* تخريبه * وتسديد الامر فى ذلك وتقريبه *

اعلم انا قد اثبتنا للشيخ رضى الله تعلى عنه مع وصف التخريب مقاما شريفا وحالا توجب لمنصبه السامى تعظيما وتشريفا واوضحنا ان طريقته التى انكرت عليه قد سلكها اعلام من الاكابر السادة وصدور من اولياء الله الاكرمين القادة ممن له مع وصفى تخريب العادة والاخلال فى الظاهر بامر العبادة ما لا يكاد يحصى من الكرامات الوافرة والمناقب التى هى عن غرر رسوخ القدم سافرة وان هذا التخريب قد صار لاهل ذلك المقام عنوانا وكلهم يبدى منه بحسب واردات احواله الوانا واسلفنا جملة حكايات عن اهل الحقيقة ممن اسست على قواعده مبانى هذه الطريقة وان كانت الحكايات لا تثبت بمقتضاها الاحكام ولا يعتمد عليها فى الرد والقبول الحكام ولا اثر

لها

لها فى نفى عارض التمويه فهى تزيد الحق وضوحا وتقويه وقد تبلغ بالتوارد على المحل الواحد مبلغ الاخبار المستفيضة المشهورة او تلتحق بالتواتر المعنوى المحصل للعلم ضرورة قال الجنيد رضى الله عنه الحكايات جند من جنود الله يقوى بها قلوب المريدين قيل له هل فى ذلك من شاهد اوقيل هل لذلك مصداق فى كتاب الله تعلى فقال نعم قوله تعلى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك ثم انه رضى الله عنه لما حلى به جيد الزمان العاطل وموه على الناس باظهار الحق فى صورة الباطل كثرت فى امره الاقاويل وامتدت اليه اسنة الاسنة بالتاويل واجتمع الناس فى امره وافترقوا وارعدوا لاستمطار سحاب حاله وابرقوا واشاموا طالبين الكشف عن غيم غيبه واعرقوا وانعقدت بارباب الشورة للفحص عن امره المحافل واستاسدت السنخال وانتبه له الخامل الغافل واثبت الطاعنون باهتضام جنابه العالى الرسوم وجعلوه بغير واحدة من العظام موسوم وخاضوا منتقدين فى امر تخليه عن الخلق واعتزاله وراموا بكل حيلة الوصول الى حطه عن عريشه وانزاله وتوارث القيام بهذا النكير عليه من علماء وقته كابر عن كابر وهو رضى الله عنه على ما يرمى به من هذه الدواهى العظيمة محتسب صابر الى ان اطلع الله جل جلاله الكثير ممن سعى فى اهتضامه على ما يوجب عنده الميل الى اكباره واعظامه اما لخارق اطلعه الله تعلى لبراءة وليه عليه او لبارق من التخويف اوصله سفير الانذار اليه ومنهم من لسعته من اجله افعى افعاله فالتحق سريعا برمسه ولم يغنه وقد استولى الندم على اقليم قلبه تقطيع خمسه هذا والغالب عليه رضى الله عنه معاملة الناس بالصبر والاغضاء والحلم وتعظيم جناب ايمة الامة الوافقين فى امره مظاهر العلم لكن لم تزل سنة الله جارية بالانتصار لاوليائه والانتقام ممن تعرض بالاذاية لاحبائه على ان الغالب فى المتعرضين لاذايته الباحثين عن غاية امره وبدايته انما هم الذين هو بين اظهرهم مقيم ومقامه الجليل لديهم يقعد شرفه ويقيم وانوار بركاته الشاملة لكافتهم غامرة وربوع آمالهم

بسكان المنن عامرة ويد ضراعته من اجلهم لربه مبسوطة وسائر نواحى قطوهم لسريان سيره بامر الله محوطة لكن من لتنوير قلب تراكم عليه رانه واظلم وقد دنست نوره ادرانه وازهد الناس كما قيل فى عالم جيرانه وانما تعظيمهم العام فى المصادر والموارد مصروف الى من هو عليهم محقا او مبطلا وارد هذا الذى يقفون له على قدم التعظيم التام ويعسلون من سائر احواله المبدا والختام وتنطلق بالثناء الجميل عليه السنة الرئيس منهم والمرءوس وخصوصا ان برز لهم فى محال احوال اهل الناموس وراسخ قدم الولاية وهو منهم لا يوبه به ولو قال من ابوك يا با بوس قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه العامة اذا راوا انسانا ينسب الى طريق الله جاء من البرارى والقفار اقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم وكم من بدل وولى بين اظهرهم ولا يلقون اليه بالا وهو الذى يحمل اثقالهم ويدافع اغيارهم عنهم فمثلهم فى ذلك كمثل حمار الوحش يدخل به البلدة فيطيف الناس به متعجبين لتخاطيط جلده وحسن صورته والحمر التى بين اظهرهم وهى التى تحمل اثقالهم لا يلتفتون اليها واما الوافدون عليه من اقاصى النواحى والامصار القادمون لزيارته من سائر الجهات والاقطار فله رضى الله عنه فى طى افئدتهم مكانة راسخة القدم ومقدار لا يلتفتون فى اعتقادهم الى نزغات المعترضين ولا يثبتون لسماع شبه من استغواهم من المعرضين وليس عندهم شىء اعز من بضائع رضاه والوقوف معه على سنن الادب ومقتضاه فهم لورودهم منهل التماس بركاته على جادة الاستقامة صادرون عن ذلك الورد العذب بكل كرامة انطبعت فى مرآة قلوبهم الصقيلة من احواله الجليلة انوار وبدت لهم لصفاء سرائرهم عن شوائب الاكدار اسرار واحكموا قواعد مبانى التادب واقفين بين يديه على قدم التعظيم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

وعاد الذى عادى كمال جلاله ... بخفى حنين دائم الحسرات
فها هو مكلوم الحشا بين الاسى ... قريح جريح ظاهر الزفرات

ثم

ثم اعلم شرح الله لطاعته صدرك واعلى فى مقامات المقربين قدرك ان العجب ممن يتعرض لاحواله رضى الله عنه بعد تسليم ايمة اهتدائه واذعان علماء الوقت الذين بمعارفهم اشراق نيرات اقتدائه ايرى انه منهم بذلك الامر اولى او يرجو على اذاية اولياء الله نولا او يظن انه اقربهم توخيا للحق وحاشا لله وكلا هذا وحاصل امر هذا المتكلف لتغيير المناكر المتكلف فى ذلك بما يقف عنده الاكابر المناكر اما ان يكون اهلا لذلك او لا والثانى هو احق بصرف الانكار نحوه واولى والاول اما ان يثبت للشيخ رضى الله عنه هدى او ضلالة وما له عن احدى الصفتين من محيد لا محالة فان اختار كونه موصوفا بالهداية ملتحقا باكابر اهل الولاية فما له اذا واقتحام مخاضة الاذاية وقد قبحت منها النهاية والبداية وان وصفه بالضلال واثبت دعواه واقتفى فى النكير عليه وازع علمه وتقواه ولم ينهضه الى ذلك مجرد اتباع هواه قيل له انفرادك بهذا الامر الخطير وقيامك له دون الجم الغفير لاى سبب كان وباى تقدير فان قال انهضت لذلك من بينهم واقعدوا وقربت من دونهم لصفة كمالى وابعدوا قيل له لقد قطعت بهذا عن نفسك السنة الملام وهذا مادح نفسه يقرئك السلام وصار طعنه اذ ذاك منصرفا الى علماء وقته وانكاره انما هو لاظهار موجبات مقته فانه الزمهم وهم اهل كل قبيل من المحامد ودبير كونهم عالمين بالمنكر معرضين لا لموجب من التغيير ففض الله فاه ما ابعد ما نطق به وفاه وان قال كم لهم فى ميادين الانكار عليه من كرة ومن شن اغارة على حصن كماله المنيع غير ما مرة لكن صد كل بطل منهم دون افنية ابنيته طائعا او كارها وازعجه من ذلك ما يزعج الطير عن اوكارها قيل له هلا ايقظت لذلك عبرتك واجريت ما انت بصدده من الجهالة عبرتك وعلمت انك اقصر منهم باعا عن ادراك ما طلبوه واعجز فسلكت طريق التسليم فهى اقرب فى ايصالك الى منازل السلامة وانجز وان زعم انه لدعوى انفراده باخبار الشيخ اقعد منهم بحاله واعلم بما يزعمه وهو المبطل من ثبوت

محاله فقد انذر السامع بنقصان عقله وكفاه كذبا انفراده بما تتوفر الدواعى على نقله وهذا كله ان كان الشيخ عند هذا المنكر بصفة التكليف متصف والّا فما هو فى اقامة قسطاس النكير على من لا ميز عنده بمنصف وهل شاهد وهو اياس الفطنة كامل عقل يتعرض لمجنون او يعرض فرائد فوائده لمن لا يفرق بين الضب والنون على ان هذا المعترض البائس وان ادار من نفسه على قمر كماله هالة فمن عنصر عقله الوافر انبعثت جداول الحمق والجهالة فانه حين آن له ان يصلى ببال وحيث كان له ان يسكت قال ولا وجه مما قررناه يعتمد فى انكاره عليه وينتهى عذره عند مناقشة الحساب اليه ومن له بالتى فيها السلامة والتخلص من بوائق الملامة وتصديه لاذاية ولى الله فى صورة الانكار هو المنكر وتعرضه لذلك مع قيام المانع وعدم المقتضى انكر مما انكر نسال الله ان يسلك بنا سبيل الاستقامة ويجعلنا ممن اوقفه فى محبة اوليائه واقامه

فتب واتئد وارجع الى الله ضارعا عسى نسمات العفو عنك تضوع
وبين يدى اهل الكرامة والتقى تادب فمن يبغى المطيع مطيع

وهذا اوان صرف العناية الى ذكر سوالب الاعتقاد ومثيرات نقع بعوث الانتقاد مما هو السبب فى تسريح لسان المقال واطلاقه والموجب لتعميم القول بالانكار على الشيخ واطلاقه لنرتب عليها ما يقتضيه المقام من مبذول الاعذار ويرجع عند تصفحه الى مقتضى احكام التلومات والاعذار فتكون حجتنا حينئذ على نظر حاكم الانصاف موقوفة والى ولاة العدل بيننا وبين المنكرين مصروفة فان ذلك عندنا هو المقصد الاهم والمطلب الذى هو عن كثير قد انبهم ومن الله تعلى نستوهب المدد لاكمال الغرض وصرف ما عسى ان يكون من شوائب الشكوك قد عرض فاعلم ارشدنا الله واياك الى طريق الصلاح واسمعنا واياك داعى الرشد والفلاح ان الشيخ رضى الله تعلى عنه على ما يظهره من التخريب ويبديه مما لا يقبله عقل المريب قد كمله الله حيث صرف عنه بصرف حب العاجلة همومه وطهره من كثير

من

من الخصال المذمومة كالحقد والحسد والرياء والعجب والكبر وطول الامل والغيبة والنميمة والكذب والتصنع والسمعة والخيلاء والغش والخديعة والنفاق وغير ذلك من سائر رذائل الاخلاق وليس لديه رضى الله عنه مما ينقص كماله او يشين جماله سوى انهم لا يشهدون صلاته وصيامه قالوا ويمازح النساء ويمزج بالفحش كلامه ولولا ذلك لاجمع الناس على ولايته واجتمعوا على صلاحه وهدايته فعد المنتقد ذلك فيه نقصا وجعله فى نصاب كماله وقصا والتمس المعتقد لهذه الامور احسن المخارج والتزم ان المخرب مع ظهور الكرامة وحسن البداية عن طرق الحقيقة غير خارج قال الشيخ ابو محمد عبد الله اليافعى رحمه الله فى كتابه روض الرياحين اعلموا رحمكم الله واياى ان من امتلا قلبه ايمانا باحوال الفقراء والصالحين منهم والصديقين ومحبتهم والعلم بسيرتهم سلم لهم ما يسمع منهم وحمل ما جاء عنهم مما لا يمكن حمله على ظاهره على محامل صحيحة واوله تاويلا لائقا باحوالهم المليحة ومن جملة التاويلات ان لا يسلم نسبة ذلك اليهم حتى يصح عنهم وبعد الصحة يلتمس له تاويلا يوافق العلم الظاهر فان لم يوجد له تاويل قيل لعل له تاويلا فى الباطن يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعلى ويذكر عند ذلك قضية موسى عليه السلام مع الخضر او يقدر ان ذلك صدر عنهم فى حال السكر والغيبة والسكران سكرا مباحا غير مكلف فى ذلك الحال فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق نعوذ بالله من الخذلان وسوء القضاء ومن جميع انواع البلاء قال واما من لا يعرف احوالهم ولم يشرب من مشروبهم ولم يذق من مذوقهم ولم يطلع على علومهم وطريقهم ولم يخالطهم ولم يكمل حسن ظنه بهم فانه بلا شك ان لم يوفق ينكر عليهم اقوالهم وافعالهم واحوالهم ولقد احسن القائل حيث قال

ايقدح فيمن شرف الله قدره ... وما زال مخصوصا به طيب الثنا
رجال لهم سر مع الله صادق ... ولا انت من ذاك القبيل ولا انا

فانت ترى حسن هذه المحامل من كلام هذا الكامل فما الذى يبعد ان يكون ظهور ما ابعد المنكر واحال انما كان من الشيخ على تسليمه فى وقت سكر الحال وهو حينئذ غير مخاطب بالقيام بكلف التكليف ولا مطلوب ولا وجه للاعتراض حيث لم يتعرض لغيبته عن نفسه بادخال ذلك عن نفسه بل هو فيه مغلوب دخل الشبلى على الجنيد فى حال سكر ورد عليه وهو جالس فى بيته وعنده زوجته فارادت ان تستتر فقال لها الجنيد لا عليك به وغائب لا علم له بك فصعق الشبلى على راس الجنيد وانشا يقول

عودونى الوصال والوصل عذب ورمونى بالصد والصد صعب
زعموا حين عاتبوا ان جرمى فرط حبى لهم وما ذاك ذنب
لا وحسن الخضوع عند التلاقى ما جزا من يحب الا محب

فاهتز الجنيد وقال هو ذاك يا ابا بكر فخر مغشيا عليه ثم بعد ساعة بكا الشبلى فقال الجنيد لامرأته استترى فقد افاق فانظر كيف اخرجه عن حد التكليف بغيبة سكره ولم ياذن باحتجاب حليلته وهو المنوه بين ارباب الصدور بذكره علما منه بحقائق احوال القوم وما يوجب منها محمدة او اليم اللوم وكيف لا وهو سيد اهل الطريقة والجامع بين الشريعة والحقيقة وبمثله فى امر هذه الطائفة يحسن الاقتداء وبسنا هدايته تلوح للسالكين محجة الاهتداء نفع الله به واعاد علينا من بركاته وقد آن ان نذكر من احوال الشيخ رضى الله عنه ما جعله المنكر وسيلة الى قصده وسبيلا موصلة ولكن الى ابعاده وصده ونبسط القول فى كل واحدة من تلك المسائل بانفرادها طالبين العون من الله تعلى فى حالى اصدارها وايرادها فهو الكريم المستعان واجل من ارشد واعان اما عدم اطلاعهم على صلاته ونوافل قربه وصلاته فقد ذكرنا عن الشيخ اليافعى رحمه الله انه قال وقد شوهد كثير منهم يصلون فى الخلوات ولا يصلون بين الناس وان هولاء لهم مذهب معروف يظهرون المساوى ويخفون المحاسن ولا يبالى احدهم بكونه بين

الخلق زنديقا اذا كان عند الله صديقا لانهم لم يزالوا يبالغون فى نفى روية المخلوقين واسقاطهم من قلوبهم وعدم الاحتفال بمدحهم وذمهم استجلابا لكمال الاخلاص واستبراء للنفوس من شوائب الشرك الخفى الذى لا يسلم منه الّا الخواص **قلت** ومما يشهد ان الشيخ رضى الله عنه اعتبر هذه المقاصد واخفى اعمال بره وهو لها متطلع قاصد ما حدثنى به الحاج الناسك ابو الحسن علي النفاتى المذكور قال كنت بين يدى الشيخ رضى الله عنه ايام اقامته بالبيت وقبل ان يرقا السطح فجاءت جماعة من الزائرين فيهم الفقهاء وغيرهم فجعلوا يتاملون فى امره وينظرون الى حاله ثم قالوا هذا رجل لا يحل لاحد ان يراه ولا يزوره فقلت لهم ولم ذلك قالوا انه لا يصلى فجعلت اعظهم فى ذلك وارشدهم فقال لى الشيخ رضى الله عنه لا تقرا على المحرومين ثم قال لهم انا اعرف ان فيكم معتقدا ومنتقدا فان كانت الصلاة لكم فواجب علي ان اظهرها لكم وان كانت لله نرجو الله ما يراها احد الّا الله ثم قال لهم لكن اشتغلوا بالبلاء الذى جاءكم النصارى نزلوا جربة او كلام هذا معناه قال فلم يمض لنا غير ثلاثة ايام وجاء التعريف بنزولهم جربة كما قال رضى الله فانت ترى حسن ما ابداه من هذا المخرج الجميل والملحظ الذى هو باظهار وجه العذر الاغر كفيل على ان خطابه هذا رضى الله عنه انما هو بحسب ما تدركه العقول الضعيفة وتناله ايدى مواد الافهام الكثيفة والّا فللقوم رضى الله عنه فى ذلك وراء العقل احوال وموارد امور اوقفتها الاقدار على ارباب الهمم العوال وقد كان الشيخ الجليل محى الدين عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه يقول انا من وراء عقولكم وانتم بين يدى كالقوارير ابصر ظاهركم وباطنكم وكان يقول قال الله تعلى ويخلق ما لا تعلمون وانا مما لا تعلمون قال اليافعى رحمه الله فى كتابه روض الرياحين سمعت من بعض اهل العلم الظاهر ان بعض الفقهاء كان ينكر على بعضهم بعض الاشياء المعقولة فقال له يا فقيه ان هنالك اشياء وراء العقل فانظر اين ترانى الآن فنظر اليه فاذا هو فى الهواء واذا هو فى مكانه ايضا رضى الله

عنه قال وكذلك اخبرنى بعض اهل العلم ايضا ان بعضهم كان لا يرى يصلى فلما كان بعض الايام اقيمت الصلاة وهو قاعد فقال له بعض الفقهاء قم صل مع الجماعة منكرا عليه فقام واحرم معهم وصلى الركعة الاولى والفقيه المنكر بجنبه ينظر اليه فلما قاموا الى الركعة الثانية نظر الفقيه اليه فراى غيره يصلى مكانه فتعجب من ذلك وفى الركعة الثالثة راى ثالثا غير الاثنين الاولين فازداد تعجبا وفى الرابعة راى رابعا غير الثلاثة فاشتد عجبه فلما سلموا التفت فراى صاحبه الاول الذى انكر عليه جالسا فى مكانه وليس عنده احد من الثلاثة فتحير مما راى فنظر الفقير المولّه اليه ثم ضحك وقال يا فقيه اى الاربعة صلى معكم هذه الصلاة

قاس الفقيه الامر فى انكاره   بظواهر من علمه تنقاس
فبدا له غول التشكل لابسا   اثوابه فاستعجم المقياس
وغدا لحيرته بذلك تائها   فى ليل جهل ما له نبراس

وقد ذكرنا فى الفصل قبل هذا يليه حال قضيب البان رضى الله عنه على جلالة قدره وفخامة امره وانه كان لا يرى يصلى وانهم ذكروا للشيخ الكبير محى الدين عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه حاله وعدم اطلاعه على صلاته فاجابهم عن ذلك بقوله انه يصلى من حيث لا ترونه ولا يخرج يوم ولا ليلة وعليه منهما فرض ابدا وانى اراه اذا صلى بالموصل او بغيرها من آفاق الارض يسجد عند باب الكعبة وذكرنا ايضا قضيته التى تطور فيها على قاضى الموصل وقد كان سيء الظن به بحيث انه اراد ان يكلم السلطان فى اخراجه من الموصل وانه اجتمع به فى بعض الازقة على هيئته المعروفة فمشى خطوة واذا هو على هيئة كردى بصورة غير صورته الاولى ثم مشى خطوة واذا هو على هيئة بدوى بصورة غير الصورتين المتقدمتين ثم مشى خطوة فاذا هو على هيئة فقيه بصورة غير الصور المتقدمة وقال له ياقاضى هذه اربع صور رايتهن فمن قضيب البان منهن حتى تكلم السلطان فى اخراجه فانكب القاضى على يديه يقبلهما واستغفر الله تعلى

رأى خارقا اخفى سنـاه علومه   ولم يدر ما يبديه حين تحيرا
فمال الى التسليم والتمس الرضـا   ويمناه للتقبيل ايضا تخيـــرا

وفى كتاب مناقب الشيخ الجليل ابى عثمان سعيد الصفروى رحمة الله عليه ما نصه ووقع للشيخ الولى الكبير سيدى عثمان القرنبالى رضى الله عنه ان بعض الطلبة اراد ان يختبره هل يصلى الجمعة ام لا وكان معه اثنان من الطلبة فلما قربوا من داره قال احدهم اما انا فلا اشرب السم للتجربة وانصرف والثانى انصرف من سقيفة دار الشيخ وجلس الثالث بين يدى الشيخ واخرج كتابا ينظر فيه والشيخ رضى الله عنه جالس فى موضعه على كرسيه فاخذت الطالب سنة فنام ثم استيقظ فراى الشيخ جالسا فقال له ما تصلى الجمعة فغلبه النوم ثم استيقظ ايضا فوجد الشيخ على حاله فقال له ما تصلى الجمعة يا زفت وما زال هذا امره مع الشيخ حتى رجع النـاس من صلاة الجمعة ودخلوا على الشيخ فجعل رضى الله عنه يقول لكل من يدخل من الناس رايتم هـذا الزفت ما صلى اليوم جمعة والطالب لا يقدر على القيام من موضعه ولا يتحرك فدخل عليه صاحباه فقال لهمـا الشيخ هذا الزفت ما صلى اليوم جمعة فاوما اليه صاحباه ان يقوم فلم يستطع حتى امتلات الدار بالناس فنظر اليه الشيخ وقال له قم يا زفت فقام وخرج خاسئا ذليلا ممقوتا فقال له صاحباه هلا قمت حين دخلنا عليك فقال لما دخلت على الشيخ واخرجت التهذيب لانظر فيه ارسل الله عليه النوم وصرت كلما استيقظت وجدت صفته يقول لى يا زفت ما تصلى وهذه غايتى واما القيام فمـا قدرت عليه حتى قال لى قم وفيه ايضا ووقع ان بعض المخربين ممن تظهر عليه الكرامات والناس فى امره بين معتقد ومنتقد فاتفق ان رجلين كان احدهما يعتقـد هذا السيد والآخر لا يعتقده فقال المنتقد للمعتقد فى يوم جمعة اليوم اختبرُ هذا الرجل هل يصلى الجمعة ام لا فقال له صاحبه لا تفعل فقال والله لابد من هذا فاتى الى موضع ذلك الفقير ووقف عند بابه ينتظره فخرج بعد

آذان الجمعة وتبعه ذلك المسكين الى اطراف البلد فغاب عنه ولم يره فرجع مبادرا ليدرك الجمعة فادرك الناس وقد صلوا فاتى الجامع ووقف مع صاحبه وله نفس عال فقال له ذلك المعتقد ما فعلت فقال له تبعت ذلك الفاجر وما صلى اليوم جمعة لانى تبعته من خروجه من موضعه عند الاذان الى اطراف البلد وغاب عنى فى موضع كذا فى هذه الساعة واتيت مبادرا فوجدت الناس فى الطريق وقد خرجوا من الصلاة فقال له صاحبه سبحان من اشقاك والله انه فى هذا الموضع من حين جئت انا الى الصلاة عند الزوال لم يتحرك من مكانه ومن شوم الانتقاد انك حرمت صلاة الجمعة والرجل ها هو انت تنظر اليه فنظر فاذا الرجل مستقبل القبلة يذكر الله تعلى وهو جالس وذكرنا ايضا عن الشيخ علي الكردى رضى الله عنه انه كذلك كان لا يراه احد يصلى مع اعتراف الناس له بالولاية وتعظيمهم اياه واجلالهم لقدره وحكمه فيهم بحكم الملك والمالك واعتناء حجة الوقت وامامه شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه بامره وحرصه على رويته وزيارته وعدم التفاته الى ظاهر تخريبه لعلمه باحوال القوم واختلاف تلوناتهم وكثرة تطوراتهم ابقاء للستر على مقاماتهم النفيسة بظاهر ما يبدونه من احوالهم الغير المقيسة وانه قال له وقد واجهه بكشف عورته هذا شئ لا يصدنا منك وترجل من بغلته للقائه ولا حرج على من كان بمثل هذا الكامل اقتداوه وبانوار معارفه فى ليل الجهالة اهتداوه ولا يحيل العقل جواز هذه الامور الغريبة ووقوع هذه الخوارق التلونية العجيبة فان القوم لهم وراء العقل امورا لا تكاد تدركها الافهام ولا تصل الى غالبها الفكر والاوهام قال اليافعى رحمه الله فى روض الرياحين قال بعضهم كنت بمصر وكان بى فاقة فدخلت بعض المساجد فاذا انا بشاب جالس فدفع الي صرة فيها قطع وقال لى خذ شعرك واغسل ثيابك فجئت الى حجام فاخذ من شعرى فدفعت اليه قطعتين فلما صارتا فى كفه قبلهما وقال مرحبا انا خرجت فى طلبك منذ ثلاثين سنة من اين

لك هذه القطع فانها ليست من قطع الدنيا لها نور وهى من القدرة فحدثته بقصتها فاخذ بيدى ومضينا الى ذلك المسجد فلم نجد الشاب فصار الحجام لى صديقا فقال يوما سمعت سهل بن عبد الله رضى الله عنه يقول علامة الولى ثلاث اذا اراد موضعا يكون به من غير حركة واذا اراد اخا من اخوانه يحمل اليه واذا اشتغل بعبادة او بسبب من الاسباب يجيئ ملك فيتكلم على شبهه فيحسب الناس انه ذلك وهو الملك قال فلما كان بعد ايام قال لى سهل بن عبد الله رضى الله عنه اذا صليت العصر فتعال حتى تاخذ من شعرى وتنقص من دمى فلما صليت العصر مضيت معه الى مسكنه فاخذت من شعره ونقصت من دمه وقعدت انا وهو ثم طبخنا له قدرا فلما اذن المغرب قال لى اذا صليت المغرب فتعال حتى تاكل معى فلما صليت المغرب جاءنى رجل من اصحابه وقال لى اى شيئ فاتك قد تكلم علينا سهل رضى الله عنه من العصر الى هذا الوقت بكلام لم اسمع قط مثله فقلت له احتفظوا بما سمعتم فانه ليس من كلام سهل بل هو من كلام ملك وعلمت ان سهلا تكلم بمقامه رضى الله عنه ولهذه الحكاية فى هذا المعنى نظائر وحاصلها على اقامة العذر للشيخ رضى الله عنه دائر فمنها ما فى روض الرياحين لليافعى رحمه الله تعلى قال بلغنى ان الشيخ المعظم الكبير الشان المعروف بمفرج من اهل الصعيد رضى الله عنه رآه بعض اصحابه يوم عرفة بعرفة ورآه آخر من اصحابه فى مكانه لم يفارقه فى جميع ذلك اليوم فذكر كل واحد منهما ذلك لصاحبه ثم تنازعا وحلف كل واحد منهما بالطلاق من زوجته انه كما ذكر فاختصما الى الشيخ وذكر كل واحد منهما يمينه فاقرهما على حالتهما وابقى كل واحد على الزوجية قال الشيخ صفى الدين بن ابى المنصور رضى الله عنه فسالت الشيخ مفرجا رضى الله عنه عن حكمه فى هذه القضية بعدم حنث الاثنين مع كون صدق احدهما موجب حنث الآخر وكان معنا فى وقت سوالى له جماعة فيهم رجال معتبرون لهم معرفة بالعلم فقال لنا الشيخ قولوا يعنى تكلموا فى هذه

المسالة وكان ذلك اذنا منه لنا بان نتحدث فى سر هذا الحكم فتحدث كل منهم بوجه غير كاف وكانت المسالة قد اتضحت لى فاشار الشيخ الي بايضاحها فقلت الولى اذا تحقق فى ولايته ومكن من التصور فى روحانيته يعطى من القدرة فى التصور بصور عديدة فى وقت واحد فى جهات متعددة على حكم ارادته فالصورة التى ظهرت لمن رآها بعرفة حق والصورة التى رآها فى مكانه فى ذلك الوقت حق فكل واحد منهما صادق فى يمينه فقال الشيخ مفرج هذا هو الحق اوهذا هو الصحيح يشير الى صحة ما اوضحته فى صورة ما حكم به بين المتنازعين فى امره رضى الله عنه قال وهذا الجواب يوضح ما يشكل من مثل هذا كما فى قضية الاربعة الذين صلوا صلاة واحدة كل واحد منهم صلى ركعة وقضية الواحد الذى رآه الفقيه فى الهواء وفى الارض فى وقت واحد وقضية الشخص الذى كان يتكلم فى صورة سهل وسهل فى منزله فى ذلك الوقت ومنها ما فى خلاصة المفاخر لليافعى رحمه الله تعلى عن الشيخ العارف ابن الشيخ الكبير العارف بالله تعلى الشهير بحاكير رضى الله عنه قال جاء تاجر من اهل واسط الى والدى وكان يحبه وله فيه اعتقاد واستاذنه فى ركوب بحر الهند بتجارة له فلما ودعه قال له اذا وقعت فى شدة لا تقدر على دفعها فنادى باسمى فسافر الرجل ثم بعد ستة اشهر وثب والدى قائما ونحن حوله وصفق بكميه وقال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومشى خطوات يمينا وشمالا ونحن نشاهد منه ذلك ثم جلس فسالناه عن سبب ذلك فقال كاد فلان وسمى التاجر الواسطى يغرق الآن لولا ان نجاه الله تبارك وتعلى فارخنا ذلك اليوم ثم بعد سبعة اشهر وصل ذلك التاجر فاكب على رجل والدى يقبلها ويقول له يا سيدى لولا انت لهلكنا فى ذلك اليوم ووالدى يتبسم فلما خلونا بالتاجر سالناه عن امره فقال انا اوغلنا فى لجة البحر المحيط فى طلب بلاد الصين وتهنا عن الطريق وايقن كل من فى السفينة بالهلاك ثم لما كان وقت كذا من يوم كذا وذكر الوقت الذى

ارخناه

ارخناه عندنا عصفت علينا الرياح العواصف من جهة الشمال فهاج البحر وتلاطمت امواجه واضطربت واشتد علينا الامر واشرفنا على الغرق فذكرت قول الشيخ فنهضت قائما واستقبلت جهته وناديت باسمه يا فلان ادركنا فلم نتم كلامى حتى رايته قائما عندنا فى وسط السفينة واشار بكمه الى جهة الشمال فسكن الريح ثم وثب من السفينة واستقبل على متن البحر وصفق بكميه وقال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومشى على الماء خطوات يمينا وشمالا فسكن البحر وهدئت امواجه ثم اشار بكمه الى جهة الجنوب فهبت علينا ريح طيبة اقلعنا بها من ذلك المكان حتى وصلنا الى طريق السلامة ومشى الشيخ على متن البحر حتى غاب عنا ونجانا الله عز وجل ببركة الشيخ من الهلاك قال فحلفنا له بالله العظيم ان الشيخ لم يغب عن ابصارنا فى ذلك الوقت بل كنا جلوسا معه فاقسم بالله العظيم انه كان حاضرا معهم ولو لم يحضر معهم لم ينج منهم الّا من شاء الله تعلى فسبحان من اختص اولياءه بغرائب هذه الاسرار واتحفهم بطرائف هذه الاخبار ومنها فى خلاصة المفاخر ايضا عن الفقيه ابى العباس احمد بن قريش التلمسانى قال سمعت شيخنا ابا محمد صالح الدكالى رضى الله عنه قال قامت الحرب بالمغرب مدة بين المسلمين والافرنج فى حياة شيخنا ابى مدين رضى الله عنه وكان الافرنج قد ظهروا فيها على المسلمين فاخذ الشيخ سيفه وخرج الى الصحراء مع نفر يسير من اصحابه وانا معهم وجلس على كثيب من رمل فاذا بين يديه خنازير قد ملئت البرية من كثرتها فوثب الشيخ حتى صار بينها واستل سيفه وعلا به رؤس الخنازير حتى طرح منها كثيرا وولوا بين يديه هاربين ورجع فسالناه فقال هولاء الافرنج وقد خذلهم الله تعلى وارخنا الوقت فجاء الخبر بكسر الافرنج فى الوقت الذى ارخناه فلما قدم المجاهدون اكبوا على اقدام الشيخ يقبلونها واقسموا بالله العظيم انه لو لم يكن معهم بين الصفين لهلكوا واخبروا انه رضى الله عنه انه كان يعلو بسيفه راس الفارس من الافرنج فيضربه

وفرسه فانه قتل فيهم مقتلة عظيمة وولوا مدبرين وانهم لم يروه بعد
انقضاء الحرب قال وكان بين الشيخ وبين موضع القتال اكثر من شهر
فسبحان الفاعل المختار يخلق ما يشاء ويختار ومنها فى خلاصة المفاخر
ايضا عن الشيخ ابى محمد عبد الله البطايحى رحمة الله تعلى عليه قال
حضر مجلس شيخنا الشيخ محى الدين عبد القادر رضى الله عنه ابو المعالى
محمد بن احمد البغدادى التاجر فاخذته حقنة شديدة متعبة وبلغت
منه الجهد فنظر الى الشيخ فنزل الشيخ مرقاة فظهر على المرقاة العليا
راس كراس الآدمى ثم نزل اخرى فظهر كتفان وصدران وما زال ينزل
مرقاة مرقاة ويظهر من الجسد شئ فشئ حتى تكمل على الكرسى صورة
كصورة الشيخ يتكلم على الناس بصوت مثل صوته وكلام مثل كلامه ولا
يرى ذلك الّا هو ومن شاء الله تعلى وجاء يشق الناس حتى وقف عليه
وغطى راسه بكمه وفى رواية بمنديله فاذا هو فى صحراء متسعة فيها
نهر عند شجرة فعلق فيها مفاتيح كانت فى كمه وازال حقنته وتوضا من
ذلك النهر وصلى ثم ركعتين فلما سلم منهما رفع الشيخ كمه او منديله فاذا
هو فى المجلس واعضاوه مبتلة بالماء ولا حقنة به والشيخ على الكرسى كان
لم ينزل فسكت ولم يذكر ذلك لاحد وتفقد مفاتيحه فلم يجدها معه ثم بعد
مدة جهز قافلة له الى بلاد العجم وساروا من بغداد اربعة عشر يوما ثم نزلوا
منزلا فى برية فيها نهر فذهب فيها ليزيل حقنته فقال ما اشبه هذه الصحراء
بتلك الصحراء وهذا النهر بذلك النهر وذكر شانه فى ذلك اليوم فاذا هو بذلك
النهر وبتلك الشجرة وبحقنته يعنى ما خرج منه فى ذلك اليوم يعرف ذلك
ولا ينكر منه شيئا ووجد مفاتيحه معلقة بالشجرة فلما رجعوا الى بغداد
اتى الشيخ ليخبره فامسك باذنه قبل ان يخبره بشئ وقال له يا ابا المعالى
لا تذكره لاحد وانا حى ولازم خدمته الى ان مات رضى الله عنه فسبحان
من ايد اولياءه واكرم بالصدق اصفياءه ومن ذلك فى روض الرياحين عن
سهل بن عبد الله رضى الله تعلى عنه قال توضات فى يوم جمعة ومضيت

الى

الى الجامع فى ايام البداية فوجدته قد امتلا بالناس وهم الخطيب ان يرقى المنبر فاسات الادب ولم ازل اتخطى رقاب الناس حتى وصلت الى الصف الاول فجلست واذا عن يميني شاب حسن المنظر طيب الرائحة عليه اطمار صوف فلما نظر الي قال كيف تجدك يا سهل قلت بخير اصلحك الله وبقيت متفكرا في امره ومعرفته لى وانا لم اعرفه فبينما انا كذلك اذ اخذنى حرقان البول فاكربنى فبقيت على وجل خوفا ان اتخطى رقاب الناس وان جلست لم تكن لى صلاة فالتفت الي وقال يا سهل اخذك حرقان البول قلت اجل فاخذ حرامه عن منكبيه فغشانى به ثم قال اقض حاجتك واسرع تلحق الصلاة قال فغشي علي وفتحت عيني واذا بباب مفتوح فسمعت قائلا يقول لى لج الباب يرحمك الله فولجت واذا بقصر مشيد عالى البناء شامخ الاركان واذا بنخلة قائمة والى جنبها مطهرة مملوة ماء احلى من الشهد وموضع اراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك فحللت لباسى وارقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة فسمعته ينادينى ويقول ان كنت قضيت اربك فقل نعم فقلت نعم فنزع حرامه عنى فاذا انا جالس فى مكانى ولم يشعر بى احد فبقيت متفكرا فى نفسى وانا مكذب نفسى فيما جرى فاقيمت الصلاة وصلى الناس فصليت معهم ولم يكن لى شغل إلا الفتى لاعرفه فلما فرغ تبعت اثره فاذا به قد دخل الى درب فالتفت الي وقال يا سهل كانك ما ايقنت بما رايت قلت كلا قال لج الباب يرحمك الله فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت النخلة والمطهرة والحال بعينه والمنشفة مبلولة فقلت آمنت بالله فقال يا سهل من اطاع الله تعلى اطاعه كل شيء يا سهل اطلبه تجده فتغرغرت عيناى بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم ار الفتى ولا القصر فبقيت متحيرا على ما فاتنى منه ثم اخذت فى العبادة رضى الله تعلى عنهما **قلت** ففى هذه الحكايات وامثالها لمن ارشده الله ارشاد والمريد الصادق بمطالع انوارها الزاهرة استرشاد فقد احتوت على ما يزيل الشك والريب وتضمنت ما يزيح

عن مقام شيخنا الكامل كل شين وعيب وتكفلت له بالاعذار المقبولة عن الاحوال التى هى بظاهر الامر معلولة وردت ايدى المتكبرين الى اعناقهم مغلولة واوضحت العذر لمن اهمل فى الظاهر لتخريبه نوافله وفروضه واخفى عن اعين الناس ايقاع صلاته المفروضة وان كانت هذه الحقائق عند امعان النظر فيها مهولة وهى عند غير العارف بالله تعالى مجهولة فان لنا فى تحتم اعتقاد الشيخ بهولاء السادة اسوة ومن سلك سبيل تعظيم المخربين من ايمة الامة قدوة فانه رضى الله عنه واحد من ذلك الجمع الكثير وفرع باسق من شجرة ذلك الشرب الاثير وكلهم رضى الله عنهم فى وصف الولاية تماثلا واختلافا مشتركون وفى معنى ما خصوا به من العناية الربانية كالغصن الملتفة مشتبكون اورد جميعهم موارد تخصيصه من ادناهم من حضرة جلاله وقربهم فما منهم صادر الّا وله ملء حوصلة قد علم كل اناس مشربهم فلا معنى لدعوى تخصيص المواهب الّا بنص فى ذلك صريح او ملاحظ فى نظر العلماء الراسخين له مستند صحيح حدثنى صاحب الاشغال بتونس للتاريخ وهو الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن الكماد قال تكلم علينا يوما الشيخ الصالح الولى ابو عثمان سعيد الصفروى رضى الله عنه فى مجلسه الجمهورى فقال الناس يقولون ابن عروس لا يصلى ووالله انه ليصلى خلفه من الخلق صفوف لا يعلمها الّا الله والذى يراه الناس فى اوقات الصلوات ليس هو ذاك فانه من الابدال وحقيقة البدل اذا كان فى عبادة او فى شغل يخلفه فى مكانه من يتكلم بكلامه فى صورته حتى لا يعلم انه فقد فاعتبر رحمك الله كلام هذا الولى الذى يعتبر مقاله ولا تتعدى عند رواة اخبار الولاية انتقاله فقد ازال عن صور مطلوبنا ملابس الالباس ولم يبق فى انسان عين كمال مخدومنا الكامل من باس والشيخ رضى الله عنه فى عدم اطلاعنا على اداء فرضه ليس بمعرض لجواز هذه المحامل فى حقه للطعن فى مصون عرضه فانا اذا جعلناه ماخوذا عن حسه لغلبة سكر الحال فلا تكليف

حينئذ ومثبته فى هذه الحالة قد احال وان كان ذلك لتخريبه الذى هو عن كثير من الاولياء منقول فما هو ببدع فى ذلك وحبل طريقته بكثير من الاولياء موصول وللشيخ فيما اوقفناك عليه من تطورات القوم وتشكلاتهم اشرف وصول وشاهده ما استفاض عنه فى كثير من مواطن بسطه من قوله انما الغول والكرامة الدالة على ولاية الغير هى ايضا عنه مع حسن بدايته ظاهرة مستفيضة واحاديثه فى ذلك على اختلاف اجناس النقلة وانواعهم طويلة عريضة

فلم يبق إلّا ان يحسن ظنه فتى يبتغى نحو المحامد ان يرقى
وإلّا فتسليم له وهو حظ من نوافله بعد الغنيمة ما يبقى

قال فى روض الرياحين وقد ذكر حكاية سهل بن عبد الله رضى الله عنه هذه الحكاية وامثالها مما يشكل على غير العارفين بالله تعلى واما العارفون بالله تبارك وتعلى فلا يشكل عليهم ذلك ولا يمنعهم ما راوا من التخريب عن حسن الاعتقاد فى المخربين كما تقدم من زيارة الشيخ الامام استاذ الانام شيخ شيوخ الاسلام امام الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة مولانا شهاب الدين السهروردى للشيخ علي الكردى رضى الله عنهما ومجيئه اليه وتطفله عليه مع كونه وحيد دهره وفريد عصره ولم يصده عنه ما قابله به من كشف عورته وما نسب اليه من ترك الصلاة وغير ذلك لما عرف فيه من الولاية التى سبقت بها العناية ثم قال وانظر الى كثير من الناس كيف يطعنون فى مثل الشيخ علي الكردى وينسبونه الى الزندقة والفجور إلّا الموفقين فانهم يعتقدونه وما يعرفونه كما يعرفه العارفون بالله انتهى فانظر رحمك الله الى ملاحظ اهل الكمال وحسنها الذى تم به نصاب شرفهم وحصل له الاكمال هل امالتهم عن كمال حسن الاعتقاد عواصف التخريب او ازعجهم عن ذلك ما يملا الاسماع من الابعاد فى الطعن والتثريب وكيف لا وقدم التقدم فى ارض رياضتهم راسخ ومتواتر حسن ظنهم لخبر آحاد الطاعنين ناسخ فبمثل هولاء يتحقق المريب وبسناهم

يهتدى الرجل لاريب نساله جل وعلا انالته التوفيق والهداية الى سواء الطريق واما تخريبه رضى الله عنه بايهام الاكل فى رمضان وعدم الصيام فان كان ذلك لمرض مبيح او لغلبة سكر الحال فلا طعن ولا لوم والّا فروية الناس لذلك من التخيلات العجيبة والتطورات الخارقة الغريبة وقد اسندنا عنه رضى الله عنه حكايات تصحح نسبة هذه الخوارق اليه وتضرب فى صدر المتطفل بالرد والانكار عليه فمنها ما حدثنى به ابو عبد الله محمد جاد الغريانى قال جئت يوما فى شهر رمضان الى الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه فوجدت بين يديه جنب شاة مشويا وهو ياكل فيه اكلا مستبشعا ويمضغ مضغا منكرا كريها بحيث اخذنى العجب من ذلك ثم ان الله تعالى كشف عن بصرى فاذا ذلك الجنب المشوى الذى رايته ياكل منه قد عاد فى نظرى قطعة من خشب الزيتون عليها قشرها لا اشك فى ذلك ولا ارتاب فيه فادركنى من ذلك ما هالنى امره وحيرنى شهوده فلما خرجت من عند الشيخ نادانى انسان ممن كان بين يدى الشيخ وهو ياكل فى ذلك اللحم وقال لى هل رايت الذى رايته انا فقلت له وما ذاك قال الذى كان بين يدى الشيخ وهو ياكل منه ما هو ، لحم او غيره فقلت وغرضى ان اثبت ما ظهر لى بكلامه هو جنب شاة مشوى فقال اما انا فوالله ما كشف لى الّا عن قطعة من خشب الزيتون عليها قشرها وفيها هو يظهر الاكل فقلت له وقد علمت ان الذى رايته صحيح الامر والله كما قلته ولقد اطلعنى الله تعلى على ما اطلعك عليه وكشف لى عما كشف لك عنه وافترقنا ونحن فى عجب من امره رضى الله عنه ومنها ما فى كتاب مناقب الشيخ الجليل ابى عثمان سعيد الصفروى رضى الله عنه وقد استطرد الكلام فى حال شيخنا رضى الله عنه مولفه الشيخ ابو العباس احمد الزبير فقال ولقد حدثنى من اثق به انه كان مع جماعة فى شهر رمضان فى القيسارية التى تقابل الشيخ الولى الصالح صاحب الخوارق سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه

ونفعنا

ونفعنا به قال فرايناه رضى الله عنه ياكل تمرا و يشرب اللبن وهو يقطر على لحيته الكريمة وصدره ونحن نرى ذلك عيانا واذا بصبى من اهل تلك الحوانيت نظر اليه وقال لنا ما هو يشرب والغبار الذى فيه اللبن مغطى بجلدته فنظرنا فلا شئ مما كنا نراه وما بلحيته وصدره شئ واذا غبار اللبن مربوط بجلدته فلما علم رضى الله عنه ذلك منا دخل الى نوالته وتركنا رضى الله عنه ومنهـا ما حدثت به عن الفقيه المتصوف ابى عبد الله محمد الحبيب النابلى رحمه الله قال دخلت فى شهر رمضان يوما على سيدى احمد ابن عروس فوجدت فى يده آنية باللبن وهو يشرب فيه واثر اللبن على شاربه وشفتيه فقلت له منكرا عليه ما هذا الهم الذى تفعل يا سيدى تفسد عقائدنا فيك فالتفت عنى وهز نفسه فرايت اثر اللبن على كتفيه وليس على شاربه وفمه من الاثر الذى كنت رايته شئ فقلت له هكذا تفعل تسقى غيرك وتلبس علينا بذلك فضحك منى وسكت رضى الله عنه ومنهـا ما حدثنى به الشيخ الصالح المعتقد الاكمل ابو الحسن على بن محمد الشرهونى قال كنت فى اول امرى مصرحا بالانتقاد على سيدى احمد ابن عروس آخذا على من يعتقده فقد رآنى صعدت اليه رضى الله عنه يوما وانا مصر على عدم اعتقاده فوجدت بين يديه قصعة فيها الكسكس وهو يتناول منه فاذا رفع اللقمة الى فيه رايت كفا تمتد من وراء ظهره وتتناول اللقمة فعل ذلك مرارا متعددة والناس الحاضرون يرون انه يضع اللقمة فى فيه لا يشكون فى ذلك ولا اشك ان الكف التى تمتد من وراء ظهره هى التى تتناول اللقمة وما وضع فى فيه من ذلك لقمة واحدة فادركنى من ذلك ما هالنى وحيرنى ورجعت الى اعتقاده وتعظيمه رضى الله تعلى عنه فمن اقدره الله تعلى على مثل هذا كيف يقال فى حقه اكل او صام او نام عن نوافل قرباته او قام ومنهـا ما حدثنى به بن عون قال كنت بين يدى الشيخ رضى الله عنه يوما فى شهر رمضان فاذا بجماعة من طلبة العلم من اهل

المغرب قد وردوا على الشيخ زائرين فلما وقفوا بين يديه ورآهم نادى رضى الله عنه ولد اخيه النائب عنه بالزاوية وقال له اريد الآن ثلاثة اصوع من دقيق السميذ بالكيل فاتاه فى الحين بذلك فجعله الشيخ فى قصعة ولته بالماء وحده وجعل ياكل فيه اكلا ذريعا الى ان اتى على جميعه ولم يترك منه سوى القليل التافه ثم قال يخاطب نفسه اى والله فضيح اى والله ما يستحى ياكل فى رمضان والناس ينظرون فيه فقال احد الطلبة المذكورين اما انا فوالله ما فى نفسى من ذلك شئ ولا اعلم ما عند غيرى ثم ان الشيخ رضى الله عنه اراهم بطنه وكانها السوط من فراغها من الطعام وقال والله ما اكلت الطعام منذ عشرة ايام رضى الله عنه فاين انت عن سماع هذا الخارق يا من لا يزايل مركز اعتراضه ولا يفارق(ومنها) ما حدثنى به الشيخ الاكرم ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح ابى الفضل قاسم حفيد الشيخ الصالح الكبير سيدى معاوية بن عتيق رضى الله عنه وقد كنت اجتمعت به فى موضعه من دخلة الجزيرة القبلية من عمل تونس المحروسة فى اواسط شهر ربيع الاول الشريف من عام سبعة وستين وثمانمائة وتذاكرنا خوارق الشيخ رضى الله عنه فقال حدثنى اخى صالح رحمه الله تعالى عن اخ له فى الله من تجار السوق الاحمر من تونس قال كنت اتعاهد الشيخ رضى الله عنه بالطعام فى كل ليلة من ليالى رمضان فاتفق انى اتيته بذلك نهارا فتناوله منى وجعل ياكل منه وانا واقف بين يديه فساء ظنى به لاكله فى نهار رمضان ثم انى سافرت حاجا بعد مدة فلما وافينا مصرا او قال الاسكندرية فى قفولنا الى المغرب دعانى بعض الفقراء الى طعام صنعه لى فلما قدمه لنا عرفت القصيعة التى كنت حملت للشيخ فيها الطعام الذى اكله فى نهار رمضان فقلت للرجل من اين لك هذه القصيعة فقال وما دعاك الى السوال فقلت انها لى فقال لى من اى بلاد المغرب انت فقلت من تونس فقال انى كنت مفطرا فى شهر رمضان لمرض اصابنى فاشتهيت طعام كذا باحم كذا عليه من البقول كذا وذكر عين ما

كنت حملته فيها للشيخ قال وسالت الله تعلى فى ذلك واذا بسيدى احمد
ابن عروس ناولنى هذه القصيعة بما اشتهيته وجعل يطعمنى بيده وذلك
فى ساعة كذا من يوم كذا من شهر رمضان سنة كذا فذكر ذلك على نحو
ما كان عندنا مع الشيخ رضى الله عنه فصدقته فى مقالته واستغفرت الله
تعلى مما كان فى نفسى من الشيخ رضى الله عنه ومما يويد هذا المعنى
ويرشد اليه ويهدى الى الرشد ويوقف عليه ما حدثنى به ابن عون المذكور
قال اخبرنى الفقيه القاضى الاكمل ابو الفضل بلقاسم العقبى رحمه الله
تعلى وكان من المعتقدين لاولياء الله تعلى قال من غريب خوارق الشيخ
الصالح الولى الشهير ابى عمرو عثمان القرنبالى رضى الله عنه ان رجلا ممن
كان يعتقده ويتردد اليه اتاه بصحيفة فيها طعام عليه دجاجة فى يوم من
ايام رمضان وكان له اخ لا يعتقد الشيخ ويوبخه على اعتقاده فيه فاتفق
ان جاء معه الى الشيخ صحبة الطعام المذكور فكشف رضى الله عنه
عن الطعام وجعل يقول كانه يخاطب نفسه تصير الى المغرب لا والله ثم
اكل فخذا من تلك الدجاجة وقال والله لتاكلن الفخذ الآخر فاكله ثم
قال والله لتاكلن دجاجتك كلها كانه يخاطب نفسه ثم قال والله لتاكلن
من هذا البازين واكل منه ما شاء الله وصاحب الطعام واخوه المنتقد
يشاهدان فلما خرجا من عند الشيخ قال المنكر لاخيه المعتقد ما بقى لك
ما تقول بعد هذا ياكل فى رمضان من غير ضرورة تدعوه الى ذلك فلم يجد
المعتقد جوابا ثم بعد سنة او قال سنتين صنع للشيخ طعاما وجاءه به ومعه
اخوه المذكور فلما وصلا الى الزاوية وجدا انسانا من اهل المغرب قد قدم
لزيارة الشيخ وهو يسال عن الزاوية ومعه حمل على فرس فقيل له هى
هذه الزاوية قال واذا بالشيخ ينادى من داخل الزاوية يا مغربى والله
ما تدخل حتى تخبرهم بمسالتك قال فاخبرناه بمقالة الشيخ وسالناه
عن مسالته فقال انى من اهل مراكش وقد كانت الحمى لازمتنى سبعة
اعوام وانا منها فيما لا يعلمه إلّا الله فبينما انا فى شهر رمضان من سنة كذا

في يوم كذا في وقت كذا فذكر اليوم الذى اكل فيه الشيخ الدجاجة المذكورة وتلك الساعة منه قال واذا برجل قد دخل علي وقد اقلعت عنى الحمى فى تلك الساعة ومعه قصيعة بالبازين وعليها دجاجة فعرض علي للاكل من ذلك فتمانعت فحلف لى فاكلت وما زال يحلف لى الى ان اكلت الدجاجة كلها واكلت شيئا من البازين ولما نهض لينصرف عنى سالته بالله من انت فقال انا عثمان القرنبالى بتونس فعافانى الله تعلى مما كان بى من الحمى ببركته وما كنت ارى قط انها تفارقنى او اننى اعافى منها وعاهدت الله تعلى انى ازوره وبهذه النية خرجت اليه من بلادى وهذا الحمل من البرنس له وعدة منى قال فتاب الاخ المنكر واستغفر الله تعلى ورجع عن انكاره الى اعتقاد الشيخ رضى الله عنه واكباره وفى كتاب مناقب الشيخ الصفروى رضى الله تعلى عنه قال الشيخ محى الدين رضى الله عنه اذا اراد الولى ان يصرف عنه احدا اقسام من روحانيته صورة على صورته حتى يرى الرائى انه فعل الشئ وهو لم يفعله كما يرى الانسان فى النوم انه فعل اشياء ولا حقيقة لذلك ثم قال يحكى عن بعض المخربين ان جماعة جاءوا الى زيارته فراوه وقد اخذ ذكره فى يده وجعل يرش وسط موضعه بالبول فانكروا عليه ذلك فقال بعض من كان معهم ما لكم فقالوا له ما رايت هذا الرجل يكشف عورته ويرش الموضع بالنجاسة فقال لهم لا والله ما رايته كشف عورته ولا رش بنجاسة وانما فى يده آنية صغيرة ياخذ الماء بها ويرش وانا انظر اليه وذكر ايضا ان امراة ممن لها حظ من الجمال جاءت مع ولد لها مراهق لزيارة الشيخ سيدى عثمان القرنبالى رضى الله عنه فراى الولد الشيخ رضى الله عنه قد امسك بفيه شفة امه وهو يمصها فادركته الغيرة من ذلك وانف مما راه فلما انصرفا قال لامه ما هذا الفعل الذى فعل معك هذا الشيخ قالت وما الذى فعل يا ولدى قال رايته قام اليك وفعل كذا وكذا فقالت له امه والله يا ولدى ما تحرك من موضعه ولا

مسنى بيد رضى الله تعلى عنه فاليك النظر بعد هذا فيمن هذه الخوارق منتهى وصفه ولا يفرق غير العارف بالله تعلى بين ريحانه وصفه هل يتعرضه فى كافة اموره ذو عقل سليم او يعارضه فى سائر احواله بسوى مجرد التسليم اذ لا معنى للطعن فيمن حقيقته عندك ليست بمعلومة ولوامح احواله كلها لديك غير مفهومة فان انت بعد هذا غلبت نفسك الامارة وصححت عقد اعتقادك فقد انصفت ولك السلامة ان وقفت بساحل التسليم والا فانت وحدك الباكى وقد بذلت النصيحة فيما وصفت وبالله جل جلاله على ارشادنا نستعين فهو حسبنا واجل ناصر ومعين واما ما يذكر عنه رضى الله عنه من حديث ممازحة النسوة فانما ذلك ان ثبت لامر خفى عنا ثم لنا فى التسليم بمن اجمع على ولايته اسوة هذا حجة الاولياء وشيخ مشايخ المغرب الآتى من فنون الكرامات الباهرة بكل فن مغرب والاوحد الذى ضربت اليه اكباد الابل فى زمانه الشيخ ابو يعزى كم رام الطاعنون تدنيس عرضه المصون بما ينسب اليه من ذلك ويعزى وهو الكامل السرى والتقى البرى ففى التشوف للتادلى رحمه الله تعلى قيل للشيخ ابى يعزى رضى الله عنه ان فقهاء فاس انكروا عليك لمس صدور النساء والنظر اليهن فقال اليس يجوز عندهم ان يلمس الطبيب تلك المواضع ويراها للضرورة فهلا عدونى واحدا من اطبائهم وانما المس ذوى العاهات للتداوى بذلك فانظر هل فى هذا العذر لاحد مقال او هنالك لطاعن ما عسى ان يقال وفى التشوف ايضا عن اوحد عصره وشيخ رجال الغيب الحجة الواضحة ابى مدين شعيب قال رضى الله عنه قالت لى جماعة من الفقهاء المجاورين لابى يعزى ثبتت عندنا ولاية ابى يعزى ولكن نشاهده يلمس صدور النساء وبطونهن ويتفل عليهن ونرى ان لمسهن حرام فان تكلمنا هلكنا وان سكتنا حرنا فقلت لهم ارايتم لو ان ابنة احدكم او اخته اصابها داء لا يطلع عليه الا الزوج ولم يوجد من يعانيه الا طبيب يهودى او نصرانى اكنتم تجيزون ذلك مع ان دواء اليهودى او

النصراني منطوون وانتم من معاناة ابي يعزى على يقين من الشفاء ومن معاناة غيره على شك فبلغ كلامي ابا يعزي فكان يقول اذا رايتم شعيبا فقولوا له عسى ان يغتابني كانه استحسن جوابي عنه ولا نزاع انه رضي الله عنه بلغ بجوابه الحسن الغاية القصوى والنهاية التي على نفاسة قدرها ضمائر اهل الحقائق تطوى وازال بذلك الاشكال العارض وقطع لسان توفيقه لسن المعارض وفي التشوف ايضا عن الحاج ابن هارون وكان خديما للشيخ ابي يعزى رضي الله عنه قال رايت ابا يعزى يوما وقد اتته صبية بها علة لتستشفي بمسه فادخل يده الى جسدها ليمسح عليه فوجدت من ذلك في قلبي شيئا فكرهت المقام عنده فاستاذنته في الانصراف عنه فقال لي لا تنصرف حتى آمرك فانصرفت قبل ان ياذن لي فظللت عن الطريق وكنت بها عارفا واخذت في طرق مشعبة خرجت منها الى مكناسة او سلا وقد اجهدني التعب والجوع وكان الناس حينئذ يقتلون على ترك الصلاة في اوقاتها قال فقبض علي جماعة كنت فيهم فحملنا لنقتل فلما كان في تلك الساعة قال ابو يعزى لاصحابه ارفعوا ايديكم الى الله تعلى وادعوا ان يخلص صاحبكم من المحنة التي اصابته فلما قدمت للقتل رآني رجل كان يعرفني فقال للوالي ليس هذا ممن يترك الصلاة ولو لم يصل احد لصلى هذا وحده ومن شانه كذا وكذا فامر الوالي باطلاقي فانطلقت ورجعت من فوري الى ابي يعزى فلما ابصرني قال لي ابيت ان يزول ما في قلبك الا بعد المحنة فقلت له تبت الى الله تعلى فانظر الى عقوبة اعتراضه على مخدومه سرا وشدته التي لاقى وما اظهر على لسانه شرا وقد كاد يلحقه شوم انتقاده بحتفه لولا ان الله تبارك وتعلى تداركه بلطفه فكيف تكون عقوبة من جمع في الاذاية بين السر والجهر واسترسل في ذلك كل يوم وجمعة وشهر نسال الله العافية والسلامة والتوفيق الى تجنب سلوك سبل الملامة وقد ذكر التادلي ايضا عن اوحد زمانه الولي الكبير الحائز قصب السبق في اوانه ابي العباس السبتي الشهير انهم كانوا يقولون في حقه يستبيح الفروج بغير

ما تباح به شرعا ويسلبون عنه وصف الولاية اصلا وفرعا حتى قال خادمه
وقد اوهر رضى الله عنه بظواهر تخريبه صدره خدمت ابا العباس السبتى
اربع سنين وانى لاعتقد كفره فى حكاية ذكرها فى هذا الفصل طويلة
اقتضت بسط الخطاب فى التماس المخرج لتخريبه وتطويله ثم انى نعود
بعد الى اقامة العذر عن تخريب شيخنا الكامل وحمل ذلك منه على
احسن المخارج والمحامل فنقول والله المستعان واجل من ارشد واعان اذا
كان رضى الله عنه فى ايام صباه عن هذه النقائص محفوظا وبعين الكمال
عند البر والفاجر حيث ما حل ملحوظا فاليوم حين ضعف منه الجاذب
والدافع واستوى لديه الخافض والرافع ومحت مجاهدته من نفسه هذه
الرسوم وبدا كماله وهو بكل صالحة موسوم وانتشرت فى سائر الاقطار كراماته
وظهرت من صدق سره على صفحات وجهه علاماته تظن بكماله هذه
الظنون وينسب اليه الخوض فى تلك الفنون هذا امر وان كان من مجوزات
العقول فهو لعمرى بعيد وظنة لا يحقق نسبتها لاولياء الله رجل سعيد
ابعد الولاية والطعن فى السن صبوة ام بعد التخلى عن الكر والفر يخشى
على الجواد كبوة ام يرتقب والسيف فى قرابه شين لابد للصارم من نبوة
لقد ضاعت ان كان ذلك الحكمة وساوى الصحيح فى جودة النظر الاكمه
فالواجب التماس المخرج له فى ذلك وحسن التاويل ان ثبتت عنه سلوك
تلك المسالك والذى انتهى اليه فى امره اعتقاد البراءة الكاملة والنزاهة
التى هى لصفات الكمال فى حقه شاملة وما يبقى فى النفس من مخالطة
النسوة يحمل على قصد الاستشفاء بلمسه والاستدفاع لما عسى ان يكون من
العلل ببركة مسه فيكون فى ذلك بمنزلة الطبيب المزاول فى جواز النظر
واللمس للعضو الذى يحاول علم ان العلل ليست كلها فى الجسمانية
محصورة ولا معاناته هذه على مجردها مقصورة بل العلل الباطنة وهى اشد
ايلاما اكثر ومزاولتها الا على ارباب القلوب اعسر وقد يكون بالمراة من
الادواء ما يستغرق باطنها بوسا وهما ولا يطلع على ذلك منها ابا ولا اما

فتجعل الشيخ وسيلتها الى الله تعلى فى كشف ما بها وتوقف عليه لحسن نيتها جميع اسبابها فيبدى لها ما تستنشق من نسماته العافية وان كانت طريق ذلك فى ظاهر الشرع عندنا عافية واما ما وراء ذلك من وساويس الصدور ففى تحقيق نسبته الى اولياء الله اكبر محذور حدثنى الحاج الناسك ابو الحسن علي النفاتى قال وقع فى بعض الايام من الشيخ رضى الله عنه تخريب كثير بحيث انه امسك ابنة بكرا بمراى من الناس وعنده خلق كثير فجعلت البنت تستغيث بمن يفكها من يده فجاء احد اصحاب الشيخ ليفتكها من يده فقال له ياترجمان انت فضولى تفك شاتى من يدى الدنيا كلها غنمى اعطاها الله لى اقلبها حيث اشاء باذن الله تعلى فحملوا تلك البنت لقاضى الجماعة حينئذ وهو الفقيه الامام حجة الاسلام ابو علي عمر الدلجانى فسالها عن امرها وهل كشفها الشيخ فقالت لا والله حاش لله فقال القاضى المذكور للحاضرين الشيخ بحر زاخر والذى يذكر لى عنه شيئا بعد اليوم اعاقبه قال ثم انى اخبرت بالوطن امراة من جيراننا فقالت اطلب من الله ان يفعل بى كذلك ووعدت زيارته فاتفق انها زارت الشيخ ابن طاع الله وجاءت الى الشيخ بعد ذلك فلما وقفت بين يديه امسكها عنده ولم يقدر احد على افتكاكها منه قال فصعدت الى الشيخ وسالته ان يخلى سبيلها فقال انها تحتاج الادب زارت ابن طاع الله قبلى وكانت وعدت ان تزورنى فنقضت العهد وزارت الميت وتركت الحى رضى الله تعلى عنه وحدثنى غير واحد ان امراة وقفت بين يدى الشيخ رضى الله عنه فلما رآها خاطبها بما يقتضى مراودتها على قبلتها وادخال يده تحتها فانكر منه الحاضرون ذلك واستعظموه وكادت المراة يغشى عليها لسماع ذلك واصابها ما اذهل عقلها فسالها بعضهم عن امرها والح عليها فى ذلك فقالت انه لقينى الساعة رجل كان بينى وبينه شئ فالقى نفسه علي وقال لا اخلى سبيلك حتى تقبلينى وادخل يده تحتى وذكرت ان الشيخ رضى الله عنه انما خاطبها بكلام ذلك الرجل لها وحكى ما وقع منه

وجعلت

وجعلت تسال الله الاقالة والتوبة وحدثنى الشريف السيد ابو زيد عبد
الرحمن بن جعفر الاقريشى قال خرجت يوما الى اقرش فرايت بين يدى
فارسين ادركتهما وسرنا جميعا وما زلنا الى ان اخذنا فى امر الشيخ سيدى
احمد ابن عروس وسر تخريبه فحدثنى احد الفارسين اللذين ادركتهما
وهو الفقيه فلان لرجل سماه قال حدثنى من اعتقد صدقه لرجل ايضا
سماه قال كانت اهلى لا ينقطع عنها الدم اصلا وكنا من ذلك فى امر عظيم
فاتفق انها زارت الشيخ رضى الله عنه يوما فلما وقفت بين يديه ادناها
وامرها ان تستلقى على ظهرها ففعلت فادخل اليها يده ومس فرجها باصبعه
مرتين وامرها بالقيام فقامت وانصرفت واخبرتنى بالموطن فمن تلك الساعة
انقطع الدم عنها فلا ترى له اثرا والى الآن ببركة لمسه رضى الله عنه
قال الشريف المذكور فاخذت النفس فى ذلك كل ماخذ وانا معها فى
مجاهدة كبيرة ادفع عنها الوسواس وما ركنت فى ذلك اليها لمحة بارق
وهى تقول كيف هذه الولاية لمس فرج الاجنبية باصبعه مرتين قال
فعوقبت عن هذا الخاطر وانا ادافعه بان وقعت على مقارفة المعصية مرتين
فى يومين متواليين وصرفت عن ذلك بفضل رحمة الله ولما وقفت بين يدى
الشيخ رضى الله عنه قال لى ما زلت او تتوب فقلت له وقد عرفت
العلة يا سيدى قد كنت ادافع الخاطر ولكن استغفر الله واتوب اليه
فصرفنى حينئذ رضى الله تعلى عنه وحدثنى بن عون المذكور قال اخبرت
ان بعض كبراء الدولة بتونس فى بدء صعود الشيخ الى سطحه كانت له
ابنة بها داء عضال وعلة مزمنة فى قبلها لاوصول لهم الى علاجها وكانوا
من امرها فى كرب فتنكرت البنت المذكورة بحيث لا يعرفها احد وجاءت
الى الشيخ فى الليل فامسكها رضى الله عنه وادخل يده الى محل العلة
منها ولمسه بيده وانصرفت مع من صحبها من حواشيها فانتهى علم ما فعله
الشيخ الى ابيها فاستعظم ذلك وكرهه فارسلت اليه تخبره ان ما كان بها
من العلة قد زال وذهب ما كانت تجده من ذلك ببركة لمسه رضى

الله تعلى عنه وحدثني الشيخ ابو علي منصور بن زيد قال كان بقبل ابنتي ايام الصغر داء عظيم اعيانا علاجه فحملتها يوما الى الشيخ رضى الله عنه وجلست بها بين يديه وهي في حجري فقال لى وقد رآها ارفع عنها الحوايج فرفعت عنها الى ركبتها فقال ارفع فما زلت ارفع الى ان كشفت لها عن المحل واعرضت بوجهي من ذلك فقال لى رضى الله عنه ما رايت بها سوءة وامرني بسترها وكانت بها قروح بواسير فقال دون ان اكلمه في ذلك اكشف لى عن الجرب الذى في مخرجها فكشفت له عن ذلك فقال استرها ما رايت شيئا فسترتها ورجعنا الى الدار فمن تلك الساعة شفاها الله تعلى من ذلك كله وعافاها وما كنا نرى ذلك إلّا مرضا لا يفارقها ابدا ومن يومئذ الى الآن ما راينا بها سوءة ببركة الشيخ رضى الله عنه فالشيخ رضى الله عنه اذا صدر عنه مثل هذه الاشياء يلتمس له فيها المخرج الارضى ويسلك بتخريجه ذلك لثبوت ولايته المسلك الذى يرضى فان اطلعنا الله تعلى على سر شيء من ذلك فقد انقشع الغبار وزال الريب وان خفى عنا مدرك ذلك فهو الظن بنا ولسنا من رجال الغيب وقد تمتد من لا عقل لها ولا دين في حكاية وقائعها مع الشيخ رضى الله عنه الى حد تذكر فيه بعض ما تمجه الاسماع تفاخرا منها على مشاكلاتها بذلك لتوهم ان لها المنزلة عند اولياء الله تعلى وهي كما قيل احمق من سجاح واخرق واكذب من موه من ضعفة العقول ومخرق كانت امراة في دار مجاورة لموضعنا الذى نحن به ايام هذه الاقامة بتونس وكنا نتاذى بها لكونها من المتبرجات فحدثني عنها بعض من يراها انها قالت وقد ذكر عندها الشيخ رضى الله عنه جئته مرة فقام الي واضجعني والقى نفسه علي ولم امانعه نفسي فكان الذى معه كالجلدة او الخرقة قالت ولم ينل منها شيئا وزعمت ان جسده المبارك لاقى جسدها فاكذبتها في ذلك ولو امكنني ان اوقع بها لفعلت لما وجدته في نفسي عليها ثم ان الله تعلى حقق ظني فيها من انها مفترية كاذبة فعاجلها بالعقوبة الشنيعة وابتلاها بما لا تقدر على دفاعه وذلك

انها

انها اخذت برذيلة السرقة وقبض عليها فى ذلك ورات محنة عظيمة فى
نفسها من الاهانة القولية والفعلية وحملت لدار الثقاف وحبست فيها
اياما واخذ من له الامر متاعها واغرمها وفضحها الله تعلى على رءوس الاشهاد
ونزع عنها ستره وصرفها عن جوارنا واراح منها وكل ذلك عندى عقوبة لها
ومحنة عظيمة بسبب جراتها على الشيخ رضى الله تعلى عنه وافترائها
عليه نسال الله ان يستعملنا فيما يحبه ويرضاه ويصاحبنا لطفه الجميل
فيما قدره وقضاه واما ما يصدر عنه رضى الله عنه من الكلمات التى هى
بالفحش موصوفة وعن طريق الادب فى ظاهر الشرع العزيز مصروفة
فسبيل العذر عنها سبيل ما اسلفناه وطريق التخلص فيها راجع بالنظر الى
ما وصفناه ففى حال غلبة سكر الحال لا يتوجه عليه انكار وفى وقت صحوه
لا تنال ما خفى من ذلك الافكار فالضعفاء امثالنا من امره فى حيرة صحوا
وسكرا وتحت قهر من سلطان تخريبه عرفا ونكرا وللشيخ ابى العباس
السبتى رضى الله عنه حكاية احتوت على كلمات واحوال بظاهر الشرع
تنكر والآن آن وقد دعت اليه الضرورة ان تذكر قال التادلى رحمه الله
تعلى حدثنى ابو الحسن علي بن احمد الصنهاجى قال خدمت ابا العباس
السبتى اربعة اعوام وانا اعتقد فيه الكفر فلما كان صبيحة يوم عرفة
صليت الصبح فى المسجد فلما خرجت من المسجد لقيته قال لى ما هذا
اليوم فقلت يوم الاثنين فقال لى واى يوم هو فقلت له يوم عرفة فقال لى
اتريد ان تعرف اليوم فقلت له نعم فمشيت معه الى باب الدباغين
فوجدناه مغلقا فقال لى ان كان معك شئ يمكنك الخروج عنه فامش معى
والا فارجع فقلت له كل ما معى يمكننى الخروج عنه وكانت معى سبعة
دراهم ونصف درهم فقال لى ادفعها لاول داخل من الباب واقصد بذلك
وجه الله تعلى ولا تتغير ولو وقعت بيد يهودى فاول من لقيت عند فتح
الباب عجوزا فدفعتها لها فخرجنا الى بحيرة الرقايق فتقدمنى وهو يرمق
بطرفه الى السماء ويحرك شفتيه الى ان انتهينا فى آخر البحيرة الى الصهريج

عند غاية الرمان فقال لى اتريد ان تنتصب على اربع فقلت له ما هذا الكلام فى مثل هذا اليوم فقال لى انما امرتك بعادتك من الصلاة فدخلت بين اشجار فاستقبلت القبلة وركعت ركعتين وهو ينظر الي فقلت فى نفسى ان لم يقع منه استحسان للصلاة قتلته على زندقته وارحت منه فلما فرغت من الصلاة اتيت اليه فاخذ بيدى وقبلها وقال لى مرحبا بقران القرون فقلت له ما غيرت قلبى بهذا الكلام فقال لى ليس هذا الكلام شتما وانما تكون هذه الكلمة شتما لو قلت لك قرنان وانما اردت انك قرنت بين الصلاة والصدقة قال وكان يظهر الصهريج عنصر ماء الساقية فقال لى انما سمى هذا اليوم يوم عرفة لانه تنتشر فيه الرحمة لمن تعرف اليه بالطاعة والموضع الذى امرنا بالتعرف فيه لا يمكننا الآن الوصول اليه فنمثل هذا المكان ونعمل كما يعملون لعل الله تعالى يغمرنا برحمته فمثل بالعين الكعبة ومثل بعنصر ماء الساقية الحجر ومثل بموضع منه مقام ابراهيم عليه السلام فطاف بالعين سبعا وانا اطوف بطوافه وكبر على العنصر فى كل طواف وصلى فى مثال المقام ركعتين تامتين واطال السجود فى الثانية ثم استند الى الشجرة وفى نفسى منه امر عظيم لا اقدر ان اعبر عنه فاطرق مليا ثم قال لي ادن منى فجلست بين يديه فقال لى اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك نقض لك فان الله تعلى وعد فى هذا اليوم من تعرف اليه ان يقضى حوائجه فقلت له مرادى التوفيق لا غير فقال لى ما خرجت من باب المدينة حتى وفقت اذكر غرضا من الدنيا ولا تذكر الّا ما يليق بك فقلت له ما اريد الّا التوفيق والعمل بطاعة الله تعلى وما لى غرض فى شىء من الدنيا فقال لى الى نفسك شيء فقلت بل اشياء كثيرة فقال لى اخبرنى عما فى نفسك فقلت لا يفيدنى ذلك شيئا فانى خلوت بك فى مواضع كثيرة فلم يتحصل لى منك حقيقة فقال لى والنبى والذى اخرجنا اليه لا اخفيت عنك ظاهرا ولا باطنا فقبلت يده على ذلك ثم قلت له يا سيدى يقول الناس انك تبيح الفروج بغير نكاح شرعى فقال ميز الشيطان بالافتراء والكفار

بالاصغاء فقلت له ما هذا فقال لى حصلت بين مقامين مقام الشيطان ومقام
الكفار فانك اصغيت الى من قال ثم افتريت الآن علي فتب عن هذا
ولا تعتقده ومن اعتقد تحليل فروج بغير نكاح شرعى فهو كافر واقوال
الناس كثيرة وقد قالوا ان لله صاحبة وولدا تعلى الله عن قولهم ثم قال لى
رايتنى نكحت محرما او قلت بتحليل محرم فقلت له لا فقال لى اذكر ما
تتحققته منى فقلت له رايتك تمر فى اوقات الصلاة بالمساجد ولا تصلى
فيها فقال لى ما وجدت شفيعا اقدمه للشفاعة فان النبى صلى الله عليه
وسلم قال ايمتكم شفعاوكم فانظروا من تستشفعون به وهذا الذى قلت
انه عندك حقيقة ليس كذلك فانى لم اقل بترك الصلاة ومن قال بتركها
فهو كافر ولكن اذكر شيئا اذا سئلت بين يدى الله تعلى وقيل لك ما تعرف
فى هذا فقلت له لا اعرف حقيقة إلّا كلامك فى الفحش فقد قال الله
تعلى ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد فقال اتذكر حديث معاذ فاتيت
عليه الى آخره اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه اراد به غيرى
وانا رقيب على ما فى قلبه فضرط لى بفيه فقلت له ما هذا فقال لى هذا
جوابك فان الملئكة شهدت له بالاعمال الصالحة فلم يقبل إلّا ما عقدت
عليه الضمائر وفى حديث انه يوتى يوم القيامة بناس الى الجنة حتى
اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها نودوا ان اصرفوهم عنها
لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون ربنا لو
ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم
كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون
الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى واجللتم
الناس ولم تجلونى وكنتم الى الناس ولم تكونوا لى فاليوم اذيقكم العذاب
مع ما حرمتكم من الآخرة والثواب ثم قال لى ما الذى تنكره علي من
الفحش فقلت مما انكره عليك قولك للناس تيوس وهذا كلام يغير القلوب
فقال لى اعنى به المتقدمين وما رايت احدا من الناس إلّا وهو يحب التقدم

ومن شان التيس التقدم فقلت له ونقول للمخاطب يا قطيم فقال لى القطيم عندى هو الذى يحرص على تحصيل الدنيا ويجمعها ولا يخرج شيئا فقلت له ومن شكا اليك بشئ امرته بالصدقة فان لم يكن عنده شئ قلت له اجعل على ظهرك اسود فقال لى ما آمر الناس الّا بما ينتفعون به وما من شئ ينزل بالانسان الّا وله مدفع من الكتاب والسنة او كلام الحكماء فاذا لم يكن عنده ما يستدفع به امرته ان يتحمل مشقة الصلاة بالليل فقلت له هل لا قلت للانسان قم الليل قال لى لو قلت له ذلك لقبل يدى ودخلنى العجب والكبر وما طرد الله ابليس عن جواره الّا بالعجب والكبر فسالته عن بدايته الى نهايته وبما تنفعل له الاشياء فقال لى هذا لا يعرف الّا بالعمل ثم استطرد له الكلام فى حال بدايته الى ان اطلعه الله على خواتم نهايته ولكن هذا القدر هو المحتاج اليه من هذه الحكاية وفيه بحسب ما اردناه من التماس المخارج الكفاية فقد احتوت على ايضاح مشكل بعض ذلك الفن الغريب وكشف قناع غوامض انواع داخلة تحت جنس التخريب وفى ذلك ما يعين على دفع غوامض الشبه وايضاح ما ما التبس من احوال الشيخ رضى الله عنه واشتبه فاحوال القوم كلها يقاس الامثل منها بالامثل والاشبه بالاشبه ومما قد يعرض لنا فى مجال الاعتراض عليه ويسلبه رضى الله عنه وصف كمال الادب عند من لا حقيقة لديه ما يقابل به الزائرين فى بعض الاوقات من الابعاد والطرد وعدم خفض الجناح لمن ام مقامه منهم مع سوء الرد وقد يعلوهم ضربا بالحجارة ويرمى ويوقع بهم الشجاج المولمة ويومى ومع هذا فالمتعرض للانكار عليه بذلك عن قصده مصدود وبابه الذى فتحه لولوج كتائب الطعن بزعمه مسدود فما اقصى احدا عن بابه الكريم ضربه ولا ابعده بذلك الّا تحبب اليه قربه بل شاهدنا كثيرا ممن مارس احواله فى غالب الاوقات وقد رسخت قدم اعتقاده يتعرض لحجره الملثاة ويدخرها عوذة شافية فى سائر ازمنته ووقوته وهى عنده فى تابوت حفظه انفس من جوهره وياقوته

يقصي الوفود عن المقام بمـا بـه   تقصى البغاة وامره المحـبوب
وهـل ذاك إلا من خـوارق امره   لكن متى يتفطن المحجـوب

مع انا كثيرا ما نسمع ضرب فلانا وكان خاملا فارتفع قدره وشج فلانا وكان تخبطه الشيطان من المس فزايله ضره وادمى فلانا وكان قد اقترف فاعترف وراجع معهود هداه ومن رحيق التوفيق اغترف كل ذلك شاهد بان احواله كلها على حسن النظر لزائريه محمولة وان كانت دقائق هذه الاسرار عند الكثير منا مجهولة حدثني الشيخ المسن ابو العباس احمد الردادي المجاور للزاوية العروسية عمرها الله تعلى قال بينما انا يوما في حانوتي في عمل خياطتي واذا بالشيخ رضي الله عنه اخذ يرمي الناس بالحجارة فاذا برجل ممن اجتاز اصابته حجر القته صريعا لحينه وشاع في الناس انه مات قال وثبت عندي لما رايته من حاله انه لا حياة له من ضربته تلك فاحتملوه كالميت وبقيت في حيرة عظيمة من نسبة القتل عدوانا الى ولي من اولياء الله تعلى قال فاعجب ما رايته واذا بالرجل المضروب قد شد عمامته على راسه وهو مجتاز كانه لم يصبه شيء فاخذني العجب من ذلك وهالني ما رايته منه فبينما نحن نفيض في امر الرجل يوما واذا بانسان قد وقف علينا واخذ فيما اخذنا فيه ثم قال ان الرجل المضروب من جيراننا وله امراة واولاد تركهم مهملين تحت فاقة عظيمة وحاجة الى الناس بحيث لا يسال عنهم ولا يتفقد شيئا من امورهم شغلا منه ومحنة بامراة اذهله حبها والمحنة بها والعياذ بالله عن كل ما سواها ولما خشي عثور من له الامر على امره واطلاعه على حاله معها وتخوف العقوبة على نفسه خرج في تلك الساعة التي ضربه الشيخ فيها ليعقد عليها النكاح ابقاء للستر على نفسه فلما اصابه من الشيخ رضي الله عنه ما اصابه عرف علته واقلع عن معصيته وتاب الى الله تعلى ورجع الى اهله واولاده فانظر رحمك الله الى خوارق هذا الشيخ وكثرة اعاجيبه وما اوصلت اليه من السعادة ثمرة تاديبه وحدثني الفقيه الكاتب ابو الفضل قاسم بن محمد

الطبيب قال كان لنا ولد اشرف من مرض عينيه على الهلاك وتنكد علينا عيشنا من اجله فاتفق انهم احضروا لنا يوما طعاما فجعل الصبى يبكى ويتوجع مما يجده من الم مرضه الذى اعيانا علاجه فقال والده لبعض خدمته احملوا هذا الطعام الى الشيخ واحملوا معه الصبي معكم عسى الله ان يريحنا مما نجده من التوجع لشدة بكائه اما براحته او بعماه بحيث ينقطع عنا بكاوه قال فلما وقفوا بالصبي بين يدى الشيخ رضى الله عنه وناولوه الطعام ضربه بحجر فشجه واسال دمه فجاؤا به الينا على تلك الحالة ودمه قد كسا وجهه فانكر ذلك كل من رآه من اهلنا وقالوا ليتنا ما بعثناه اليه واراد بعضهم ان يقع فى الشيخ رضى الله عنه ثم انهم غسلوا الدم عن وجهه وداووا جرحه قال فشفاه الله تعلى فى بقية يومه ذلك وبرئت عيناه ومن يومئذ الى الآن لم يشك مرض عينيه ببركة ما اوصله ضرب الشيخ رضى الله عنه اليه وعاد متوقع ذلك الضرر نفعا ومترقب حفظ الاسى بمعاجلة الشفاء رفعا

فلا تنكر خوارقه وسلــــم　　لعلك بعد ذا ان تستريحـــا
ولا تغررك احوال تــــراءت　　لعينك خلتها امرا صريحـــا
فما يغتر بالتمويه منــــه　　سوى طبل يظن الزمر ريحا

ولا تجعل اسوتك فى امره من نبذ حسن اعتقاده ظهريا وان ذكرت عنده خوارق اهل الولاية ابدى لتكاثف جهله فى ذلك شيئا فريا فهو انما يرى الشيخ وامثاله على قدر اضاءة نبراس عقله ويبدى من احواله امثلة ما يتشكل فى ذهنه من صور جهله ولا يعرف من جميع ذلك سوى ما اعتاده ولا ينزل منه الّا منزلا الفه وارتاده قال الشيخ الجليل حماد الدباس رضى الله عنه ابناء الدنيا واصحاب الهوى لا يرون من الاولياء الّا ظواهرهم لانهم لا يعلمون الّا ما هم فيه يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا والاولياء ينظرون الناس بنور الله تعلى فيعرفون عقائدهم

فراجع مذهب الانصاف واترك　　وساوس ابعدت خلقا كثيــرا

وعظم

وعظم قدر هذا الشيخ ســـــرا وجهرا تغنم الفوز الكبيـــــــرا
ودع ما قد يثير القول فيـــــه فلست وان جهدت به بصيرا
وان ما تلق للتوفيق بـــــالا فلست بكنهه ارشادي خبيـــرا

ومما عده المنكر شينا فى صورة جماله ونقصا فى نصاب كماله انه لا يعلم له شيخ من اهل الحقيقة يسند اليه احوال هذه الطريقة وانه لا يترقى به لمراده مريده ولا يصل الى مغنى مطلوبه منه بريده وليس مما زعمه من ذلك بنقص فى حقه ولا طاعن فى حال سبقه فقد قال ابن عطاء الله رضى الله عنه فى لطائف المنن انما يلزم تعيين المشايخ الذين تستند اليهم طريق الانسان فى حق من كانت طريقه يلبس الخرقة فانها رواية والرواية تتعين بتعيين رجال سندها وهذه هداية وقد يجذب الله العبد اليه فلا يجعل عليه منة لاستاذ وقد يجمع شمله برسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون آخذا عنه وكفى بهذا منة ولقد قال الشيخ مكين الدين الاسمر رضى الله عنه انا ما ربانى إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر من الشيخ عبد الرحيم القناوى رضى الله عنه انه كان يقول انا لا منة لاحد على إلّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واذا اراد الله ان يتفضل على عبد ويغنيه عن الاستاذين حتى لا يكون له فيهم سلف فعل قال وقال ملك لبعض جلسائه انى اريد ان اجعلك وزيرا قال ليس لى فى هذا سلف قال انى اريد ان اجعلك سلفا لمن بعدك اه وقد اسند ايمة هذا الشان فى ذلك حكايات صحيحة تقتضى اثبات ما نحن بصدده من ذلك وتصحيحه منها ما ذكره الشيخ ابو الحجاج الاقصورى رحمه الله تعلى انه اجتمع الشيخ عبد الرحيم المغربى والشيخ عبد الرزاق وكلاهما تلميذ الشيخ ابى مدين رضى الله عنهم اجمعين بمصر فاطرق عبد الرحيم مليا ثم قال لعبد الرزاق يا اخى انى نظرت فى اللوح المحفوظ فرايت فيه حضور اجل رجل من الابدال فى بيت المقدس فى هذه الساعة وقد امرت ان احضر وفاته فقاما واتيا بيت المقدس فى وقتهما وحضرا موته ودفناه وعادا فى بقية يومهما الى مصر ثم قال الشيخ عبد الرحيم

للشيخ عبد الرزاق ان الله قد وهب مقام هذا البدل لشيخ فى سفينة فى النيل وقد امرت ان آتى به فذهبا الى شاطئ النيل فاذا السفينة تجرى فى الشاطئ الآخر فغرس الشيخ عبد الرحيم عصاه فى الارض فوقفت السفينة لا تذهب يمينا ولا شمالا فمر الشيخ عبد الرحيم على الماء حتى وقف عليها ونادى باسم الرجل فاجابه فلما قرب منه اخذ بيده ومشيا على الماء حتى وقف على الشاطئ ونزع الشيخ تلك العصا التى غرس فسارت السفينة ثم انطلق الشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الرزاق والرجل معهما حتى اتوا بيت المقدس بقية يومهما وصلوا بها المغرب وجلس الرجل فى مقام البيت ووهب الله له مثل حاله ومقامه فى الحين من غير مشقة مجاهدة فاين الشيخ الذى به الى هذه المرتبة المنيفة وصل والمربى الذى بتربيته بمقام البدلية اتصل واخوات هذه الحكاية لا تكاد تحصى كثرة ومقام الشيخ بمقتضى ما ذكرناه مقام ذى حظوة واثرة

فهذا نقصه قد عاد لمـــا   تبدى الحق اكسير الكمال
ولاح من الحقائق بدر تم   فعاد الشين سرا فى الجمال

واما كونه فى زعم المنكر لايربى فقدره على هذه الملاحظة يربى قال الشيخ عدى بن مسافر رضى الله عنه الشيخ من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه وهذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه وقال ابن عطاء الله رحمه الله ليس الرجل من يربيك لفظه انما الرجل من يربيك لحظه وقال عن شيخه ابى العباس المرسى رضى الله عنه اذا كانت السلحفاة تربى افراخها بالنظر فما يربى الشيخ مريديه بالنظر قال لان السلحفة تبيض فى البر وتتوجه الى جانب النهر لتنظر الى بيضها فيربيها الله تعلى لها بنظرها اليها فانظر الى شرف تربية لا يصحبها تعليم وسر هداية لا يلحق المريد فيها من وهج المجاهدة اليم وانما هى غنيمة باردة وهدية من اقليم محض الفضل وارادة وهذه والله اعلم طريقة الشيخ رضى الله عنه مع المريد السالك وهى عندى فى معنى ايصاله الطف

المسالك واليك النظر فيمن انطوت على هذا حقيقته واستندت اليه فى غالب امره طريقته هل يوجب له ذلك نقصا عن رتب الكمال او يقصر به عن درجة من الى طرق القوم امال او هو ممن بعد شاوا فى مقامات الرجال وترقى الى الحضرة بسره وفى الملكوت جال على انه رضى الله عنه كثيرا ما يشير بما يفهم منه المريد مراده ويذكره اعماله الصالحة واوراده وعلى التنزل مع المنكر فى جعله رضى الله عنه غير مرب لاحد من مريديه لا يلتحق نقص بكماله ولا يتعلق شين بصورة جماله اذ لا يلزم من سلب وصف التربية عن الولى نقص درجته ولا انحطاطه عن مكين مكانته فقد ذكر الامام الغزالى فى كتاب تجريد التوحيد له ان الاولياء على قسمين منهم المتصرف وغير المتصرف ثم اورد سؤالا على القسم الثانى فقال فان قيل كيف يكون وليا وليس له ولاية التصريف قيل يجوز ان يكون وليا على معنى ان الله تعلى قد تولى جميع اموره وهذا الولي ولي بالفعل ان سمع فبالحق سمع وان ابصر فبالحق ابصر وان نطق فبالحق نطق فهو فى عالم المحبوبية واليه الاشارة بقوله كنت له سمعا وبصرا الخبر ثم قال اثر هذا وهذا الولى لا يصلح ان يكون مربيا للخلق لانه فى قبضة الحق مسلوب الاختيار ومن كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يصلح ان يكون مربيا للخلق لان التصرف فى غيره يستدعى ولاية التصرف فى نفسه الا ترى فى عرف الشرع ان من ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره ومن لا فلا وهذا الولى مجذوب فى نفسه مسلوب الاختيار والمجذوب فى قبضة الحق بمنزلة الصبى الرضيع تتصرف فيه يد القدرة كتصرف والدة الصبى فى ولدها فهو فى تربية المحبوبية يرضع بلبن كرم الربوبية وهم اطفال قهرنا فى حجر تربية ارادتنا يرضعون بلبن كرمنا فانظر هل اخرج هذا الولى عدم صلاحيته للتربية عن وصف الولاية او اخره ذلك عن رتب اهل العناية نعم انتظم بذلك فى سلك من احبه مولاه ومن خزائن مواهبه الجليلة اولاه

فقل للجهول وقد عـابه تنبه فانت محل الذهول
جعلت كمال الفتى نقصه بجهلك والامر امر مهـول

ومما يتمسك به ايضا المنكر الطاعن وينكره عليه المقيم فى وطن التسليم والطاعن ما يبدو منه رضى الله عنه فى بعض شطحاته من الكلام الذى هو بظاهره معلول وعن مقتضاه ذلك مصروف لافهام القول بالحلول وتلك داهية من قديم الزمان دهيا وعظيمة افصح لسان الشريعة زجرا عنها ونهيا فمن ذلك قوله الرب وانا الطـالب الغالب الى غير ذلك مما هو من هـذه الالفاظ للحيرة جالب لكن يجب حسن التاويل لمن صحت استقامته وثبتت فى رياض رياضة الاولياء اقامته هذا الامام السهروردى رضى الله عنه يقول وما يحكى عن ابى يزيد من قوله سبحانى حاشا ان يعتقد فى ابى يزيد انه يقول ذلك الّا على معنى الحكاية عن الله تعلى قال وهكذا ينبغى ان يعتقد فى الحلاج فى قوله انا الحق قال ولو علمنا انه ذكر ذلك القول مضمرا لشىء من الحلول رددناه وقد اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعلى به وما لا يجوز والله تعلى منزه ان يحل به شىء او يحل بشىء **قلت** فكذلك ينبغى لنا ان نعتقد فى الشيخ رضى الله عنه انه انما قال ذلك على معنى الحكاية عن ربه عـز وجـل ولا محذور فى ذلك بتاويل صدوره على معنى الحكاية بـل فى هـذا التـاويل الحسن للطاعنين اعظم نكاية واما تاويل ارادة احـد المحامل اللغوية فـغير مخلص لعدم الافهام مع زيادة محذور اطلاق ما فيه مع الافهام ايهـام وقد رايت ان اثبت ههنا من حكايات الحلاج مـا يوذن بعلـو مراقبه وشماخة قـدره السامى وفخامة مناقبه فالنـاس فى امره رضى الله عنه مـا بـين تبعيد وتقريب وتشريق فى مطالع احواله وتغريب قـال ابن عطـاء الله رضى الله عنه فى كتاب الانوار له قال ضمرة السماك قال دخلت على الحلاج فى حانوت قطـان وكان له شغـل فكلف صاحب الحانوت بقضاء شغله

وكان

وكان لصاحب الحانوت فيها قطن فقال له اذهب فى حاجتى وانا اعينك على عملك فذهب الرجل فى حاجته فلما رجع راى كل ما فى حانوته من القطن محلوجا وكان القطن مائتين واربعين قنطارا فسمى من ذلك اليوم الحلاج قال وقال ابو عمران موسى سمعت بعض البصريين يقول كنت شديد الانكار على الحلاج فمرض لى اخ وقد اشرف على الموت فجئته وقلت له ادع له فضحك وقال لى على شرط انك لا ترجع على انكارك علي بل تزيد وتعين على قتلى قال فبقيت باهتا فقال لا تنظر الي اقبل الشرط فقلت نعم فصب شيئا من الماء فى صحفة وبصق عليه وقال مر واجعل هذا الماء فى فيه فمضيت وفعلت ما امرنى به فقام الاخ فى الحال كانه لم يمرض فاخذته واتيت به الى منزل الحلاج فلما رآنا ضحك وقال لو القى مما فى قلبى ذرة على جبال الارض لذابت ولو كنت يوم القيامة فى النار لاحرقت النار ولو دخلت الجنة لانهدم بنيانها قال ودعاه ابن هارون لداره وكان لابن هارون ولد مريض قد اشرف على الموت فقال للحلاج ولدى مريض قد اشرف على الموت فادع له قال شفيته فلا تخف فقام الولد ودخل عليهم فى المجلس كانه لم يمرض قط فعمد ابن هارون الى كيس فيه ثلاثة آلاف دينار فقال للحلاج اصرف هذا يا شيخ فيما تريد وكان المجلس على الدجلة فاخذ الحلاج الكيس ورمى به فى الماء ثم خرج قال ابن هارون فبقيت افكر فيما اعطيت للحلاج ودخلنى الندم لما رمى به فى الماء فنقر الباب فقير من فقرائه وقال الشيخ يسلم عليك ويقول لك خذ الكيس ولا تندم من اطاع الله اطاعه البر والبحر وقال عن ابراهيم بن سمعان رايت الحلاج فى جامع المنصور وكنت قد اخذت فى حزامى دينارين ونويت اخراجهما فى غير طاعة الله فسال سائل فقال الحلاج يا بن سمعان تصدق عليه بما اخذته فى حزامك فتحيرت فى امره فقال لى لا تتحير تصدق بهما فهو خير لك مما نويت قال ويحكى انه لما دخل مكة اول سنة جلس فى صحن المسجد الحرام ولم يبرح من موضعه وكان يحمل

اليه كل عشية كوز ماء وقرص من اقراص مكة وعند الصباح يرى الكوز والقرص عند راسه وقد عض منه ثلاث عضات او اربع عضات وقال عن احمد بن كوكب الواسطى انه قال صحبت الحلاج سبع سنين ما رايته ذاق من الادام سوى الملح والخل ولم يكن عليه غير مرقعة واحدة وكلما فتح عليه بشئ قبله واخرجه ولم اره ينام من الليل الّا ساعة واحدة وكان فى ابتدائه اذا اهل رمضان لا يفطر الّا يوم العيد وعليه ثياب سود ويقول هذا لباس من يرد الله عليه عمله وكان يختم القرآن فى كل ليلة بركعتين وقال روى عن الشيخ ابى عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى انه قال دخلت على الحلاج وهو محبوس فى السجن فسلمت عليه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ابن خفيف ثم دخلت عليه مرة اخرى فقال يابن خفيف الى خمسة عشر يوما يكون من امرى كذا وكذا ثم قام وتوضا للصلاة وكان فى الحبس حبل ممدود عليه خرقة فكان بينه وبينها اكثر من اربعين ذراعا فرايت الخرقة فى يده ينشف بها وجهه فلا ادرى اطارت الخرقة اليه ام مد يده اليها ولحقها فعجبت من ذلك وبقيت شاخصا فاشار بيده اليمنى الى الحائط فاذا به قد انفرج ورايت الدجلة والناس قيام على الشاطئ فقلت له اريد رمانا فمد يده فاذا شجرة رمان فقطفت منها عشر رمانات ثم قال لها اذهبى فذهبت فبقيت باهتا متفكرا فقلت له يا سيدى ما هذا قال خشخاشة العب بها كيف شئت ولا اقنع بحال دون مجالسته فلما فرغت الخمسة عشر يوما دعا به الامير فقطع يديه ورجليه الى افخاذه وامر بصلبه وذكر عن ابراهيم بن فاتك انه قال لما حبس الحلاج ببغداد جاء السجان اليه وقيده وجعل فى رقبته سلسلة وادخله بيتا ضيقا فقال له الحلاج لم فعلت بى هذا قال له كذا امرت قال فالآن امنت منى قال نعم فتحرك الحلاج فتناثر منه الحديد جميعه واشار الى الحائط فانفتح منه باب فقال للسجان ما تقول اخرج ام لا فقال له السجان يا شيخ انت اعلم ثم ضربت عنقه رحمة الله عليه وبقى

جسده

جسده ساعتين من النهار قائما وراسه بين يديه يتكلم بكلام لا يفهم الّا
ان آخر كلامه احد احد فتقدمت اليه فاذا الدم الذى يجرى على الارض
مكتوب الله الله ثم احرق بالنار واذرى رماده من على صومعة قال وروى
انه صلب فبقى ثلاثة ايام لم يمت فانزلوه وفتشوه فاذا فى جيبه رقعة
مكتوبة بخط فيها آية الكرسى وبعدها اللهم الف فى قلبى رضاك واقطع
رجائى عمن سواك واغنى باسمك الاعظم واغننى بالحلال عن الحرام واعطنى
ما لاينبغى لاحد غيرى بحم عسق وامتنى شهيدا بكهيعص فاخذت الرقعة
وضربت عنقه فسقط دمه على الارض مكتوبا الله الله فى خمسة وثلاثين
موضعا قال وقال ابو العباس احمد الرازى كان اخى خادما للحلاج فسمعته
يقول لما كان اليوم الذى قتل فيه الحلاج اخرج من السجن يتبختر فى
قيوده وكان قد قيد من كعبيه الى ركبتيه ثلاثة عشر قيدا وكان يصلى مع هذا
فى كل يوم وليلة الف ركعة وذكر عن ابراهيم بن فاتك انه قال اتى
بالحلاج ليصلب فراى الخشبة والمسامير فضحك ضحكا شديدا حتى دمعت
عيناه فصلى ركعتين قرا فى الاولى بفاتحة الكتاب وكل نفس ذائقة الموت
الآية وقرا فى الثانية بفاتحة الكتاب ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع
ونقص من الاموال والانفس والثمرات الآية فلما سلم قال اللهم ارزقنى شكر
هذه النعمة التى انعمت على حتى غيبت بصر اغيارى كما كشفت لى عن
مطالع اسرار وجهك الذى لا صورة له وحرمت لغيرى ما ابحت لى من
النظر فى مكنونات سرك وهولاء عبادك قد اجتمعوا لقتلى تعصبا لدينك
وتقربا اليك فاغفر لهم فانك لو كشفت لهم ما كشفت لى ما فعلوا ما فعلوا
ولو سترت عنى ما سترت عنهم لما ابتليت بهذه البلية فلك الحمد فيما تريد
ولك الحمد فيما تفعل فقيل له يا ابن منصور تقول انا الحق فقال انا
الحق فى محبته وهو الحق فى مملكته قال وروى انه لما رفع على الخشبة
صاح وخطى فى الهواء خطوات خرجت المسامير عنه وبقى متعلقا بالقدرة
ثم عاد الى الخشبة فانقفلت المسامير عليه قال وكان يوم النيروز بنهاوند

فسمع صوت البوق واللعب فقال ما الخبر قلت يا شيخ البوق واللعب لاجل النيروز فتاوه وقال متى نيروزنا فقلت متى يا شيخ فقال يوم اصلب فلما كان يوم صلبه بعد ثلاث عشرة سنة نظر الي من راس الخشبة وقال لى هذا نيروزنا فقلت له ياشيخ قد اتحفت قال نعم اتحفت بالكشف واليقين وانا مما اتحفت به اخجل غير انى تعجلت الفرح وفى هذا القدر من التعريف ما يوقف الناظر على علو قدره ويبدى له فى ظلام ليل الجهالة انارة بدره فلنرجع الآن الى وصل حبل الكلام بما اسلفناه وتلافى اكمال الغرض الذى خلفناه وقد كنا هجرنا موصول الاعذار عند حديث الحلاج وابى يزيد والآن آن ان نردف محل العذر عن شيخنا الكامل ببعض مزيد كنت رايت الشيخ رضى الله عنه فى النوم ليلة يوم كتبى كلام الامام السهروردى رضى الله عنه فى التماس المخرج لابى يزيد فى قوله سبحانى وللحلاج فى قوله انا الحق وكانه رضى الله عنه يتحدث فى علم الظاهر فافتى فى واقعة بما انكره عليه بعض الحاضرين فقال للمنكر وقد لج فى انكاره اسال عن هذا الحكم اهل العلم ثم جعل يلتفت فرآنى فقال له ها هو ذا فاساله واشار الي فسالنى ذلك المنكر وكانه صغير فى سن من يناهز الحلم فوافقت الشيخ فيما افتى به فلم يقنعه ذلك منى وقال انما اردت موافقة الشيخ رضى الله عنه فاخذت ابحث معه فى ابداء وجه الحق فيما وافقت الشيخ فيه فقال رضى الله عنه وقد طال البحث فيما بينى وبين المنكر الحاصل انى فى ذلك على مذهب ابى يزيد البسطامى فاوقع الله فى قلبى حينئذ لقرب العهد بكتب هذه المسالة انه انما قال ذلك رضا منه رضى الله عنه بتاويل الامام السهروردى المذكور وان مذهبه فى ذلك مذهب ابى يزيد رضى الله تعلى عن الجميع ومن ذلك القبيل الذى انكروه وفى مساق التشنيع عليه ذكروه ما يحكى انه رضى الله عنه امعن النظر يوما فى جو السماء ثم قال وقد راى طائرا يقال له ابو عميرة لم يره الحاضرون ابو عميرة هو والله فارجف بذلك المرجفون وتعلى الله عما يصفون وجوابهم ان الشيخ

رضى

رضى الله عنه نظر الى السماء فراى ذلك الطائر يخترق الجو فوقع التردد عنه
فى كونه هو ذلك الطائر او غيره من سائر الطيور ثم جزم بكونه الطائر المذكور
فقال ابو عميرة هو والله غير مفصح بفتحة واو هو واقسم على ذلك فتكون الواو
واو القسم وهى ثانية عن التى فى الضمير وذلك جار على مقتضى تخاطب
العامة الذى لا يتكلم الشيخ فيما نعلمه الّا بعرفهم فى ذلك فظن السامع
لعدم التصريح بالواوين معا انه لم يذكر واو القسم وان الواو المذكورة واو
الضمير لا غير وان الاسم الكريم خبر لهو وهو وخبره خبر ابو عميرة فجعل يقعد
فى ذلك ويقيم وآفته لو كان يعلم من الفهم السقيم وذكر لى من اثق به من
الفضلاء ان الشيخ الامام حجة الاسلام ابا العباس احمد الفلجانى نور الله
ضريحه وتلقى بالرضا والرضوان روحه قد اعتذر عن هذا وقد استفتى فيه بما
هو قريب مما ذكرناه وغير بعيد مما بسطنا القول فيه وقررناه قال واظهر الاعراض
عن السائل واشغل الوقت بما هو فيه من المسائل فهذه جملة امور جارية
على نسق واحد فى التخريب ابدى عنها ترجمان اجابتنا من الاعذار ما فيه
للسالك والمريد تدريب وللقوم رضى الله عنهم بحسب واردات احوالهم ابعاد
فى ذلك وتقريب وقد اسلفنا ان المخربين لا يحصى عددهم كثرة وان ذلك
حال له عند اهل الحقيقة حظوة وائرة قال الامام السهروردى رضى الله عنه
فى بعض كلامه الرائق وخطابه الذى هو بتخطيب هذا المقام لائق قد يسوق
الله تعلى الى بعض عباده صورا دنياوية يريد منهم التلبس بها فمتى هموا
بتخريبها بمقتضى دلالة العلم الصريح وابقاء حق الزهادة والتحقق بحقيقة
التجريد ظاهرا كما هم متحققون به باطنا لنزاهة قلوبهم عن الالتفات اليها منعهم
الحق سبحانه وتعلى عما هموا به من رفعها ولم يمكنهم من تخريبها لتكون
تلك الصورة عوذة معلقة عليهم يدفع منهم بها اعين الاغيار ويحجبهم بها عن
الابصار غيرة منه سبحانه عليهم اذ هم ضنائنه من بريته وخصائصه من
خلقه كى لا يفطنوا لهم او يطلعوا عليهم اما ابناء الدنيا فلتابسهم بملابس دنياهم
واما ابناء الآخرة فلمباينة صور احوالهم سمة الفقر وظاهر الزهد ثم انشد

تستدفع الاعين عن حسنها لعوذة من سوء افعالهـا

فهذه اشارة منه رضى الله عنه الى نوع من التخريب يدل على ختامه مبداه ويقضى بشرف المتصف به ما اظهره فى ذلك لسان طله وابداه لكن قد يقال اذا كانت الوية المخربين عندك منصورة وكثرتهم لديك كما قد زعمت غير محصورة وفى الناس لا محالة المبطل والحق والصادق فى دعواه والمدعى غير ما يستحق فمن اين يعلم من صدق ممن مان وهل لكل احد من حاله ترجمان فاعلم ولا فرق فى هذه العلوم بين مالكى المذهب او شافعى ان هذه الشبهة العارضة قد صرف عنك وسواسها الامام اليافعى فقال وقد احسن واجاد وبلغ رتبة الافادة وزاد اهل الوله والتخريب كثير لا ينحصر عددهم ولا تحصى كراماتهم ومجدهم ولكن قد يتشبه بهم من ليس منهم ويدخل نفسه بالتزوير معهم من هو خارج عنهم اذ لم يزل فى الناس الكاذب والصادق والطائع والفاسق والصديق والزنديق وذلك يودى الى الالتباس لاختلاف ذلك باختلاف احوال النـاس فكيف يعتقد من لا تعلم له حقيقة ولا يدرى كذبه من صدقه فى النسبة الى الطريق ثم قال فى الجواب عن ذلك وقد سلك له انهج المسالك اعلم وفقك الله واياى لاحمد الطريقين وجعلنا جميعا من خير الفريقين الذين قال فيهم الحكيم الخبير فريق فى الجنة وفريق فى السعير ان حسن الظن بالمسلمين فضلا عن الصالحين باب كبير من ابواب الخير والنفع فى الجلب والدفع اعنى جلب المحاب المحمودة ودفع المكروهات المذمومة فى الحياة والمماة وذلك مشهور معروف عند كل من هو بالخير موصوف ولكن لا يمكننا ان نطلق القول باعتقاد كل احد بل لا بد من التفصيل لما تقدم من وقوع الالتباس ثم التفصيل فى ذلك فيه صعوبة وغموض اذ لا يطلع على بواطن الخلق إلّا الخالق سبحانه او من اطلعه على ذلك ولكنى اقول فى ذلك بحسب ما ظهر لى وانشرح للقول به صدرى راغبا الى الله تعالى فى التوفيق الى الصواب ومستعينا به ومفوضا اليه امرى وراجعا فى ذلك اليه ومعتمدا فيما اقصده عليه ومتبرئا من

الحول

الحول والقوة الّا به فى كل واضح ومشتبه وهو حسبى ونعم الوكيل فاقول
وبالله التوفيق الناس على قسمين معتقِد بكسر القاف ومعتقَد بفتحها والقسم
الاول اى المعتقد بكسر القاف على قسمين ايضا ناظر بنور الله تعلى وغير
ناظر به والقسم الثانى من التقسيم الاول اى المعتقد بفتح القاف على
قسمين ايضا مرتكب منكر فى ظاهر الشرع مصر عليه عالم به وغير
مرتكب لذلك كذلك القسم الاول من التقسيم الاول المعتقد الناظر بنور
الله تعلى فهذا القسم حاكم غير محكوم عليه فى اعتقاده لانه عارف بمن
يعتقد وبمن لا يعتقد كما عرفه الله تعلى بمنه وفضله والقسم الثانى منه
المعتقد من غير نور ينظر به كامثالنا نسال الله تعلى ان يتكرم علينا بجاه
الكرام عنده والكلام فى هذا القسم يختلف حكمه باختلاف حكم القسم الثانى
وهو المعتقد بفتح القاف فالقسم الثانى منه وهو غير المرتكب للمنكر المذكور
يحسن الظن به والقسم الاول منه وهو مرتكب المنكر المذكور على ثلاثة
اقسام الاول منها من يعتقده العارفون المعروفون بالنور والعلم الباطن فهذا
يعتقده مثلهم الثانى منها من لا يعتقده المذكورون فهذا لا يعتقد لوجهين
احدهما ارتكابه المنكر المذكور والآخر لموافقة العارفين المذكورين فى عدم
اعتقاده الثالث من الاقسام الثلاثة من لا نعلم هل يعتقدونه ام لا فهذا
على قسمين الاول منهما من لايظهر منه شئ من خوارق العادة فهذا
يساء به الظن لاصراره على المنكر المذكور مع عدم معارضة كرامة او اعتقاد
المذكورين والثانى منهما من ظهر منه شئ من ذلك فهذا على ثلاثة
اقسام الاول منها من يكون معروفا بالديانة والطاعة والعبادة معرفة موجبة
لظن موكد مستند الى طول خلطة او غير ذلك من الاسباب الموجبة
للظن القوى فهذا نعتقده لاجتماع الكرامة والدين ونقول ما نسب اليه
من المنكر المذكور يحتمل ان يكون له مخرج عنه بامر باطن خفى عنا
كما كان للخضر مع موسى عليهما السلام والقسم الثانى من الثلاثة من
يكون معروفا بالفسق او السحر او الكهانة فهذا يساء الظن به ويقدح فيه

وينكر عليه لانتفاء الدين والكرامة عنه جميعا لان هذا الذى اظهره ليس بكرامة بل سحر او كهانة يظهران على يد كل ولى للشيطان نعوذ بالله منه والكرامة تظهر على يد كل ولى للرحمن تبارك وتعلى وليس الساحر والكاهن من الدين فى شئ وقد يكون بعض السحر كفرا وكذا المنجم المعتقد ان الطبائع موثرة بذاتها كافران نسال الله الكريم العافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا وللمسلمين والقسم الثالث من الاقسام الثلاثة من يكون مجهول الحال فيما ذكرنا من الديانة مع ظهور الخارق والمنكر المذكورين منه فهذا نتوقف فيه ونمعن النظر ونختبره ونجربه ونبحث عنه فى الاقوال والافعال والاعمال والاحوال لاجل تعارض فضيلة ورذيلة اعنى الخارق المحتمل الكرامة والمنكر المقتضى للملامة ويلزم معه الادب فى البحث والاختبار والمجالسة فان ظهر لنا ما يقتضى الحاقه بحكم احد القسمين اللذين قبله الحقناه بحكمه وعاملناه بمقتضاه وان لم يظهر لنا منه شئ نظرنا فى المنكر الذى هو ملابسه وهو على قسمين فاحش وغير فاحش فان كان فاحشا تباعدنا عنه الى ان يظهر لنا ما يقتضى القرب منه لانا على يقين من المنكر فى الظاهر والكرامة يكشف فيها فى الظاهر والباطن وان كان غير فاحش قربنا منه الى ان يظهر لنا ما يقتضى البعد عنه لان الكرامة محتملة وتحسين الظن بالمسلمين مندوب اليه واما المنكر اليسير فلا يكاد يسلم منه إلّا القليل ووجود الطيب الخالص عزيز جدا قال فهذه عشرة اقسام ثابتة بعد اسقاط ما تكرر منها وقد بقى قسم آخر وهو كل مجهول حال ظهر منه خارق للعادة من غير ظهور منكر منه فهذا يحسن الظن به ما لم يظهر لنا ما يقدح فيه وكل من تعارض فيه موجبا مدح وقدح ولم يترجح احدهما وشككنا فيه وخفى عنا حاله توقفنا فيه ولم نحكم فيه بصلاح ولا طلاح ولا مدح ولا قدح ولا اعتقاد ولا انتقاد بل نكل امره الى العليم الخبير الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال هذا ما ظهر لى من الجواب والله الموفق للصواب ثم انه رضى الله عنه قال بعد هذا الذى ذكرته فى

المجهول

المجهول الحال انما قلته على جهة الاحتياط والّا فليس يخفى الولى الصديق والصالح الصادق من الساحر الزنديق والكاهن الفاسق بل يعرف هذا من هذا بادنى مخالطة بل بمجرد الروية فليس سمة المقربين والابرار كسمة الزنادقة والفجار وهذا يعرف بالروية وليست الآداب كالآداب ولا البركات كالبركات ولا السكون كالسكون ولا الحركات كالحركات وهذا يعرف بالمخالطة فلو لبس الخبيث بكل ممكن فى الظاهر فلابد ان يترشح من باطنه ما يميز بين رشح نتنه الخبيث وبين رشح طيبه الطيب فذاك يفوح من باطنه مسك الطاعة فيجزى جليسه كحامل مسك العطار

يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى اليكم تلقى طيبكم فيطيب

ولو لبست الشوهاء بكل عال وغال من حلى وحلل لبست لم تشبه الحسناء وان كانت عن الحلى والحلل قد تعطلت اين تمويه السراب من المورد العذب الشراب واين ظاهر القشر من باطن اللباب كل ذلك يعرف ببديهة العقول وفى هذا المعنى اقول

لعمرك ما شوها بحلى تزينت كحسنا وان كانت عن الحلى عاطله
اذا ما ادعت حسنا وتزوير حليها شهود فدعوى صاحب الزور باطله

ثم قال وهذا التفصيل والتقسيم الذى ذكرته فيمن يعتقد و يعتقد بكسر القاف فى الاول وفتحها فى الثانى لا اعلم احدا ذكره ولكنى اظن ان كل موفق يحسن الظن بالفقراء من الفقهاء وغيرهم من اهل الرشاد يوافقنى على ما ذكرته فى الاعتقاد اللهم إلّا اهل مذهب معروف بالتجسيم فى بعض البلاد فانه لا مطمع لنا فى موافقتهم فانهم لم يزالوا يطعنون فى الاولياء والصالحين من الصوفية ومن الايمة والعلماء الذين خالفوا بصحيح اعتقادهم باطل اعتقاد الحشوية كالامام ابى حامد الغزالى والامام محيى الدين النووى رضى الله عنهما ونفع بهما وغيرهما ممن لا يحصى عددهم من العلماء المحققين والنظار المدققين قال ولم يزل الطاعنون المذكورون يتربصون ظهور ما يعدونه زللا ليشهروه

فرصة يتخذونها ذريعة الى بلوغ الاغراض فى التكفير ومــا قدروا عليه من ثلب الاعراض ولو قدروا على عقوبة لبادروا اليها لا اقدرهم الله عليها حتى انهم ليأتون الى كلام فيه نوع استعارة او مجاز او ضرب من البلاغة او غير ذلك مما يقع فى الكلام الفصيح ويكسوه رونق معنى مليح ويعده اهل الفضل فى العلوم فضلا الذين لم يزالوا لمعرفة انواع البلاغة وتحقيق العلوم اهلا فيجعلونه هم كفرا وبدعة وجهلا قال وكل من راوه منعزلا عن الناس او متجردا مما عليه من اللباس او حافيا او حاسر الراس او غير ذلك من هيآت الرافضين للدنيا الاكياس قالوا هذا خارج عن الكتاب والسنة والاجماع والقياس كانهم لم يسمعوا قوله تعلى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وغيرها من الآيات الكريمة الواردة فى فضل الفقراء وذم الدنيا والهوى وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه فى كتاب الانوار له قالت فاطمة الاصبهانية العالم اذا لم تساعده ايدى العناية فهو فى غرور وغواية محجوب بالفتاوى والرواية يحسب انه فى غاية النهاية كلما هام قلبه المعنى قال هذا خارج من الشرع بجهله ولم يدر انه ليس من اهله هيهات يا مسكين ما فى الوجود من خرج من شرعه ذرة ولا كانت له هذه قدرة انت فى باب الحقائق الى الكفر اقرب من الاسلام والى الشرك ادنى من التوحيد والالتزام ولكن من لطفه بالعباد اوقف كل عبد منا على مقامه فهو به مسرور فى الغيبة والحضور كل حزب بما لديهم فرحون قل كل يعمل على شاكلته وكل ينطق على قدر علمه ومعرفته وعلمناه من لدنا علما وقال رضى الله عنه فى انواره فاياك يا اخى ان تحكم بالظاهر ولا تعترض على احد بقوله فقد يكون تلبيسا عليك وعلى غيرك ليخفى امره بين الناس حتى لا يعلم احد بحاله ومقامه ولكن لما خالفتم بالمخالفة الاحسان وكدرتم بالخطايا صفو الايمان وهدمتم اركان الطاعة بالعصيان انكرتم على اهل المشاهدة والايقان **قلت** ولو اتفق ان بعض علماء الاقتداء رضى الله عنهم فى وقت من الاوقات اظهر النكير على احد مشايخ

وقته

وقته لظاهر تخريبه لم يكن ذلك لسواه من سائر الناس فان من به الاقتداء
يلزمه حفظ ظاهر الشريعة وقد ذكر اليافعي رحمه الله في كتاب الارشاد
والتطريز له ان بعض اكابر الشيوخ العارفين رضي الله عنهم كان يقرا عليه
بعض اصحابه كلام بن عربي ويشرحه لهم فلما حضرته الوفاة نهاهم عن
مطالعة كلام بن عربي وقال انتم ما تفهمون مراده ومعاني كلامه قال وحدثني
غير واحد من المشهورين بالصلاح والفضل والدين والعدالة من اهل الشام
ومن اهل مصر ان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه كان يطعن
في ابن عربي ويقول هو زنديق فقال له يوما بعض اصحابه اريد ان
تريني القطب او قال وليا فاشار له الى بن عربي وقال هذاك هو فقيل له
فانت تطعن فيه فقال حتى اصون ظاهر الشرع اوكما قال رضي الله عنه
ثم قال اليافعي رضي الله عنه متصلا بالكلام السابق والعجب من قوم
يطعنون في الصوفية السادة كبارهم وصغارهم كيف عموا عن روية محاسنهم
الزاهرة وانوارهم الباهرة وتزينوا بثلب برى اعراضهم الطاهرة ولم يقفوا على
اغراضهم الظاهرة وصموا عن سماع علومهم البحار الزاخرة ومعارفهم العوالي
الفاخرة **قلت** فههنا انتهى من هذا الفصل خطابه الوسيم وبيانه
الذي اجاد به احكام السبر والتقسيم وقد عمت بلاغته في ذلك
الصدور والاعجاز وكاد رونق وشي طروسه يكتسي مطارف الاعجاز مع ما
في ضمن ذلك من كفاح عن هذه الطائفة الجليلة ودفاع وايضاح لطريقة
يمتاز بها الغث من السمين على وجه يحصل الانتفاع فجازاه الله على ذلك
احسن الجزاء وانا له مما يرجوه من المثوبة اوفر الاجزاء انه ولي ذلك
والمرشد اليه والمجازي بعميم احسانه عليه فانت اذا امعنت النظر في
اقسام طريقته وتعرفت مما اسلفناه ما يشير الى احوال الشيخ وحقيقته
وجدته رضي الله عنه ممن يجب ان يثبت صدرا في ديوان الاكابر
ويضيق باعتقاده الحسن لثبوت موجبه صدر المكابر ويعلم المتعرض للاعتراض
ما فاته ان لم تكن الى رشده منه التفاته وفي هذا القدر مع سابقة

التوفيق ما يثلج الصدور ويطلع اهلة الآمال فى كمال البدور ويبيض من اوجه مقاصدك المبتغاة كل حالك ويوصل سفينة نجاتك الى بر البر المومل بارتحالك ويصرف عنك فى امر الشيخ رضى الله عنه وسواسك ويظهر بين يدى رائد يقينك فى ليل الحيرة نبراسك فلنجعله من هذا الباب خاتمة العمل ونهاية القصد ومنتهى السول والامل

* الباب الثالث فى ذكر مناقبه الجليله * * وكراماته التى هى باثبات ولايته كفيله *

وانما اخرنا العمل من هذا الباب وهو اول الفكرة واهم ما قصدنا اثباته وذكره لعلمنا بان مناقبة الجليلة لا تعد ولا ترسم حقائقها لاتساع المجال ولا تحد ومن المومل ان ساعدت الاقدار وحصل حظ وافر منها ومقدار ان نشفع ان شاء الله هذا السفر باخيه ونردفه بما يناسب هذا الباب ويواخيه فتحصل بين السابق واللاحق المناسبة وينتظم الشئ مقرونا بما ناسبه ثم من النظر قبل ان نحكم من عقد الباب ابرامه ان نذكر ما يحسن ذكره من احكام الكرامة فان ذلك مما يونس ذكره المطالع ويطلع اقمار عرائس المناقب من اسعد المطالع قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه ظهور الكرامات على الاولياء جائز والدليل على جوازه انه امر موهوم حدوثه فى العقل لا يودى حصوله الى دفع اصل من الاصول فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على ايجاده واذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شئ يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه فى احواله فمن لم يكن صادق فظهور مثلها عليه لا يجوز والذى يدل عليه انه تعريف القديم سبحانه ايانا حتى نفرق بين من كان صادقا فى احواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال ولا يكون ذلك الّا باختصاص الولى بما لا يوجد مع المفترى فى دعواه وذلك الامر هو الكرامة التى اشرنا اليها ولا بد من ان تكون الكرامة فعلا ناقضا للعادة

فى

فى ايام التكليف ظاهرة على موصوف بالولاية فى معنى تصديقه فى حاله وتكلم الناس فى الفرق بين المعجزات والكرامات عند اهل الحق وكان الامام ابو اسحق الاسفراينى رحمه الله يقول المعجزات دلالة صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا للعالم فى كونه عالما لم يوجد ممن لا يكون عالما وكان يقول الاولياء لهم كرامات شبه اجابة الدعاء واما جنس ما هو معجزة للانبياء عليهم السلام فلا واما الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله فكان يقول المعجزات دلالات الصدق ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة تدل على صدقه فى مقالته وان اشار صاحبها الى الولاية دلت المعجزة على صدقه فى حالته فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وان كانت من جنس المعجزات للفرق وكان رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزات والكرامات ان الانبياء عليهم السلام مامورون باظهارها والاولياء يجب عليهم سترها واخفاوها والنبى يدعى ذلك ويقطع القول به والولى لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز ان يكون ذلك مكرا وقال اوحد وقته فى فنه القاضى الاشعرى رحمة الله عليه ان المعجزات تختص بالانبياء والكرامات تكون للاولياء ولا تكون للاولياء معجزة لان من شرط المعجزة اقتران دعوة النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وانما كانت معجزة لحصولها على اوصاف كثيرة فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة واحد تلك الشرائط دعوى النبوة والولى لا يدعى النبوة فالذى يظهر عليه لا يكون معجزة وهذا هو الذى نعتمده ونقول به فشرائط المعجزات كلها او اكثرها يوجد فى الكرامة إلّا هذا الشرط الواحد فالكرامة فعل لا محالة لان ما كان قديما لم يكن له اختصاص باحد وهو ناقض للعادة ويحصل فى زمان التكليف وتظهر على عبد تخصيصا له وتفضيلا وقد تحصل باختياره ودعائه وقد لا تحصل وقد تكون بغير اختياره فى بعض الاوقات ولم يومر الولى بدعاء الخلق الى نفسه ولو اظهر شئ من ذلك على من يكون اهلا له لجاز واختلف اهل الحق فى الولى هل يجوز ان يعلم

انه ولى ام لا فكان الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله يقول لا يجوز ذلك لانه يسلبه الخوف ويوجب له الامن وكان الاستاذ ابو على الدقاق رحمه الله يقول بجوازه وهو الذى نؤثره ونقول به وليس ذلك بواجب فى جميع الاولياء حتى يكون كل ولى يعلم انه ولى واجبا ولكن يجوز ان يعلم ذلك كما يجوز ان لا يعلم بعضهم فاذا علم بعضهم انه ولى كانت معرفته تلك كرامة له وانفرد بها وليس كل كرامة لولى يجب ان تكون تلك بعينها لجميع الاولياء بل لو لم تكن للولى كرامة ظاهرة عليه فى الدنيا لم يقدح عدمها فى كونه وليا بخلاف الانبياء فانه يجب ان تكون لهم معجزات لان النبى صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق فللناس حاجة الى معرفة صدقه ولا يعلم الّا بالمعجزة وبعكس ذلك حال الولى لانه ليس بواجب على الخلق ولا على الولى ايضا العلم بانه ولى والعشرة من الصحابة رضى الله عنهم صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبرهم به انهم من اهل الجنة وقول من قال لا يجوز ذلك لانه يخرجهم من الخوف فلا باس ان يخافوا تغير العاقبة والذى يجدونه فى قلوبهم من الهيبة والتعظيم والاجلال للحق سبحانه يزيد ويربى على كثير من الخوف قال واعلم انه ليس للولى مساكنة الى الكرامة التى تظهر عليه ولا له ملاحظة وربما يكون لهم فى ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم ان ذلك فعل الله تعلى فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد وعلى الجملة فالقول بجواز اظهارها على الاولياء واجب وعليه جمهور اهل المعرفة ولكثرة ما تواتر باجناسها الاخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الاولياء فى الجملة علما قويا تنتفى عنه الشكوك ومن توسط هذه الطريقة وتواتر عليه حكاياتهم واخبارهم لم تبق له شبهة فى ذلك على الجملة ومن هذه الجملة نص القرآن فى قصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وليس نبيا والاثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال يا سارية الجبل فى حال خطبته

يوم

يوم الجمعة وتبليغ صوت عمر الى سارية فى ذلك الوقت حتى تحرز من مكان العدو قال فان قيل كيف يجوز اظهار هذه الكرامات الزائدة فى المعانى على معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وهل يجوز تفضيل الاولياء على الانبياء عليهم السلام قيل هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم لان كل من ليس بصادق فى الاسلام لا تظهر عليه الكرامة فكل نبى ظهرت على واحد من امته كرامة فهو معدود فى جملة معجزاته اذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على من تابعه المعجزة فاما رتبة الاولياء فلا تبلغ رتبة الانبياء عليهم السلام للاجماع على ذلك وهذا ابو يزيد البسطامى سئل عن هذه المسالة فقال مثل ما حصل للانبياء عليهم السلام كمثل زق من عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل ما لجميع الاولياء وما فى الظرف مثل ما لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال وهذه الكرامات قد تكون اجابة دعوة وقد تكون اظهار طعام فى اوان الفاقة من غير سبب ظاهر او حضور ماء فى زمان عطش او تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة او تخليصا من عدو او سماع خطاب من هاتف او غير ذلك من فنون الافعال الناقضة للعادة قال واعلم ان كثيرا من المقدورات نعلم اليوم قطعا انه لا يجوز ان يظهر كرامة للاولياء وبضرورة او شبه ضرورة يعلم ذلك فمنها حصول انسان لا من ابوين وقلب انسان حمارا وامثال هذا كثير **قلت** وهذا الذى ذهب اليه الاستاذ رحمه الله هنا ضعيف والجمهور على خلافه وقد انكر ذلك عليه جماعة منهم ولده ابو نصر فى كتابه المرشد حيث قال وقال بعض الايمة ما وقع معجزة لنبى لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولى كقلب العصا حية واحياء الموتى والصحيح تجويز جملة خوارق العادات كرامة للاولياء قال وفى الارشاد لامام الحرمين مثله وفى شرح مسلم للامام النووى رحمه الله ادعى بعضهم ان الكرامة تختص بمثل اجابة دعوة ونحوه وهذا غلط من قائله وانكار للحس والصواب جريانها بقلب الاعيان ونحوه وحكى امام الحرمين والآمدى عن الاستاذ ابى اسحق مثل ما حكاه القشيرى هنا وان

كان العراقى فى شرحه لجمع الجوامع للسبكى ذكر عنه انه جعل مقالة القشيرى هنا قيدا حيث قال فى منع الموانع وبهذا يصح ان قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبى جاز ان يكون كرامة لولى ليس على وجهه وعمومه وان قول من قال لا تفارق المعجزة الكرامة إلّا بالتحدى ليس على وجهه وان الشارح قال هنالك وليس كما ظن بل هذا الذى قاله القشيرى مذهب ضعيف والجمهور على خلافه فان قيل فهل يكون الولى معصوما قيل اما وجوبا كما يقال فى الانبياء عليهم السلام فلا واما ان كان محفوظا حتى لا يصر على الذنوب وان حصلت هناك آفات او زلات فلا يمتنع ذلك فى وصفهم ولقد سئل الجنيد رحمه الله العارف يزنى يا ابا القاسم فاطرق مليا ثم قال وكان امر الله قدرا مقدورا قال فان قيل فهل يسقط الخوف من الاولياء قيل اما الغالب على الاكابر فالخوف وذلك الذى قلنا فيما تقدم على جهة الندرة غير ممتنع وهذا السرى السقطى يقول لو ان واحدا ادخل بستانا فيه اشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح السلام عليك يا ولى الله فلو لم يخف انه مكر لكان ممكورا وامثال هذا من حكاياتهم كثيرة قال فان قيل فهل تجوز روية الله تعلى بالابصار اليوم فى الدنيا على جهة الكرامة فالجواب عنه ان الاقوى فيه انه لا يجوز لحصول الاجماع عليه قال ولقد سمعت الاستاذ ابا بكر بن فورك رحمه الله يحكى عن ابى الحسن الاشعرى انه قال فى ذلك قولين فى كتاب الروية قال فان قيل فهل يجوز ان يكون وليا فى الحال ثم تتغير عاقبته قيل من جعل من شرط الولاية حسن الموافقة لا يجيز ذلك ومن قال انه فى الحال مومن على الحقيقة وان جاز ان يتغير حاله لا يبعد ان يكون وليا فى الحال صديقا ثم يتغير وهو الذى نختاره ويجوز ان يكون من جملة كرامات الولى ان يعلم انه مامون العاقبة وانه لا تتغير عاقبته فيلتحق هذه المسالة بما ذكرنا ان الولى يجوز ان يعلم انه ولى قال فان قيل فهل يزايل الولى خوف المكر قيل اذا كان مصطلما عن مشاهدة مختطفا عن احساسه بحاله فهو

مستهلك

مستهلك عنه فيما استولى عليه والخوف من صفات الحاضرين منهم قال فان قيل فما الغالب على الولى فى اوان صحوه قيل صدقه فى اداء حقوقه سبحانه ثم رفقه وشفقته على الخلق فى جميع احواله ثم انبساط رحمته لكافة الخلق وابتداوه لطلب الاحسان من الله سبحانه اليهم من غير التماس منهم وتعليق الهمة بنجاة الخلق وترك الانتقام منهم مع قصر اليد عن اموالهم وترك الطمع بكل وجه فيهم وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم والتصاون عن شهود مساويهم ولا يكون خصما لاحد فى الدنيا والآخرة ثم قال واعلم ان من اجل الكرامات التى تكون للاولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصى والمخالفات ومما يشهد من القرآن العظيم على اظهار الكرامات على الاولياء قوله تعلى فى صفة مريم عليها السلام ولم تكن نبيا ولا رسولا ان زكرياء على نبينا وعليه الصلاة والسلام كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا وكان يقول انى لك هذا فتقول مريم هو من عند الله وقوله تعلى لمريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان غير اوان الرطب وكذلك قصة اهل الكهف والاعاجيب التى ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك ومن ذلك قصة ذى القرنين وتمكينه سبحانه له ما لم يمكن لغيره ومن ذلك ما اظهر الله على يد الخضر عليه السلام من اقامة الجدار وغيره من الاعاجيب وما يعرفه مما خفى على موسى عليه السلام كل ذلك امور ناقضة للعادة اختص الخضر عليه السلام بها ولم يكن نبيا وانما كان وليا ثم انه رضى الله عنه عدد فى ذلك من الكرامات الخارقة للعادة فى الحديث والقديم ما يقف عليه من تطلع عليه هنالك وقال الشيخ ابن عطاء الله رضى الله عنه فى لطائف المنن لا خفاء ان ظهور الكرامات من الاولياء من الممكنات لانه لو لم يكن من الممكنات فاما ان يكون من الواجبات واما ان يكون من المستحيلات باطل ان يكون من المستحيلات فان المستحيل هو الذى لو قدر وجوده لزم منه محال عقلى ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلى وباطل

ان يكون جريان الكرامات على الاولياء وجوبا اذ الطائفة مجتمعة على انه قد يكون الولى وليا وان لم تخرق العادة له فتعين ان يكون من الجائزات وكل شئ كان من الجائزات فلا يحيله العقل وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز ان يكرم الله به اولياءه ثم ان هذه الكرامات قد تكون طيا الارض ومشيا على الماء وطيرانا فى الهواء واطلاعا على كوائن كانت وكوائن بعد لم تكن من غير طريق العادة وتكثير طعام او شراب او اتيان بثمرة فى غير ابانها او انباع ماء من غير حفر او تسخير الحيوانات العادية او اجابة دعوة باتيان مطر فى غير وقتة او صبر على الغذاء مدة تخرج عن طور العادة او اثمار الثمرة بشجرة يابسة ليس عادتها ان تكون مثمرة وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية وكرامات هى عند اهل الله افضل منها واجل وهى الكرامات المعنوية كالمعرفة بالله والخشية له ودوام المراقبة له والمسارعة لامتثال امره ونهيه والرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة والاستماع من الله سبحانه والفهم عنه ودوام الثقة به وصدق التوكل عليه الى غير ذلك وسمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول الطى على قسمين طى اصغر وطى اكبر فالطى الاصغر لعامة هذه الطريقة ان تطوى لهم الارض من مشرقها الى مغربها فى نفس واحد والطى الاكبر طى اوصاف النفوس قال وصدق رضى الله عنه فان طى الارض لو عجزك عنه وافقدك اياه ما نقص ذلك من رتبتك عنده اذا قمت له بالوفاء فى العبودية وطى اوصاف النفوس لو لم تقدم به عليه لكنت من المعتوهين وحشرت فى زمرة الغافلين وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن اعطيهما وجعل يشتاق الى غيرهما فهو مفتر كذاب او ذو خطا فى العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك والخدمة له على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها

مستدرج

مستدرج مغرور او ناقص او هالك مثبور ثم قال واعلم ان اطلاع اولياء الله على بعض الغيوب لا يحيله العقل وقد ورد به النقل قال ابو بكر رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها فى مرض موته وزوجته حامل انما هما اخواك واختاك وبطن خارجة اراها جارية فاخبر ان فى بطن امرأته جارية وكان كما قال رضى الله عنه وتقدم قول عمر رضى الله عنه ياسارية الجبل وسارية باقصى العراق وقول عثمان للداخل عليه وقد كان نظر الى محاسن امراة فى الطريق يدخل احدكم وآثار الزنى بادية فى وجهه واما علي ابن ابى طالب رضى الله عنه فجاء عنه فى هذا الباب العجب العجاب حتى انه ذكر الاخباريون انه ارجف بالكوفة ان معاوية قد مات فقال علي اذ ذاك والله ما مات ولن يموت حتى يملك ما تحت قدمى هاتين وانما اراد ابن هند ان يشيع ذلك حتى يستثير علي فيه فمن يومئذ كاتب اهل الكوفة معاوية رضى الله عنه وعلموا ان الامر صائر اليه قال وحكايات الاولياء فى كل زمن وقطر تتضمن ثبوت ذلك فما بلغ حد التواتر فلا يمكن جحده ثم انا ندلك رحمك الله على امر يسهل عليك التصديق بذلك وهو ان اطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجسمانيته ولا وجود صورته وانما هو بنور الحق فيه دليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله فكيف يستغرب ان يطلع مومن على غيب من غيوب الله تعلى بعد ان شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم انه انما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه وكذلك قوله فى الحديث المتقدم فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث الى آخره فاذا كان الحق سبحانه بصره فليس الاطلاع على الغيب عليه بمستغرب وفى بعض طرق الحديث فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومويدا ثم قال رضى الله عنه فان قلت فكيف يصنع بهذه الآية وهى قوله سبحانه عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا إلّا من ارتضى من رسول

فلم يستثن احدا إلّا الرسول فاعلم انى سمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول فى معناه او صديق او ولى فان قلت هذه زيادة على ما تضمنه الكتاب العزيز فاعلم انه اذا قيل ان السلطان لم ياذن اليوم إلّا للوزير وحده فربما دخل مماليك الوزير معه وكان الاذن لمتبوعهم اذنا لهم كذلك الولى اذا اطلعه الله على غيب من غيوبه فانما ذلك لانطوائه فى جاه النبوة وقيامه بصدق المتابعة فما راى ذلك بنفسه وانما رآه بنور متبوعه وايضا الآية تشير الى نفى اطلاع العباد على غيب الله إلّا من اطلعه الله وبين سبحانه سبب اطلاعه من اطلعه على غيب من غيوبه وان ذلك انما كان لانه مرتضى عنده بقوله إلّا من ارتضى وقوله من رسول خص الرسول بالذكر ولم يذكر النبى ولا الصديق ولا الولى وان كان كل منهم ممن ارتضى لان الرسول اولى بذلك ممن سواه ثم ذكر رضى الله عنه امورا تسهل الايمان بكرامات اولياء الله تعلى فقال الاول ان تعلم ان قدرة الله تعلى التى لا يكبر عليها شئ هى التى اظهرت الكرامة فى هذا الولى فلا تنظر الى ضعف العبد ولكن انظر الى قدرة السيد فجد الكرامة فى الولى جد لقدرة القادر وعما منع من شهود عظمة وصفه سبحانه الثانى انه ربما كان سبب انكارك للكرامة استكثارها على ذلك العبد الذى اضيفت اليه وذلك العبد انما اظهرت الكرامة عليه شاهدة لصدق طريق متبوعه فهى بالنسبة الى من ظهرت عليه وهو ذلك الولى كرامة وهى بالنسبة الى من ظهرت ببركة متابعته معجزة فلذلك قالوا كل كرامة لولى فهى معجزة لذلك النبى الذى هذا الولى متبع له فلا تنظر الى التابع ولكن انظر الى عظم قدر المتبوع الثالث ان تعلم ان الذى اعطاه الله سبحانه لاوليائه من الايمان واليقين مما انت مصدق به ومثبت له اعظم مما استغربته وانكرته من اطلاع على غيب او طيران فى الهواء او مشى على الماء فمثلك اذا استغربت ذلك على المومن كمثل من يستغرب على عبد من خواص الملك اعطاه الملك سفطا مملوا ياقوتا ثمينا ثلث انت به كل

ياقوتة

ياقوتة تضمنها ذلك السفط تساوى عشرة آلاف دينار ثم قال ذلك العبد
الذى هو من خواص الملك او قيل عنه ان الملك قد اعطاه مائة دينار
فاستغربت انت ذلك فهل يستصوب استغرابك هذا ذو فهم ولب وما
اكرم الله العباد فى الدنيا والآخرة كرامة مثل الايمان به والمعرفة بربوبيته
لان كل خير من خير الدنيا والآخرة انما هو فرع الايمان به من احوال
ومقامات واوراد وواردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ الى غيب وسماع
مخاطبة وجريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وانهار وثمار او
كان به اهلها فيها من رضا عن الله ورضا من الله ورؤية لله فكل ذلك
انما هو نتائج الايمان ووجود آثاره وامداد انواره قال واعلم ان من الناس من
واجهه الخذلان من الله تعلى فانكر كرامات اولياء الله تعلى اصلا فنعوذ
بالله من هذا المذهب * وهو حقيق ان لا يذكر لكن سبب ذكره ان تعلم ان الله
تعلى اذا اراد ان يضل عبدا لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال الله سبحانه
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وقال سبحانه وتعلى فان
زللتم من بعد ماجاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم وقال سبحانه
وتعلى وهو يجير ولا يجار عليه لذلك كانت الاحوال والاقوال والافعال
ومراتب الانزال موقوفة على توفيقه لا توجب انوارا ولا تستحق قبولا
ولا يستوجب صاحبها اقبالا حتى ينصره التوفيق ولعزازة قدره عند الله تعلى
لم يذكره فى كتابه العزيز إلّا فى موضع واحد فقال سبحانه وتعلى وما
توفيقى إلّا بالله عليه توكلت والجالب للتوفيق وعلامته صدق الرجعى
الى الله فى اول كل فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس فى بحر
الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ وقد قال الله
تعلى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال تعلى انما الصدقات للفقراء
والمساكين فلا تدخل جنة علمك وعملك وما اعطيت من نور وفتح فتقول
كما قال من خذل فاخبر الله عنه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن
ان تبيد هذه ابدا الاية ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضى لك

ولولا اذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الّا بالله وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الّا بالله كنز من كنوز الجنة وفى رواية كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة الله ظاهرة الكنز والمكنوز فيها صدق التبرى من الحول والقوة والرجوع الى حول الله وقوته ومن انكر كرامات اولياء الله تعلى فالدلائل النقلية والعقلية ترد عليه ويخشى على من هذا مذهبه سوء الخاتمة قال ومن الناس فرقة اخرى صدقوا بكرامات الاولياء الذين ليسوا فى زمانهم كمعروف وسرى والجنيد واشباههم وكذبوا بكرامات اولياء زمانهم فهم كما قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه والله ما هى الّا اسرائيلية صدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم ادركوا زمانه وفرقة اخرى يصدقون بان فى مملكة الله اولياء لهم كرامات من غير ان يسلموا ذلك لاحد من اهل زمنهم معينا فكل من ذكر لهم انه ولى او نسبت اليه كرامة دافعوا اثبات ذلك بمقايس اقتضتها عقولهم المعقولة بعقال الغفلة المخدوعة بمتابعة الهوى فلن يجرى عليهم هذا التصديق وجود الاقتداء ولا اشراق نور الاهتداء اذ الاقتداء لا يكون بولى مجهول العين فى كون الله جل جلاله بل الاقتداء انما يكون بولى دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته والقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك وكمائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك فى طريقك حتى تصل الى الله ويوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك لاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فاين من هذا وصفه لقد دللتنى على اغرب من عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين وانما قد يعوزك وجدان الصدق فى طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله تعلى قال الله تعلى امن يجيب المضطر

اذا

اذا دعاه وقال سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من
يوصلك الى الله اضطرار الظمآن للماء البارد والخائف للامن لوجدت ذلك
اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله تعلى اضطرار الام لولدها
اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير
متعذر عليك ولتوجه الحق بتبيين ذلك اليك قال فهذا الكلام فى طريق
الجواز والوقوع جميعا وذكر اعيان الكرامات التى اتفقت للسلف رضى الله
عنهم لا يستطاع حصرها قال وقد اشبع القول فيها الاستاذ ابو القاسم القشيرى
رضى الله عنه فى رسالته وافرد لها بابا ثم قال واعلم ان الكرامة تارة تظهر
للولى فى نفسه وتارة تظهر فيه لغيره فان ظهرت للولى فى نفسه فالمراد
تعريفه بقدرة الله وفرديته واحديته وان قدرته لا تتوقف على الاسباب
وان العوائد هو حاكم عليها ليست هى حاكمة عليه وانما جعل العوائد
والوسائط والاسباب حجب قدرته وحجب شمس احديته فواقف عندها
مخذول ونافذ منها اليه هو بالغاية موصول وقال الشيخ ابو الحسن رضى
الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعلى بالعلم والقدرة والارادة
والصفات الازلية بجمع لا يفترق وامر لا يتعدد كانها صفة واحدة قائمة
بذاة الواحد يستوى من تعرف الله اليه بنوره كمن تعرف الى الله تعلى
بعقله من وراء حجاب ولاجل انها تنسب لمن اظهرت له ربما وجدها اهل
البدايات فى بداياتهم وفقدها اهل النهايات من الرسوخ فى اليقين والقوة
والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضى الله عنهم لم
يحوجهم الحق سبحانه الى وجود الكرامات الحسية لما اعطاهم من المعارف
الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة فالكرامة دافعة
لزازلة الشك فى المنة ومعرفة بفضل الله سبحانه فيمن اظهرت عليه
وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه والناس فى الكرامات على ثلاثة
اقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها عظموا من اظهرت عليه وان
فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هى الكرامات انما هى خدع

يخدع بها اهل الارادة ليقفوا على حدودهم وحتى لا يلجوا مقاما ليس هولهم
حتى قال ابو تراب النخشبي لابي العباس الرقى ما يقول اصحابك في هذه
الامور التي يكرم الله بها عباده قال فقلت ما رايت احدا الّا وهو يومن بها
فقال من لم يومن بها فقد كفر انما سالتك من طريق الاحوال فقلت ما
اعرف لهم قولا فقال بلى قد زعم اصحابك انها خدع من الحق وليس
الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فاما من لم يقترح ذلك ولم
يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من ابي تراب بعد ان عطش
اصحابه فضرب بيده الى الارض فنبع الماء فقال فتى هناك اريد ان اشربه
في قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج ابيض فشرب وسقانا
قال ابو العباس الرقى وما زال القدح معنا الى مكة قال والقول الفصل في
ذلك انه لا ينبغي ان تطلب ادبا مع الله ومن اظهرت عليه عظم لانها
شاهدة بالاستقامة مع الله القسم الثالث وهو ان تظهر الكرامة في الولي لغيره
فالمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذى شهدها بصحة طريق هذا الولي
الذى اظهرت عليه الكرامة اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف او
كافرا فيعود الى الايمان او شاكا في خصوصية ذلك العبد فاظهرت عليه
ليعرفك الله بما فيه من ودائع الاحسان انتهى وفي هذا القدر من كلام اهل
الحق والحقيقة في الكرامة ما يبلغ الناظر المناظر لابداء صورة التوفيق مرامه
ويوصله الى مراقي الفوز والسعادة ويهيئ له اسعاف رشده واسعاده ولنردف
ذلك بكلامهم في امر الكشف والمكاشفة وما لخلى عن الحقائق ان يحرك في
علوم القوم بها شفة وقد جعل الامام السهروردى رضي الله عنه مبنى
ذلك ومنشاه على بدء خلق الانسان واستطرد الكلام في عوارف معارفه
على الروح واختلاف الناس في ماهيته وذكر انه لم يوجد بين ارباب
النقل والعقل من الاختلاف في شيء ما وجد في ماهية الروح وان مذهبه
الامساك عن الخوض في ذلك ثم ذكر من كلام الناس فيه عبارات شتى
وبسط القول في ذلك بسطا رايت ذكره مما يخل بالغرض لطوله ويورث

السئامة

السآمة لامتداد باع الكلام فى اثناء فصوله وان الاقتصار من ذلك على ما
ذكره فى العقل وماهيته كاف فى الغرض وهو المقصود بالذات قال رضى الله
عنه واما العقل فهو لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة
القلب والعقل بمثابة اللسان وقد قال عليه الصلاة والسلام اول ما خلق
الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال اقعد فقعد ثم
قال له انطق فنطق ثم قال له اصمت فصمت فقال وعزتى وجلالى
وعظمتى وكبريائى وسلطانى وجبروتى ما خلقت خلقا احب الي منك ولا
اكرم علي منك بك اعرف وبك احمد وبك اطاع وبك آخذ وبك اعطى
واياك اعاتب ولك الثواب وعليك العقاب وما اكرمتك بشئ افضل من
الصبر وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعلى قسم العقل بين عباده اشتاتا
وان الرجلين يستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى
العقل كالذرة فى جنب احد وروى عن ابن منبه انه قال انى اجد فى
سبعين كتابا ان جميع ما اعطى الناس من بدء الدنيا الى انقطاعها من العقل
فى جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كهيئة رملة وقعت من بين
جميع رمال الدنيا قال واختلف الناس فى ماهية العقل فقال قوم العقل من
العلوم لان الخالى من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم
فان الخالى عن معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية
فان من شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل عليه فهو اذا من العلوم الضرورية
وليس هو جميعها فان صاحب الحواس المختلفة عاقل وقد عدم بعض
مدارك العلوم الضرورية وقال بعضهم العقل ليس من اقسام العلوم لانه
لو كان منها لوجب الحكم بان الذاهل عن ذكر الاستحالة والجواز لا يتصف
بكونه عاقلا ونحن نرى العاقل فى كثير من اوقاته ذاهلا وقالوا وعلى هذا
العقل صفة يتهيا بها درك العلوم ونقل عن الحارث بن اسد المحاسبى وهو
من جلة المشايخ انه قال العقل غريزة يتهيا بها درك العلوم وعلى هذا
يتقرر ما ذكرنا فى اول ذكر العقل انه لسان الروح لان الروح من امر الله

وهى المتحملة للامانة التى ابين السموات والارض ان يحملنها وهو بصفته منكوس متطالع الى النفس تارة ومنتصب مستقيم تارة فمن كان العقل فيه منكوسا الى النفس فرقه فى اجزاء الكون وعدم حسن الاعتدال بذلك واخطا طريق الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تايد العقل بالبصيرة التى هى للروح بمثابة القلب واهتدى الى المكون ثم عرف الكون بالمكون مستوفيا اقسام المعرفة بالمكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكلما احب الله اقباله فى امر دله على اقباله عليه وما كره الله دله على استدباره عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعلى ويجتنب مساخطه وكلما استقام العقل وتايد بالبصيرة كان دلالته على الرشد ونهيه عن الغى قال بعضهم العقل على ضربين ضرب يبصر به امر دنياه وضرب يبصر به امر اخراه فذكران العقل الاول من نور الروح والعقل الثانى من نور الهداية والعقل الاول موجود فى عامة ولد آدم والعقل الثانى موجود فى الموحدين مفقود فى المشركين وقيل انما سمى العقل عقلا لان الجهل ظلمة فاذا غلب النور بصره فى تلك الظلمة زالت الظلمة وابصر فصار عقالا للجهل وقيل عقل الايمان مسكنه فى القلب ومعتمله فى الصدر بين عينى الفواد قال والذى ذكرناه من كون العقل لسان الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه اذا انتصب واستقام تايد بالبصيرة واعتدل ووضع الاشياء مواضعها وهذا العقل هو المستضئ بنور الشرع لان انتصابه واعتداله هداه الى الاستضاءة بنور الشرع لكون الشرع ورد على النبى المرسل وذلك لقرب روحه من الحضرة الالهية ومكاشفة بصيرته التى هى للروح بمثابة القلب بقدرة الله وآياته واستقامة عقله بتاييد البصيرة والبصيرة تحيط بالعلوم التى يستوعبها العقل والتى يضيق عنها نطاق العقل لانها تستمد من كلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها والعقل ترجمان تودى البصيرة اليه من ذلك شطرا كما يودى القلب الى اللسان بعض ما فيه ويستاثر ببعضه دون اللسان ولهذا المعنى من جمد على مجرد العقل من غير الاستضاءة

بنور الشرع حظى بعلوم الكائنات التى هى من الملك والملك ظاهر الكائنات
ومن استضاء عقله بنور الشرع تايد بالبصيرة فاطلع على الملكوت والملكوت
باطن الكائنات اختص بمكاشفة ارباب البصائر والعقول دون الجامدين
على مجرد العقول دون البصائر وقد قال بعضهم ان العقل عقل الهداية
مسكنه فى القلب ومعتمله فى الصدر بين عينى الفواد والعقل الآخر مسكنه
الدماغ ومعتمله فى الصدر بين عينى الفواد فبالاول يدبر امر الآخرة وبالثانى
امر الدنيا قال والذى ذكرناه انه عقل واحد اذا تايد بالبصيرة دبر الامرين
واذا انفرد دبر امرا واحدا هو اوضح وابين قال وقد ذكرنا فى اول الباب
من تدبيره النفس المطمئنة والامارة ما يتنبه الانسان به على كونه عقلا
واحدا مويدا بالبصيرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله الملهم للصواب انتهى
ومن كلام الشيخ الكبير منصور البطايحى رضى الله عنه فى الكشف قوله
الكشف سواطع انوار لمعت فى القلوب بتمكين معرفة جملة السرائر فى
الغيوب من غيب الى غيب حتى يشهد الاشياء من حيث اشهده الحق
اياها فتكلم عن ضمائر الخلق واذا ظهر الحق على السرائر لم يبق لها فضلة
لرجاء ولا خوف انتهى وقال الشيخ الكبير ابو العباس احمد الرفاعى
رضى الله عنه الكشف قوة جاذبة يصاحبها نور عين البصيرة الى فيض
الغيب فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها
ثم يتقاذف النور منعكسا بضوءه على صفاء القلب ثم يترقى ساطعا الى عالم
العقل فيتصل به اتصالا معنويا له اثر فى استفاضة نور العقل على ساحة
القلب فيشرق نور العقل على انسان عين السر فيرى ما خفى عن الابصار
موضعه ودق عن الافهام تصوره واستتر عن الاغيار مرآه وقال الشيخ الكبير
الجليل محى الدين عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه يكشف للاولياء
والابدال من فعل الله عزوجل ما يبهر العقول فيخرق العادات والرسوم
قال والكشف على قسمين جلالى وجمالى فكشف الجلال والعظمة يورث
الخوف المقلق والوجل المزعج وامرا عظيما يحدث فى القلب ويظهر على

الجوارح كما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمع فى صدره الشريف الكريم ازيزا كازيز المرجل فى الصلاة من شدة الخوف لما يرى من جلال الله عز وجل ويكشف له من عظمته ونقل مثل ذلك عن ابراهيم الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام وعن امير المومنين عمر الفاروق رضى الله عنه واما مشاهدة الجمال فهى التجلى للقلوب بالانوار والسرور والالطاف والكلام اللذيذ والحديث الانيس والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية والقرب منه عز وجل بما سيئول امرهم اليه وجف به القلم من اقسامهم فى سابق الدهور فضلا منه ورحمة وتبيينا منه لهم فى الدنيا الى بلوغ الآجال للوقت المقدر لئلا تفرط بهم المحبة من شدة الشوق اليه عز وجل فتنفطر مرائرهم فيهلكون او يضعفون عن القيام بالعبودية الى ان يأتيهم اليقين الذى هو الموت فيفعل ذلك لطفا منه ورحمة بهم ومداواة وتربية لقلوبهم ومداراة لها انه حكيم عليم لطيف بهم رءوف رحيم ولهذا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول لبلال المؤذن رضى الله عنه ارحنا يا بلال يعنى بالاقامة ليدخل فى الصلاة لمشاهدة ما ذكرنا من الجمال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة انتهى وفى الانوار لابن عطاء الله رضى الله عنه قال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الّا النظر الى وجه يوسف عليه السلام كانوا اذا جاءوا نظروا الى وجهه فيشغلهم جماله عن الاحساس بالجوع فما ظنك بقلوب وقفت بين جلال الله وجماله اذا لاحظوا جلاله هاموا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه اذا نظر اهل الجنة الى الله جل جلاله ذهبت اعينهم فى قلوبهم من لذة النظر الى الله تعلى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم وفى الانوار ايضا قال ذو النون المصرى رضى الله عنه سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعلى وارواح المومنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال ايضا فى الانوار

اولياء الله المكاشفون ملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلاة لاسيما في السجود وتكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه من كدورات الدنيا ينكشف لبعضهم الشئ بعينه وينكشف لبعضهم الشئ بمثال وينكشف لبعضهم من صفات الله وجلاله ولبعضهم من افعاله لكن لما كانت هذه الامور لا تتراآى الا في المرايا الصقيلة وكانت المرايا كلها صدية احتجبت عنها الهداية فسارعت الالسن الى الانكار اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الله الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة او المباحثة ولم يطلبوه من تصفية القلوب عما سوى الله فعادوه فانكروه وان لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يومن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهده بالتجربة ثم قال فاول الامر في ذلك ذهاب الى الله ثم ذهاب في ذاته وذلك هو الفناء والاستغراق به ولكن هذا الاستغراق اولا كبرق خاطف قل ما يثبت ولا يدوم فان دام ذلك وصار عادة راسخة وهيبة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي وانطبع له نقش الملكوت وتجلى له قدوس السموات واول ما يتمثل في ذلك العالم جواهر الملئكة وارواح الانبياء والاولياء في صور جميلة وذلك في البداية الى ان تعلو درجته عن المثال واذا ردوا الى هذا العالم الحادث الذي هو كالظلال نظر الى الخلق نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس فعجب منهم في قناعتهم بعالم الغرور وعالم الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه غائبا بقلبه فكن متشوقا الى هذه الامور الى ان تصير من اهل الذوق بها فان لم تكن من اهل العلم بها فكن من اهل الايمان بها واياك ان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذي كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فالذوق مشاهدة والعلم قياس والايمان قبول بحسن الظن مع الانفكاك

عن التهمة فاجتهد ان تصير من اهل المشاهدة فليس الخبر كالمعاينة ثم قال رضى الله عنه واعلم ان لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية اعظم من كل لذة فى الدنيا وكما ان اوفق الاشياء للقلوب المعرفة فالمعرفة عند القلب واعنى بالقلب الروح الربانى الذى قال فيه تعلى قل الروح من امرى ربى وقال ونفخت فيه من روحى فاضافه الى نفسه وهذا الروح لا يكون للبهائم ولا لمن هو فى مثل حالها من الانس بل يختص به الانبياء والاولياء ولذلك قال تعلى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى الآية قال وهذا شئ دقيق تكل الافهام عن فهمه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله لئلا يثير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن ذلك واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه قال ولا يظن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكن يتادبون بآداب الشرع فيسكتون مما سكتوا عنه بل فى صفات الله عز وجل من الخفاء ما تقصر عنه افهام الجماهير ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلّا الظواهر لان ذكر ما وراء ذلك يضر السامعين ولا يبعد ايضا ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا لبعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل فالقاصر الفهم يقف على الظاهر والبصير بالحقائق يدرك السر ثم قال فعليك بالخلوة والعزلة واطلب الله تجده فالنبى صلى الله عليه وسلم فى ابتداء امره كان يتبتل فى جبل حراء ويعتزل فيه حتى راى فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه عن الله تعلى فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعلى قال ولا يبعد ان تنتهى درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين

سنة

سنة والناس يظنون انى اكلمهم قال وهذا انما هو اذا استغرق المستغرق
بحب الله تعالى استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وهو غير منكر وفى
المشاهد من الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدرى ما يقول ولا ما
يقال له لفرط حبه فقد يستغرق الهم القلب بحيث يخالط الناس ولا
يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه قال فهم فى السموات اشهر
منهم فى الارض ولاصواتهم هناك دوى ونور يعرفون به وقد رفع ابصار
قلوبهم اليه فهى ناظرة اليه غير محجوبة عنه ولا ادراك منهم لصفة ولا
صورة ولا حد ولا احاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم فاحبهم
وحببهم الى ملئكته وسائر خلقه انتهى وقد امتد بنا الكلام الى حد يكسب
السآمة ويحرك بواعث الملامة فان النفوس عن الميل الى الاطناب الممل
مصروفة وبمعاداة المعادات كما قد قيل معروفة فلنصرف العناية الى ما
هو المقصود بالذات فمن المهم اللازم قضاء دين العدات وتناسى واجبات
حقوقها موجب للعتاب وذكر المناقب عندنا احد اركان هذا الكتاب فلنذكر
منها ما حسن   الصدق فيه مساقه وجلا لتضمن اختيار من
يظن به الكمال من الرواة مذاقه هذا وما انا بمعتقد فى احد ان يتعمد
الكذب على الشيخ فيما يروى او يكدر بشوائب الفرية من مختوم رحيق
اهل الكرامة ما يروى بل فيمن شاهدناه من يتاخر عن افشاء ما هو لديه
من ذلك معلوم لاعتقاد ان المحدث بكرامات الاولياء لا باذن فى ذلك ملوم
فكيف يتعمد من هذه صفته مستهجن الفرية او يحيد لكتب ذلك من
قلمه البرية لكن على بذل الوسع فى النظر فى الترجيح والمرجح وان ادركنى
فى خلال ذلك عجز او قصور بعد امعان الطلب فانا المنجح ولنبدا منها بما
لا نفتقر فيه لعدم الواسطة فى النقل الى بيان فذلك هو الاحق بالتقديم
لفضل ما بين الخبر والعيان فمن ذلك وهى **اول مناقبه** وابينها عند
مشاهد حاله ومراقبه ان الشيخ رضى الله عنه لابد ان يقف بين يديه
فى كل يوم من ارباب الحوائج على اختلاف مطالبهم وتباين مآربهم من

لا يحصى كثرة من الرجال والنساء واهل البلد والواردين والاحرار والعبيد والبادى والحاضر وقل من يفصح منهم بما فى نفسه من حوائجه وانما يشير الى مراده اشارة خفية ويومى الى مقصوده ايماء لا يفهم الحاضرون له منه مرادا فيجيب رضى الله عنه كل احد عما فى نفسه كانه يشاهده منعا او اعطاء تصريحا او ايماء

فقل للذى لم يزل يدعى من السر وردا به يرتوى
اذا صنت سرا فكن هكذا والا فسلم ولا تلتــوى

وما زال رضى الله عنه يتكلم بالكلمة يتجاذبها بين يديه عدد كثير وكلهم يرى انه اليه بذلك يشير وان كان بعض من لازم الشيخ واستقرا احواله يزعم ان اول كلمة يسمعها الزائر من الشيخ هى التى تخصه فى مراده وان كل ما يسمعه سواها له ولغيره من الواردين قبله وزعم غيره ان الامر المستقرا من حال الشيخ مع الزائر اذا سمع منه كلمات عديدة ولم يدر ما يرجع الى حاله منها انه يتفقد ما يبقى من ذلك فى حفظه بعد انفصاله عن المقام فما كان من ذلك فهو الذى يقتبس منه مراده فيما اراده وعلى كل تقدير فهذا سر عجيب له رضى الله عنه

* المنقبة الثانية *

كنت يوما واقفا بين يديه رضى الله عنه والى جانبى احد فضلاء الاصحاب وهو رضى الله عنه يناوب الناس فى الكلام على عادته وهو يومئذ فى غاية البسط فاخرج رضى الله عنه يديه وكانهما كانتا فى قطنة او كانه خرج من ديماس فاسر الي الصاحب المذكور انظر نظافة هاتين اليدين فقلت له سرا فيما بينى وبينه هذه حالة من لا يصلى تعريضا منى بمن يقول انه لا يصلى فقال رضى الله عنه الذى يجئ الى موضعنا يرخى عينيه

فادهشنا سماع الزجر منه بقول واضح المعنى جلى
نسر حديثنا فيعود جهــرا لديه وهكـــذا سر الولى

* المنقبة الثالثة *

كان بتونس مركب مريد السفر الى المشرق فى اواسط عام ستة وستين وثمانمائة فركب فيه من تونس خلق كثير واكثرهم انما سافر فيه باذن الشيخ رضى الله عنه ثم لما مضت له ايام بعد ان اقلع مسافرا صرخ بين اظهر الناس صارخ ان المركب تاثر فيه بعض ما رده الى احدى مراسى ساحل المهدية وشاع ذلك فى الناس وتحدث به العام والخاص فاتفق ان تكلمت فى ذلك مع بعض الاصحاب ونحن بالزاوية العروسية وفوق سطح الشيخ منها وكانا ملنا الى صحة ما يقوله الناس من عدم تيسير سفر المركب فقال بعض الحاضرين الشيخ رضى الله عنه بين اظهرنا ونحن نحبط عشاء ثم انه تقدم الشيخ وقال يا سيدى صحيح ان المركب رجع فقال رضى الله عنه لا ثم قال له يا سيدى يصل الى الاسكندرية سالما قال نعم وذكرلى جماعة من اصحابه انه رضى الله عنه كان ينادى فى تلك الايام اهل هذا المركب حيرونا ثم يقول يا من له الملك يا حليم لا يعجل سلم الخشب فاتفق ان عاد المركب المذكور بعد سبعة اشهر او نحوها الى تونس من الاسكندرية بعد ان راوا فى توجههم الى المشرق شدة عظيمة اشرفوا منها على الغرق والهلاك لكنهم اغيثوا برحمة الله

فحينئذ بدا للناس ما قد اشاربه من العقبى الحميده
وبان لهم بسر الله سر به يختص مولانا عبيده

* المنقبة الرابعة *

جئت يوما لزيارة الشيخ رضى الله عنه فوجدته فى حال البسط والناس عكوف حوله وفيهم احد فضلاء اصحابه وهو يخاطبه فى مسالة بنوع من الرمز عنها ثم ان الشيخ اجابه عن ذلك بما فيه نوع من الزجر عن شئ فعله ثم انه اخذ بى ناحية عن الناس واخبرنى ان الشيخ كان امره ان ياتيه بثوب يحتاجه للباسه وانه تكلم فى ذلك مع انسان ثم تعذر

الامر فيه فقلت انا والله اولى بهذه الخدمة ثم انصرفت لوقتى واتيته بثوب من ثيابى فاخذه واخفاه تحته ونحن بسفلى الزاوية وقال لا بد ان تصعد معى الى الشيخ فلما اشرفنا عليه رضى الله عنه وجدناه قائما كانه ينتظرنا ثم قال هات الثوب كانه يراه او كانا واعدناه به فقلت الله اكبر جلت قدرة من اطلعك على سرنا واعلمك بغائب امرنا ثم انه رضى الله عنه تناوله من يده وقصد النوالة ثم فتحه بين يديه وجعل يقول على هذا كنت افتش ثم لما كان من الغد اصبح وقد لبسه فوق سائر لباسه وفى آخر النهار نفسه جعله تحته مباشرا لجسده المبارك فكنت ارى لذلك ان الله تبارك وتعلى اراد اللطف بى وتدارك وكان ذلك احب الي من حمر النعم واقر لعينى من كثير من النعم

ولكن ارجو الله جل جـــــلاله   وقد جاد فضلا ان يوفق للشكـــر
فيد الابادى الشكر والسلب غاية   لمن لم يقم بالشكر للانعم الغـــر

وهذا بعض ما يحسن ذكره مما رايناه فلنصرف العناية الى كتب ما قد رويناه

* المنقبة الخامسة *

عن الحاج ابى الحسن علي النفاتى وهو احد اولاد الشيخ الاقدمين قال جئت من طرابلس متوجها الى تونس ومعى اربعة عشر رجلا ونحن فى قارب فلما انتهينا الى مرسى راس المخبز واذا بسفن اربعة للنصارى قد توجهوا لاخذنا بحيث لا محيص لنا عنهم ولا منجى لنا منهم وفيما بيننا وبينهم قدر ما يصل سهمهم الينا ان لو رمونا فسقط فى ايدينا ولم يبق الّا الرجوع الّا الله تعلى بصدق الاضطرار اليه وناديت يا سيدى نهيتنى ان اذكرك الّا عند الشدائد واى شدة اكبر من هذه الاسر والكبل والذل بين اعداء الدين فما اتممت الكلام الّا والشيخ عندى فى القارب يريد سيدى احمد ابن عروس ومعه سيدى محمد شوشو رضى الله عنهما فوضعا ايديهما على راسى وقالا لى لا تخف لا باس عليك ان شاء الله فرمت ان اكلمهما او اخبر اصحابى فمنعت الكلام حتى غابا عنى فكانت طريقنا بين سفن النصارى بحيث

نرى احوالهم كلها ونشاهد منهم ما يشاهدونه من انفسهم ولو مدوا ايديهم اليها مثلا لتناولونا واعمى الله تعلى ابصراهم عنا ونجانا منهم ببركة التجاءى الى الشيخ رضى الله عنه

فصدق قوله المسؤول واولى سلامته الذين به استلاذوا
وكيف يضام من يعزى اليه ويظلم وهو فى الوقت الملاذ

قال فلما وصلت الى تونس ووقفت بين يدى الشيخ رضى الله عنه تبسم رضى الله عنه وقال لى الحمد لله على هذه الساعة الان زال عنك الهم فقلت له يا سيدى من حين رايتك فى القارب معى زال عنى الهم فرمانى بتفاحة كانت فى يده ووضع سبابته على فيه كانه يقول لى اسكت ثم انصرفت الى سيدى محمد شوشو فقال لى حين سلمت عليه يا ولدى طلبناك من الله والّا كنت فى ارض النصارى حيرتنى وحيرت سيدك رضى الله عنهما واعاد علينا من بركاتهما بمنه وكرمه

* المنقبة السادسة *

عنه ايضا قال كنت فى جماعة من اصحاب الشيخ رضى الله عنه وقد استغرقنا فى الحديث ونحن مستندون الى حائط لا نرى به باسا واذا به رضى الله عنه قد قام من موضعه منزعجا وهو يقول اولادى فى خفارة الله فانزعجنا لانزعاجه متوجهين نحوه فما بعدنا عن الحائط الّا يسيرا واذا به قد سقط فى موضع قيامنا ونجانا الله تعلى منه فعلمنا ان حركته تلك كانت سبب سلامتنا ونجاتنا رضى الله تعلى عنه

راى الامر غيبا الى هلكهم يقول اذا هو لم يستغيث
فابدى الضراعة كى يلجئوا اليه وما الغوث ان لم يغيث

* المنقبة السابعة *

عنه ايضا قال كنت تزوجت ابنة عم لى ودعانى ابوها للبناء بها فعجزت عن ذلك لصفة فقرى وقلة ذات يدى وما سمحت نفسى بفراقها لتعلق

القلبي بها لما اسمعه عنها من الجمال البارع فشكوت ما اجده من ذلك للشيخ رضي الله عنه فقال لي انا آخذ معك اذن القفة واعطاني مسحاة وقفة وامرني بالخدمة في تراب كان هنالك فقلت في نفسي هذا الشيخ الكذا الكذا مثل سيدي فتح الله يتعب اولاد الناس بغير فائدة فاشرف علي رضي الله عنه وقال لي اترك الخدمة وروح نفسك والله تعلى يسامحها فيما ظنت بي ثم انه رضي الله عنه امرني بدفن حجر كانت بين يديه طويلة فلما فرغت من دفنها قال لي اجعل عند راسها حجرا وعند رجليها حجرا ففعلت وصار ذلك في صورة قبر فقال اغسل يديك عليه وارح نفسك فقد حصلت في الدار ثم اني خرجت للمرسى بنية الزيارة فلما عدت جئت الى الشيخ رضي الله عنه فقال حين رآني الآن اراحك الله فلا سبيل ان تتحدث في التزويج والفصول فخرجت الى منزلي بربض نفات فلما دنوت من منزلي وجدت اخا لي وهو يبكي فقلت له ما الذي يبكيك فقال ان اهلك ماتت وكنت على يقين من موتها من حين دفنت الحجر وكان بين ذلك وبين موتها ثلاثة ايام رضي الله تعلى عنه

تصرف في امره ظاهـــرا ليصرف عنه الغرام المميل
فآب وما ذاق طعم الهوى باجر جزيل وصبر جميـــل

* المنقبة الثامنة *

عنه ايضا قال اشتهيت وانا ببرقة متوجها الى المشرق قصعة من الكسكس الطيب باللحم والسمن الكثيرين واشتهيت لما بي من الجوع ان آكل ذلك وحدي وسالت ذلك من الشيخ رضي الله عنه وقلت يا سيدي اذا كنت لا تريد ان اراك فضعها تحت شجرة فلما كان الليل سمعت رجلا من الصالحين اعرفه يناديني باسمي فقصدته فلما اجتمعنا قال لي هذه شهوتك على الشيخ خذها اليك وناولني قصعة على الصفة التي كنت اردتها واكلت ذلك وحدي كما اشتهيت رضي الله عنه

اذا كان ينجد فى شهـــوة بها قد تعلق قلب المريد
فكيف اذا شيك من دهره بما لا يطيق وما لا يريـد

* المنقبة التاسعة *

عنه ايضا قال وجهنى الشيخ رضى الله عنه الى بلد العناب فى بعض حوائج الزاوية فلما وصلت الى القنطرة وجدت الماء قد كساها وعلا عليها فحملنى انا والحمار الذى كنت اركبه فلما تحققت الغرق وضعت احدى يدى على الاخرى واسلمت نفسى لله تعلى وانا لا اعرف العوم وجعلت اقول هذا جزاء من يخدم الصالحين يبعثونى فى حوائجهم واموت غريقا ثم قلت اللهم اشهد انى اموت على كلمة التوحيد فلم ادر ما بى واذا بقوم حملونى مع حمارى والقونى خارج الوادى وانصرفوا عنى وانا لا اعرف من هم وكل ذلك ببركة الشيخ رضى الله عنه

فهكذا فليكن من رام منزلـة عظمى لها عند اهل الله مقـدار
يقى المريد من الاسوا ويحفظه سرا وجهرا وان شطت به الدار

* المنقبة العاشرة *

عنه ايضا قال لما اردت التوجه الى المشرق بقصد الحج شاورت الشيخ رضى الله عنه فقال لى باى شئ تحج اين الزاد والراحلة فقلت له اتوكل على الله واذا احتجت الى شئ انادى يا سيدى احمد فاستبشر رضى الله عنه لسماع هذا الكلام منى وقال لى وقد بكى رضى الله عنه تمشى فى برقة وترجع فى برقة وتفقد بصرك ويصيبك النفخ وتتيه فى جبل الياس وذكر لى اشياء غير هذه فقلت له لا بد من المشى فقد سافرت ووقفت على كل ما ذكره لى من هذه المسائل كلها واحدة واحدة ومنها فقد البصر فانا اعمى كما ترونى رضى الله عنه

أبدى له كلما يلقى ليحـــــذره فلم يساعده فى احواله القـــــدر
ولو سعى كل من فى الارض واجتهدوا ليدفعوا عنه ما يلقاه ما قـــــدروا

* المنقبة الحادية عشرة *

عنه ايضا قال كانت امراة لها اعتقاد جميل فى الشيخ رضى الله عنه فكانت تاتيه كل ليلة بقصيعة فيها طعام فكان رضى الله عنه يتركها لنا ليلة فناخذها منها وياخذها هو لنفسه ليلة ومضى العمل على ذلك مدة طويلة فاتفق انها اتته بذلك ليلة على العادة وكانت نوبة الشيخ فتقدمت لاخذها منها لنفسى فزجرنى عن ذلك وكنت لا انزجر فقال انها نوبتى فقلت لا بد لى منها فقال كذبت فاقسمت له على ذلك فقال كذبت فحلفت له بالصوم على اخذها فقال كذبت ثم انى اردت التقدم لاخذ ذلك فما قدرت على تحويل قدم من مكانى ونهضت لذلك جهدى فكانما الصقت بالارض فجعل رضى الله عنه يقول لى خذها وانا لا اقدر على حركة ثم قال لى يازفيت تبقى هكذا فقلت استغفر الله واتوب اليه ثم انه اخذ الطعام من يد المراة وقال لى انصرف فانصرفت وقد زال ما كان بى مما كنت اجده من الثقاف رضى الله تعلى عنه ونفعنا به

تعرض للمقت فى فعلـــــه وقد ضل عنه طريق الادب
ولو كان يعلم مقـــــداره لعض البنان اســى وندب

* المنقبة الثانية عشرة *

عنه ايضا قال كان عندنا بالزاوية والشيخ رضى الله عنه اذ ذاك فى بيته السفلى شيخ كبير فان اعمى فقدر انه وقع فى بئر الزاوية وهو طويل جدا فقال الشيخ فى بيته بنفس ان وقع الرجل الله فقلت له يا سيدى هذا شيخ كبير اعمى وقع فى البئر فقال اخرجوه فهو سالم ما به سوء فاخرجناه سالما لم يتاثر فيه شيء وكانه قط ما وقع فى البئر وما كنا نرى الا انه تهشم ومات فسلمه الله تعلى ببركة الشيخ رضى الله عنه

فانظر الى الصدق وآثـــاره تبدو على احوال اربابـــه
بذكـــره الله ازاح الاذى عمن دعاه الموت من بابـــه

المنقبة

* المنقبة الثالثة عشرة *

عنه ايضا قال كانت امراة فى محنة عظيمة ومصاب كبير ومرض مهلك من امراض الجن اشرفت من ذلك على الهلاك غير ما مرة والقت بنفسها من اماكن العطب مرارا متعددة فاتوا بها الى الشيخ رضى الله عنه واقاموها بين يديه وهى فى غمرتها فقال رضى الله عنه يخاطب الجنى وعزة الله لئن لم تخرج منها لاحرقنك قال ففرج الله عنها من حينها وما انصرفت إلّا وهى فى اكمل حال من صحتها وعقلها ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به

تبارك الله هذا سره ظهــــرا فيمن عقول اولى لالباب قد بهـرا
شيخ هو البحر والسر المتاح له به كما قد رايت الجن قد قــهرا

* المنقبة الرابعة عشرة *

عن الشيخ الامام لاكمل ابى الحسن علي الغزى القاطن بقمرت احدى قرى قرطاجنة من عمل تونس المحروسة وقد كنت زرته يوم السبت خامس العشرين من ذى القعدة عام ستة وستين وثمانمائة قال كانت امراة بتونس لها ولد صغير خرجت به يوما وفى عنقه درهم من الذهب له قيمة جليلة فتاخر الولد عن امه قليلا او تقدم لاشتغالها عنه بمن معها واذا به قد عاد الى امه وقد اخذ منه الدرهم فاخذت المسكينة فى البكاء والعويل وتلهفت فما نفعها ذلك وضاق عليها لامر فقصدت الشيخ رضى الله عنه واخبرته بمصيبتها وجعلت تبكى بين يديه فقال لها رضى الله عنه ما عندة اين يمشى وامرها بالانصراف فانصرفت ثم عادت من فورها اليه وقالت هذا مكانى بين يديك حتى تجبرنى بدرهمى فاخذ رضى الله عنه يجاملها لتنصرف فابت إلّا البكاء بين يديه قال فاتفق ان الذى اخذ الدرهم وضعه فى بيته وخرج فجاءت اهله تريد الدخول الى البيت فاشرفت على اسد عظيم فى وسط بيتها فولت هاربة مذعورة وما زالت الى ان دخل عليها زوجها وهى فى امر عظيم مما راته فسالها

عن مصابها فاخبرته فاكذبها وقصد البيت فتلقاه السبع وله زئير واراد ان يثب عليه فولى هاربا وقال لاهله انما اصابنا هذا من الدرهم الذى اخذناه فقد مررت الساعة بزاوية سيدى احمد ابن عروس فوجدت ام الولد تبكى بين يديه وهو يصبرها فقالت لابد ان ترد لها درهمها ما لنا به من حاجة فطابت نفس الرجل برده دون تردد فى ذلك واراد اخذ الدرهم فتخوف مما راى وما زال يدنو من البيت خائفا مترقبا الى ان اشرف على وسطه فلم ير شيئا فدخل واخذ الدرهم وحمله الى الشيخ فاعطاه لصاحبته رضى الله عنه

فمن سره هذا ووصف كمـــــاله　تزاح به البلوى وتستدفع اللاوا
ويرجو به من دق باب سماحه　بصدق غنى دنياه مع جنة الماوى

* المنقبة الخامسة عشرة *

عنه ايضا قال اخبرنى بعض فقهاء تونس المرشحين للعدالة بها قال تطلعت الى التحدث فى العدالة والخوض فى امرها وامتدت النفس منى الى ذلك فقلت لا بد ان اقف على الشيخ ابن عروس فعسى ان يبدو لى من كلامه بعض ما يرجع الى مرادى قال فلما وقفت بين يديه قال لى رضى الله عنه وما فاتحته عن مسالتى بشئ سوى انى اضمرت ذلك واخفيته فى سرى على الطلاق عدالة ما نعدلك ولا تراها قال فاخبرنى عن نفسه بهذا الموطن ثم انه مات رحمه الله وما حصل من مقصوده على شئ وقد كان اقرب الناس الى ذلك رضى الله عن الشيخ ونفع به

فجل الذى منه رفعـــــه　ومنا على السر قد اطلعه
نسر المراد فيبدى لنـــــا　حديثا يعرفنا مطلعـــــه

* المنقبة السادسة عشرة *

عن الشيخ ابى محمد عبد السلام بن عمر اللواتى الساكن بجنة الشيخ رضى الله عنه قال لما اخذ الشيخ ابن عبد العزيز ادركتنى من ركونى اليه

محنة عظيمة لم تترك لى سبدا ولا لبدا فلجات الى الشيخ رضى الله عنه وعرفته وكنت اتردد اليه فكان اذا رآنى يقول لى انت متاعى فاقول نعم فلما كان بعد ايام اخرج رمانة وجعل يقلبها فى يده ويمعن النظر فيها ويلاحظنى فى اثناء ذلك ثم رمى بها الي وقال هذا برج مليح كلها انت وعجوزك فاخبرت عجوزى بمقالة الشيخ وكانت عندنا سمراء ربيناها اعطيتها ثلث الرمانة فلما وقفت من الغد بين يدى الشيخ قال لى رضى الله عنه لا غالب إلّا الله ادخلت معك الشريك ثم بعد مدة باشهر حبس السلطان الفندق فى جملة اصول منه جنة عظيمة معتبرة فيها برج عظيم وبنية معتبرة فلما كان وقت الغلة استشاروا الشيخ فيمن يسكن الجنة ويخدمها وذكروا له جماعة من اصحابه باسمائهم فما اذن لواحد منهم قال وكان بعض اصحابنا فيمن حضر كلام الشيخ عند مناولة الرمانة فذكرهم بى وذكرونى للشيخ فقال رضى الله عنه حتى اراه فلما حضرت قال انت هو اخرج لجنانك انت طلبتنى وانا اعطيتك فشكوت له ما انا فيه من الفاقة قال لنائبه ادفع له كل جمعة من الطعام واللحم والزيت كذا القدر سماه فسكنت الجنة وما وافانى بما كان امره به الشيخ رضى الله عنه واقمت فى عيش ضيق فبعد ايام رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وكنت ميمون النقيبة فى مزاولة الجان وخرجت عن ذلك فقال لى عليه السلام يا عبد السلام اذا اعتقت جسدا من العذاب اعتق الله جسدك من العذاب وتجاورنى فى الجنة فقلت له يا رسول الله علي عهد الله ان كل من ياتينى لذلك امشى معه فلما اصبح الصبح جئت الى الشيخ رضى الله عنه فقال لى حين رآنى سرحناك فقلت فى اى شئ سرحتنى يا سيدى فقال لى نسيت الذى رايت البارحة فى النوم فقلت الله اكبر وعلمت مراده رضى الله عنه وصرت من يومئذ اعالج كل من ياتينى لذلك وغالب ظنى انه يعالج بشئ من القرآن دون ما يتعاهده الغير فى ذلك من العزائم والالفاظ التى لا يعلم لها حقيقة قال وكل من زاولته يعافيه الله تعلى وانا

اليوم من امر آخرتي ودنياي في نعم الله والحمد لله وكل ذلك ببركة الشيخ رضى الله عنه

فعلق رجاءك بالشيخ ان اردت سلوك سبيل الفلاح
فان خوارقه هذه لها اليوم اذعن اهل الصلاح

* المنقبة السابعة عشرة *

عنه ايضا قال وقفت يوما بين يدى الشيخ رضى الله عنه فقال لى نحن لا نحرث فى هذا العام فقلت له على بركة الله فقال لى بعض من سمعه ممن ينتمى اليه لا تترك السبب لكلام هذا الشيخ فلما كان وقت الحرث عملت بمقتضى كلام الشيخ فى ترك الحرث لكنى اردت الوقوف على قول معارض الشيخ فى امره لى بترك الحرث فزرعت قفيزا واحدا ونصف قفيز من القمح فى موضع وزرعت من الفول فى موضع آخر نصف قفيز فلما كان الصيف لم يزد ما جمعناه من ذلك على قفيز ونصف من القمح ونصف قفيز من الفول وذلك ما كنا زرعنا وما زدنا على ذلك صاعا ولا نقصناه وجئت الى الشيخ فلما رآنى قال لى من صدق انا او هو فقلت انت الصادق فقال اخذنا الزريعة والحمد لله فلما كان العام المقبل قال لى رضى الله عنه نحرث السنة ونجمع كثيرا من الزرع ونحصل مائة وخمسين قفيزا قال فعملت على قول الشيخ وكثرت الحرث فلما كان الصيف واخصب الزرع وجدنا فى الحاصل من زرعنا فيما بين القمح والشعير مائة وستين قفيزا بزيادة عشرة اقفزة تحقيقا لصدق قوله رضى الله عنه

اذا قال قولا فتقف عنده ودع عنك ما قد تكن الصدور
فبالاذن ينطق فى امرنا وعنه كذاك يكون الصدور

* المنقبة الثامنة عشرة *

عن الحاج المعتقد التالى لكتاب الله تعلى ابى الثناء محمود قال سافرت حاجا فى عام خمسين وثمانمائة فلما وصلنا ونحن فى ركب كبير الى جبل المياس

خرج

خرج علينا من المحاربين نحو من خمس مائة فارس وذلك فى ليلة الاثنين الخامس عشر من شهر رمضان للسنة المذكورة وباتوا محدقين بنا وما فى الناس إلا من يستغيث بسيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه فلما اصبحنا سار المحاربون عنا وتركونا كانهم لا يريدوننا وكان ذلك مكيدة منهم فتركونا الى وسط النهار عند اول وقت الظهر والركب قد رحل والناس على ظهر واغاروا علينا من كل جهة من الجهات واحدقوا بنا وكان من الراى عندنا ان اناخ الناس ركائبهم وتوجهوا للقتال والعلام ثابت لا يتحرك فى يد ماسكه والناس ينادون بالشيخ رضى الله عنه فكان كل من كشف الله تعلى على بصيرته يرى الشيخ واقفا مع العلام وكان الناس يرون الحجر ينزل على العدو من الهوى ولا يرون من يرمى به والشيخ فى هذا كله لا يتحرك حول العلام الى ان هزم الله العدو وولوا عنا مدبرين وكانت لنا الطائلة عليهم ببركة الشيخ رضى الله عنه قال فلما رجعنا بعد حجنا الى تونس اجتمع بى فى جامع الزيتونة الشريف السلاوى وقال لى حدثنى عن ركبكم هل عرض له عارض خوف وانتم مصعدون ليلة الاثنين ويومه الخامس عشر من شهر رمضان فقلت له وما ذاك فقال ان الشيخ سيدى احمد ابن عروس كان ينادى فى ذلك الوقت كله يا حجاج لا تخافوا وهو فى امر عظيم فعلمت ان ذلك انما هو لامر عظيم اصاب الحجاج وعارض عرض لهم فارخت ذلك ولهذا سالتك فاخبرته بما كان بيننا وبين المحاربين من القتال وان الشيخ رضى الله عنه فى خلال ذلك كان واقفا مع العلام لا يشك فى ذلك من رآه منا ولا يرتاب قال فذكر انه كان عندهم بتونس فوق سطحه على الصفة التى ذكر ونحن نراه عندنا والوقت واليوم والشهر واحد رضى الله تعلى عنه واعاد علينا من بركاته

ولا بعد فى مثل ذا عندهم ... وان كان امرا لدينا غريب
وكل الذى قد ترى منهم ... بعيدا فذلك امر قريب

* المنقبة التاسعة عشرة *

عنه ايضا قال لما توجهت المحلة المظفرة العثمانية لاخذ نفطة احدى بلاد الجريد وجه معها الشيخ سيدى احمد ابن عروس فقيرا من فقرائه مجهول العين لا يعرفه كل الناس وكان قريب عهد بالاندلس قد وجهه الشيخ لحضور غزوة عظيمة كانت بين المسلمين والنصارى وكانت الطائلة فيها للمسلمين ببركة الشيخ رضى الله عنه وبنفس قدومه وجهه مع المحلة فكان يرحل مع الناس ولا يعرفه احد فلما اخذت نفطة وكان اخذها عند المغرب بات قواد السلطان محدقين بها من كل جهة من الجهات فلما اصبح خرجت وانا اريد الركوب واذا بذلك الفقير قد اقبل الي وانا لا اعرفه وقال لى انت الحاج محمود فقلت له نعم فقال لى رايت البارحة فى النوم سيدى احمد ابن عروس وبين يديه سيدى محمد شوشو وقال لى امش الى الحاج محمود وقل له يمشى الى الخليفة ويقول له هذه امراة حامل ولدت مولودا ذكرا ففرحت به ثم انها رات ليلة القدر فدست ولدها تحتها وقالت انا وولدى فى خفارة الله ويا امير المومنين هولاء فى خفارة الله يريد اهل نفطة واين العهد الذى بينك وبين الله قال فنكست راسى وفكرت فى هذا الامر كيف اقدم به على السلطان ولا اعلم صدق ذلك من كذبه فلما رآنى كذلك قال لى ان الشيخ اخبرنى انك اذا اخبرتك تبقى مفكرا فى هذا الامر مترددا فى صدقى وعدم صدقى كما رايته منك ولكن قال لك بامارة انك مررت بى يوما فقلت لك مت بالجوع مت بالجوع مت بالجوع ثلاث مرات قال فقلت له حينئذ صدقت وصدق رضى الله عنه وكان هذا الكلام من الشيخ لى قبل هذا الموطن باربعة اعوام وسببه ان القائد نبيل راودنى يوما على الخدمة بكل وجه فابيت فقال لى لا تلهنى من هذه الساعة فخرجت من عنده مغضبا وانا اقول ان كان رزقى على يديك فدعنى امت بالجوع ومررت فى تلك الساعة بالشيخ فاشرف

علي وقال لى مت بالجوع مت بالجوع مت بالجوع اى ولا تخدم احدا غير الله تعلى قال فلما صح عندى مقال الفقير سرت من فورى الى السلطان واخبرته بذلك كله فقال لى صدق ثم انه نادى قواده وارباب دولته وقال لهم بادروا وامنعوا المسلمين وامر بالرحيل عنها من حينه ليبعد الناس من اذاية اهل البلد امتثالا منه لامر اولياء الله تعلى رضى الله تعلى عنهم ونفعنا بهم

تكمل وصفا باذءانــــــه لامر ولي علي المقـــــام
فكف الاذى واغتدى راحلا ليصرف السوء بترك المقام

* المنقبة المتممة العشرين *

عنه ايضا قال اجتمعت بمكة شرفها الله تعلى مع رجل من المجاورين بها من اهل تونس قال اشتهت نفسى علي مرة الكسكس بالسمن واللحم البقرى والكرنب فلما كان الليل وانا جالس واذا بانسان ناولنى قصيعة من عود عليها غطاء من عود ففتحتها واذا فيها جميع ما اشتهيت على الوجه الاكمل وعرفت القصيعة انها لنا فتحيرت فى امرى واخذت القصيعة عندى فلما رجعت الى تونس واجتمعت بوالدتى اخرجت لها القصيعة وقلت لها اليست هذه لنا قالت نعم فقلت لها كيف الخبر قالت زرت يوما سيدى احمد ابن عروس وقلت له يا سيدى اشتقت الى ولدى فقال لى اريد قصيعة بالكسكس والسمن واللحم البقرى والكرنب وابنك ياتيك ان شاء الله فصنعت له ذلك وحملته اليه فى هذه القصيعة وآخر العهد بها انها عنده رضى الله عنه

وهذا غريب ولكنـــــــــه قريب لدى الشيخ فى خطوته
وكيف ومن سره انـــــــه اذا سار فالارض فى خطوته

* المنقبة الحادية والعشرون *

عنه ايضا قال هربت وصيفة سمراء لابراهيم ابن القائد نبيل واستقرت

بالزاوية العروسية عمرها الله بذكره فجاء ليخرجها ومعه الخدام فامرهم باخراجها مكرهة فاشرف عليه الشيخ رضى الله عنه وقال له يابيضون طويت حصيرتكم او قال انطوت حصيرتكم قال فلم يمض له بعد هذا الموطن الّا ايام قلائل كالخمسة الايام او السبعة وحل به المسكين وبوالده وسائر حواشيهم ما هو معلوم مشهور من اخذ السلطان لهم واستيلائه على اموالهم وكبسه عليهم وغير ذلك وحقق الله بذلك مقال وليه رضى الله عنه

وكم رام ذو عزة قبله ... من الشيخ هتك ستور الحرم
فعوجل بالاخذ عن بغتة ... وازعج عن قاصرات الحرم

* المنقبة الثانية والعشرون *

عن الفقيه الاكمل الارأس ابى عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الكماد صاحب الاشغال بتونس قال سمعت سيدنا الامام السلطان ابا عمرو عثمان ايده الله ونصره يقول رايت فى النوم كانى تناولت القمر بيدى او كلام هذا معناه فلما كان صبيحة تلك الليلة اتى الي بعض اصحاب الشيخ رضى الله عنه وقال لى سيدى يسلم عليك وقال لك يا صاحب القمر اطعمنى التمر

اذا كان يرعاه فى امره ... ويحرسه فى حديث المنام
فكيف اذا الجزم ابدى له ... شريد المعالى لرعى الانام

* المنقبة الثالثة والعشرون *

عنه ايضاً قال كنت بين يدى الشيخ رضى الله عنه والناس حينئذ فى ازمة وغالب ظنى ان الفقيه الامام الصدر ابا عبد الله محمد البيدمورى متولى النظر فى الاحباس بتونس المحروسة للتاريخ كان معى فقال الشيخ رضى الله عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرءوا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية فاغاث الله بالمطر الوابل الكثير الغزير فى الليلة الموالية لذلك اليوم الذى تلا فيه الآية رضى الله عنه

فقل هكذا للذى لم يـــزل   يرى الرشد غيا ولا ينتقل
فشمس الحقيقة قـد اشرقت   وداعى الرشاد دعاه استغل

* المنقبة الرابعة والعشرون *

عنه ايضا قال تزوجت امراة فمرضت قبل البناء بها وجاءت الى دارى وهى بحالة المرض وكانت النفس متعلقة بها فقصدت الشيخ رضى الله عنه وحملت له بعض شيء من الغنم تبركا به فلما وقفت بين يديه قال رضى الله عنه وما فاتحناه بكلام الخابية انكسرت ودخل تحتها اثنان عند الراس واثنان عند الرجلين واثنان فى الوسط قال فعلمت من كلامه انها لا تقوم من مرضها ذلك واتفق انها ماتت وما اقامت فى دارى عدا ستة ايام ودخل تحت نعشها من الحمالين الذين حملوها لقبرها العدد الذى ذكره الشيخ فى الخابية ومن الله سبحانه علي بعد وفاتها مع تعلق القلب بها بالصبر الجميل ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به

راى العمر غيبا تنقضى وقـد   دعاها الى الله داعى الرحيل
فاخبر بالاذن عمــا راى   وما الامر فى مثل ذا مستحيل

* المنقبة الخامسة والعشرون *

عن الفقير قاسم بن احمد الزيات وكان من الاقدمين فى معرفة الشيخ رضى الله عنه قـال كنت يوما عند الشيخ رضى الله عنه واذا برجـل لا اعرفه قال لى انت من هذا الوضع فقلت له نعم فقال ان هذا الشيخ كنت لا اعتقده وكان لى جارح فراى له كرامة عظيمة حدثنى بها عنه فصرت اعتقده واحبه من حين سمعت ذلك عنه فقلت له وما هى الكرامة التى حدثك بها فقال لى كنت فى الدرب وعندى ناقة عليها جميع ما املكه ندت عن الركب وجريت فى طلبها امدا بعيدا فما رايت لها عينا ولا اثرا وصل الركب عنى فلا انا بمالى ولا انا بنفسى فالتجات الى الله تعلى واستغثت بسيدى احمد ابن عروس ووعدته ربع دينار فبينما انا فى

تلك الشدة التي لا يعلمها إلّا الله تعلى واذا بسيدى احمد ابن عروس ومعه رجل آخر كان ملازما لباب البحر عندنا بتونس يقال له يسو كان يبول على نفسه ولا يراه احد يصلى واذا ناقتي بينهما فدفعاها لى وقال لى الشيخ اذا وصلت الى تونس فلا تنس الوعدة فقلت له يا سيدى واين الركب فقال لى هذا الركب واذا الركب عندى فالتفت اليهما فلم ارهما فلما وصلت الى تونس جئت الى الشيخ يسو فوجدته بموضعه من باب البحر نائما بين ارجل الناس يداس بالاقدام فناديته فقال من انت فقلت صاحب الناقة وهذه الوعدة فقال ادفعها للشيخ فتصدت الشيخ فلما رآنى قال لى هات اعطنى ربع دينار فناولته له وانصرفت رضى الله عنه ونفع به

اذا كان من سره انســــه   اذا اشتد امر ونودى يغيث
فمن حزمنا اننا كلمــــا   تصعب امر به نستغيــث

* المنقبة السادسة والعشرون *

عنه ايضا قال حدثنى بعض خدمة السلطان وكان لا يعتقد الشيخ رضى الله عنه قال جئت اليه يوما فقال لى انظر ما هنالك فنظرت فاذا راس كبش يقطر منه الدم فمسكته من اذنه وعلقته فقال لى اى شئ هو قلت راس كبش قال راس نعجة هو قلت لا راس كبش قال راس كبش قلت نعم قال اتركه ورغ عنى فخرجت وما عرفت له مرادا فى ذلك فاتفق ان السلطان ارتحل متوجها للغرب وكان فى تلك الجبال سلطان يدعو الى نفسه فاتفق ان اخذ وقطع راسه وامسكت ذلك الراس من اذنه وعلقته فى يدى والدم يقطر منه ففى تلك الحالة وهو فى يدى تذكرت مسالة الشيخ فى راس الكبش فلما جئت الى الشيخ بعد العودة من سفرى قال لى رضى الله عنه امسكت الراس فى يدك فقلت له نعم قال مبارك رضى الله عنه

فحدث بهذا عن الشيخ من   اضاع من النصح ما قد يجب
فان عاد للحق فهو المنى   وإلّا فلا تلح من قد حجب

المنقبة

* المنقبة السابعة والعشرون *

عنه ايضا رضي الله عنه قال كنت يوما عند الشيخ الصالح ابي الفضل قاسم السريدك رضي الله عنه واذا بامراة قد جاءت نحوه فهرب منها فنادته فدخل الى داره وتركها فقالت للحاضرين وانا فيهم اعتقدوا هذا الشيخ فقلنا نحن على اعتقاده وما ذاك قالت كان لي ولد اسير ترك اهله واولاده وانا منه في كرب لا يعلمه الا الله ثم اني تحدثت في امر فديته وابرمت الامر في ذلك وما عندي درهم واحد فقصدت بعض نساء ارباب الدولة واخبرتها بمسالتي فوعدتني بالخلاص ثم اني عدت اليها من الغد فرجعت عن قولها وضربوني الخدام ضربا وجيعا فخرجت من عندها وقد نسيت امر ولدي بما اصابني وقصدت مقام سيدي محرز بن خلف وتضرعت عنده بما امكنني ثم قصدت سيدي احمد ابن عروس فلما رآني قال لي انا وقاسم نفكوا ولدك وطردني عنه فاخبرت الناس بكلامه وسالتهم من يكون من قاسم من اولاده قالوا هو سيدي قاسم السريدك والله اعلم فسالت عن موضعه وقصدته فلما ضربت الباب قال لي من داخل الدار انا وابن عروس نفكوه ففرحت بذلك وانصرفت وما عرفت للخلاص وجها فبعد ايام رجعت الى سيدي احمد ابن عروس فلما وصلت الى باب الزاوية ناداني من فوق السطح وامرني ان اسلم على رجل راكب على فرس لا اعرفه وكانه قد قدم من السفر فاستحييت وما زال بي الى ان سلمت عليه ورجعت الى موضعي فما جلست بالارض الا وداري قد امتلات علي بالجيران وهم يقولون الناس يسلمون على ولدك فخرجت وسلمت عليه وابى ان يدخل الدار حتى يسلم على الشيخ ولما عاد اخبرني عن امره قال كنت يوما اخدم في عريش عنب وانا في ارض النصارى على ساحل البحر واذا بسيدي احمد ابن عروس وسيدي قاسم السريدك قالا لي اطلع في هذا القارب وامش الى اولادك واذا بقارب هنالك فركبت فيها ووجدت مقدافين فصرت احاول بهما الى ان خرجت الى بلد العناب فاعطيت القارب

لفقراء سيدى ابى مروان ولما سلمت الآن على الشيخ قال لى واين القارب فقلت اعطيتها لفقراء سيدى ابى مروان فقال لى وانا فقراءى طحانين هكذا رضى الله عنه

انته وفى القلب منها جراح　فابدى من الوعد ما قد اراح
ومن عليها بانجـــــازه　فغل يد الاسر يسر السراح

* المنقبة الثامنة والعشرون *

عن المؤذن الصالح ابى الحسن على بن محمد الصنهاجى عرف المقوزى قال من عادتى مع الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه انى اهدى له فى كل وقت وردا من اورادى زيادة فى حسناته فاتفق انى فعلت ذلك على عادتى فرايته رضى الله عنه فى النوم وقد عانقنى وقبلنى وادخل لسانه فى فى مع ريق فيه شئ من الفضة فابتلعت الريق وابقيت الفضة ومن الغد جئت اليه ووقفت بحيث لا يرانى فسمعته يقول والناس بين يديه ايما اطيب الريق او الماء وايما اطيب الفضة او النحاس فعلمت ان خطابه انما هو معى فقلت له دون ان اريه وجهى الفضة اطيب وانصرفت عنه رضى الله عنه

تادب فى السر مع شيخه　واهدى اليه ثواب العمل
فاهدى له الشيخ من ريقه　رحيقا به سوف يلقى الامل

* المنقبة التاسعة والعشرون *

عنه ايضا قال كانت اهلى حاملا فرايت فى النوم كان الشيخ رضى الله عنه قد اشرف على موضعنا ففرحت به فقال اعطنى السلم لانزل فاتيته بالسلم فنزل به وادخلته البيت واجلسته واتيته بمن عندنا ليتبركوا به وكانى قلت لاهلى اعطه يمسح على بطنك فجعل رضى الله عنه يمسح على بطنها وهو يقول محمد ان شاء الله ثم طلب منا زيتا فقمت لآتيه بالزيت وانتبهت من نومى فلما كان بعد صلاة الصبح اجتمعت بسيدى احمد بن

كحيل وكان يعتقد الشيخ فاخبرته بما رايت فقال لى يا ولدى لعل الشيخ يحتاج شيئا من الزيت فاعطانى درهما فاشتريت به كوزا وحملته الى داره فملوه بالزيت وجئت به الى الشيخ ووقفت بمراى منه والآنية تحتى اخفيتها بحيث لا يراها وما كلمته فى ذلك بشئ فجعل رضى الله عنه يردد النظر الي تارة بعد تارة ثم قال لى الكوز ملآن فقلت له نعم فقال ذلك الزيت فيه الذبان والجراتل والقمل مر احمله فاذا كان غدا ائتنى به فاخبرت صاحب الزيت بمقالة الشيخ فيه فبكى وقال الزيت فيه الشبهة فلما كان الغد رجعت بالزيت اليه فقال لى احمله لدارك يعملوا به الريحان لمحمد فحملته لدارى وبعد ثلاثة ايام ولدت اهلنا التى كان وضع يده على بطنها فى النوم ولذا سميناه محمدا وصدق الله تعلى مقاله رضى الله تعلى عنه

فقل للذى لم يزل عقلـــه ويردى الفتى جهله فى عقال
ابعد اطلاع على مثـــــل ذا لذى الفهم فى امره من مقال

* المنقبة المتممة الثلاثين *

عنه ايضا قال اردت الخروج ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم الى زاوية الشيخ رضى الله عنه فادركت المراة غيرة من خروجى وقالت انما تريد اهلك الاخرى وما زال الامر يتفاقم بيننا الى ان حلفت لها بالطلاق لا بد ان اخرج فخلت سبيلى وخرجت فلما وصلت الى الزاوية وجدت الباب مغلقا فاشرف الشيخ رضى الله عنه علي وقال يحلف بالطلاق ويحب الدخول الى الزاوية اين هذا الرباط واين هذا الفقر قال النبى صلى الله عليه وسلم سكنوا ولا تنفروا مر لا سبيل ان تدخل فاخذنى من كلامه امر عظيم وجلست ابكى واستغفرت الله تعلى مما كان منى ولجات اليه تائبا متنصلا فاشرف علي وقال لى تتوب الى الله تعلى فقلت له نعم فقال لى ادخل فدخلت رضى الله عنه

يقول المجهول عن الشيخ لا يوفى الحقوق من التربيه
وهذا الحديث وامثاله يدل على اعظم التوفيه

* المنقبة الحادية والثلاثون *

عنه ايضا قال كنت وقعت فى الشيخ رضى الله عنه مرة بالكلام فرايته فى النوم فى زاويته وهو جالس على فم الماجل الذى فى قاعتها امام بيته فاراد رضى الله عنه ان يمسكنى فضربته برجلى وهربت عنه فادركنى ولاطفنى وقابلنى بالحسنى ثم حملنى معه الى جامع الزيتونة ولما انتهينا الى بابه قال لى اقم ههنا الى ان اتوضا وارجع اليك ودخل فابطا عنى فادركته ووجدت بين يديه فى المكان الذى يروى فيه صحيح البخارى من الجامع المذكور خصة بالماء الطيب الصافى الزلال فتوضا وصلى ركعتين وخرج فلما وصل الى باب الجامع افقت من نومى واتيته رضى الله عنه بعد ما اصبح فقال لى ذلك الوضوء رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت الله اكبر

اشار بهذا الى انه من الشرع فى السر لا يعدل
فان لام جهلا باحواله ملوم ففى العذل لا يعدل

* المنقبة الثانية والثلاثون *

عنه ايضا قال رايت الشيخ رضى الله عنه فى النوم فى مجلس عظيم وهو شيخ الدرس فى مكان مرتفع وعليه عمامة كبيرة محنكة والفقهاء بين يديه وهو يتكلم فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زلت احاول الى ان وصلت اليه وجلست قريبا منه فاخذ صحفة فيها دم وصار يمر بها على الناس وكل واحد يغمس فى ذلك الدم اصبعه ولما وصلت النوبة الى فعلت كما فعلوا لكن استكرهت فلما راى كراهتى لذلك قال لى رضى الله عنه صدرك لا يسع ذلك الدم انت معتقد غير منتقد رضى الله عنه

الى الله ابرا من ان ارى ولى فى ولي قبيح اعتقاد

وهذا حديث اراك الـــذى   يرى الشيخ جهلا بعين انتقاد

* المنقبة الثالثة والثلاثون *

عنه ايضا قال ختم الولد عندنا سورة الرحمن وما عندى درهم واحد يحمله لمودبه فلما كان الليل وكانت نوبتى فى المبيت بصومعة جامع الزيتونة ونامت العيون اشرفت على الشيخ رضى الله عنه من الصومعة وقلت فى سرى ياسيدى احمد تعلم فاقتى وقلة ذات يدى وقد انكسر قلبى من عدم ما يعطيه الولد لمودبه فى هذه الختمة واطنبت فى هذا المعنى فسمعته رضى الله عنه يقول امش الى ابن عصفور وكان حينئذ هو الناظر فى الاحباس بتونس فعلمت ان الاشارة بهذا الكلام انما هى الي فلما اصبح كتبت ورقة فيها مطلبى وحملتها لابن عصفور المذكور فاعطانى دينارين فوالله ما فرحت بشئ فرحى بهما فاعطيت للولد دينارا يعطيه لمودبه واشتريت له بالدينار الآخر بعض ما يصلح للباسه ولما كان الليل سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول قسمنا نصفين اعطينا للمودب دينارا وكسونا الولد بدينار فاخذنى العجب من عظيم اطلاعه اولا وآخرا رضى الله تعلى عنه واعاد علينا من بركاته

وما ذاك اعجب من فتيـــة   راوا مثل هذا وما اذعنـــوا
ويا ليتهم سلموا فاغتــــــدوا   خفافا وفى القول ما امعنـوا

* المنقبة الرابعة والثلاثون *

عن ابى الفضل ابن عون قـال كانت بجوارنا امراة لها ولد اسير فكانت تردد الى دارى بالشكوى فبكت يوما لاجله بكاء شديدا ادركتنى منه رقة لحالها فامرتها بالوصول الى الشيخ رضى الله عنه وبث الشكوى بين يديه ففعلت ذلك وذكرت له ما اهمها من اسر ولدها فامرها رضى الله عنه ان تاتيه بمعبن من عمل باجة فاخبرتنى بمقال الشيخ رضى الله عنه فقلت لها افعلى ما امرك به فاشترت له المعبن وجاءت به فاخذه من

يدها واوقفه باعواد صار بذلك فى صورة القلاع ثم قال لها انصرفى جبناه مع سبعة فبقيت المراة نحوا من شهر واذا بولدها داخل عليها فاجتمعت بالاسير المذكور وسالته عن مسالته فقال خرجت هاربا فى سبعة من لاسارى واختفينا فى غار ازيد من اربعة عشر يوما فبينما نحن كذلك فى الغار وانا نائم واذا بسيدى احمد ابن عروس نبهنى وقال لى قم للبحر فايقظت اصحابى وخرجنا الى البحر فى الحين فوجدنا على الساحل قاربا بكل ما نحتاج اليه من المقاذيف وغيرها للصيادين فركبنا فيه وخرجنا الى بلد العناب ببركته رضى الله عنه

فمن نعته هكذا كلمـــــا اخذت تعدد اســـــراره
مكين وذو العقل لا يرتضى على الشك فى ذاك اسراره

* المنقبة الخامسة والثلاثون *

عنه ايضا قال كان رجل غريب لا اهل له بتونس فى السجن فاشتهى يوما الكسكس واللحم وسال الله فى ذلك فاتاه انسان بذلك على الوجه الذى اراده وهو لا يعرف من هو ثم ان رجلا كان ساق الطعام الى الشيخ فى قصيعة صار يتردد اليه فى طلب قصيعته وكلما كلم الشيخ فى قصيعته يقول له مر فى الحبس ثم انه لما طالت مراجعته قال له بعض الحاضرين ان الشيخ ذكر لك الحبس مرارا فادخله اختيارا لئلا تدخله اضطرارا فانى ارى انك لا بد ان تدخله لكلام الشيخ فامتثل الرجل ودخل الحبس فجعل يتفقد من هنالك من المثقفين واحدا بعد واحد فوجد قصعته عند رجل هنالك فامسكها وقال من اين لك هذه القصعة فاخبره بامر شهوته واتفاقيته فيها فحمل الرجل قصعته وانصرف متعجبا من امر الشيخ رضى الله تعلى عنه ونفع به

لئن ظهر السر فى مثل ذا ففى الف الف اراه اختفى
وذو الجهل ما زال فى غمرة ولو كان يدرى بهذا اكتفى

* المنقبة السادسة والثلاثون *

عنه ايضا قال حدثني الفقيه ابوعبد الله محمد بن عصفور قال حدثني فلان لرجل سماه من التالين لكتاب الله تعلى ممن له ختمة كاملة كل يوم بمقام الشيخ الصالح الولى الكبير سيدى ابى سعيد الباجى رضى الله عنه قال تاخر ختمى عند هذا الشيخ مرة بحيث لا يمكننى المبيت إلّا فى مقامه فبينما انا كذلك واذا برجل ادلى الي قفة كبيرة وقال لى خذ عشاك منها فذعرت لذلك ورفعت راسى فاذا هو سيدى احمد ابن عروس لا اشك فيه ولا ارتاب ثم انه رضى الله عنه مد يده الى القفة وهو فوق الجدار وهى عندى والجدار فيه طول فطالت يده الى ان وصلت القفة فغرف لى منها ثلاث غرفات وقال لى فى رقبتى منك اعداد وانصرف عنى رضى الله عنه ونفعنا به ؛

اذا كان يرفق من ارضه　　تناءت من الشرق والغرب
فاولى القريب وذا كله　　لذى الفهم من امره المعرب

* المنقبة السابعة والثلاثون *

عنه ايضا قال حدثني الفقيه الصوفى ابو عبد الله محمد الحبيب قال حدثني الفقيه القاضى الاوحد السيد ابو الفضل بلقاسم القسنطيني قاضى الجماعة حينئذ بتونس المحروسة رحمه الله قال كنت نائما فى اول الليل فى دارى واذا بالشيخ فوق سطحه ينادى بصوت عال يا اهل تونس بات فيها الليلة ستة بغير عشاء ثم يقول علي الطلاق ان لم تطعموهم ما هى إلّا ليلة مشومة عليكم قال ذلك مرارا متعددة وانا اسمعه ثم انى قلت فى نفسى من اهل تونس غيرى انا القاضى وانا المفتى وانا الامام فانا المراد بهذا الكلام فامرت الخادم باخراج طير من دجاج عندنا ولما اردت ذبحه سمعت الشيخ يقول كانه حاضر معى علي الطلاق ما ناخذ إلّا ستة فقلت الله اكبر وامرت الخادم ان يكمل العدد الذى ذكره الشيخ

وذبحت تلك الطيور واحدا بعد واحد وامرتهم ان يصلحوا من شانها وان يصنعوا على ذلك اللحم طعاما ويحملوه الى الشيخ فى بقية الليل ففعلوا ذلك ثم ان الذى حمل اليه الطعام اخبرنى انه وجد الشيخ مرتقبا من السطح قدومه بالطعام قال فلما رآنى ادلى لى حبلا وتناول منى الطعام وانصرفت عنه رضى الله تعلى عنه ونفع به

تصدى مطاعا لعالم القضا وافتى وابرم احكامه
ولما تبدى له بارق من السر لم يدر احكامه

* المنقبة الثامنة والثلاثون *

عنه ايضا قال كانت اهلى قد ازمن بها المرض مدة ثلاث سنين وطال الامر عليها فى ذلك وكان عندى منها ولد صغير بكى يوما عليهم فوجهوه الي مع الخادم وانا اخدم بين يدى الشيخ رضى الله عنه فلما امسكته قلت للشيخ يا سيدى خاطرك مع هذا الولد فقال انا احب ان ازوجك فالقى الله فى نفسى ان امه لا تقوم من مرضها وكان هذا الكلام منه رضى الله عنه فى رجب فلما كان عيد الفطر جئت لاقبل على الشيخ رضى الله عنه فوجدت عنده احد اخوانى فى الله فسالنى عن مرض الاهل فقلت له سرا عن الشيخ الامر على ما هو عليه فقال هذا الاخ للشيخ يا سيدى خاطرك مع المريض فنظر رضى الله عنه الى خشبة كانت بين يديه وقال هكذا امراة فلان باسمى فقلت ياسيدى هذه خشبة يابسة قد انقطع منهسا الامل فقال الذى عندى قلته قال فاصبحت اهلنا من الغد كانها خشبة لا تتحرك يمينا ولا شمالا وكانت قبل ذلك مدة مرضها لا بد لها من قيام وجلوس وحركة فلما ضاق عليها الامر لذلك امرت خادمها تعمل للشيخ طعاما وتحمله له رجاء بركته فلما ناولته الطعام وانا عنده قال لي من اين هذا فقلت له من عند ذلك الانسان ولم اعين احدا فقال لى سلم عليه وقل له باى شئ تتقرب الى وفى اوائل ذى القعدة قال لى وقد كنت

عنده اذا يسرت القفة والمسحاة وسكت رضى الله عنه فلما دخل ذو الحجة نظر الي وقال يوم الجمعة يسافر الضيف فماتت ليلة الجمعة ودفنت من الغد فلما عدنا من دفنها جئناه رضى الله عنه بالولد فلما رآه قال لى اسلمه لله ثلاثا رضى الله تعلى عنه ونفع به

وهذا اطلاع عظيم لـــه   على الغيب بالامر من ربه
وقد دل ذاك على سبقــه   كما دل ايضا على قربــه

* المنقبة التاسعة والثلاثون *

عنه ايضا قال كنا فى جماعة من اصحابنا حول الزاوية العروسية عمرها الله تعلى بذكره واذا برجل قد امسكه اعوان القاضى لمناوبة الحكم فى دم ادعي به عليه وصاحب الدم بزعمه معهم فرآهم الشيخ رضى الله عنه من فوق سطحه وقد ضيقوا عليه وهو معهم فى غير حكمه فقال رضى الله عنه للذين امسكوه اطلقوه اطلقوه فقال له ولى الدم وانت رجعت قاضى الشوارع فقال له الشيخ اطلقه فقال له لا فقال له رضى الله عنه انت تموت وهو يفلت فكان كذلك هرب من ايديهم بنفس ان غاب عنا وتعلق بحلقة باب دار السلطان من ملوك بنى حفص ارباب الدولة فخرج لما سمع صراخه عند باب داره فوجده متعلقا بداره وغريمه ماسكه فراوده ان يخلى سبيله فابى فاخذ هو وبعض خدمته حربة كانت فى سقيفة داره وضرب بها صاحب الدم بزعمه فخر ميتا لحينه واجتازوا به علينا ونحن بمكاننا محمولا ميتا ونجا المطلوب وسلمه الله تعلى ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به

فيا رمد العين يا معرضـــــا   عن الرشد والرشد بادى الظهور
دعاك من الشيخ داعى الرضــا   فملت الى ما يقد الظهـــــور

* المنقبة المتممة الاربعين *

عنه ايضا قال وقع بينى وبين بعض اصحاب الشيخ رضى الله عنه كلام

بحيث انه اساء علي الادب فشكوته للشيخ رضى الله عنه فقال لى اقرا سورة عبس فقرات عبس وتولي ان جاءه الاعمى فقال لى قف فالقى الله فى قلبى انه سيفقد بصره فاخبرته بما وقع لى مع الشيخ وقلت له اخاف عليك العمى فبقى بعد ذلك سبعة اعوام وعمى وهو الآن اعمى نعوذ بالله من ذلك

فبمثل ذا عظة المريد وزجره عما عسى ان يغضب الاخوانا
ولقد اشار لنوع ما قد ناله باشارة صارت له عنوانا

* المنقبة الحادية والاربعون *

عنه ايضا قال مرض احد فضلاء اصحابى فجاءنى ولده باذن ابيه لتقف له علي الشيخ رضى الله عنه رجاء بركته فاسعفته فى ذلك وقلت للشيخ يا سيدى خاطرك مع فلان فقال لى رضى الله عنه انه خرج من الزمام سمعته ولم يسمعه ولده وهو الى جانبى فبقى بعد هذا نحو الاربعة الايام ومات رحمه الله تعلى وظهر قول الشيخ رضى الله عنه

وهذا هو السر ابدى لذا صريح الجواب لكى يفهمه
وعمن يقود الجواب الجوى اليك كما قد حكى افهمه

* المنقبة الثانية والاربعون *

عنه ايضا قال ارادت سفينة الشيخ السفر فلم يجدوا لها قلاعا فوجه الشيخ رضى الله عنه احد خدمته للحاكم بتونس حينئذ وهو ابن حيون قال له سيدى بعثنى اليك فى قلاع فقال له المسكين لشقوته بالله باى شئ نفعنى سيدك ثم جعل يقول يحاكى قول الخادم سيدى سيدى ثم حلف له بالطلاق او قال بغيره انه لا يملك قلاعا فرجع الى الشيخ ليخبره فوجد سيدى قاسم السريدك فى سقيفة الزاوية فاخبره بمقالة ابن حيون فقال لا تسافر السفينة إلّا بقلاعه ﷺ عد الى الشيخ فاخبره فما بقى الحاكم المذكور إلّا ثلاثة ايام واخذه السلطان فاخرجوا من داره قلاعين اعطاه

السلطان

السلطان احدهما فما سافرت سفينة الشيخ إلّا به رضى الله عنه

اذا المرء اعمى الهوى قلبه ... عن الرشد لم يستمله النصيح
لينفذ فيه القضا حكمه ... واذ ذاك لو كان يجدى يصيح

* المنقبة الثالثة والاربعون *

عنه ايضا قال وقفت يوما على الشيخ الفقيه القاضى الاوحد السيد ابى محمد عبد الله البشيرى قاضى الانكحة حينئذ بتونس المحروسة رحمه الله فتفاوضنا عنده فى امر الشيخ رضى الله عنه فقال اما انا فاعرف له كرامتين احداهما انه كان لى ولد اصابه الجدرى الى ان كاد يتناثر لحمه عن عظمه فامرتهم بحمله للطبيب فحملوه واجتازوا به على الشيخ فرآه من فوق السطح فقال لهم ردوه انا نداويه ردوه انا رقيته وداويته قال فردوه قبل الوصول الى الطبيب فشفاه الله تعلى فى امد قريب دون معاناة ولا مزاولة احد ببركة الشيخ رضى الله عنه والثانية اتت الى اهلنا امراة تطلب منها عارية الحلى فاعارتها حليا له قيمة جليلة وطال مكثها به عنا وانتظرناها لرد ما اخذته فلا هى ولا الحلى وضقنا ذرعا من هذا الامر فكانوا يترددون الى الشيخ فى امر حليهم يطلبون بركته وما زالوا به الى ان قال لهم عن المراة هى بالموضع الفلانى فذهبوا لذلك الموضع الذى ذكره الشيخ فوجدوا هنالك المراة واخذنا حلينا منها ببركة الشيخ رضى الله تعلى عنه

قرانا واقرانا العلوم ولم يزل ... ينال صميم المجد من جد فى الطلب
ولكن اهل السر يا لجا من اتى ... به امل منا ليدرك ما طلب

* المنقبة الرابعة والاربعون *

عنه ايضا قال صعدت يوما لارى الشيخ رضى الله عنه فوجدت احد خدمته ينقص فى خشب سقف فى مطلع السطح نقصا يصير الاثقال التى كانت الخشب تحملها معلقة فى الهواء دون شىء يمسكها فلما رايت ذلك

وهو تحت الردم هالني امره وقلت له ما هذا الذي تفعله بنفسك انت عاقل او غير عاقل فسمعني الشيخ رضى الله عنه وكان قريبا منه وما لى به علم فقال من هذا فقال له يا سيدى هذا فلان فقال رضى الله عنه للذى كان يخدم انزل وامرني بنقض ما بقى من ذلك مكانه فجعلت انقض الى ان علقت السقف كله ولم يبق من الخشب ما يحمل التراب فلما فرغت قال لى رضى الله عنه ابق هنالك وانصرف وتركني وكان وقت العصر فلم ازل هنالك واقفا الى اذان المغرب فحينئذ اشرف علي وقال لى ما زلت فقلت له نعم فقال لى اصعد الي فبنفس ان وصلت اليه سقط السقف كله فرايت ذلك خارقا عظيما منه رضي الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

راى غير ما يعتاده من امورنا فنبه تحذيرا بعاقبة الشر
ولم يدر ان الشيخ ابرم امره فعرضه حتى يرى سطوة السر

* المنقبة الخامسة والاربعون *

عنه ايضا قال اجتاز الابنوني صاحب بيت الحساب حينئذ على الشيخ رضى الله عنه وكان يبغضه ويوذيه ولا يعتقده فناداه الشيخ فوقف فقال له انا سحقتك وصيرتك عجينا فاتفق انه جن والعياذ بالله وانخذل واصابه الفالج وتلف ماله واخذ ربعه وما زال كذلك الى ان مات رضى الله تعلى عن الشيخ ونفع به

اليك اخا الفهم سيق الحديث فسر لنجاتك سيرا حثيث
ودع عنك فى الشيخ ما لم يدع لقال مقالا به يستغيث

المنقبة السادسة والاربعون *

عنه ايضا قال كانوا يبنون فى ميضاة السلطان القريبة من جامع الزيتونة فجاءهم الشيخ رضى الله عنه وقال للمعلم اريد خشبة طولها سبعة عشر شبرا فقال له المعلم ما عندنا ما هو بهذا الطول الذى ذكرت فنادى الشيخ

رضى الله عنه نصرانيا اسيرا من اسارى المخزن كان يخدم معه فجماعة وجعل رضى الله عنه يباسطه ويضحك معه ثم ان النصرانى غاب واخرج خشبة قاسوها فوجدوا طولها سبعة عشر شبرا قدر ما اراده الشيخ فامسكها ثم قال للاسير يا رومى اذا خرجوا من هنا واشار الى المغرب اخرج انت من هنا واشار الى المشرق فلما كان آخر النهار فرغوا من شغلهم خرجوا فافتقدوا النصرانى الاسير فلم يجدوه وبحثوا عنه كل البحث فلم يقفوا له على خبر الى الآن رضى الله عن الشيخ ونفع به واعاد علينا من بركاته

اذا كان ذو الكفر فى كفره   من الاسر خلصه اذ اطاع
فكيف بمن صح ايمانه   اذا قال انت المطيع المطاع

* المنقبة السابعة والاربعون *

عنه ايضا قال حدثنى الفقيه ابو عبد الله محمد هلال الحمى وكان له اعتقاد جميل فى الشيخ رضى الله عنه قال اجتمعت مرة فى المدرسة بجماعة من صدور طلبة العلم بتونس فاخذنا فى ذكر مناقب الاولياء الى ان انجر لنا ذكر سيدى ابى العباس السبتى رضى الله عنه فقلت لهم بما ذا تثبتون ولايته فقالوا بالتواتر فقلت وانا اثبت ولاية ابن عروس بالعيان وانفصلنا فجئت الى الشيخ رضى الله عنه وهو حينئذ فى بيته فلما رآنى قال لى يا اعرج تعمل بى المجالس فى المدارس رضى الله تعلى عنه

وقد كان ينهى عن اذاعة سره   ويزجر من بيديه فى اول الامر
فاما وقد عاد التمكن وصفه   فما ان يبالى بالحديث وبالنشر

* المنقبة الثامنة والاربعون *

عنه ايضا قال حدثنى الفقيه ابو عبد الله محمد الحبيب وهو من فضلاء معتقدى الشيخ رضى الله عنه قال كنت يوما عند الشيخ رضى الله عنه بالزاوية والشيخ حينئذ فى البيت العلوى الذى فوق بيته السفلى فكشف الله تعلى عن بصرى فرايت حائط الزاوية من ناحية المغرب

قد انشق ورجال يدخلون منه ويبايعون الشيخ رضى الله عنه ويقولون السلام عليك يا ولى الله ويكلمون معه وسمعت فيهم صوت امراة لم ار شخصها فلما انقطع كلامهم نظر الشيخ الي وقال لى ما هذا فقلت له الذى ثم رايته فقال لى وما تخاف على عينيك فقلت له اما معك فلا فضحك وسكت رضى الله تعالى عنه ونفع به

فقل هكذا للذى لم يـــــزل عن الشيخ يسلب وصف الكمال
وزاول من ذا بمـا عـــــل ان يزيل من الجهل ما قد امـــال

* المنقبة التاسعة والاربعون *

عنه ايضا قال حدثنى الشيخ الصالح الولى الكبير السيد ابو عبد الله محمد الزنجارى رضى الله عنه قال خرجت متوجها الى بلادنا فاجتمعت بسيدى احمد ابن عروس قريبا من كدية العرائس القريبة من باب خالد احد ابواب تونس فجذبنى اليه وهو حينئذ يحمل صرائره وقال لى نحن اعطيناك الحكم فى بلادك نفزاوة وانصرفت فكان من امرنا بموضعنا ما هو معلوم ثم بعد ان شاع عندنا بعد اعوام ان الشيخ رضى الله عنه لازم البيت قدم علينا انسان اسود شاب اسمه زيتون وقال لى الشيخ ارسلنى الى ههنا وقال لى تقيم بنفزاوة نحو العامين وبها قبرك وموافاتك فكانى اتهمته فى مقالته ولم اصدقه الى ان ذكر لى الاشارة التى كانت بينى وبين الشيخ رضى الله عنه بتونس عند باب خالد فحينئذ صدقته فيما ذكره عن الشيخ واقام عندنا فكان الامر كما قال مات بعد اقامة ما يقرب من عامين وقبره اليوم عندنا رحمه الله ورضى عن الشيخ ونفع به

اذا كان هذا فى مكانة قـــــدره وتمكينه للشيخ قد اسند الامـــر
فكيف الرضا عن معرض عن كماله يرى فى حديث القوم جمر الذى تمر

* المنقبة الخمسون *

عنه ايضا قال اخبرنى بعض فضلاء الاصحاب انه كان له ابن عم تعلق

بخدمة السلطان وصار جنديا فعرض له من مخدومه ما اوجب ثقاف ربعه عنه وضاق صدره من ذلك فكلمت صاحب التنفيذ السلطانى فى امره فوعدنى فى ذلك بحسن العاقبة وجئت الى الشيخ رضى الله عنه فشكوت له مصاب ابن العم المذكور وذكرت له كلام صاحب التنفيذ وقلت يا سيدى يرجع له ربعه فقال رضى الله عنه قد خرج من الزمام فقلت لعله خرج من زمام الجند وارتفع عن خدمة المخزن ثم انى خرجت للبادية وبها اهلى فوجدت ابن العم المشار اليه قد خرج من زمام الاحياء ومات فى ذلك اليوم فحينئذ عرفت مراد الشيخ رضى الله عنه ونفع به

ما زال يبدى من حديث الغيب ما   يبدو على النحو الذى قد ناله
فاذا بدا لك فى مراد بارق   منه انار الصدق فيه مقاله

* المنقبة الحادية والخمسون *

عنه ايضا قال حدثنى الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد المصمودى الصفاقسى وكان من اولياء الله تعلى قد خرجت من صفاقس على طريق القيروان لزيارة الشيخ رضى الله عنه واستصحبت له معى زبيبا وحبا وجعلت ذلك على حمار كنت اركبه فلما وصلنا الى موضع هنالك فى اثناء طريقنا مسبع تقدمت بقضاء الله وقدره امام رفقتى فلم ادر الا والحمار قد نفر من تحتى والقانى بالارض لكن بحيث لم اتاذ فى شيء من جسدى بل كان واضعا وضعنى بالارض واذا بسبع قد القى نفسه على الحمار وقطع عنقه ونحن نشاهد فتوزع اهل الرفقة حوائجى وحملوا من ذلك ما كان عندى فقلت فى نفسى سبحان الله جئت لزيارة الشيخ ويصيبنى مثل هذا وساء ظنى الا انى ادافع فبنفس ان وقفت بين يدى الشيخ رضى الله عنه قال لى يا محمد فديناك به يريد بالحمار فزال حينئذ ما كنت اجده فى نفسى من الوسواس واستغفرت الله تعلى من سوء الادب مع الشيخ رضى الله عنه

وافاه يرجو بالزيارة نولـــه   فاصيب لما آن رمى جماره
فاجابه لما ثاثر قلبـــه   ذال السلامة من فدى بحماره

* المنقبة الثانية والخمسون *

عنه ايضا قال كانوا يبنون فى ميضاة الزاوية العروسية ويصلحون ما تقلع من فرشها ويتفقدون اسوسها واذا بالشيخ رضى الله عنه اشرف عليهم وقال للمعلم انت طبيب فقال له يا يسيدى انت الطبيب فقال رضى الله عنه اذا كنت طبيبا فاعرف كيف تداوى ثم قال هذا بئر عندك وما هنالك بئر ولا ما يدل عليه ثم لما اخذوا فى نقض الاسوس المذكورة وتعليق الجدران ونزلوا بالحفر فى ذلك ليقفوا على منتهى الامر فيه وجدوا بئرا قديمة جدا الله اعلم بالزمن الذى كانت فيه ووجدوا فيها مصابيح كثيرة وعظام الموتى من بنى آدم وغير ذلك فعرفوا حينئذ مدلول كلام الشيخ رضى الله عنه

وما ذاك اغرب من علمـــه   بما سوف نخفى وما نضمـر
نرى الامر سرا ولكـــن اذا   جرى الاذن غيبا به يخبـر

* المنقبة الثالثة والخمسون *

عنه ايضا قال استشار الشيخ رضى الله عنه ولد اخيه النائب بالزاوية ابو محمد عبد الله بكسر دال عبد ابن ابى بكر رحمه الله فى بناء البيت الذى كان مسكن الشيخ قبل صعود السطح روضة وهى يومئذ مغلقة فمنعه من ذلك فالح عليه فقال له حتى تدفنوا فبعد سنتين او نحوهما توفى المستشير المذكور وكان اول دفين فى البيت وحينئذ اخذوا فى بنائها وعماها مع ما كان حواليها من سائر بيوت جهتها روضة للدفن وبان مراد الشيخ رضى الله عنه

اتى مستشيرا ولم يدر مــا   يلاقيه فى الغد او امســه
ورام بناءً على غيـــره   فكان البناء على رمســه

* المنقبة الرابعة والخمسون *

عنه ايضا قال كانت لبعض اعزة الجيران عندنا ابنة اخت قامت عليه فى طلب ميراث من غير وجهه وموهت عليه فى ذلك واستظهرت برسوم باطلة وكان طلبها فى ذلك فى دار سكناه فسقط فى يد الرجل وضاق امره من ذلك فقصدت به الشيخ رضى الله عنه وقد حملنا له طعاما فقلت له يا سيدى هذا جارى وانا دخيلك فى حاجته فقال رضى الله عنه زدنى من هذا الطعام وجب لى عبارا من اللبن فاتاه الرجل بذلك فتناوله الشيخ منه وشرب ماء ورش الرجل من ذلك الماء ثم قال والله ما تدخلها والله ما منها شئ فقدر انها انصرفت عن امر الخصام وما بقيت الا ستة اشهر او نحوها وماتت وما دخلت الدار ولا راتها ولا كان منها شئ كما قال الشيخ رضى الله عنه ونفع به

فمن شاكه الدهر او قص من حديث الامانى الزمان الجناح
ومال الى الشيخ مستدفعا به السوء اسقط عنه الجناح

* المنقبة الخامسة والخمسون *

عنه ايضا قال حدثنى الشيخ الصالح ابو محمد عبد الله الطنقى تلميذ الشيخ سيدى فتح الله رحمة الله عليهما قال دخلت يوما لزيارة الشيخ رضى الله عنه وهو حينئذ فى البيت فضربنى على راسى بجريدة من جريد النخل وانصرفت فبعد مدة وجهنى شيخنا سيدى فتح الله الى بسكرة احدى بلاد الجريد فتذكرت عند ذلك ضربة الشيخ بالجريدة وعلمت ان الاشارة بذلك كانت منه الى هذا الامر رضى الله عنه

وشان اشارته هكذا تدق عن الفهم اسرارها
وتخفى فما ان لها مبصر اذا هى لم تبد آثارها

* المنقبة السادسة والخمسون *

عنه ايضا قال اصابت الناس ازمة عظيمة من اجل احتباس المطر عنهم

فشكا بعضهم للشيخ رضى الله عنه ما يجده الناس من الشدة فى ذلك فقال رضى الله عنه علي الطلاق ما يبقى المطر الّا ثلاثة ايام بلياليها فكان الامر كما قاله رضى الله عنه

فسلم ولا تعترض مثـــل ذا فللشيخ فى الفتح ازكى القسم
ويا رب اشعث فى طمـــره انيل من الله بر القســـم

* المنقبة السابعة والخمسون *

عنه ايضا فى جماعة غيره قالوا جاء الى الشيخ رضى الله عنه جماعة من التجار يستشيرونه فى السفر فى مركب للنصارى كان بحفرة تونس فكلموه فى ذلك فقال رضى الله عنه لا فاعادوا عليه فقال يقولون هاتوا الدروع هاتوا الصفحات هاتوا البارود فاعادوا عليه فذكر الجراح والدم فاعادوا عليه فى انسان مشخص فذكر الجبانة فقدر ان المركب سافر من تونس متوجها الى الاسكندرية بمن فيه من التجار فبينما هو فى مرسى طرابلس واذا بسفن تسع اوثمان لجنس آخر من النصارى دخلوا عليه وبين الجنسين عداوة عظيمة فكان بينهم قتال عظيم شاهدته وانا اذ ذاك بطرابلس فاخذوه بعد جراح وقتل وكان سبب اخذه على ما كنا نسمعه مستفيضا هنالك قلة البارود عندهم والّا فالمركب عظيم مكمل من العدد والعدد ثم لما ان صار المركب على ملك آخذيه وفيه كثير من سلع المسلمين سافر ارباب السلع فيه كارين من جملتهم الرجل الذى كان الشيخ ذكر فيه الجبانة فقدر انه مات بعد بلوغ الاسكندرية ودفن بها وحقق الله مقال وليه فى ذلك كله رضى الله تعلى عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته آمين

عجبا لذى فهم يشار بمثـل ذا قصدا اليه ولم يزل محجوبـــا
لكن اذا نفذ القضاء عمى الفتى حتى يرى مكروهه محبوبـــا

* المنقبة الثامنة والخمسون *

عنه ايضا قال كانت بتونس مجاعة عظيمة وكنا فى خاصتنا منقضين

فجئت

فجئت الى الدار يوما فوجدت عندهم قمحا معتبرا فقلت من اين لكم هذا فقالوا اتانا به انسان على بغل ففتحنا له الباب فافرغه كما ترى وانصرف فسالناه عن ذلك فقال صاحب الدار اشتراه وبعثه فنظرت فى ذلك وفكرت فى امره فاقام الله عندى انه من عند بعض ارباب الدولة المجاورين لنا فجئت الى الشيخ رضى الله عنه وقلت له يا سيدى الذى وجدت عندى فى الدار ارده لصاحبه فالتفت عنى الى امراة فى الجهة الاخرى وقال كانه يخاطبها لا ترده اذا كان قمحا فعلمت ان الكلام معى وعملت بمقتضى قوله فى ذلك رضى الله عنه

اجاب بما فيه ارفاقه   مشيرا الى فعل ما قد اباه
بمعنى لطيف له رقـة   فسبحان مولى بهذا حباه

* المنقبة التاسعة والخمسون *

عنه ايضا قال جئت يوما الى الزاوية العروسية عمرها الله تعلى بذكره فوجدت انسانا يقال له الرادسى وقد وقع فى حفدة الشيخ رضى الله عنه بالسب وغيره من قبيح الكلام فنهيته عن ذلك وزجرته وخوفته عقوبة الله تعلى فى الاخذ بالانتصار لوليه فى اذاية قرابته فانصرف ثم بعد ثلاثة ايام او اربعة صنع للشيخ طعاما واتاه به فامتنع رضى الله عنه من قبوله فلما كان الغد اصابه والعياذ بالله امر حمله على تمزيق لباسه والخروج بين الناس على تلك الحالة وبيده عصا والناس يتبعونه وكانت له اخت برادس على اميال من تونس سمعت بمصابه فجاءت المسكينة لرويته فلما اجتمعت به اخذت تخاطبه فى امره ذلك فامسك سكينا كانت عنده وجعل يضربها ويقول الجهاد فى سبيل الله الى ان قتلها واراد ذبح اولاده وهدم موضع سكناه ولولا ان الله تعلى اطلع الناس على امره الى ان افتكوا منه اولاده والا كان الحقهم باخته فامسكوه وحملوه الى المارستان لتحقق حمقه وما زال به ملوث الحال الى ان مات نسال الله السلامة والعافية من غضبه لغضب اوليائه رضى الله عنهم

آذى قرابة شيخ الوقت فانعكست · على قرابته منه اذايتـــــه
كانت عقوبته من جنس ما اقترفت · يداه ثم انتهت للهلك غـايتــه

* المنقبة المتممة الستين *

عنه ايضا قال نزل الشيخ رضى الله عنه الى جامع الزاوية فاخرج من كان به واخرج حصره واغلقه بحبل احكم الباب به لئلا يدخل الى الجامع احد وكان ذلك فى وقت الضحى فلما كان وقت الظهر نزل سقف الجامع كله بالارض فعلموا مراده حينئذ رضى الله تعلى عنه

ما زال سر رجال الغيب مبهمـــا · وامر تصريفهم تخفى مذاهبـــه
حتى اذا لمعت فينا بوارقـــــه · ابانت السر وانجابت غياهبـــه

* المنقبة الحادية والستون *

عنه ايضا قال وقفت يوما بالزاوية العروسية مع نائب الشيخ وولد اخيه ابى محمد عبد الله بكسردار عبد رحمه الله فقال لى ان الشيخ رضى الله عنه منعنا من العلو الذى فيه سكنانا واخرجنا منه كرها ولم يترك به سوى الخدم وله معنا على هذه الحالة يومان ولا ندرى ما مراده فى ذلك وقد ضاق الامر علينا ونحن من هذا فى مشقة عظيمة فقلت ولعل الشيخ اطلعه الله تعلى على سقوط العلو فقال لا ادرى ثم لمـا كان فى اليوم الثالث او الرابع نزل رضى الله عنه واخرج جميع من كان بالعلو من العيال والخدم وانزلهم الى اسفل الزاوية إلّا خادما نراها من الصالحات امرها ان تقيم مكانها واغلق رضى الله عنه البـاب الذى يصلون منه الى العلو وعلق المفاتيح فى حزامه فلما كان وسط الليل سقط العلو كله بالارض ففزعوا للخادم لعلمهم بانها فى مكانها ونزعوا الردم عنها فوجدوها قائمة تصلى وقد تعرضت فوق راسها خشبة منعت وصول الردم اليها فاخرجوها سالمة وظهر حينئذ سر تصريف الشيخ رضى الله عنه ونفع به

ايكون غوثا للاباعد يلتجــــى · صدقا اليه ولا يغيث اقـاربه

ما السر إلّا ان يزيح بسره   عنهم افاعى هلكهم وعقاربه

* المنقبة الثانية والستون *

عنه ايضا قال حدثنى الفقيه ابو عبد الله محمد الحبيب المذكور وكانت لهم جراة على الشيخ رضى الله عنه قال قلت يوما للشيخ يا سيدى توسلت اليك برسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا ما اخبرتنى هل تعرف القطب واين هو فى هذه الساعة فقال لى رضى الله عنه هو فى جامع الصفصافة فى ربض نفات قال فقصدته فى قائلتى تلك ودخلت المسجد فلم ار فيه احدا إلّا رجلا من العرب مشتملا فى كساء وعلى راسه زمالة زرقاء بالحاشية وعنده سباط وهو نائم فلما دخلت المسجد خرج فقلت سبحان الله يلعب بى هذا الشيخ ورجعت اليه فقال لى رايته فقلت ما وجدت احدا فقال ديوث والرجل الذى خرج فقلت له ذلك رجل بدوى صفته كذا ونعته كذا فقال لى هو القطب رضى الله تعلى عنه

ما ذاك إلّا الشيخ ابدى بعض ما   يبدى من السر العجيب الخارق
فاراه غول تلون ابدى لـه   اثوابه فى مثل لمح البارق

* المنقبة الثالثة والستون *

عنه ايضا قال حدثنى الحاج جميل احد خدمة الشيخ الفقيه الصدر القاضى الاوحد السيد ابى عبد الله محمد القلجانى رحمة الله عليه قال لما تولى القاضى القسنطينى الامامة بجامع الزيتونة كان سيدى عمر القلجانى رحمه الله متثاقلا على الصلاة خلفه للمنافسة التى كانت بينهما قال فجئت مع سيدى عمر لصلاة الجمعة فادركتنا الاقامة ونحن عند زاوية سيدى احمد ابن عروس فبسطت له هنالك ما يصلى عليه فنزل عن فرسه واحرم بالصلاة واصابنا فى اثنائها مطر وابل فلما سلم وركب فرسه ناداه الشيخ من فوق سطحه يا فقيه يا صاحب الفرس البيضاء بطلت لك ركعة من صلاتك فاعدها ظهرا اربعا ثم قال عقب هذا الكلام ما بقيت لكم إلّا هذه

الجمعة وكل احد يصلى لنفسه قال فلما وصلنا الى الدار ذكرت له كلام الشيخ فزجرنى من الخوض فى ذلك فلما كانت الجمعة المقبلة وقد تاهب الناس للصلاة اتاه امر من السلطان بالصلاة خطيبا فى جامع الهوى فصلى هنالك ولما قضى الصلاة وخلوت به قال لى لا سبيل ان يبقى فى باطنك شئ من انكارى عليك حين ذكرتنى كلام الشيخ فى الجمعة الماضية فاما ما ذكر من الصلاة واعادتها فقد بطلت لى منها ركعة واعدت الصلاة ظهرا اربعا ولكن ما تحققت كلامه الا بعد هذا الامر الوارد رضى الله تعلى عن الشيخ واعاد علينا من بركاته

هذا امام لم يزل متصـــــدرا لنوازل الفتوى بعلم الظـــــاهر
افتاه هذا الشيخ فى ركن سهـا عنه وايقظه بسر بـــــــاهر

* المنقبة الرابعة والستون *

عنه ايضا قال كنت يوما بين يدى الشيخ رضى الله عنه واذا به نادى يا عبد الله لولد اخيه فلما حضر بين يديه قال له اعمل عشاء الضيفان فسكت فاعاد عليه وقال الساعة يرد عليك من الضيفان سبعون رجلا فما لبثنا بعد كلامه الا ساعة واذا باهل باجة قد وردوا علينا فى مثل العدد الذى ذكره رضى الله عنه وقد قصدوا بركته فى امر قائدهم فقد كان على ما قيل احرج صدورهم فاسر رضى الله عنه لهم بما يجب للضيف وهم يخاطبونه فى امر قائدهم ولا يزيدهم فى ذلك كلمة واحدة حتى كان اليوم الرابع وقد كلموه فى امره على العادة فقال لهم رضى الله عنه فى بعض ما خاطبهم به هذا حصان مشوم صكاك يحث بالاولى ويصك بالثانية ياكل ويبة ولا تقوم به انا نعطيكم حمارا ياكل صاعا ثم قال ايما خير لكم زامل ياكل ويبة او حمار ياكل صاعا ثم قال لهم قوموا انصرفوا انا اعمل بينكم وبينه حائطا او قال سورا وفى رواية عن غيره من الثقاة فان الحكاية سمعناها من عدد كثير انه قال لهم الشيخ انا عملت على رقبته خشبة

العاتى من يزيلها فاتفق ان القائد المذكور وكان من صدور الدولة العثمانية ارتحل صحبة الخليفة لاخذ احدى بلاد الجريد وقد كان صاحبها تعدى طوره وجهل لهلاكه قدره فلما ان احدقوا بها دخل القائد المذكور البلد ليكيد صاحبها على ما قيل فانكشفت مكيدته وقتله صاحب البلد وبقى والسور حائل بينه وبين ناصريه والى ذلك والله اعلم كانت الاشارة من الشيخ بقوله اعمل بينكم وبينه حائطا او سورا رضى الله تعلى عنه

ايشك ذو عقل له ذوق وقـــد   تليت عليه من الهدى آيات
فى سر هذا الشيخ وهو قد اغتدى   وعليه من اسراره رايـــات

* المنقبة الخامسة والستون *

عنه ايضا قال جاء عيد الاضحى فذبح الشيخ رضى الله عنه ثمانية من الغنم وسلخ منها بيده اربعة وسلخ اولاده اربعة فلما فرغوا اخذ رضى الله عنه حصرا وجعل فى كل حصير شاتين وخاط كل حصير على ما فيه وادخل ذلك كله لنوالته على ما هو عليه فلم نر من يومئذ لذلك اللحم كله ولا لحصره عينا ولا اثرا ولا عرفنا اين صرفه ولا كيف تصرف فيه رضى الله عنه

نرجو اطلاعا على اسراره ولقـــد   اعمى الهوى اعينا منا تراعيهـــا
لا يعرف الشوق إلّا من يكابده   ولا الصبابة إلّا من يعانيهـــا

* المنقبة السادسة والستون *

عنه ايضا قال اجتمعت يوما بمطلع سطح الشيخ رضى الله عنه مع رجل من ارباب الحوائج انا مصعد وهو نـازل فسمعته يقول رضى الله عنك من شيخ ويمعن فى ذلك فسالته عن مثير ذلك منه فقال ان لى عيالا عجزت عن القيام بامرهم وكلفة مئونتهم فاردت الفرار عنهم بالسفر وقلت لا بد من اشارة الشيخ فى ذلك فاستشرته فقال لى مر فظننت ان ذلك اذن منه لى بـالسفر فخرجت من باب علاوة مسافرا فلما وصلت الى طرف الزلاج كانى توقفت وعظم الامر علي من جهة تركى لاولادى بمحل الضيعة فلجات

الى المقبرة ونمت فرايت الشيخ رضى الله عنه فى النوم وهو يقول لى
انا قلت لك مر اخدم على اولادك او قلت لك سافر ارجع اخدم على
اولادك فرجعت والآن لما وقفت بين يديه رضى الله عنه قال لى رجعنا
من السفر مر اخدم على اولادك فمن هذا اخذنى العجب اخبرنى فى
منامى بامر اخبرنى عنه الآن فى اليقظة رضى الله عنه

اذاك اعجب امن صد وهو يرى　　شمس الحقيقة من افق الهدى طلعت
نودى الى الرشد كيما يرعوى فابى　　وند لما راى سيف الهوى لمعت

* المنقبة السابعة والستون *

عن الحاج ابى عبد الله محمد البونى وقد كنت سمعت هذه الحكاية عنه ثم
انى تلقيتها منه وحدثنى بها عن نفسه شفاها قال حججت ودخلت مصر
فخرجت يوما للجنينة المعروفة للنزهة بمصر فبينما انا اجول فى تلك الامم
واجيل النظر فيما هنالك من الخلق على اختلافهم واذا برجل جالس على
حجارة مجموعة هنالك فتوهمت انه سيدى احمد ابن عروس ثم انى
رجعت على نفسى بالانكار وقلت من اين ياتى الى هذا الموضع ثم
انى دنوت منه واعدت اليه النظر وتثبت فاذا هو سيدى احمد ابن
عروس لا اشك فيه ولا ارتاب والقى الله تعلى بذلك فلما علم رضى الله
عنه انى عرفته تناول حجرا ورمانى بها فاجتازت خلف أذنى وكانها الرعد
القاصف وما اضرتنى ولا اضرت احدا من الناس غيرى وما اظن ان احدا
غيرى رآه رضى الله عنه ونفعنا به

سلم وهذا الطور لا تنكر فما　　امر الولاية بالذى ينقاس
والجامدون تعثروا جهلا هنا　　فتاخروا وتقدم الاكياس

* المنقبة الثامنة والستون *

عن الشيخ المسن ابى عبد الله محمد الشماسى مجاور الشيخ رضى الله عنه
فى الدار الملاصقة للزاوية العروسية عمرها الله تعلى بذكره من الجهة

الشرقية

الشرقية منها قال اجتاز رجل امام الزاوية فرآه الشيخ رضى الله عنه من فوق سطحه وناداه باسمه هكذا يا حاج عثمان ما تذكر ساعة الناقة فاذا بالرجل قد اخذ عن حسه ثم لما زال عنه ذلك العارض وساله الناس عن مراد الشيخ فى قوله قال كنت فى الدرب وعندى ناقة عليها جميع ما املكه وهو مال له حظ من الكثرة فبركت عند محل الحاجة اليها وعجزت عن النهوض فحاولتها بكل وجه ممكن فما وجدت فيها حركة وانصرف الركب عنى فتحيرت فى امرى وما قدرت على مفارقة مالى وخفت من الحرامية فجلست ابكى فبينما انا كذلك واذا برجل فى يده عصا قد اقبل على وقصد الناقة فضربها بعصاه وقال لها قم فنهضت وقال لى سر من هنا تلحق الركب فاشغلنى الفرح بما انا فيه عن التامل فى الرجل فانصرف عنى وما عرفت من هو فلما نادانى الآن هذا الشيخ تذكرت القضية وعلمت انه هو صاحبى رضى الله تعلى عنه

ولكم اغاث على اياس مثل ذا فنجا وكان فريسة الاهوال
بعناية سبقت وسر صانه اهل الكرامة من ذوى الاحوال

* المنقبة التاسعة والستون *

عن ابى الفضل ابن باقوش قال اشتهت ابنة صغيرة لى الفول لتطبخه فجئت الى الزاوية العروسية وجلست بها مدة وخرجت فاذا بانسان من اصحابى ردنى بغير ودى واعطانى ابريقا مفتوح الفم فيه شئ لا ادرى ما هو فرآنى الشيخ رضى الله عنه وقال لى اى شئ عندك فنظرت فاذا هو فول قد طبخ فاخبرته فقال احمله فحملته فقالت البنت ما هذا قلت هذا ما اشتهيتيه ساقه الله اليك بغير تعب طبخ ولا غيره فرايت ان الله تعلى اطلع الشيخ على ما انا مهتم منه للبنت رضى الله تعلى عنه

هذا يسير باعتبار خوارق ظهرت له كالشمس فى الاشراق
لكن مثلى فى خلوص وداده يحكى الذى يحكى على الاطلاق

* المنقبة المتممة السبعين *

عنه ايضا قال حدثني الشيخ ابو الفضل قاسم بن فربال رحمه الله تعلى قال كنت في حانوتي يوما فاتاني رجل من اهل الاندلس يسال عن الشيخ رضي الله تعلى عنه فقلت له ما الذي جاء بك اليه قال اني من اهل غرناطة وقد اصابتنا مجاعة عظيمة وبجوارنا امراة لها بنات شرفاء وكنا نواسيها قبل هذه الشدة ونتفقد حالها وحال بناتها فلما اصابنا ما اصابنا من هذه الشدة العظيمة اشتغلنا عنها بانفسنا فوجهت اليها وقد تذكرناها يوما انا واهلي لنقف على حقيقة ما هي فيه مع بناتها فسالتها عن حالها فقالت نحن بخير والحمد لله فقالت لها اهلي ومن اين لكن بهذا الخير فقالت فتح الله علينا برجل صالح يقال له ابن عروس ياتينا كل ليلة من تونس بكل خير كثير فها نحن عندنا من طعامه البارد والسخن فما صدقتها اهلي في ذلك فقالت لها باتي الليلة عندنا لترى بعينك وجاءت اهلي فاخبرتني فقلت لها لا بد ان تبيتي عندها الليلة وغرضي الوقوف على حقيقة هذا الخارق فباتت عندهن ومن الغد اخبرتني بالواقع قالت لما جن علينا الليل واذا برجل فوق سطح الدار فناداهن ففزعن اليه جميعا وادلى لهن قفة فيها من كل خير ورائه اهلي ووصفته لي فلما تحققت امره تعلق قلبي بزيارته ولم اقدر على الاقامة دون ذلك فهذه حكايتي قال فنزلت معه الى الشيخ فلما وقفنا بين يديه رضي الله عنه وضع سبابته على فيه كانه يقول للاندلسي اسكت فقال الاندلسي انت والله هو رضي الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

دعته الى الشيخ اشواقه فوافاه صدقا لكي يبصره
ونحن نرى الشيخ ما بيننا ونضرب صفحا كان لم نره

* المنقبة الحادية والسبعون *

عنه ايضا وعن غيره قال حدثني ابن عبد الحليم الحداد قال زار يوما والدي

سيدي

سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه وهو يومئذ فى البيت فلما رآه قال له
انت حداد قال نعم فقال اريد ان تصنع لى منجلا فقال له نعم فقال
تصنعه متينا غليظ الظهر محدود الفم ويكون عريضا قال نعم غدا ان شاء
الله قال لا إلّا الساعة قال فجاء والدى وصنع له المنجل على الصفة
التى وصفها له واتى به اليه فلما امسكه قال نعم هكذا اردته ثم قال
انصرف على خير قال فلما كان بعد مدة نزل النصارى ببعض السواحل
القريبة من تونس فقتل المسلمين منهم عددا كثيرا وجاءوا برءوسهم الى المدينة
قال فمر والدى فى جملة الناس ليرى تلك الرءوس فوجد رءوسا كثيرة
فى خرج او غيره ووجد فيما بينها المنجل الذى كان صنعه للشيخ رضى
الله عنه وهو مغرق بالدم فاخذه وقال هذا المنجل انا صنعته فقال له
بعض من حضر الواقعة والله لولا صاحب هذا المنجل الذى كان فى يده
لهلكنا عن آخرنا قال واخذ المنجل وجاء به الى الحدادين الذين كانوا
راوه وقد صنعه واخبرهم بالحكاية قال فلما كان الليل وهو نائم سلط الله تعلى
عليه اسدا كاد يتلف عقله رعبا وذعرا ولما اصبح ذهب الى الشيخ كانه
يستقيل فقال له رضى الله عنه اذا تكلمت عاقبتك فلا سبيل فقال نعم
واستغفر الله تعلى مما اظهره بغير اذن من سر الشيخ رضى الله تعلى عنه

كانت طريق الشيخ كتم السر من احواله ميلا الى الاخفاء
واليوم حدث عن علاه بكل ما تهوى فما يلحقك فى افشاء

* المنقبة الثانية والسبعون *

عن رجل من اهل المرسى يقال له خروف قال وعدت الشيخ رضى الله
عنه ان سلمنى الله تعلى من امر كنت اخافه بشىء على قدر وسعى وحصل
المقصود فاعطيت ذلك لانسان من اصحابى ليدفعه للشيخ لعذر اعجزنى
عن ذلك ولم ادر ما فعل ثم لما اجتمعت به سالته عن ذلك وكان سىء
الاعتقاد فى الشيخ رضى الله عنه قال لما وقفت بين يديه قلت فى نفسى

والله لا اعطيك الذى لك حتى تقول اعطنى فبينما انا واقف واذا به قال انسان ينتظر خروج الجرادق من الفرن لياكلها وآخر يقول ما نعطيك حتى تقول اعطنى ومد يده وقال اعطنى فاعطيته وتبت الى الله تعلى

الشيخ بحر قد طمى وحديثنا عنه حديث عن بداية ساحله
ما شئت قل عن مجده اوقف فما ادركت صفوا من رحيق مناهله

* المنقبة الثالثة والسبعون *

عنه ايضا عن ابن رزق الله وكان على ما قيل لا باس به خيرا قال اعطانى انسان حوائج للشيخ رضى الله عنه ابلغها له فلما حصلت فى يدى قلت والله لا ناولتها له يتلفها فى غير وجهها او يتركها الى ان تهلك فى التراب وانا اولى بها إلّا أن يقول اعطنى متاعى قال فلما وقفت بين يديه قال رضى الله عنه الامانة لا يحملها إلّا الرجال هات اعطنى ما لى قال فاعطيته ما له وتبت الى الله تعلى رضى الله عنه

اليس عجيبا يسر الفتى حديثا يرى غيبه مكتتم
فيبدى له الشيخ من سره بداية ذاك مع المختتم

* المنقبة الرابعة والسبعون *

عنه ايضا قال اجتاز رجل من اصحابى بالشيخ رضى الله عنه وقد اشرف على السوق فرآه وقد طال شاربه فاشار المسكين باصبعه نحو الشيخ وقال كانه يزدرى به هذا الذى كانه الحلوف هو الشيخ وانصرف الى موضعه فلما كان الليل نام اصبح ووجهه فى قفاه وله شبه بوجه الحلوف والعياذ بالله تعلى فامر اهله ان يجعلوا فى عنقه حبلا و يستروا وجهه ويحملوه الى الشيخ كذلك ففعلوا ذلك واتوا به الى الشيخ وهو يتضرع ويبكى فكانوا كلما مروا به يعتدل وجهه ولما وصلوا الى نصف الطريق ذهب عنه السوء مرة واحدا وفرج الله عنه فتاب الى الله ورجع الى اعتقاد الشيخ رضى الله عنه

تعرض للشيخ جهلا ولـــم يقف عند ما يقتضيه الادب
فعوقب بالذنب لكنـــه الى رشده كى يعافى انتدب

* المنقبة الخامسة والسبعون *

عن الفقيه الاكمل ابى الفضل بن شجرة وهو من المعتقدين المحبين قال كان بى مرض ريح الكلى وكنت منه فى مشقة عظيمة فزرت يوما الشيخ رضى الله عنه وجلست امامه مع من هنالك فاذا باحد اصحابه رضى الله عنه قال له يا سيدى هذه الخابية ماؤها يصقل من الجرب لخابية هنالك ما زال الشيخ يجعل الماء فيها فقال رضى الله عنه نعم فلما انصرفت قلت فى نفسى الذى يصقل من الجرب يبرى من ريح الكلى وعدت يوما الى زيارته رضى الله عنه فقلت لبعض خدمته استاذن لى الشيخ فى الشرب من هذه الخابية وقصدى معافاتى من مرضى فاستاذنته فلم ياذن لى رضى الله عنه فقال له يشرب من الخابية الاخرى لخابية فى طرف السطح للسبيل فاذن لى رضى الله عنه فقمت مبادرا وشربت منها ثلاث شربات فعافانى الله تعلى مما كنت اجده وكنت امتنعت من اكل اطعمة خوفا مما تثير علي من المرض فاكلتها وما رايت منها سوءا والحمد لله ببركة الشيخ رضى الله عنه

وما زال من سره كلمـــا اتاه عليل بصدق شفـــاه
وكم من فتى ضامه الدهر قـد راتاه بصدق التجاء كفـــاه

* المنقبة السادسة والسبعون *

عنه ايضا قال كان لى ولد لا يشتهى الطعام ولا يقربه ولا يقبل عليه واعيانا علاجه وكانت امه كثيرا ما تراودنى على حمله للطبيب لينظر علته فوقفت يوما بين يدى الشيخ رضى الله عنه وهو ياكل فى قطف عنب والناس يسالونه من ذلك فما يعطى لاحد شيئا فقلت فى نفسى لو اعطانى حبة من هذا العنب اطعمتها ولدى فعسى ان يعافى فمد

رضى الله عنه الي يده بحبة واحدة حملتها واطعمتها الولد فعافاه الله تعلى
من يومئذ صار ياكل الطعام ويشتهيه ببركة الشيخ رضى الله عنه
عن الشيخ لا تعدل ودع كل عاذل فعذل الهوى جوروان خلته عدلا
فكم من فتى بالصدق ام مقامه تعاجله البشرى اذا دلوه ادلى

* المنقبة السابعة والسبعون *

عنه ايضا قال كانت لى زوجة احب شئ اليها الالف باهلها والاجتماع بهم فكنت اتحرج من ذلك ولا اريده وانما اريد العزلة فوقفت يوما بين يدى الشيخ رضى الله عنه وشكوت له حالى معها فى سرى وما خاطبته عن ذلك بشئ فقال رضى الله عنه الكل يعمرون الجبانة ثم جعل يقول يا وحشى من القبور فعدت اليه بعد ذلك وقلت فى سرى وترى متى يكون ذلك فقال رضى الله عنه كانى خاطبته فى ذلك يمشون خمسين ميلا فقلت هذا امر يكون بعد خمسين يوما او خمسين جمعة وارخت اليوم فمرت الايام والجمع والامر على حاله فقلت سبحان الله ما الذى قصده الشيخ بالاميال ثم بعد مدة توفيت رحمها الله ونظرت فيما بين مقالة الشيخ وموتها فوجدته نحوا من خمسين شهرا ولحقها اهلها كلهم ولم يبق احد ممن كان منهم فى الدار وحينئذ ظهر لى مراد الشيخ رضى الله عنه ونفع به

وما زال يبدى فى مراد مريده احاديث يخفيها بستر من السر
وما ان لنا من علمها غير ما نرى اذا انجاب غيم الغيب عن ذلك الستر

* المنقبة الثامنة والسبعون *

عنه ايضا قال كانت والدة اهلى المتقدم ذكرها اخذت بعد موت ابنتها تركتها منى وحملت عندها ابنى وهو حفيدها وتغيبت عنى به مرة واحدة فتاذيت من ذلك واتيت يوما لزيارة الشيخ رضى الله عنه فلما رآنى قال لى رضى الله عنه الوزيغة قتلناها وخرجت من عنده رضى الله عنه فلقينى

بعض معارفي وقال لي لا اله إلّا الله ما فيك خير فقلت له وما ذاك قال ماتت ام اهلك وابيت ان تحضر جنازتها فقلت والله ما لي بذلك من علم فقال لي الساعة صلينا عليها فعلمت اذ ذاك مراد الشيخ رضي الله عنه

اشارته في الحال تخفى وبعد ان يرى اثر منها يلوح مـــراده
ومن رام لا بالذوق فهـم مراده فقد بان فيما يدعيه عنـــاده

* المنقبة التاسعة والسبعون *

عنه ايضا قـال اتيت يوما الى الشيخ رضي الله عنه ازوره فوجدته غير منبسط فتاخرت ووقفت وراء النوالة فسمعته رضي الله عنه يقول بصوت خفي يا صاحب الفرس ما تنظر هذا الدود الذي في غابتنا فتحيرت من هذا الكلام وما عرفت ما مراده بالدود ثم انه في العام نفسه عم الجراد الغابة إلّا انه على كثرته لم يضر كبير ضرر فحينئذ ظهر لي مراد الشيخ رضي الله عنه ونفع به

من السر ان السر منا كجهـــرنا لديه وان الجهر منه لنا ســـر
ومن مثل ذا للصادقين تبرهنت دلائله وانجاب عن غيبها الستر

* المنقبة المتممة الثمانين *

عنه ايضا قال تزوجت امراة فحملت واتت بولد ذكر فوقع مرة بيننا ما يقع بين الرجل واهله من المغاضبة فقلت في نفسي اذا انصرف هـذا الولد الذي بيننا فاصلتها وقصدت سيدي احمد عسيلة رضي الله عنه فكلمني بكلام ما فهمت منه شيئا وانصرف عني فجئت الى سيدي احمد ابن عروس رضي الله عنه وهو يومئذ فوق سطحه لم ياذن بعد للناس في الصعود اليه فدخلت الى الزاوية فاشرف علي رضي الله عنه وقال لي من غير ان اكلمه يعيش حتى يصير رجلا فما زلت معها الى ان كبر الولد ثم ان الضرورة دعتني لسكني والدتي معي فانكرت ذلك اهلي وضاق صدري مما يقع بينهما فحملت يوما الى الشيخ رضي الله عنه اسفنجة معها

معذبة وقصدت زيارته لما اشغل سرى من ذلك فتناول ذلك منى واخذ يعد المعذبة التى مع الاسفنجة ثم قال لبعض خدمته خمسة خمس مرات كم هى فقال له خمسة وعشرون قال واربع مرات قال عشرون ثم سكت فقلت فى نفسى هذا شئ يقع لى بعد عشرين وبعد خمسة وعشرين فارخت اليوم ولما مضت عشرون جمعة فاصلت اهلى فقلت هذه واحدة وكان فوق الكتاب الذى اقرئ فيه الصبيان مخزن للفخار وكان متداعيا الى السقوط وكنت خائفا منه فلما نزلنا يوم خميس وقد سرحنا الصبيان واغلقناه وقع ذلك المخزن على الكتاب فهده وسلمنا الله تعلى ببركة الشيخ رضى الله تعلى عنه وكان ذلك عند تمام الخمس والعشرين جمعة فجئت الى الشيخ لارى ما عنده فى امرى فلما وقفت قال لانسان كان بين يديه ما اسمك فقال له مسعود فقال ابن من قال ابن خليفة ثم امره ان ينصرف فقلت وقد علمت ان هذه الاشارة الي رضى الله عنك هنيئنى بالسعادة لسلامتى انا ومن معى من الردم واخبرتنى بالخلف فكان الامر كذلك بنى الكتاب من له الامر من بيت المال وفتح الله علي فيه برزق كثير والحمد لله ببركة الشيخ رضى الله تعلى عنه

انى حال من هذا الحديث حديثه يشك اخو عقل ويرتاب ذو فهم
ولكن اذا التوفيق خان اخا الهوى يخالطه فى الحق شئ من الوهم

* المنقبة الحادية والثمانون *

منه ايضا قال استشرت الشيخ رضى الله عنه مرة فى عقد نكاح صبية من قرابتى فاذن لى رضى الله عنه فى نكاحها واتيته بعد ذلك بطعام وقلت فى نفسى اذا اكل منه فذلك علامة تيسير امر هذه المراة علي فى نقدها وتوابعه وان لم ياكل منه فامرها عسير متعذر فلما ناولته رضى الله عنه ذلك الطعام جعل ياكل فيه وانا انظر اليه حتى ما اظن انه ترك شيئا منه فسرنى ذلك وعلمت ان الله تعلى سييسر امرها علي فكان كذلك

والله لقد بنيت بها واولمت وما تسلفت غير دينار واحد ببركته رضى الله تعلى عنه

فللشيخ فاجنح واستجر بجـــواره تنل كل ما تهوى من النفع والدفع
فكم من فتى بالصدق ام مقسامه فعوجل عن خفض الاسى منه بالرفع

* المنقبة الثانية والثمانون *

عنه ايضا قال اتانى يوما خادم الشيخ رضى الله عنه وصاحب زنبيله وقال لى ان الشيخ امرنى بشراء حصر له وقد عجزت لمرض بى من السعى فى ذلك وبقى علي من ثمنها ثلاثة دراهم فاعطيتها له وانا محتاج اليها فلما كان من الغد جاءنى ثلاثة من الصبيان ليقرءوا عندى فكنت آخذ عن كل واحد منهم فى الشهر ثلاثة دراهم فقلت هذه بركة الدراهم التى دفعتها فى حصر الشيخ رضى الله عنه ونفع به

وهذه سنة ما زال يعرفهـــــــا من عامل الشيخ ايمانا وتصديقـــا
يعطى يسيرا فيعطى عنه تكرمــــة اضعافه ليزيد الحق تحقيقـــــا

* المنقبة الثالثة والثمانون *

عنه ايضا قال ضاق صدرى مرة من الكتاب وادركنى ملل وجاءنى فقير من فقراء الشيخ رضى الله تعلى عنه فقلت له بالله عليك إلّا ما قلت للشيخ عنى انظر منى من جناب الله فقد ضاقت نفسى من هذا الكتاب فقال نعم وانصرف عنى فلما كان من الغد اتانى انسان بستة دنانير ذهبا وقال لى بعثها لك فلان عن ختمة اولاده وطلب منك ان تخلى سبيل الصبيان جمعة فقلت له نعم ولكن بطالة جمعة هكذا دفعة لا يليق فنحن نجعلها فى جمعتين اربعة ايام فى كل جمعة فقال مبارك وانصرف عنى وكان الذى بعث الي بهذه الدراهم من ارباب المناصب وكان حين ختم اولاده قد عزل عن خطته فتولى و بعث لى ذلك وختم عندى صبى آخر خلينا له سبيل الاولاد جمعة آخرى وادركنا العيد فتوالت لنا بطالة كثيرة

انبسطت النفس فيها وانشرحت وحصل لنا في اثنائها رزق كبير ببركة الشيخ رضى الله تعلى عنه ونفع به

بباب الشيخ اوقف ما دهـــاه لما يدرى من السر الغــريب
فعوجل بانشراح الصـــدر منه وكشف الباس والفتح القريب

* المنقبة الرابعة والثمانون *

عن ابى سالم ابراهيم البنزرتى قال حدثنى الحاج ابو عثمان سعيد الزموري قال زرت الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه يوما وهو فى بيته السفلى ووجدت عنده جماعة فيهم الفقيه محمد الحبيب النابلى فادنانى رضى الله عنه واجلسنى بين يديه ثم قال لى تقرا شيئا من القرآن فقلت ما تيسر فقال قال الله تبارك وتعلى بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات ثم قال لى تعرف فرق باجة فلم اعلم له مرادا واعاد ذلك علي مرارا فما علمت له جوابا فقال لى الفقيه النابلى المذكور قال لك الشيخ ان كنت تريد الفرق على الطعام فافرق يريد السلم فى الطعام فانصرفت من عنده وانا جازم ان كلام الشيخ انما هو لامر سيكون وشدة تبدو للناس فاخذت من الطعام والادام وتوابعهما ما يكفينى سنة او اكثر وبعد مدة قريبة من هذا الموطن وافى الخبر بموت صالح الملوك بالمغرب رحمه الله فما رايت من الشدة والحمد لله ما رآه غيرى بافريقية ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به

عجبا لمن نتلو عليه ليرعوى آيات هذا الشيخ وهو مكذب
اوما له عن ذا ارعواء والرضا كم ناله منا مسئ مذنب

* المنقبة الخامسة والثمانون *

عنه ايضا قال كنت انا واهلى ليلة فى وسط الدار واذا بالحركة فوق السطح فنظرنا فاذا بسيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه واقف ينظر فينا فاخذنا

منه

منه العجب ثم انه رضى الله تعلى عنه قال لنا ما معناه ارحلوا فاقمنا بعد
هذه الليلة دون الشهر وما كنا نومل رحيلا عن هذه الدار وارتحلنا الى دار
قريبة من زاويته المباركة فعلمنا انه انما استدعانا لذلك رضى الله عنه

اذا كان يبدو بالعلية ذاتــه　باقصى بلاد الله عنا وما احتجب
فكيف وعنوان الدراية عندنا　نرى مثل هذا الامر منه من العجب

* المنقبة السادسة والثمانون *

عنه ايضا عن الحاج سعيد بن يزيد الزموری قال اودع عندی رجل من
التجار مال له قدر فجئت يوما لافتقده ففقدته فلم اجده فاصابنى لذلك
من الكرب ما لا يعلمه الا الله تعلى ولم ادر ما انا صانع وبحثت عن
صاحب المال فقيل لى انه سافر وما زال الامر بى الى ان امرضنى وصرت
اجلس بالدم فقصدت يوما الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه
وشكوت له ما نابنى من ذلك فقال لى رضى الله عنه الذى اخذه يرده
وانصرفت فبينما انا يوما فى حانوتى واذا بصاحب المال قد سلم علي وقال
لى كنت فى بجاية ثم انه اخرج شيئا وناولنيه فنظرته فاذا هو الظرف
الذى كان عندى فقلت له متى اخذته منى فقال جئتك يوما وانت
تريد ان تغلق الحانوت فطلبته منك فناولتنيه فحمدت الله تعلى على
حسن العاقبة فى ذلك وعلمت مراد الشيخ فى قوله الذى اخذه يرده رضى
الله عنه ونفع به

تلق النصيحة منى وخــذ　اليك حديث نصيح فصيح
اذا ضامك الدهر يوما فــزر　عروس الزمان بعقد صحيح

* المنقبة السابعة والثمانون *

عنه ايضا قال كان عندى نصرانى اسير يبيت عندى فى الدار فنقب الدار
ليلة وهرب وما علمت له مستقر وقصدت الشيخ رضى الله عنه واخبرته
بهروب الاسير فقال لى رضى الله عنه ما عنده اين يمشى وبقيت كذلك

ثمانية عشر يوما فبينما انا يوما فى حانوتى واذا بانسان وقف علي وقال اسيرك عند الرسل الذى ههنا من قبل النصارى وقد كان سعى فى شراء قارب له ثم تعذر عليه الامر وتعسر ولما راى انكشاف حركته اخبر السلطان بان الاسير عنده لئلا يلام على ذلك فلما تحقق الامر عندى توجهت الى الرسل المذكور فامكننى من الاسير دون ممانعة فى امره ببهمة الشيخ رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

اذا جئت للشيخ فى حاجة　وبين يديك شفيع اعتقاد
تعد بالمنى مثل ذا والرضـــا　وما نال قصدا حليف انتقاد

* المنقبة الثامنة والثمانون *

عنه ايضا قال وقع بينى وبين اهلى كلام اوجب مرض باطنى وبتنا فلما اصبح جئت الى الشيخ رضى الله عنه ووقفت بين يديه فى جملة من هنالك من الزائرين واذا به رضى الله عنه لاحظنى ثم قال لى نحن من آزمورا وسلا ما نحب من يخرج ولا من يدخل ارفع مداستك ما بقيت عشرة وجعل يكرر هذا الكلام وبعد ثمانية ايام من هذا الوطن وقعت المفاصلة وافترقنا واخذنى العجب من اطلاعه رضى الله عنه ونفع به

لا تعجبن من اطلاع الشيخ بل　ممن تراه عن الهدى محجوبا
وضح الدليل لذى البصيرة والهوى　اعمى الغبى فلم ينل مطلوبـــا

* المنقبة التاسعة والثمانون *

عن ابى عبد الله محمد حماد الغريانى قال مرض لى غلام كان عندى فجئت به يوما الى طبيب تحت الزاوية العروسية وسالته عن دائه وعلته فقال الطبيب يصلح لهذه العلة الدواء الفلانى فاخرجت الدراهم وناولتها الطبيب فبينما نحن فى ذلك واذا بالشيخ رضى الله عنه ينادى من فوق السطح يا هذا الوصيف على شافة الوادى فاتفق ان بقى الوصيف يومين ومات وصدق الله تعلى قول الشيخ فيه انه على شافة الوادى رضى الله عنه

لا تلق بالانكار يومـا مثل ذا ان الولاية امرها لغريـب
وطريق هذا الشيخ ان زاولتهـا عجب وان حديثه لعجيب

* المنقبة المتممة التسعين *

عنه ايضا قال تكلمت مع بعض ارباب الدولة وكنت مجاورا له فاستفزنى الغيظ الى ان حلفت على عدم مساكنته وجزت على الشيخ رضى الله عنه فقال لى دولته دولة الذباب فلم يبق إلّا ستة ايام واخذه السلطان رضى الله تعلى عن الشيخ ونفع به

لا تعجبوا من شيخ وقت لم يزل عن غيب احوال الورى يتكلم
فالعبد ان لبس التقى ثوبا يرى سرا يعلم منه ما لا يعلـم

* المنقبة الحادية والتسعون *

عنه ايضا قال كان عند الشيخ رضى الله عنه لحم احد عشر راسا من الغنم او ثلاثة عشر الشك منه مجعول كله فى جفان كبيرة مملح مالحا خارجا عن المعتاد ثم انه رضى الله عنه ازاله من جفانه وجعله فى حصر وخاطها عليه ووضع بعضها على بعض ووقف عليها وبال ثم بعد مدة اتيته فامرنى بالاتيان بتلك الحصر فاخرجتها له فحل خياطتها فاذا هى لا لحم فيها ولا عظم ثم قال لى هذه حصر القديد تحقيقا لحيرتى من ذلك رضى الله عنه

ومن ذا الذى لم يهم حيـرة من الشيخ فى امره الخـارق
وكيف يرجى الى سـره وصول اذا لاح كالبـارق

* المنقبة الثانية والتسعون *

عن الشيخ ابى الحسن علي ابن عروس ولد اخى الشيخ رضى الله عنه قال سالت الشيخ رضى الله عنه يوما فى مائة دينار ذهبا فقال ما تصنع بها فقلت له علي الدين اقضيه عنى وانفق الباقى فقرن رضى الله عنه بين كعبيه واستقبل القبلة وقال لى والله لو شئت ان اعطيك من تحت قدمى هاتين قنطار ذهب دنانير طرية لاعطيتك فقلت له وما يمنعك قال اخاف

عليك ان يشجاذ قرنك وتحمر عينك ثم قال المراة اذا كان عندها زوجها اليس يقوم بامرها كله قلت نعم قال انت المراة وانا الرجل نطعمك ونسقيك حتى يفرج الله عنك رضى الله عنه

وليس الذى قال مستغربا ولا ذاك فى حقه ينكر
وكم خارق فوق ذا لم يزل عن الشيخ بين الورى يذكر

* المنقبة الثالثة والتسعون *

عنه ايضا قال جئت الى الشيخ رضى الله عنه وقد ضاق صدرى واعيتنى الحيلة فى تحصيل الرزق فقلت له اما ان تقوم بامرنا بحيث لا نحتاج معك الى احد وإلّا فاخرج من هذه البلدة ونخرج معك الى الغابة نودعك ونرجع فتغير وجهه رضى الله عنه لسماع هذا الكلام منى ثم قال لى كثرت والله يا سيدى علي مرة او مرتين ثم قال امش اليوم ما عندى والله ما نعطيك فانصرفت ولما كان الليل رايته رضى الله عنه فى النوم وفى يده آنية باللبن سقانيها وحدى فانتبهت وقلت لاهلى غدا ان شاء الله يفتح علينا من الشيخ فلما اصبح وصليت الصبح اتيته فقال حين رآنى اراك بكرت بكرة من جاء الى الكرمة بقرطاله وامرنى انا واحد خدمته بقضاء حاجة له فقضيناها له وجئنا فاذا فى يده رضى الله عنه اسفنجة فازال شيئا منها وقال لى نعطيك فقلت هات فقال تاكل وحدك او ياكل معك غيرك فقلت وحدى فقال لى مر الى ذلك الموضع واشار لى الى ناحية خارج نؤالته فقد وضعت لك هنالك خبزة فخذها فمضيت فما رايت هنالك خبزا فقال قدامك يا مهج البص هكذا بهذا النص فتقدمت فوجدت قفة صغيرة قد خيطت بالخيط الرومى فحملتها وانصرفت فقال لى اهرب قبل ان يقاسموك فيها ففتحتها بعد ان وصلت الى الدار فوجدت فيها جملة صرائر من الذهب تشفى الصدر رضى الله عنه

جمعت له فيها محامد لم تزل امثالها تبدو لنا من وصفه

حلم وصبر فى انالة رغبـــة   واغاثة للستليذ بكهفـه

* المنقبة الرابعة والتسعون *

عن صاحب التنفيذ بالحضرة العلية تونس عمرها الله وهو الفقيه الاراس الاوحد ابو العباس احمد السليمانى قال لى وقد تذاكرنا عنده بعض كرامات الشيخ رضى الله عنه ونحن بسقيفة داره فى شهر رمضان عام ستة وستين وثمانمائة ما عندى والله فى الشيخ نفع الله به ما اقوله وذكر عنه رضى الله عنه نوادر اتفقت له معه لا اذكر الآن منها سوى هذه قال قصدت زيارة الشيخ فى جماعة من الاصحاب سماهم حينئذ فلما قربنا من مقام الشيخ رضى الله عنه قال بعض الجماعة كيف زيارتكم لهذا الشيخ فقلت لهم اما انا فمعتقد غير منتقد وقال بعضهم لرجل سماه واما انا فمنتقد غير معتقد ووقف اثنان من اصحابنا ودخلنا اليه على هذا فكان اول من تكلم مع الشيخ المنتقد فقال له اذهب يا راس جلوف مد لى او ما هو قريب من هذا الكلام وزجره وكذلك خاطب الآخرين كل احد بما يدل عليه من الكلام المقتضى صفته ونعته ولما سلمت عليه قال لى اهلا بحبيبنا انت حبيبنا فاطلعه الله تعلى على سر كل واحد منا رضى الله عنه

اما اطلاع الشيخ فيما قد ترى   فحديثه من كل شئ اغرب
يبدى الذى نخفيه من احوالنا   فكانه منا الينا اقــرب

* المنقبة الخامسة والتسعون *

عن الشيخ ابى الفضل ابن علي بن مقران بن عمر بن حمزة احد مشايخ اولاد ابى الليل قال حدثنى احد اصحاب الفقيه ابراهيم البونى عن البونى المذكور قال هربت لنا خادمنا فلم نجدها بعد بذل الوسع فى البحث عنها فقلت لبعض اصحابى هذا الشيخ سيدى احمد ابن عروس اعتقادى فيه غير ثابت ومن هذه المسالة اعرف حقيقة حاله فاشهد ان له عندى ان جبر الله هذه الخادم علينا اربعة دراهم ناصرية وخرجنا فبنفس ان مررنا

بالزاوية وهو فى سطحه نادانى يا بونى فقلت له نعم فقال ان ضربت الخادم لا تلم الّا نفسك وهات اعطنا الاربعة دراهم ناصرية متاعنا فقلت له نعم ووجدنا الخادم فى زاويته رضى الله عنه ونفع به

اهل اليقين يقينهم يحميهم ويقيهم فتن الشكوك العارضه
واخو الهوى يرضى ويغضب للهوى والحق لو يدرى الحقيقة عارضه

* المنقبة السادسة والتسعون *

عن الحاج ابى عبد الله محمد بن محمد الربعى عرف المفرغى قال خطبنى انسان فى ابنتى والح علي فى ذلك فامتنعت الى ان استشير الشيخ رضى الله عنه فى ذلك فلما رآنى وقد وقفت بين يديه رضى الله عنه اجلسنى بين يديه وقال لى وما خاطبته بكلمة هذا حديث لا يصح منه شئ ما ناخذوا الّا واحدا من جريانة ياخذ من متاعنا ولا نرى منه خيرا ويحصل لنا فى مثل الحلوف المجروح ولا نقدر له على شئ والله تعلى يخلص على خير وذكر المدة التى يعاشرنا فيها ونسيتها الآن فاتفق ان الذى كان يخطب لم يتزوجها وتزوجها انسان ما علمنا انه من جريانة الّا بعد العقد وكان الامر كما قال الشيخ رضى الله عنه سوق حوائجها الى ان تركها عريانة وخرج لجريانة ولم نقدر له على شئ ثم انا فاصلناه بعد ان ابريناه فى كل شئ

الله جل اناله سرا به بالاذن مما قد يكون يترجم
اوما ترى اعلامه يبدو على وجه به من قبل ذلك يعلم

* المنقبة السابعة والتسعون *

عنه ايضا قال ما زال اولادى يطلبون منى زيارة الشيخ رضى الله عنه فاقول لهم سيدى احمد ابن عروس صيد يريد اسدا ولست ممن يصلح لزيارته فكانوا اذا زاروه ووقفوا بين يديه يسالهم عنى ويقول ابوكم هو الذى يعرفنى انا صيد كما يقول لكم فيخبرهم بما يقع بينى وبينهم ونحن فى الدار او غيرها رضى الله عنه ونفع به

ما زال يخبر عن مغيب امرنا وخفيه عنا بقول جـــازم
حتى اغتدى علم السرائر عنده مما يحدث مثل وصف لازم

* المنقبة الثامنة والتسعون *

عن الفقيه الصوفى ابى زيد عبد الرحمان بن قاسم الهوارى قال كنت اخدم بين يدى الشيخ رضى الله عنه يوما ثم قلت له وقد اردت اذنه فى انصرافى يا سيدى نمشى للاولاد فقال لى ما يمشى احد للاولاد الذين يضرونه فانصرفت وما فهمت من كلام الشيخ ما اعمل عليه فلما كان بعد اربعة اشهر طلقت اهلى وصرت اودى الفرض على الاولاد فحينئذ عرفت مراده رضى الله عنه ونفع به

يا سر هذا الشيخ يبدو قوله فنراه خاوا عن تمام الفائدة
فاذا بدت من مقتضاه اشارة ابدى المراد الى العيان فوائده

* المنقبة التاسعة والتسعون *

عن ابى علي منصور العكريش احد خدمة الشيخ رضى الله عنه قال صليت العشاء الاخيرة بجامع الزيتونة واذا بجماعة لا اعرفهم يتكلمون فى الشيخ ويطعنون فى برى عرضه ويحمقون من يعتقده قال فهممت ان اوقع بهم ثم رجعت وخرجوا من الجامع فخرجت وراءهم وكانت طريقهم على الزاوية فلما صاروا تحت الشيخ رضى الله عنه اشرف عليهم وجعل يقول اذهبوا يا يهود عليكم لعنة الله يا يهود فلما سمعت كلام الشيخ رضى الله عنه زال ما كنت اجده فى باطنى من كلامهم وبقيت فى نفسى حزازة من عدم معرفتى لهم فما زلت معهم الى ان لقينى انسان والضوء عنده فعرفتهم واذا هم اولاد يهود قد اسلموا فقلت صدق رضى الله عنه فى قوله اذهبوا يا يهود عليكم لعنة الله يا يهود

ان الولى اذا تحقق كلها يبدى له سر من الاســـرار
او ما ترى منه الاشارة كيف لم تخرجهم عن جملة الاشـــرار

* المنقبة المتممة المائة *

عنه ايضا قال صعدت يوما فوق سطح داري فوجدت هناك عشبا وربيعا فاقتلعته وجئت الى الشيخ رضى الله عنه فلما وقفت بين يديه قال لى يا محمد وكذلك ينادينى فقلت له نعم فقال رايت ذلك الربيع فقلت نعم فقال الساعة رايت رجلا يقلعه فقلت له نعم وما عرفت مراده فقال لى وايش ما فيه ذنوب وجعل يكرر هذا الكلام فما فطنت لمراده الّا فى المرة الثالثة فقلت استغفر الله فقال نعم هكذا تحب نهاه رضى الله عنه عن العودة الى ازالة ذلك من غير ضرورة داعية

نهاه وكلما يبديه نهيــــا وامرا يصحب الدعوى الصحيحه
وقطع مسبح مرجوح فعــــل لغير ضرورة تدعو مبيحـــــه

* المنقبة الاولى بعد المائة *

عن الشيخ ابى محمد عبد الله بن عبد المغيث ولد اخ الشيخ رضى الله عنه ونائبه بالزاوية قال كان بعض فقرائنا عند العرب لاخذ الجمال ثم ان الشيخ اردفهم بى وامرنى بلحوقهم فقلت له اطلب منك المدد بالخاطر فقال لى اذا جاءك ياجوج وماجوج ما يكون كلامك لهم فقلت ما يقوله سيدى فقال اذا جاءوك فقل يا حى يا قيوم برحمتك استغيث فانا ناتيك فاتفق انى سافرت فوجدت قافلة عظيمة كانها الركب فيها خلق كثير وعيالات قد حصرهم خوف العرب هنالك فلما راونى تعلقوا بى فعلمت ان الشيخ انما وجهنى اليهم فما سرت معهم الّا قليلا واذا بقوم من العرب لا يحصون كثرة قد اغاروا علينا واحتازوا القافلة فامدنى الله تعلى بمدد همة الشيخ رضى الله عنه وركضت القوم وادرت بهم دائرة ثم انى ناديت يا حى يا قيوم برحمتك استغيث فكشف الله لى عن خلق معهم رايات وهم مقبلون الي يقولون لا تخف نحن فى نصرتك فكان الرجل من الهاربين يجرى فيخر على وجهه والفارس يصرع مع فرسه فلما راوا

ما

ما هم فيه ولا يرون له منا سببا ظاهرا اكبوا علي واستقالوا وردوا جميع ما حصلوا عليه من قليل الاشياء وكثيرها وسلم الله تعلى القافلة ومن فيها ببركة الشيخ رضى الله عنه ولما عدت اليه قال لى رايت كيف اغثناك وجئناك رضى الله عنه

ابدى له من سره المعهود ما يلقى وطالعة التخلص علمه
واغاثه لما استغاث وعند ما وافى اليه بغيب ذلك اعلمه

* المنقبة الثانية بعد المائة *

عنه ايضا قال جئت الى الشيخ رضى الله عنه يوما بطعام فلم اجده فى نوالته وبحثت عنه جهد استطاعتى فما وجدته ولا عرفت له خبرا فجلست وانزلت الطعام بين يدى ووضعت راسي على ركبتى وانا مفكر فى امره واذا به رضى الله عنه جالس الى جانبى فحركنى بيده وقال لى هات الطعام ثم قال لى بارك الله فيك وفيمن رباك رضى الله تعلى عنه ونفع به

لما اختفى عن ناظريه ولم ينل من امره المكتوم سر حقيقته
جعل التادب غاية فاناله منه الرضا عنه لحفظ طريقته

المنقبة الثالثة بعد المائة *

عن الشيخ ابى علي منصور بن زيد احد خدمة الشيخ رضى الله عنه قال اجتزت يوما بشرقى جامع الزيتونة فوجدت هنالك خبزا اعجبنى فاشتريت منه خبزة ووجدت عند انسان شهدا يبيعه فاشتريت منه وجعلته فى الخبزة وحملته للشيخ رضى الله عنه فاخذه من يدى وضربنى بحجر تنحيت من طريقه وخرجت من فورى الى السوق فلقينى الشيخ الصالح ابو الحسن علي المزوغى وفى يده من الخبزة التى حملت للشيخ بما فيها من الشهد فقال لى تاكل من هذه فعرفت ذلك وقلت لعل الحجر الذى رايت الشيخ رمى به هو الخبزة رمى بها لهذا الرجل الصالح والله تعلى اعلم

ما زال يبدى من غريب السر ما كلت عقول الكل عن ادراكه
وحديثه عجب فسلم ان رمى بدرا ولا تلبث الى افراكه

* المنقبة الرابعة بعد المائة *

عنه ايضا عن ابن عصفور قال كنت فى علو الزيتونى مع الشيخ المرابط ابى عبد الله محمد بن خلف الله الشكاز وكان موسوما بالصلاح فنظر من طاق العلو وهو مشرف على موضع الشيخ رضى الله عنه فراى الشيخ وقد طال شاربه الغاية فقال لى اذا كان هكذا شاربه كيف يكون ابطه وعانته قال فاذا بالشيخ رضى الله عنه قد اراه قاع قدمه وضرب بيده عليه وقال له على الطلاق يا مهج البص هكذا بهذا اللفظ ما هو إلّا مثل قاع رجلى لانه سمعه رضى الله عنه

اذا كان بالسر عن سرنا باذن من الله قد ينطق
فليس بمستغرب مثل ذا وبالقول قد افصح المنطق

* المنقبة الخامسة بعد المائة *

عن ابى عبد الله محمد البلى احد فضلاء اولاد الشيخ رضى الله عنه قال كنا يوما عند الشيخ رضى الله عنه فوق السطح واذا بغراب اجتاز فى طيرانه فوق علو الجامع الذى كان ابن عصفور احد صدور ارباب المناصب بتونس يسكنه فقال الشيخ رضى الله عنه مخاطبا لذلك الطائر وهو ينعق يا طائر اذا اخذت عرفنا فما عرفنا للشيخ رضى الله تعلى عنه فى ذلك مرادا فلما كان بعد شهر او نحوه اخذ صاحب العلو المذكور فظهر لنا سر كلامه حينئذ رضى الله عنه

لله ما اخفى المراد يريده باشارة من سره اهداها
فاذا بدا عين اليقين بدت لنا منه شواهد صدقه ابداها

* المنقبة السادسة بعد المائة *

عنه ايضا قال هربت للزاوية العروسية عمرها الله جارية من جوار

بعض كبار قواد الدولة الحفصية العثمانية فسعى فى اخراجها بكل وجه يمكن ووجه اليها يحاسنها ويجاملها فامتنعت فلما راى امتناعها وتاخرها عن العود اليه والرجوع الى رضاه وجه لاخراجها مملوكا من الطواشية فجاء الى نائب الشيخ ومعه خدمة وقال ان هذه الجارية سرقت لنا من الدار بعض ما يعز علينا فخلوا سبيلها معنا لنستخلص منها ما اخذته فابت الجارية ولجات الى الشيخ فقالوا لا نذهب إلّا بها طوعا اوكرها ومدوا بقلة الحياء السنتهم اليه فصعد الى الشيخ واخبره بمقالهم فانقبض من كلامه واخذ عود رمح كان عنده وعكسه بحيث صار الاعلى منه اسفل وقال له انصرف على خير ثم رمى الطواشي ومن معه بالحجارة فانصرفوا قال كان هذا الموطن يوم الجمعة وفى يوم الاحد المقبل الموالى اخذه السلطان واستولى على جميع امواله فما راته جاريته ولا رآها رضى الله عن الشيخ ونفع به

من ذا الذى جهلا يعرض نفسه   الهقت من اغضاب اهل الله
ويسومهم بخسا لامر هلاكه   إلّا فتى عن كل فتح لاه

* المنقبة السابعة بعد المائة *

عنه ايضا قال حدثنى الشيخ ابو محمد عبد الله بكسر دال عبد ولد اخى الشيخ رضى الله عنه ونائبه رحمه الله قال كان السلطان الامام الحجة القائمة المنتصر نور الله قبره كثيرا ما يوصيني بحفظ ما يتكلم به الشيخ رضى الله عنه اوكتبه وانهائه اليه ويوكد علي فى ذلك فكلمت يوما الشيخ رضى الله عنه فى امره وقلت السلطان يسلم عليك فما تقول له فقال رضى الله عنه ما معناه امسكت على يدى بازين فطارا عن يدى وصعدا فى الجو وانا ارقبهما فلما توسطا فى الجو جذبتهما الي بسير رقيق متصل بالقفاز شيئا فشيئا الى ان رجعا الى يدى وامسكتهما فاخبرت السلطان المذكور بهذا الكلام فقال لى بعد امعان النظر فى مدلوله وكان له ادراك شريف وفهم ثاقب الذى اقامه الله عندى فى معنى اشارة الشيخ هذه انه سيهرب

لى اثنان من ملوك بنى حفص ولا يتم لهما امر ويرجعا الى يدى قال فكان الامر كما قاله رحمة الله عليه فى معنى اشارة الشيخ رضى الله عنه ونفع به

ترقى فى اعتقاد الشيخ مرقى يخول مثله صافى السريره
ففهم من خبايا القوم سرا وادركه بتنوير البصيره

* المنقبة الثامنة بعد المائة *

عن المعلم ابى العباس احمد ابن محمد العيشونى وهو الذى بنى الزاوية العروسية عمرها الله تعلى بذكره قال كان فى زاوية الشيخ رضى الله عنه حائط مال تداعى سفليه كله للسقوط واعلاه صحيح لا يحتاج الى بنيان فاتوا بى لبنائه فقلت لا بد لنا من تعليق الاعلى لاصلاح السفلى فاتونى بما احتاج اليه فى ذلك من الخشب وشرعت فى صناعة التعليق الذى لا يتاتى لنا امر الّا به ومحال فى نظر الصناعة والعادة ثبات الاعلى بنفسه بعد نقض ما هو عليه فنهانى رضى الله عنه عن التحدث فى التعليق فقلت يا سيدى لا بد من ذلك ولا نقدر على الدخول تحت الحائط قبل تعليقه فقال رضى الله عنه انا هنا واقف ما تحتاج الى تعليق فلما سمعت منه هذا الكلام علمت ان الامر سماوى وتركت مقتضى الصناعة لقوله رضى الله عنه فنقضنا السفلى وبقى الاعلى معلقا علينا لا يمسكه الّا قدرة الله تعلى واخذنا فى البناء الى ان وصلنا الحائط بعضه ببعض وما نالنا شىء مما كنا نتخوفه من الهلاك المحقق ببركة الشيخ رضى الله عنه

اجرى المعلم فى صناعة نقضه احوال ذاك على الذى يعتاد
فبدا له من سر هذا الشيخ ما اغنى وطاوع بعد ذا المعتاد

* المنقبة التاسعة بعد المائة *

عنه ايضا قال جئت يوما لزيارة الشيخ رضى الله عنه فاقمت عنده مدة من النهار ثم لما نهضت للانصراف قال لى اجلس حتى تصلى العصر فجلست فلما صلينا بمسجد الزاوية واردت الانصراف قال لى اجلس حتى

تصلي المغرب و بعد صلاة المغرب قال لى رضى الله عنه انصرف الضيفان ينتظرونك فى الدار فلما وصلت الى الدار وجدت اصهارى فى الدار قد قدموا علينا ضيفانا كما قال لي رضى الله عنه ونفع به

احوال هذا الشيخ اسنى والذى جهل الحقيقة مثل ذا يستعظم
والناس شتى في الهوى لكننا بالله من درك الشقا نستعصم

* المنقبة العاشرة بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت يوما بين يدى الشيخ رضى الله عنه فجلت فى سرى فى امر قضاء الضرورة البشرية واين يضع ذلك فبينما انا اتردد فى هذا الامر واذا به رضى الله عنه يقول رغ عنى اى والله ماليح اين يضع ضرورة البشر ويكرر هذا الكلام فاخذنى من الطلاعه على ما فى النفس من ذلك العجب وقلت يا سيدى استغفر الله واتوب اليه رضى الله عنه

راى الشيخ فى ظل العريش وما له الى دفع احوال الضرورة منتقل
فظل يجيل الفكر فيه تحيرا ولم يدران العقل عن ذاك معتقل

* المنقبة الحادية عشرة بعد المائة *

من ابى حفص عمر بن سلامة احد قرابة الشيخ رضى الله تعلى عنه قال بينما انا يوما فى شغلي واذا برجلين يسالان عمن يدلهما على الشيخ رضى الله عنه ليزوراه فتركت ما كنت فيه من شغلى وقصدت بهما الشيخ فلما وقفا بين يديه قال لهما رضى الله عنه كذبت العجوز كذبت العجوز مرتين او ثلاثا فكانهما ادركهما العجب من كلامه وقبلا الارض بين يديه وانصرفا فتحيرت من امرهما وسر كلام الشيخ هذا معهما فسالتهما عن ذلك ماجا فيه فقالا كنا بمكة شرفها الله تعلى فى جملة من بها من المجاورين فمررنا يوما بسوقها فوجدنا فيه اوانى كثيرة من فخار المغرب ينادى عليها للبيع فقلنا هذا احد المغاربة مات وما لنا به من علم فسالنا الذى هو واقف على بيع تلك الاوانى عن ذلك قال لا علم لى وهذا الاوانى للعجوز

التى فى طرف السوق واشار لنا اليها فقصدناها فقالت وقد سالناها عن ذلك وهل هى مغربية او مكية حكايتى فى هذه الاوانى غريبة وما زلنا بها الى ان قالت كان لى زوج من فقراء المسلمين قدر انه توفى وترك لى اربعة اولاد وما خلف لنا قوت يوم واحد وما عندنا شئ نرجع اليه فكنت مع اولادى يوم موته وليلته ومن الغد الى صلاة الظهر فى شغل عن انفسنا بامر مواراته ودفنه فلما عدنا بعد الفراغ من ذلك الى منزلنا وقد كاد الجوع يهلك اولادى ولا مفتقد لهم ولا راحم إلّا الله بكوا وبكيت رحمة لهم ومصابهم وعجزا عن القيام بما لا يقومون به لانفسهم وكانت عندنا لذلك ضجة عظيمة فبينما نحن كذلك واذا بشيخ محتزم قد وقف لنا عند باب البيت وناولنى قصعة فيها طعام وقال لى لا تتركى هولاء الاولاد يبكون وانا آتيهم بما يحتاجون وانصرف فكشفت عن الطعام واذا به طعام المغاربة فعجبت لذلك ولما اقبل الليل اتانا ايضا بالطعام ومن الغد كذلك فلما تكرر ذلك منه معنا ليلا ونهارا وما عرفت لامره حقيقة سالته عن ذلك فما اراد ان يخبرنى فسالته بالله من انت وهل هذا الطعام من عندك او يبعثك به احد الينا فقال انا ابن عروس صاحب السطح بتونس ولنا معه على هذه الحالة ازيد من عشرة اعوام فهذه الاوانى التى رايتم ياتينا فيها بالطعام فاذا كثرت عندى ابيعها هكذا وقد شب اولادى اليوم ووعدنى انه سيزوجهم ويقوم لهم بسائر ما يحتاجون اليه فى ذلك فقلنا كيف صفة هذا الشيخ قالت صفته كذا ونعته كذا فذكرت صفة هذا الشيخ الذى رايناه الآن وقد كنا اجمعنا على زيارته فعن هذا اجابنا بما سمعته ابقاء للستر على نفسه رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

هذا هو التصريف والسر الذى　　بهر العقول وحير الاوهاما
ولو انتضى سيف الحقيقة عامدا　　مال الخلي الى الهوى او هاما

* المنقبة الثانية عشرة بعد المائة *

عن الفقيه ابى الهادى بن عبد الرحمن الفاسى قال صلى مرة الفقيه

الصدر القاضى ابو الفضل قاسم القسنطينى قاضى الجماعة حينئذ صلاة العصر بجامع الزيتونة من تونس وكان امامه فلما خرج تابعته جماعة الى داره وقالوا ان هذا الشيخ ابن عروس يجتمع عنده النساء والرجال فوق سطحه وهذا منكر يتعين عليك تغييره فقال لبعض خدمته اذا كان غدا فاحمله الى المارستان وانفصل على ذلك المجلس قال وكنت عند باب داره مع ولده الفقيه القاضى ابى العباس احمد وهو فى كرب عظيم مما امر به والده من حمل الشيخ الى المارستان فانه كان يعتقده قال فبينما نحن فى ذلك واذا بامة خرجت من الدار وقالت سيدى يقول لك قل لفلان للرجل الذى كان امره بحمل الشيخ رضى الله عنه الى المارستان لا سبيل ان تتعرض للشيخ بوجه من الوجوه فتبسم ودخل الى الدار ثم عاد الي وقال لى انه يتقلى من وجع اصابه وهو منه فى امر عظيم ثم ان بعض الفضلاء ممن كان معنا وهو يحدثنا بهذا قال اخبرنى من اثق به ان القاضى لما اصابه من هذا الوجع ما اصابه واشتد به كان يجد ثقلا يخيل اليه منه انه سيغلب على منع نفسه بالقوى الماسكة عما يخرج منه فينزعج لذلك الى المرحاض فاذا جلس على الكرسى وحاول خروج شئ منه لم يستطع ذلك وزال عنه ما كان يجده من ذلك فيعود الى بيته فبنفس ان يستقر على فراشه يراجعه ذلك قال فما زال الامر به هكذا نحوا من خمس عشرة مرة وفى الاخيرة سمع كلام الشيخ رضى الله عنه وهو يقول له تحب ان يخرج منك شئ والله لا خرج منك شئ او ما هو قريب من هذا الكلام فعند هذا وجه لولده برفع يد الذى كان امره بثقاف الشيخ رضى الله عنه

من لم تعظه زواجر الشيخ التى نتلوولم يعرض عن الاعراض
فاحكم عليه مسجلا بهلاكه ان الهوى مرض من الامراض

المنقبة الثالثة عشرة بعد المائة

عن الشاب المعتقد ابى عبد الله محمد بن احمد الطرابلسى قال اخذ بعض

اعزة اخوانى فى الله تعلى اسيرا فساءنى ذلك غاية فقدر انى اجتمعت
يوما باخيه فتباكينا اصابه وسالته عن مستقره فى ارض النصارى فقال
الذى ثبت عندنا من ذلك انه بالموضع الفلانى وذكر لى انه تحدث
فى امر افتكاكه مع يهودى التزم له عن ذلك ببعض شئ يعطيه له ان
هو سعى فى ذلك وانفصلنا فقصدت الشيخ رضى الله عنه فى امره لما وجدته
من نفسى من حرقة اسره فالفيته جالسا خارج النوالة فترامیت عليه
وقلت يا سيدى سالتك بالله وبرسوله إلّا ما قضيت لى هذه الحاجة ولم
اعينها له فاعرض عنى فترامیت عليه فاعرض ايضا عنى ثم قال لى رضى
الله عنه الكلب ياكل فيها فقلت له يا سيدى حاشا الله ان ياكل فيها
الكلب والاسد بازائها وعلمت انه اراد بالكلب اليهودى الذى اخبرنى
اخو الاسير انه جعله واسطة فى افتكاك اخيه وما زلت به رضى الله عنه
الى ان قال لى قضيت حاجتك وحينئذ انصرفت فما لبثنا بعد هذا إلّا
نحوا من اربعين يوما واذا بالاسير المذكور قد دخل على اهله بتونس وقد
هرب فى جماعة من الاسارى واوصله الله تعلى الينا احسن الوصول وخلصه
من ايدى الكفرة الخلاص الجميل ببركة الشيخ رضى الله عنه

من ذا الذى وافى المقام وصدقه ... باد عليه ولم ينل مطلوبا
ومن الذى قد امه وشفيعه ... حسن اعتقاد لم ينل مرغوبا

المنقبة الرابعة عشرة بعد المائة

عنه ايضا قال كان بعض اصحابنا فى شغل من امر وليمة عنده وكان قليل
ذات اليد فطلبوا منه شراء حنبل دعتهم الضرورة اليه فما زال يسعى فى امره
الى ان اشتراه واجتاز به فى اثناء حمله لداره على الزاوية العروسية
فدخل ليتبرك برؤية الشيخ رضى الله عنه فلما وقف بين يديه والحنبل
عنده قال له رضى الله عنه ارنى ذلك الحنبل فناوله له فلما اخذه القاه
وراء ظهره فى النوالة وامره ان ينصرف فتملق له وقال يا سيدى انى محتاج
اليه وما عندى والله لغيره ثمن فابى من رده اليه فلما اطال الكلام مع الشيخ

رضى الله عنه رماه بحجر وقال انصرف عنى فانصرف وهو فى امر لا يعلمه الّا الله تعلى وترك الوصول الى داره حياء منهم وحشمة لعدم اسعافهم فيما طلبوه من شراء الحنبل المذكور وهو لا قدرة له على شراء غيره وكره ان يخبرهم بامره مع الشيخ وما زال الى ان اضطره الليل الى داره فلما دخل قالوا له بكم اشتريت الحنبل الذى بعثته الينا فوالله انه لحنبل جيد فظن انهم يهزءون به قال اى حنبل قالوا الذى طلبناه منك وارسلته الينا قال واين هو قالوا عندنا قال ائتونى به فاتوه به فلما رآه عرف حنبله الذى كان الشيخ اخذه منه فقال الله اكبر واخبرهم حينئذ بامره فيه مع الشيخ رضى الله عنه ونفعنا به

من رام نيل السر من احواله منا فقد رام الذى لا يدرك
انى لنا والجهل عم وما لنا ذوق به فى الفتح يوما نشرك

المنقبة الخامسة عشرة بعد المائة

عنه ايضا قال كان رجل من المعتقدين فى الشيخ رضى الله عنه يسكن بربض باب السويقة من تونس وكان يتردد اليه بالطعام قال جئت يوما الى الشيخ رضى الله عنه بعد العصر فقال لى اريد الفطاير بالسمن والعسل فقلت له نعم وانصرفت مبادرا الى دارى لآتيه بذلك قبل هجوم الليل وامرتهم فصنعوا ذلك بين يدى على اكمل الحالات وجئت بذلك فلما تناوله رضى الله عنه منى وانفتلت لانصرف ايضا وانا فى قلق من ان يغلق باب المدينة دونى فقال لى اجلس فجلست فلما كان قريب من نصف الليل قال لى قم انصرف ولا تكن فضولى فخرجت وانا على يقين من غلق باب المدينة فكنت اقول كيف الوصول الى دارى مع هذا لكن يطمعنى قوله ولا تكن فضولى فلما وصلت الى الباب وجدته مغلقا وما فى الحى الّا الحى فبنفس ان وضعت يدى على الباب انفتح ولا اعلم لذلك كيفية عدى انه انفتح لى وخرجت منه فجئت الى دارى وقد اخذهم

العجب من وصولى اليهم وابواب المدينة مغلقة وسالونى عن ذلك فكرهت ان اطلعهم على سر الشيخ رضى الله عنه

لما تزكى سره عن شوب مـــا   شان الكثير من الشكوك المبعده
ابدى له ما يطمئن بمثلــه   والصدق حقق فى الحقيقة موعده

* المنقبة السادسة عشرة بعد المائة *

عنه ايضا قال كان بتونس رجل من الفقراء ممن لا يملك شيئا دخل يوما الى منزله فلم يجد عند اهله قوت يومهم ذلك وهو ممن لا يتسول فنظر فاذا عندهم مزود فارغ فاخرجه ليبيعه فى قوتهم واجتاز به على الشيخ رضى الله عنه فناداه يا صاحب المزود فلما دنا منه قال له اعطنى ذلك المزود فقال لا إلّا ان تعطينى ثمنه فاعاد الشيخ عليه الكلام فيه فابى وذكر له فاقته فبينما فى ذلك واذا باحد اجناد السلطان قد رآه الشيخ وهو مجتاز فى وسط السوق فصار ينادى بصوت عال يا فارس والناس ينادونه بنداء الشيخ الى ان جاء الى الشيخ فقال له رضى الله عنه ادفع لهذا ثمن مزوده فقال له ادفع له الكل او البعض فقال الكل فاعطى المزود للشيخ وانصرف معه فاعطاه نصف دينار فلما قبضه منه قال له بالله عليك إلّا ما اخبرتنى بالسر الذى بينك وبين هذا الشيخ فى النصف دينار فقال له انى جئت مرة متوجها من قسنطينة الى تونس وما معى احد غيرى فجن علي الليل وانا فى خلاء من الارض وكنت اعرف هنالك غارا يسعنى ويسع فرسى فلجات اليه واوقدت فيه نارا وبت فلما كان آخر الليل وقد اردت الخروج وجدت على فم الغار اسدا ينتظر ان يفترس الفرس اذا خرجت به وما قدرت على مدافعته فقلت يا سيدى احمد ابن عروس اطلب منك ان تبعده عن الغار قليلا حتى اعتدل على ظهر الفرس ولا ابالى به بعد ذلك ولك نصف دينار فما شعرت إلّا واذا اسمع زئيره على بعد من الغار فاخرجت فرسى وركبت فما استويت على ظهره إلّا وهو قد كر علي فركضت فرسى

عنه

عنه وتركته وما رايته من تلك الساعة ونسيت وعدة الشيخ فلما كلمني
الآن عنك تذكرت الوطن وعلمت انه انما سال مني متاعه رضي الله
عنه ونفع به

لما استغاث اغاثه وكفاه ما قد كان يخشى وهو منه محترس
والآن آن له الوفاء بما به كان التخلص من مخالب مفترس

* المنقبة السابعة عشرة بعد المائة *

عنه ايضا قال اشترى رجل من الفقراء مقطعا يفصله للباس زينة اولاده
للعيد بسبعة دنانير فضة ودخل به الى الشيخ رضي الله عنه فاخذه من
يده فقال له اعطني مقطع الاولاد فانهم اليه فقراء وانت غني عنه فقال
له امش الى العلام ففهم صاحب المقطع من ذكر العلام انه امره بالمشي
الى السلطان فترك مقطعه عند الشيخ وذهب الى السلطان فاجتمع به
خارج البلد واخبره بحكايته مع الشيخ كلها فاعطاه سبعة دنانير ذهبا فجاء
بها الى الشيخ رضي الله عنه فلما رآه قال له اعطاك قال نعم فاخذ رضي
الله عنه المقطع ورمى به اليه وقال له انصرف فكان مراده ارفاقه من
السلطان بذلك على هذا الوجه رضي الله عنه ونفع به

علم الضرورة وابتغى ارفاقه لكن على وجه به لا يشعر
سترا على احواله بطريقة في ظاهر المالوف منا تنكر

* المنقبة الثامنة عشرة بعد المائة *

عن ابن زيد ايضا قال كان في وجه ابنتي ناصول اشرفت منه على العمى
وانتفخ وجهها وطال الامر عليها فاتيت بها الى الشيخ رضي الله عنه فلما
اجلستها بين يديه ورای ما بها جعل يمسح على نفسه وينادي كانه
يستغيث يا الله عيني يا الله عيني هكذا مرارا ثم انه امرها بالانصراف فانصرفت
وما استقرت بالدار إلّا وهي تستغيث مما عرض لها من الوجع وتنادي
عيني يا الله كما كان رضي الله عنه ينادي ثم اندفع لها في الحين من ذلك

الناصول قيح كثير فوق ما يظن وزال ما كان في وجهها من النفخ وعن قريب برئت ولم يبق في وجهها سوى اثر لذلك فمرض قلبها منه فانه كان اثرا بينا فاتيت بها ايضا اليه رضى الله تعلى عنه فادناها منه واجلسها بين يديه وجعل يمسح على وجهها ويتابع المسح كانه يدافع شيئا تحت جلد وجهها فعل ذلك مرارا متعددة بها في مجلس واحد ثم خلى سبيلها فاليوم بحمد الله لا اثر لذلك في وجهها اصلا ببركة لمسه رضى الله عنه ونفع به.

اليمن مقترن بيمناه التي　منها انبعاث جداول البركات
يا مجدها ما حركت الا اغتدت　حركاتها من ايمن الحركات

* المنقبة التاسعة عشرة بعد المائة *

عنه ايضا قال خرجت ابنتي يوما من الحمام وكانت حاملا مقربا فاجتازت على الشيخ رضى الله عنه ودخلت الزاوية لتتبرك برويته فلما وقفت بين يديه قال لها اكشفى عن وجهك ففعلت فقال لها انصرفى انت سالمة فانصرفت وفي آخر ليلة ذلك اليوم اصابها وجع الطلق ودام عليها اياما الى ان اشرفت على الهلاك فجئت الى الشيخ رضى الله تعلى عنه وانا من امرها في حال لا يعلمه الا الله تعلى وقلت يا سيدى ابنتي فقال لى رضى الله عنه تكلمني في الجيفة فساءنى هذا منه وقلت اراد انها تموت من ذلك لكن اطمعنى في حياتها قوله لها انت سالمة فاتفق انها وضعت ولدين ميتين وسلمها الله تعلى فحينئذ عرفت مراده رضى الله عنه ونفعنا به واعاد علينا من بركاته

ايكون اخبر عن سلامتها بما　ابدى ويخشى بعد ذاك تلافها
ما ذاك ظنى ان يشير اشارة　في مقصد يبدى العيان خلافها

* المنقبة المتممة العشرين بعد المائة *

عنه ايضا قال وجهنى يوما الشيخ رضى الله عنه الى الفقيه ابى العباس

احمد

احمد البنزرتي احد اعيان ارباب المناصب بتونس المحروسة وقال لي قل له يعطيك اربع ركايز فقلت له نعم وما زلت ابحث عن الرجل الى ان وجدته واخبرته بمطلب الشيخ منه فاستبشر لذلك وقال على بركة الله فاخذنا منه ذلك وما بقي بعد هذا إلّا اياما قلائل جدا وتولى مناصب اربعة فظهر ان اشارة الشيخ كانت الى ذلك رضي الله عنه

الشيخ اغنى عن قبول متاعنا والشيخ ابعد من متاع الفانيه
لكنه يرعى مصالحنا التى نجنى به منها القطوف الدانيه

* المنقبة الحادية والعشرون بعد المائة *

منه ايضا قال كنت يوم عيد فطر فى سقيفة الزاوية واذا بالشيخ رضى الله عنه ينادى فصعدت اليه ووجدت عنده داخل النوالة ولد اخيه الشيخ ابا الحسن علي ابن عروس وهو يرتب فيها بامره فقال لى يا منصور ادخل على علي بالحديد والذكير وما نادانى باسمى قط إلّا فى ذلك اليوم فدخلت عليه كما امرنى واجتمعنا معا فى النوالة فامرنا ان نرتبها فلما فرغنا قال لنا الآن ترتبت افرشوها فلما فرشنا قال لى ادر الشباك وكانت هنالك عنده شباك فادرناها بالنوالة فلما فرغنا قال لى ادخل اقعد على جنبه قال فقعدت الى جانبه مضايقا له اشد ما يكون ونحن فى هذا كله لا نعلم للشيخ مرادا وبعد مدة قريبة وافى الخبر باخذ السلطان ابى الحسن الذى كان بجبال بجاية وقتله فحينئذ علمنا اشارة الشيخ رضى الله عنه وانه اراد بمنصور القائد منصور صاحب قسنطينة اذ ذاك فانه كان المتكفل بامره على ما قيل وبعلي السلطان المذكور رضى الله تعلى عن الشيخ ونفع به

فى كل ما يبدو لنا من امره سر ولكن ذاك عنا منبهم
ومن الذى يبدو له من سره معنى وليل الجهل منه مدلهم

* المنقبة الثانية والعشرون بعد المائة

عن السيد الشريف ابى زيد عبد الرحمن بن جعفر القرشي قال رايت

الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه مرة فى النوم وكانه اعطانى برنسا ابيض وقال لى ما معناه البرنس لك والعكاز لى فاخبرت بذلك شيخنا سيدى ابا عبد الله محمد المهدوى رحمه الله فقال لى ان اولياء الله اذا كان منهم امر فى عالم النوم والخيال فانهم يخبرون به فى عالم الحس والمشاهدة فجئت الى الشيخ رضى الله عنه فلما رآنى ذكر لى ما معناه ان العكاز لى ثم قال لى العمامة التى على راسك كم طولها فقلت لا ادرى فقال لى اذا طالت تكون من اربعين ثم امسكها بيديه كما هى على راسى وادارها يمينا وشمالا ثم تركنى فانصرفت واخبرت شيخنا المذكور بمقاله كله فقال لى رحمه الله تعلى اذا صدق ظنى فالاشارة بالعكاز الي والله اعلم انى القى الله تعلى فيما دون الاربعين يوما التى اشار اليها الشيخ بكلامه فى العمامة واما البرنس فخذ اليك برنسى وناولنيه فامتنعت من اخذه وقلت لا اصلح للباسه فما زال بى الى ان اخذته منه وكان هذا الشيخ المذكور طوالا فى الرجال وكان البرنس المذكور اكمل منه قدا فلما لبسته وانا قصير كما ترانى جاء على قدر لباسى سواء ثم ان الامر كان كما قاله فو الله ما عاش بعد ذلك الا اربعين يوما او دونها بيسير وظهر سر اشارة الشيخ لى جميع ما اشار به رضى الله تعلى عنه ونفع به

بالذوق نال من الاشارة سرهـــا وبه بدا لبيانها تيسيـــــــره
واتى على النحو الذى ابـداه فى سر الاشارة قبل ذا تفسيـــــره

* المنقبة الثالثة والعشرون بعد المائة *

عنه ايضا قال خطر لى مرة وانا بموضعى حال الشيخ رضى الله تعلى عنه فقلت فى نفسى وددت انه يصافحنى كما كان يصافحنى سيدى فتح الله رحمة الله عليه ويسلك بى حيث لا اخرج عن طور ما انا فيه الى مقدمات الجذب وجئت بعد ذلك لزيارته رضى الله عنه فلما دخلت الزاوية لقينى بعض اصحابنا الساكنين بها قبل ان اصعد الى الشيخ فعرض

على

علي الدخول الى بيته فقلت حتى ازورفابى ان يملكنى من امرى شيئا وحملنى الى بيته ثم غاب عنى قليلا واذا به قد احضر لنا الخبز والعنب فبينما نحن ناكل ونتحدث واذا بالشيخ رضى الله عنه قد دخل علينا فادهشنا عما نحن فيه وقال كلوا ولما مد يده ليتناول مما بين ايدينا وهو قائم مدها من فوق راسى الى صدرى فلما رايت يده المباركة قريبة منى تذكرت ما كنت تمنيته من تقبيلها ومصافحتها وامسكتها كما كنت اريده وما منعنى رضى الله عنه من ذلك ولا جذبها من يدى وانما جعل يقول اطلقنى ولما ان اكملت مرادى منه كما كنت اردت واطلقت يده الكريمة من يدى خرج عنا منصرفا الى مكانه فثبت عندى انه رضى الله عنه انما فعل ذلك معنا ليوصلنى الى مرادى منه على وجه لا يدع معه الستر على كريم احواله رضى الله عنه ونفع به

ايكون منتسبا لاكرم شافـع واجل مبتعث وافضل مرسـل
ويرده عن مبتغاه وما ارتـوى منه بكوثره الرحيق السلسـل

* المنقبة الرابعة والعشرون بعد المائة *

عن الفقيه الحبر ابى محمد عبد الله التونسى قال كانت امراة من اهل الستر وكانت لا تملك شيئا وعندها ابنة ارادت تزويجها وهى محتاجة الى ما يحتاج اليه النساء فى ذلك فكانت تلجا الى الشيخ رضى الله تعلى عنه فى امرها وتشكو له ما اهمها منه وتتملق بين يديه لما تجده من كسر قلب ابنتها لعدم ما تستر به حالها مع زوجها وكان رضى الله عنه يعرض عنها تارة ويصرفها بالتى هى احسن تارة قالت فانا فى وسط دارى جالسة وابنتى معى فى جوف الليل والمصباح بين ايدينا واذا بحركة من يمشى فوق السطح فنظرت فاذا بسيدى احمد ابن عروس لا اشك فيه ولا ارتاب فقمت اليه وبى من الفرح والدهش جميعا ما لا يعلمه إلّا الله تعلى فرمانى بصرة وقال لى هذه التى اعطاكم الله وانصرف كانه قط لم

يكن معنا وما علمت له مسلكا وفتحنا الصرة فوجدنا فيها خمسين دينارا ذهبا جديدة فوالله ما فرحنا بشيء قط فرحنا بها ثم انى جهزت ابنتى الى زوجها كما يجب وينبغى وجبر الله تعلى قلوبنا بذلك ببركة الشيخ رضى الله تعلى عنه ونفع به

يا رتبة عزت وعز منالها ومكانة يعزى لها التمكين
شيخ على المسكين يعطف وهو فى احواله ما بيننا المسكين

* المنقبة الخامسة والعشرون بعد المائة *

عن الشيخ ابى العباس احمد بن محمد بن عبد الواحد بن عبد السلام ابن ابى يحى ابن عبد الله ابن الشيخ الصالح الشهير الحجة القائمة الولى الكبير ابى يوسف الدهمانى رضى الله تعلى عنه وقد اجتمعت به فى داره من تونس المحروسة فى اواسط رجب عام سبعة وستين وثمانمائة قال كنت ساكنا بمسقط الراس القيروان ومقيما بها بحيث لا تحدثنى النفس بالانتقال عنها فاذن لى بالامر الباطن فى النقلة الى تونس والسكنى بها فثقل ذلك علي ثم انى لم اجد بدا من الامتثال فانتقلت وكان لى باثر ذلك بها صيت وكنت اوقد الشمع والقناديل نهارا واوثر السماع فانتهى امر ذلك كله الى قاضى الجماعة حينئذ بتونس وقيل له عنى انه يسمع ويشطح فى السماع ويجتمع عنده لذلك من الخلق ما يخشى معهم الفتنة والمنكر فوجه الي فى ذلك وامر بثقافى وكان القائم فى امر سراحى قاضى الانكحة حينئذ بتونس تحدث مع الخليفة فى ذلك وما زال به الى ان سرحنى من ثقافى وكنت لذلك تحت امر لا يعلمه إلا الله تعلى وبعد مدة اجتزت بمقام الشيخ ابن عروس رضى الله عنه وفى نفسى الرجوع الى القيروان والاقامة منها بضريح جدى ابى يوسف رحمه الله والتخلى عن الناس الى ان تدركنى المنية فناداني رضى الله عنه من فوق السطح فابيت ان ارجع اليه وقلت فى نفسى ما معناه لم يبق منكم من فيه

فائدة فحلف لى على الرجوع اليه فرجعت فلما وقفت تحته و بصرى بالارض قال والله لترفعن الى راسك فرفعت اليه راسى فقال والله لتضحكن فضحكت موافقة وامتثالا لامره فقال بالله الذى لا اله الّا هو ان يدى فى خناقه ولا اطلقه حتى اجيفه وذكر ما معناه ان ذلك يقع لمدة سبعة ايام قال فوالله ما مرت السبعة الايام حتى ضرب القاضى المذكور فى وسط محرابه من جامع الزيتونة وكان اماما به ومات من تلك الجراحات وصدق الله تعلى مقال وليه رضى الله عنه

هذا الحديث ومثله لذوى النجا عظة تميل بهم الى التسليم
فاعلم به ما بعده من مثله والمرء مفتقر الى التعليم

* المنقبة السادسة والعشرون بعد المائة *

عنه ايضا قال اتيت الى الشيخ رضى الله تعلى عنه وفى نفسى التوجه الى المشرق بالركب فاستشرته فى ذلك فقال لى رضى الله عنه هذه السنة سنة اكل الدجاج والزبد فاعدت عليه فما زاد على هذا شيئا فلما كان العام المقبل اتيته ايضا فلما وقفت بين يديه رضى الله عنه قال لى وما فاتحته عن مرادى بشيء اعطيناك الركب وكان السلطان لم يسرح الركب فى تلك السنة فاتفق انه سرحنى به وتوجهت الى المشرق فلما انتهينا الى الدرب اصابنا فى بعض الايام من الحر المفرط الخارج عن المعتاد مع الريح الجنوبية الحارة ما لا يعلمه الّا الله تعلى وكان هلاكنا عندى من العطش اقرب الى سلامتنا لما رايته من هول ذلك اليوم وشدة وهجه واهل ركبنا من ذلك فى امر عظيم واتفق انى تاخرت عن الركب ومعى على الراحلة يسير ماء فى شنة لاتفقد احوال الضعفاء منا وارى ما اليه مصيرهم فبينما انا فى ذلك الامر واذا بانسان ينادينى من وراءى يا احمد الم اقل لك انا من وراء الركب اسوقه وكان رضى الله عنه قال لى بتونس ابو يوسف من امام الركب وانا من خلفه فالتفت فاذا بسيدى احمد ابن

عروس لا اشك فيه ولا ارتياب وعليه كساء قد شد اطرافه على صدره المبارك وبيده عصا وقال لى لا تخف ما يجرى عليكم فى هذا اليوم سوء ولا يموت منكم احد والموت انما يقع فى ركب المصريين وانصرف رضى الله عنه فما علمت له خبرا وكان الامر والله كما قاله وسلمنا الله تعلى فما هلك من ركبنا كله انسان واحد ومات من ركب المصريين خلق كثير وصدق الله مقال وليه رضى الله تعلى عنه واعاد علينا من بركاته

اين الذى لم تبق منه يد الهوى سمعا به يصغى الى الآيـــات
تبدو له من سر هذا الشيخ ما يأتى به من ابعد الغايـــات

* المنقبة السابعة والعشرون بعد المائة *

عنه ايضا قال اجتمعت بمكة شرفها الله تعلى مع الشيخ الصالح ابى الحسن علي التلمسانى وكان منقطعا بها متخليا من اسباب الدنيا متجردا لعبادة الله تعلى فحدثنى يوما وقد تذاكرنا خوارق سيدى احمد ابن عروس رضى الله تعلى عنه قال من عجيب ما رايته له من الخوارق انى كنت مدة اقامتى بمكة المشرفة ارتقب فى رمضان الخلوة والفراغ ساعة اخلو فيها بالطواف وحدى فما امكننى ذلك ولا ظننت فراغ المطاف من الطائفين فى وقت من الاوقات إلّا وجدته عامرا واتفق ان اصاب بمكة عندنا مطر وابل غزير جدا ينحدر كافواه القرب فى ليلة ذات ريح وظلمة وامر عظيم فقلت فى نفسى هذه الليلة اجد ما كنت ارتقبه من خلو الكعبة لى بالطواف وحدى فبينما انا كذلك واذ انا بصوت اسمعه فى الهواء يقول لى يا علي يا تلمسانى لى مدة من اثنين وعشرين عاما ارتقب الخلوة بالطواف وحدى فما وجدتها وتطمع انت ان تجدها فى عام او عامين طف ودع عنك هذا فقلت وما رايت له شخصا سالتك بالله من انت فقال لى انا احمد ابن عروس وهذا كان آخر العهد به رضى الله عنه ونفع به

يا معرضا عن رشده جهلا ويـــا متعرضا لوفود اهــــــل الله

اسمع حديث منول بالفتح لم يجنح الى لهو المجهول اللاهى

* المنقبة الثامنة والعشرون بعد المائة *

عن المعلم ابى الحسن علي بن محمد التلمساني شهر الحزام قال اقمت مع اهلي عشرين سنة لا يولد لنا وكنا بصفة القنوط من ذلك وكنت كثير التردد فى ذلك الى الشيخ رضى الله عنه رافعا اليه امر ذلك بالهمة الصادقة فاتفق ان كان عندنا كتاب فى خواص القرآن العزيز قرانا فيه ليلة من قرا سورة كذا على صفة كذا وواقع اهله رزق الذرية فاستعملنا ذلك على الوجه الذى ذكره صاحب الكتاب ولما كان من الغد اتيت الى الشيخ رضى الله عنه فقال لى بنفس ان وقفت بين يديه دون ان اكلمه نعم هكذا احب فقلت فى نفسى لعله اراد صنيعتنا البارحة ووقع عندى فى ذلك تردد فاردف ذلك بقوله قطوس يلعب مع قطوسة فى بيت فتحققت ان الكلام راجع الى الصادر منا البارحة وانه رضى الله عنه استحسن استعمالنا الذكر والقرآن بين يدى مرادنا فبينما انا اجول فى سر اطلاعه رضى الله عنه واذا به يقول القطوس عمل فى بطن القطوسة قطوسا هكذا فاطمعنى هذا الكلام منه رضى الله عنه فى حدوث الولد لنا عن الوقاع المذكور واخبرت اهلى بكلامه هذا فقالت عسى الله ان يفتح علينا ببركته فلما مضى لها شهر او قال شهران بان الحمل وما كنا قبل ذلك نطمع فيه ابدا ولما وضعت حملها وضعت مولودا ذكرا لاشارة الشيخ فيه بالقطوس الذكر ثم ترايد لنا بعد الحمل هذا من بطون اخر اولاد مات منهم من مات و بقى اليوم لنا من بقى وما نرى ذلك الا من سر الشيخ وبركته رضى الله عنه ونفع به

هجر الحال فحول الفتح الذى منه يحدث عن غيابات الرحم
ولكم فتى وافى اليه وصدقه باد عليه وكان محروما رحم

* المنقبة التاسعة والعشرون بعد المائة *

عن الشيخ ابى عبد الله محمد العوسجى المرساوى قال حدثنى الحاج ابو

محمد عبد الوهاب الرابوز التونسي قال وعدت الشيخ رضى الله عنه برطلين من التفاح المسكى وكان عندى منه ما ابيعه فبعت يوما ونسيت وعدة الشيخ ثم لما تذكرتها اشتريت له رطلين وحملتهما فى كمى اليه فلما كنت فى اثناء طريقى اليه لقينى بعض اصحابى وحملنى لطعام عنده قبل ان اصل الشيخ وما زال ذلك التفاح عندى ولما اكلنا الطعام احضروا الخمر فشربت معهم ولما انطوى بساط ذلك جئت الى الشيخ رضى الله عنه فى تلك الحالة لادفع له تفاحه فلما وقفت بين يديه ورآنى جعل رضى الله عنه يدنينى اليه وكلما تباعدت امرنى بالقرب منه الى ان كاد يمسكنى بيده ولما ناولته التفاح رمانى بحجر واردفها بعد هروبى باخرى فخرجت وانا لا اعرف اين اضع قدمى من خوفه وكان فى جيبى عشرة دنانير ذهبا فلما انتهيت الى السوق ادخلت يدى فى جيبى لاتفقدها فلم اجدها فسقط فى يدى وعلمت ان علتى من الشيخ فقصدته وجعلت اتماق بين يديه واشكو فقال لى رضى الله عنه تتوب الى الله فقلت له نعم يا سيدى فقال لى امش الى السوق الذى تذكرت فيه دراهمك تجدها فانصرفت وانا لا اعرف له مرادا من امره لى بالرجوع الى السوق فلما وصلت الى السوق المشار اليه ادخلت يدى فى جيبى فوجدت دراهمى فى مكانها فاخذنى العجب من ذلك وقد كنت امعنت فى البحث عنها فما وجدت لها اثرا فعلمت ان ذلك كله من الشيخ رضى الله عنه ونفع به

قصد الزيارة راغبا والمقتضــى   فى امرها متعقب بالمانــع
فدعاه تب عمــا اقترفــت   فما الذى اهديته عن امر نصحك مانع

* المنقبة المتممة الثلاثين بعد المائة *

عن الشيخ الكامل ابى العباس احمد البنزرتى احد اعيان الدولة الفاروقية الحفصية قال عزمت على الخروج الى المحلة المنتصرية ووقفت على

الشيخ رضى الله عنه وقلت يا سيدى اردت الخروج الى المحلة وكان حينئذ رضى الله عنه فى بيته لم يصعد بعد الى السطح وهذا نصف دينار نويته لك فقال لى رضى الله عنه خمله عندك حتى نحتاجه فاتفق انى خرجت للمحلة وتركت النصف دينار فى الدار فكان من قضاء الله وقدره ان الخليفة المذكور رحمه الله امر بثقافى ولما سجنت وجهت الى الشيخ رضى الله عنه فقال للرسول وقد خاطبه عنى اين النصف دينار الذى لى عندكم فاتاه الرسول به بعد ان اعلمنى فقال له رضى الله عنه اشتر لى طبقا بنصف درهم ناصرى وانفق لى فيه كل يوم بنصف ناصرى ففعل ذلك ولما فرغ النصف دينار اعلمه الرسول بذلك فقال له رضى الله عنه امش اليه واطلقه فوافق ذلك اطلاقى وسراحى رضى الله عن الشيخ

هذا يحقق ان ما نهدى له من كسرة او كسوة او من نقود
وقف علينا فى مصالح لم نزل بزمامه لجيادها كرما نقود

المنقبة الحادية والثلاثون بعد المائة

عنه ايضا قال قدم على الشيخ رضى الله عنه بحضر منى انسان يقال له محمد السليطن بخبزة فى باطنها شئ لا ادرى ما هو فقال له رضى الله عنه كشفتها يا مكشوف العمى وانصرف الرجل فما كان إلّا مدة يسيرة وكف بصره المسكين والعياذ بالله تعلى

من كان يجهل قدر ما مولاه فيه اودعا
فليرتقب افلاسه ان قال اف او دعا

* المنقبة الثانية والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال زرت الشيخ رضى الله تعلى عنه مرة فى يوم جمعة فلما وقفت بين يديه قال لى يا اخى من يعطينى راسا من البقر اقطع له به راس سعيد قال يريد رضى الله عنه الشيخ سعيد بن احمد بن ابى صعنون

الحكيمي وكان حينئذ صاحب الكلمة المطاعة في كافة عرب افريقية قال فخرجت من عنده وعرفت امير المومنين بمقاله هذا فقال لي اعطوه راسا من البقر ففعلت ما امرني به وبعد يومين او ثلاثة دخلت المجلس لروية امير المومنين فاستدعاني واطلعني على كتاب فيه التعريف بموت سعيد المذكور وفعل ذلك ليوقفني على تحقيق قول الشيخ رضى الله تعلى عنه واعاد علينا من بركاته

لما اراد حبائل الحتف الـــتى · تردى عليه وكان شيخا في حكيم
لم يغد الّا والمنية انشبـــــت · اظفارها فيه ولم ينفع حكيـــم

* المنقبة الثالثة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال حدثني الفقيه القاضي الاعدل ابو العباس احمد بن كحيل قاضي المحلة العثمانية وكان رحمة الله من المحبين المعتقدين قال حملنا مرة للشيخ رضى الله تعلى عنه طعاما في قصعة فلما تناوله امسك القصعة عنده على عادته في ذلك رضى الله تعلى عنه ثم مضى الامر فقدر اني حججت بعد ذلك فوجدت قصعتنا تلك بمكة شرفها الله تعلى فتحيرت في امرها وكيف وصلت الى مكة فسالت عن ذلك من وجدتها عنده فقال جاءتنا بالطعام فعلمت ان ذلك من خوارقه رضى الله تعلى عنه ونفع به آمين

قال للذي من جهلـــــه · لم يدر برا من علـــــس
في اى وقت ســـار من · ليل وصبح وغلـــــــس

* المنقبة الرابعة والثلاثون بعد المائة *

عن ابي حفص عمر بن محمد الكدرى قال مرض لنا ولد صغير فقالت امه انهم ذكروا لعلة هذا الولد فرث الضربان فابحث لنـا عن شيء منه فخرجت لذلك ثم قلت في نفسي والله لا افعل ذلك الّا بعد استيمار الشيخ رضى الله عنه فجئت اليه ولما وقفت بين يديه قال لي وما خاطبته

عن مرادى بشئ اى والله تزيدوا عليه فرث الصربان ثم قال يخاطبنى انت تقرا القرآن وفيه كل شئ وكان معى عنده انسان قدم من قصبة السلطان فى مثل امرى ولا علم لى بامره فامر رضى الله عنه رجلا كان بين يديه ان يحفر له فى تراب السطح فاردت ان اتولى ذلك عنه فمنعنى وقال انما يحفر هذا فاحتفر بامره ساقيتين صغيرتين ودفن بهما رضى الله عنه خشبتين صغيرتين وواراهما بالتراب ثم امرنا بالانصراف فانصرفنا وما لنا شعور بما فعله رضى الله عنه فقدر انه مات ولدنا فى ذلك اليوم او قال من الغد ولما حملناه للدفن اجتمعنا بالرجل الذى كان معى عند الشيخ وقد حملوا ايضا للدفن صبيا صغيرا فحينئذ ظهر لى مراد الشيخ رضى الله عنه فى احتفار القبرين وبان لى سر ذلك منه رضى الله تعلى عنه

ما اوضح الامر اذ يبدو وابعدنا عن فهمه وهو بالاسرار محتجب

سر به ذات هذا الشيخ قد وصفت لكن عليه متى ما رمته حجب

* المنقبة الخامسة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال اخذ فى تهمة سرقة ولد لبعض احبابنا وطال الامر عليه فشكا لى والده يوما ما يجده من ذلك فقلت له لا ارى لك ملجا فى خلاص ولدك إلّا سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه ولكن لا بد لى من شئ نحمله له فقال على بركة الله وناولته محفظة كانت عندى فحملها فى يده الى السوق واشترى فيها خبزا وتمرا وحملنا جميعا ذلك للشيخ رضى الله عنه فتناوله منا وابى ان يرد لنا المحفظة فكلمته فيها فابى فقلت لا اتركها لك إلّا ان تكون فداء ولد هذا فقال رضى الله عنه نعم هى فداؤه وجعلها تحته وجلس عليها وبعد يومين علقها فوق راسه ففى ذلك ازالوا عن الولد الكبل ثم بعد ذلك جئته فاعطانى المحفظة ففى ذلك اليوم اطلق السلطان الولد وسرحه دون شفاعة شافع فيه ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

ما زال ينقذ من مهاوى الهون من حسنت اذا ام المقام مقاصده
فيعود والبشرى طليعة قصده ومتى شكا طردا وردا قاصده

* المنقبة السادسة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال تزوج والدى امراة اساءت معنا العشرة غاية الاساءة وكانت توذينا بانواع من الاذاية ووالدى ضنين بها لا يريد مفارقتها فقدر انها قدمت لنا طعاما فيه بعض السموم القاتلة فاطلعنى الله تعلى على ذلك ورايته وما امكننى الّا الكتم وخرجت الى سيدى احمد ابن عروس رضى الله تعلى عنه وقلت يا سيدى بلغ الامر بنا الى القتل فصرفنى رضى الله عنه فقلت والله لا انصرف الّا على امر فصل اما ان تصلح واما ان تقلع فقال يا مسكين انصرف الذى ثم تراه فانصرفت ووالله ما طلعت الشمس من الغد حتى خرجت من دارنا خروج الشعرة من العجين ابرات والدى وطلقها واراحنا الله تعلى منها ومن شرها ببركة الشيخ رضى الله عنه

من اعتاد منه النصر والرفد لم يزل اذا شيك يوما ما يبث له الشكوى
فيغدو وما للخطب خطب يسوءه وقد كف سر الشيخ عنه يد البلوى

* المنقبة السابعة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال سافر لبعض اصحابى ولد ولم يعلم له مستقرا ثم انتهى اليه علم اين هو وامتنع الولد من الرجوع الى ابيه وادركه من غيبته ما يدرك الوالد من غيبة ولده فذكر لى يوما ما يجده من ذلك فقلت له عليك بسيدى احمد ابن عروس رضى الله تعلى عنه وتوجهت معه اليه فلما وقفنا بين يديه الكريمتين ذكرت له امر غيبة الولد وما يجده ابوه لفراقه فقال لى رضى الله تعلى عنه يرجع فقلت له فى هذه الايام ونويت بقية شهرنا ذلك قال نعم فقلت اعرف والده ما نويت من ذلك قال نعم فانصرفنا وقلت لوالده ان ولدك يرجع اليك فى بقية ايام هذا الشهر وكذا قال لك الشيخ فاتفق ان كان الامر كذلك وما كان يرجو

رجوعه

رجوعه اليه في تلك الايام كلها ببركة الشيخ رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

من باب هذا الشيخ لا تعدل فما عدل الذى عن بابه يوما عدل
واجنح اليه فلا جناح على فتى لزم المقام وقام عمن قد عدل

* المنقبة الثامنة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال اصاب اهلى وجع الولادة وطال الامر عليها فى ذلك اياما عديدة اشرفت فى اثنائها على الهلاك فلما تفاقم الامر فى ذلك لجات الى سيدى احمد ابن عروس رضى الله تعلى عنه فلما رآنى وقد وقفت بين يديه قال لى وكانه رضى الله عنه استبطا اتيانى اليه الآن جئت وكنت حملت اليه خبزة فاستدعاها منى فناولتها له وشكوت له امر اهلى فقال رضى الله عنه خلصت سالمة ولم ازل اعيد عليه الشكوى وهو يقول خلصت سالمة مرارا متعددة ثم كلما اردت الانصراف بعد ذلك يقول لى اصبر حتى انظر اليك ولا اعلم له فى ذلك مرادا ثم لما طال الامر علي فى ذلك انصرفت الى اهلى فبنفس ان رايتها وراتنى القت ما فى بطنها وخلصت سالمة كما قال الشيخ رضى الله عنه وما كنا نطمع فى ذلك ولا تحدثنا نفوسنا به وحينئذ ظهر سر قوله لى عند ارادة الانصراف اصبر حتى انظر اليك كانه يقول اذا راتك القت ما فى بطنها رضى الله تعلى عنه

اما القياس فما له فى امره عندى اذا حققت ذاك مجال
ولامره هذا وصولة سره خضعت رقاب واستكان رجال

ولما انتهيت الى هذا المحل ضرب على يدى حاكم القضاء الحتم ومنعنى التصرف فيما كنت بصدده من ارادة الختم واقمت مدة اروم انجاز ذلك فما استطيع واستنجد لك متعاصى عزمى فما يطيع هذا والبواعث منى على الاكمال موجودة والمانع من تمام الغرض لا اتحقق وجوده فبى ظما وحولى الماء يروى ولكن لا سبيل الى الورود وما زلت كلما تعطشت لاتمامه

يلقمنى الكسل صرعا وكلما قمت بعزمى لختمه اضيق بصرفه عن ذلك ذرعا وسر ذلك كله عنى مع تحقق الحيرة مكتوم ولم ادر ما انطوى عليه فى ذلك القدر المحتوم والىلب يتجاذبه فى خلال ذلك قبضه وانبساطه الى ان قيل مات الشيخ رحمه الله وانطوى بساطه فحينئذ بدا سر احتباسى وصرفى عن معاجلة التمام وان جميع ما كتبت يمينى باذن الشيخ لى لا باهتمام ثم لما انقشع علم الغيب وانجاب ولم يبق لسر تاخر الختم احتجاب ونال القلوب بموت مخدومنا الكامل ما احزن وابكى واشجا صوت صارخه وانكى وجرعنى الاسى بفقده علقم صابه وافجعنى ما كابدت كبدى من وقعة مصابه استنهض العزم فكرى فاطاعه واستخدم للختم قلمى فوفى جهد الاستطاعة

وكم لى فى ابتغاء الختم اسعى ولكن لا يطاوعنى بنـــان
ولما ان قضى المخدوم نحبا اتيت لمطلبى طلق العنـــان

ثم بعد ان تحقق المقتضى بموته وارتفع المانع وطاوع البنان والبيان ولم يبق ممانع الحقت الوفاة بالباب الاول المناسبة المتصلة والملايمة التى بين معانى الباب كلها متاصلة ثم انتدبت لاتمام اثبات ما اخترت تاصيله من المناقب راجيا من الله جل جلاله تيسير المطالب وتحسين العواقب

* المنقبة التاسعة والثلاثون بعد المائة *

عن الشيخ الشريف ابى محمد الحسن بن محمد الشريف الحسنى البرجينى قال مات والداى وتركانى ابن عشرة اعوام وتولانى بالحضانة اخى وكان والدى ادخلنى الكتاب لتعلم القرآن ولما مات والدى وماتت بعده امى وانتقلت الى اخى ملت الى اللعب لصغر سنى وتركنى وما اردته من ذلك اخى لما له فى بطالتى من التصريف فى قضاء حوائجه فلما بلغت الرشد وارتفعت يد الحجر عنى اخذ اخى فيما كان ينفقه علي مائة دينار ذهبا من ميراثى عن ابواى واعطانى موضعا بمائة دينار لا مال لى غيره ثم انى رهنت

الموضع

الموضع المذكور في دراهم كنت محتاجا اليها فذهبت الدراهم وذهب كل شيء سواها ولم يبق لي إلّا الافتقار الى الله تعلى وصدق اللجا اليه وانقطعت بالخدمة المرضية لسيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه وكنت اتردد اليه بالطعام وانا واقف بباب السبب فانتهى الامر معه الى ان كنت اذا حملت اليه طعاما بدرهم او درهمين يحصل لي في ذلك اليوم من الربح دينار وديناران واكثر واستمر الامر على ذلك الى ان حصل لي من المال فيما هو حاضر بيدى ودين لي على الناس ثلاثة آلاف دينار ذهبا وارشدني رضى الله عنه الى قراءة القرآن وانا ابن اربعين سنة او ما يقرب منها فامتثلت امره رضى الله عنه وحفظه عندى في حيز المحال فيسر الله تعلى علي الامر الى ان حفظته ووسع جل جلاله علي وفتح بكل خير ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به

على الراس والعين يسعى الفتى ولا اذن منه لذكر العتــــاب
لشيخ ينيل الغنى والعـــــــنا يزيل بتيسير حفظ الكتــــاب

* المنقبة المتممة الاربعين بعد المائة *

عنه ايضا قال تعلمت صناعة الطب وقرات علمه على الشيخ المنانى رحمه الله وكان رئيس وقته في فنه بافريقية وكان يحبني لما يرى مني من التعظيم له والاجلال لقدره وكانت له ابنة تحت بعض تجار المغاربة فوقع لها وكان غائبا عن تونس شانع طلاقها زوجها لاجله ولما قدم من السفر وجد ابنته مطلقة لشانعها الكبير تاثر بباطنه للمعرة اللاحقة له من ذلك وهو اوحد وقته في فنه فقدمت عليه يوما وقلت له وقد خفت لما رايت به من اثر الكرب ان ينصدع قلبه ياسيدى لا سبيل ان تمرض نفسك بحديث مكذوب باطل فلم يقبل ذلك مني ومال الى صحة ما قيل وكانه تالم من فراق زوجها لها فقلت له وغرضى ان اهون عليه بعض ما يجده يا سيدى اوما ترضانى وانا عضو من اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجا لابنتك

وبدلا من مطلقها وتكون عندى على الراس والعين فاستبشر لذلك وقصدت
فى ساعتى تلك الزاوية العروسية لاعرف ما عند الشيخ فى المسالة وقلت
يا سيدى توافقنى على نكاح فلانة بنت فلان فقال لى رضى الله عنه اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم انا ما خباتك إلّا لزوجتى لا لبنتى انا نحب
نزوجك لمرتى هكذا فاخجلنى ذلك وجعلته من الكلام الذى لا محصول
له ولا طائل تحته فقدر ان تزوجت البنت المذكورة رجلا غيرى وتقادمت
المسالة وتناسمت الى ان مات شيخنا المسانى المذكور رحمه الله ووقع
لاهله خصام كنت وكيلها فيه وما زال الامر بنا الى ان تزوجتها ورايت
معها اياما عظيمة وذلك بعد كلام الشيخ لى بمازيد من عشرة اعوام وعند
ذلك ظهر ما كنت اراه فى حيز المحال من كلام الشيخ رضى الله عنه

اليس من السر اخبــــاره   عن الغيب بالامر يستنكر
وان اوجب الدهر تحقيقه   غدا مثلا بيننا يذكــــر

* المنقبة الحادية والاربعون بعد المائة *

عنه ايضا قال اردت مرة ان اتزوج فسمعت بى امراة ذات مال وجمال
فارسلت الي راغبة فى التزويج فامتنعت من ذلك لما اعلمه منها من قلة
الحياء وارتكاب الامور الشنيعة فترامت على قرابتى من النساء تريد ان
يغلبنى على مرادها منى فما نفعها ذلك فترامت ايضا على اخى فامسكنى
يوما وجعل يذكر لى ما يعسلها به من جمالها ومالها ونسبها فقلت له
وترضى لى ذلك وانت تعرف حالها وحقيقة امرها فقال لى تزوجها وصنها
واذا رايت منها ما تكره فناصيتها للطلاق بيدك فلم اجد له عن هذا جوابا
إلّا انى قلت له اما ان اراد الله وتزوجت هذه المراة فاعلم انى فى عكوس
ايامى وقمت وتركته وقصدت الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله
عنه وهو يومئذ فى بيته قبل صعود السطح فوجدته ينظر من تشقيق فى
الباب كانه ينتظرنى فلما وقفت بين يديه وما خاطبته فى مرادى بكلمة

اخرج رضى الله عنه يده اليمنى وقد مد من اصابعها الوسطى والسبابة وقال لى يا حبيبى ارادوا ان يعملوا لك قرونا كبارا هكذا بهذا اللفظ فقلت وفى النفس من كلام اخى امر لا يعلمه الّا الله وترضى لى ذلك يا سيدى فقال لى يابى الله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فخرجت من عنده وقد غسل الله قلبى من وساويسه وقطع عنى السنة الطالب منها ومن سائر قرابتى كلهم ببركة الشيخ رضى الله عنه

لله ما احلى واعذب سره ان قال قولا او اشار اواقعه
ولقد نهاه معرضا بصنيعها كى لا يميل الى الهوى ويواقعه

* المنقبة الثانية والاربعون بعد المائة *

عنه ايضا قال لما نزل عرب افريقية محاصرين لتونس وسلطانها يومئذ السلطان ابو عبد الله محمد المنتصر رحمه الله تعلى وكان عند العرب الامير زكرياء احد ملوك بنى حفص فدخلت يوما من ايام هذا الحصار الى الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه فوجدت بين يديه احد ارباب الدولة وهو يخاطبه فى امر العرب واميرهم وفى امر الخليفة معهم والشيخ رضى الله عنه يخاطبه من ذلك بكلام لا يفهم منه احد مرادا على عادة الشيخ فى ذلك فلما طال الامر على الرجل قال له يا سيدى هذا كلام لا افهم منه شيئا خاطبنى بما اقوله للسلطان عنك فقال له رضى الله عنه ما ثم ما اخاطبك به هذا فار يدخل الساعة فى المصيدة وتسقط عليه الساقطة ويحصل ففهم الرجل عند ذلك مراده وقام منشرح الصدر فاتفق ان العرب امكنوا الخليفة المذكور رحمه الله من الامير الذى كان عندهم وحصل فى دار الثقاب من تونس ومات بها وانتظمت الكلمة وصرف الله عن المسلمين الاسواء كلها ببركة الشيخ رضى الله عنه

اما الذى للشيخ من سر فقد ضاقت بشرح حديثه اسفار
وانظر كنايته عن الفسق الذى فيمن بغى متمردا بالفار

* المنقبة الثالثة والاربعون بعد المائة *

عن فخر القضاة وعماد الدين قاضي الجماعة بتونس المحروسة السيد ابى عبد الله محمد ابن حجة الاسلام السيد ابى علي عمر بن اوحد الصدور الاعلام السيد ابى عبد الله محمد القلجانى وقد كان رام بعض المنتقدين اهتضام جناب الشيخ رضى الله عنه عند ما راى انصراف عنايته الكاملة الى شكر اهتمامنا بجمع كتابنا هذا ووقعت ما بيننا فى ذلك بين يديه مراجعة ومكالمة فقال وقصده اخماد ما تسعر بينى وبين المنكر من ذلك اما الشيخ فانى احفظ له جملة مناقب وهو الذى ولانى القضاء والفتيا ثم اخذ يحدث عن ذلك فقال رايته رضى الله فى النوم فى مقصورة من مقاصير جامع الزيتونة فضمنى اليه وقال لى يا قاضى المسلمين يا مفتى المسلمين جعل الله فيك البركة قال فبعد زمن قريب من هذه الرويا توليت القضاء والفتيا وحقق الله ما كان لى من الشيخ رضى الله عنه ونفع به

اذا الشيخ ولى الفتى منصبا　تولاه بالحفظ حيث اغتدى
وكف بسرله كيف من　عليه بغى ظالما واعتدى

* المنقبة الرابعة والاربعون بعد المائة *

عنه ايضا قال مرض والدى رحمه الله وقال لى يوما اذا كان الليل فصل الى الشيخ ابن عروس وانظر من قرابته اوخدمته من يخاطبه عن حال مرضى هذا واحفظ ما يتكلم به قال ففعلت ما امرنى به ولما وقفنا بين يديه وخاطبه من كنت معه فى امر مرض والدى لم يبق له ذكر ولا حديث الا الجبانة وكلما اعاد عليه الكلام يذكر الجبانة ثم لما طال الامر واردت الانصراف نظر الي رضى الله عنه وقال لى « دع المقادير تجرى فى اعنتها » ثم قال لى وكيف تقول انت فانشدته تمام البيتين

ولا تبيتن الا سالى البال　ما بين غمضة عين وانتباهتها
يصرف الامر من حال الى حال

فقال

فقال لي عند ذلك انصرف على خير فانصرفت ولم اذكر لوالدي الّا قوله دع المقادير تجري في اعنتها ولم اذكر حديث الجبانة محافظة على قلبه قال وكانت امراة من جهتنا تتردد الى الشيخ في حال مرض والدي وتخاطبه عنه فكان من امره ان حلف لها يوما عن والدي انه لا يقوم من مرضه ذلك فكان الامر كما قاله رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

من الغيب اخبره بالذي   يكون فكان كما قد ذكر
وفي مثل ذا منه تاه الورى   وكلت عقول وحارت فكر

* المنقبة الخامسة والاربعون بعد المائة *

دعاني يوما وانا بتونس المحروسة بعض فضلاء الاصحاب الى وليمة عرس فوجدت هنالك الشيخ الفقيه الصدر العلم الاوحد السيد ابا سالم ابراهيم الاخضري اكرمه الله في جماعة من فضلاء اصحابه فسالني عن حالي ثم انه وقد انجر لنا ذكر الشيخ رضى الله تعلى عنه شكر اهتمامي بتاليف كتابنا هذا وذكر ما معناه ان الله تعلى لا يخيبك من بركة هذا الشيخ واخذ اهل المجلس في ذكر اعيان ما يعلمون من كراماته فقال بعض فضلائهم ضاع لامراة مثاني يعني عقودا من الجوهر وما عرفت لضياعها حقيقة فجاءت الى الشيخ رضى الله عنه وتضرعت بين يديه وتملقت واظهرت التوجع والتفجع فقال رضى الله عنه اللهم يا من لا له ثاني بفضل السبع المثاني اجبر علي المثاني او قال اردد علي المثاني قال فجمع الله تعلى عليها مثانيها وجبر صدعها من حيث لا تعلم ببركة الشيخ رضى الله تعلى عنه واعاد علينا من بركاته آمين

قل للجهول وسر هذا الشيخ عن   امثاله الجهل المركب قد حجب
هاذي بلاغته وهذا جبــــــره   كسر الكسير فاي ذاك هو العجب

* المنقبة السادسة والاربعون بعد المائة *

عن الفقيه الكاتب ابي الطيب الطيب قال حدثني الفقيه ابو عبد الله

محمد بن عصفور قال كنت فى ساحل المرسى من تونس المحروسة وانا معزول وضاق علي الامر الى ان هممت بركوب مركب للنصارى كان هنالك برسم المشرق وعزمت على ذلك فدخلت يوما سانية لنا او قال لبعض اصحابنا فوجدت فيها شجرتين من المشمش الطيب فاقام الله عندى وقد اعجبتني ثمرتهما ان اهدى منه شيئا لرائس المركب الذى عزمت على السفر فيه الى المشرق وامرتهم ان يجمعوا من ذلك ففعلوا وجعلوه فى قرطلة ثم انى قلت فى نفسي كيف هذا الغلط ابعث الهدية للرومى واترك سيدى احمد ابن عروس وامرتهم ان يجمعوا للشيخ قرطلة اخرى ففعلوا وكانت ثمرة احد العودين فاخرة دون الآخر فجمعوا للشيخ من غير الفاخر ثم عرض لى ان الرومى يعطى من الفاخر دون الشيخ فامرتهم ان يجعلوا فيما للشيخ شيئا مما كان معينا للرومى ووجهت بذلك اليه رضى الله عنه مع بعض اصحابى وامرته بحفظ ما يسمع من الشيخ عند ذلك ولما عاد الي اخبرنى انه لما ناول ذلك للشيخ واخذه منه فتح رضى الله عنه القرطلة وجعل يلتقط ما فيها من الفاخر ويرمى به مستكرها له لتعينه للرومى ولم يمسك إلّا ما كان بقصده اولا ولما اراد الانصراف قال له يا سيدى ما تقول له فاخذ رضى الله عنه قصبة وجعل عليها سروالا ثم جعل ينادى بالصوت العالى سروالى سروالى سروالى هكذا ثلاث مرات قال ففى اليوم الثالث من هذا الموطن وجه السلطان الي بفرس وملبوس وولانى وسرت واليا فعند ذلك ظهر لى سر قوله سر والى وما كنت ادركت ذلك ولا فهمته من حكاية الرسول ذلك لى عن الشيخ رضى الله تعالى عنه ونفع به

تصريف هذا الشيخ فى حركاته ... وبها انطوت عن فهمنا اسراره
ومرادنا منها عزيز فهمه ... إلّا اذا ظهرت لنا آثاره

* المنقبة السابعة والاربعون بعد المائة *

عن الحاج ابى الطيب بن محمد التونسى السراج قال عزمت على السفر

الى

الى المشرق فى طريدة للسلطان ولما انزلت اليها رحلى انقبض قلبى من السفر فيها فذكرت ذلك لوالدتى وقد سالتنى عن انقباضى فقالت لى انت معتقد فى الشيخ سيدى احمد ابن عروس واذا كان غدا فقف عليه واستشره فبت عازما على ذلك ولما اصبح صليت الصبح فى جامع الزيتونة بقصد زيارته ولما خرجت نسيت ما كان منى حتى سمعت كلام الشيخ فوق السطح وهو رضى الله عنه ينادى فرجعت الى موضع قريب من الجامع بحيث واجهت نوالته ووقفت فسمعته رضى الله عنه يقول يا رجاله من صاب لنا قصعة وينادى هكذا فالقى الله فى نفسى ان كلامه ذلك معنى وتحيرت فى فهم مراده وقضى الله تعالى بسفرى فى الطريدة المذكورة وبعد ثلاثة ايام او نحوها هال علينا البحر واصابنا امر لا يعلمه إلّا الله تعلى فانكسر الصارى وطارت الدفة والسكانات والقينا كل ما كان على ظهرها حتى المقاذيف وبقينا على ظهر البحر قصعة كما قال الشيخ رضى الله عنه إلّا ان الله تعلى تداركنا بلطفه ودخلنا الى جزيرة من جزر النصارى خالية فوجدنا بساحلها كل ما القيناه فى وسط البحر من المقاذيف وغيرها حتى ما بقى من ذلك كله شئ وتحققت ان الاشارة الى ذلك كانت من الشيخ رضى الله تعلى عنه ونفع به

عن فهم قصد الشيخ فى امثال كلت عن الكل العقول الثاقبه
ولقد اشار محذرا رمـــزا وفى ابهامه اذن بحسن العاقبـــه

* المنقبة الثامنة والاربعون بعد المائة *

عنه ايضا قال عزمت ايضا على السفر الى المشرق فى مركب كان فى مرسى تونس للنصارى وصعدت الى الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله تعلى عنه لاستشيره فى ذلك فوجدت عنده خلقا كثيرا على العادة فى ذلك ولما وقفت بين يديه ترك الناس كلهم وواجهنى ثم قال لى وما كلمته رضى الله عنه فى امرى بشئ ايش تكونوا تقولوا القلاع والصارى

والسماء والماء دود على عود ايش يكون قولكم ما تخلوا من يرقد ولا من ينام فعرفت المراد وامتنعت من السفر فى ذلك المركب فاتفق ان سافر وفيه خلق من المسلمين فهال عليهم فى اثناء سفرهم البحر وتغيرت الارياح فالقتهم ولا حكم لهم فى المركب الى بيروت مرسى دمشق الشام ولم يصلوا الى الاسكندرية التى كانت هى المقصودة بالسفر من تونس الّا بعد ثلاثة اشهر وفاتهم الحج فى تلك السنة ومات اكثرهم فى بر الشام وظهر مراد الشيخ رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

لما درى من سره المكنون ما ... يلقاه اعذر مفصحا اذ انذره
فوقاه شرا نصحه وكفاه ما ... يخشى به المكروه مما حذره

* المنقبة التاسعة والاربعون بعد المائة *

عنه ايضا قال سافرت الى المشرق من طرابلس فى مركب للنصارى كان قدم من تونس وفيه خلق كثير تجار وحجاج ومن جملتهم صهر لى ولما وصلنا الاسكندرية واردنا الرجوع منها الى المغرب رايت فى النوم ما ردنى عن السفر فى ذلك المركب وذكرت ذلك للصهر المذكور فابى الّا السفر فيه ولما سافروا من الاسكندرية يوما وليلة هال عليهم البحر فانكسر المركب ومات ممن فيه من الخلق ما يقرب من نصف الالف وسلم الصهر المذكور من الغرق وذهب له جميع ما يملكه وانتهى الخبر الى تونس بغرق المركب فاصاب اهالينا من ذلك ما لا يعلمه الّا الله تعلى وكان العلم عندهم بسفرنا فيه انا وصهرى فاجتمعوا الى الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه وغرضهم ان يعرفوا من كلامه حقيقة الامر وهل اصابنا ما اصاب الناس ام لا فقالت له امى وهى فى امر عظيم يا سيدى ولدى ابو الطيب فقال لها رضى الله عنه منى والى وقالت له ام صهرى المذكور يا سيدى وعبد الرحمن فقال لها هو ما يرى بى وانا ما نرى به فلما قدمنا الى تونس اخبرنا اهلنا بامرهم مع الشيخ رضى الله عنه فعلمت عند ذلك ان التخويف الذى رايته فى

النوم عند ارادة السفر فى المركب المذكور انما كان بمدد همة الشيخ لحسن اعتقادى فيه دون صهرى لعدم اعتقاده وكنت كثيرا ما ازجره عن عدم اعتقاد الشيخ رضى الله تعلى عنه

حدث بهذا من اضاع نصيبه من شيخنا واذكر له ما فاته
واعد حديثك منذرا ومبشرا فعسى الرضا يحى بذاك رفاته

* المنقبة المتممة الخمسين بعد المائة *

عنه ايضا قال كنا فى البحر متوجهين من الاسكندرية الى تونس فى مركب فامسك الله تعلى الريح عنا ولم نجدوا ما نسافروا به واقمنا على ظهر البحر لعدم الريح نحوا من ثلاثة اشهر وكانا فى جابية فنزلت يوما الى جوف المركب ونمت فرايت الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله تعلى عنه ومد يده الي كانه يقول اعطونى فانتبهت وذكرت ذلك لاهل المركب وندبتهم الى وعدة الشيخ عن تيسير السفر وهبوب الريح فاجابوا الى ذلك واخذوا ورقة كتب فيها كل واحد للشيخ ما سهل عليه وجعلنا فى الورقة خيطا وعلقناها فى الهواء فيسر الله تعلى علينا فى الزمن اليسير هبوب الريح وقدمنا تونس فى امد قريب ونسيت ما خرجت عنه للشيخ الى ان قالت لى امى يوما رايت سيدى احمد ابن عروس فى النوم وكانه يتسول على باب دارنا فتذكرت بذلك وعدته رضى الله عنه وحملتها اليه فلما كنت باسفل الزاوية وهو فوق سطحه بحيث لا يرانى اراد بعض قرابة الشيخ اخذ ذلك منى فامتنعت ولازمنى فابيت إلّا بعد روية الشيخ فنحن فى ذلك واذا به رضى الله عنه يناديه هم معدودون عندى يا ديوث هكذا بهذا اللفظ فناولته ذلك وانصرفت رضى الله عنه

رعى الله شيخا سما رتبة بها فى المنام علينا يجود
ويخبر عما جرى مفصحا وهذا لعمرى عزيز الوجود

* المنقبة الحادية والخمسون بعد المائة *

عن الشيخ ابى الحسن الحاج علي التلمسانى المنانى قال حدثنى بعض فضلاء

اهل تلمسان قال تحدثت مرة وانا بتونس مع بعض اصحابى فى حال الغنى والفقر واسترسلنا فى ذلك الى ان انجر لنا حديث الصالحين وما لهم فى الخلق من التصريف والقدرة على ايصال النفع اليهم فقلت لصاحبى هذا الرجل الذى يقال له ابو الصراير تعرفه قال نعم وما تريد منه قلت اشتهى ان كان رجلا صالحا ان يعطينى خمسمائة دينار ذهبا وخرجنا فى طلبه وكان رضى الله عنه يومئذ يحمل الصراير ويمشى بها بين الناس فبينما نحن كذلك واذا بصاحبى الذى يعرفه اشار الى رجل يمشى باثقال عظيمة يحملها على كتفه معلقة بخشبة وقال لى هذا ابو الصراير فقلت له ونحن على بعد منه هذا الملوث الحال الكذا الكذا فقال لى هو ذاك فما كان الّا يسيرا واذا به رضى الله عنه يقول كانه يحدث احدا غيرنا اى والله مليح هذا الملوث الحال هذا الكذا هذا الكذا ايش لاحد عنده كانه يحكى قولى لصاحبى فيه فادهشنى ذلك ولما حاذيناه نظر الي نظر الغضب وقال لى خمسمائة كانه يدعو علي فلم ادر لسماع ذلك ارضى من سماءى وقلت لصاحبى قصدنا هذا الرجل للربح فحصلت الخسارة انا لله وانا اليه راجعون ثم انى فارقت صاحبى ودخلت الى مسجد من مساجد الدور ورجعت باللائمة على نفسى وانا ابكى خائفا من العقوبة الحالة لازدراتى بالشيخ ودعائه علي وما رسخ فى بالى الّا انى اعاقب بالضرب لقرينة ذكره الخمسمائة فبينما انا كذلك واذا بشيخ من الترك قد دخل علي المسجد واستقبلنى فلما وقف علي سلم وقال لى خذ اليك هذه الخمسمائة دينار وافرغها فى حجرى دنانير ذهبا وانصرف عنى فخالطنى فى ذلك من الدهش والفرح ما لا يعلمه الّا الله تعلى ولم اعلم من هو ولا عرفت له حقيقة وثبت عندى ان ذلك من مدد الشيخ رضى الله عنه ونفع به

لما راى من سره ما هاله واخافه من صدمة التنكيل
طلب الرضا مستعطفا فاناله منه المنى فى خارق التشكيل

* المنقبة الثانية والخمسون بعد المائة *

عن الفقيه الصدر القاضي الاوحد الامام السيد ابى عبد الله محمد بن احمد العقبانى قاضى الجماعة للتاريخ بتلمسان المحروسة وقد كنت جئته للسلام عليه لما قدم رسولا بالهدية من صاحب تلمسان الى صاحب تونس فى اواخر جمادى الثانية من عام ثمانية وستين وثمانمائة وجرى لنا ذكر الشيخ بذكر كتابنا هذا فقال لما قدمت من المشرق حاجا وانا متوجه لدار تلمسان ما زال بعض الاصحاب يراودنى على المشى الى الشيخ والوقوف عليه بقصد التبرك الى ان حصل الاسعاف فى ذلك فلما وقفنا عنده قال له الشيخ عبد الله بكسر دال عبد وهو نائب الشيخ يومئذ فى النظر فى احوال الزاوية يا سيدى هذا قاضى تلمسان اراد المشى الى بلده فخاطرك معه او ما هو قريب من هذا الكلام قال فقال له الشيخ ايش نعملوا بتلمسان ياخذنا السلطان او كلام هذا معناه قال فساءنى سماع ذلك منه غاية وانكرت على اصحابى الذين كانوا السبب فى وقوفى عليه وانصرفت مريض القلب من ذلك وانا اقول فى نفسى استبعادا لذلك ومن الذى ياخذنى او يخطر اخذى بباله ولما دخلت تلمسان واجتمعت بجدى سيدى قاسم العقبانى رحمة الله عليه ذكرت له كلام الشيخ وفى النفس منه مرض فقال لى لا سبيل ان يسوءك ذلك او تعمر باطنك بكلام هولاء القوم فقد وقع لى وانا بفاس ان اصحابى راودونى يوما على زيارة رجل مشار اليه هنالك يقال له العربى او قال العريبى فاجبتهم الى ذلك ولما وقفنا بين يديه سال اصحابى عنى فقالوا له هذا ابن سيدى سعيد العقبانى فقال لهم ما هو ابن سيدى سعيد فساءنى ذلك منه وقلت لاصحابى وقد انصرفت هذا رايكم ولولا انى سمعت منكم ما سمعت من هذا الرجل ما سمعت قال وكان قصده ازالة ما فى النفس عندى من الخوف من كلام الشيخ قال وما ظهر لى صدق كلام الشيخ وسر اطلاعه

إلّا بعد ستة عشر عاما من كلامه لى وقد اخذنى السلطان وعند ذلك تذكرت كلامه رضى الله عنه

لو كان ينطق بالهوى عما يرى في الغيب لم يسمع فتى اقواله
لكن باذن صمته وكلامه والحزم عندى للفتى اقوى له

* المنقبة الثالثة والخمسون بعد المائة *

عن الحاج ابى التقى صالح بن خلف التميمى القروى وكان من فضلاء اصحاب الشيخ الاقدمين قال كان علي من الدين ثمانون دينارا ذهبا لا وجه لخلاصها عندى ولى على العرب دراهم اشتروا بها منى حوائج هى عندى الى الياس اقرب منها الى الرجاء ولا طمع لى فيها فبينما انا يوما بالقيروان واذا بارباب الدين قد دعونى للقاضى فعلمت ان لا حجة لى معهم إلّا الدفع اوالثقاف فهربت فى ساعتى تلك وقصدت سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه بتونس فلما وقفت بين يديه وما رايت فى قدومى احدا قبله قال لى قل فانشدته بعض ما تواجد له ثم استعاده فلم اجد ما اقوله واعاد علي فلم اجد ما اقوله قال لى رضى الله عنه انا لله شغلك الدين عنا وما ذكرت له شيئا فقلت اى والله يا سيدى فقال كل ما عليك علينا وكل ما لك على العرب انا ضامنك فيه فرجعت الى ما كنت انشدته اولا ولم ازل اعيده وهو يتواجد الى ان اعدته احدى عشرة مرة وعند ذلك قال لي بعزم انزل الساعة الى دار السلطان فنزلت وقصدت القصبة ولا شعور لى بمرادة واذا بالعرب الذين عليهم الدين وهم يا خذون عوائدهم من العطاء من نائب السلطان فسلموا علي واعطانى كل واحد منهم ما سهل عليه دون كلام ولا مخاصمة فاجتمع عندى فى تلك الساعة منهم ثمانون دينارا ذهبا وانا كالمكذب فى ذلك ورجعت من فورى الى الشيخ وفى نيتى ان اعطيه من الدراهم دينارا يشترى له به عمامة لراسه فلما وقفت بين يديه قال لى رضى الله عنه قبل ان اكلمه انت اليوم محتاج ما

فاخذوا

فاخذوا منك شيئا ثم قال لى اخرج الى اهلك فى هذه الساعة فخرجت من فورى وقضيت ارباب الديون ديونهم وسدد الله تعلى الامر ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفعنا به

لما راى وجه الزمان تنكرت صفحاته فيما عليه وما له
شد الرحال لشيخنا مستنجدا مستعطفا فاناله آماله

❊ المنقبة الرابعة والخمسون بعد المائة ❊

عنه ايضا قال سافرت مرة الى طرابلس واشتريت منها عبيدا للتجارة ورجعت الى تونس صحبة محلة السلطان فاتفق ان سرق لى وصيف ولم اعلم له خبرا وغاب عنى اربعة ايام وانا واصحابى فى اشد البحث عنه وبى لاجل ضياعه من الكرب ما لا يعلمه إلّا الله تعلى فقال لى يوما بعض اصحابى وكانه يهزا بى واين ابن عروس الذى كنت تهذو به فقلت الله اكبر انسانيه الشيطان وقمت من فورى واستقبلت جهة الشيخ وناديته ثلاث مرات وكان رضى الله عنه قال لى قبل ذلك اذا كنت بالمشارق او بالمغارب واصابتك شدة وناديت بى ثلاث مرات ولم اغثك فلا اغاثنى الله وقلت لاصحابى ان كان لابن عروس سر مع الله تعلى فهو يجبره وإلّا فما بقيت ابحث عن الوصيف بوجه فعن قريب واذا بفارس ينادى بالبشارة على وصيف ضاع له فقلت له وقد مر بى فى اثناء ندائه بالله عليك هل وقعت بوصيف ضاع لى منذ اربعة ايام فمد يده الي وقال هات اعطنى ما اشترى به اللحم فقلت على بركة الله وسار لجهة من الحلة وقال اتبعنى فتبعته الى ان وقف بى على اخبية وقال وصيفك اما فى هذا الخباء او فى هذا واشار اليهما وانصرف فناديت اسمع اهل الاخبية من اصاب لى وصيفا له اربعة ايام وعليه دينار بشارة فخرج الي علج وقال هات الدينار فقلت على بركة الله ولكن اعمل لحسبك فقال امسك ربع دينار فقلت اعمل لحسبك فقال نصف دينار ولم ازل به الى ان رضى

بثمن دينار فاعطيته ذلك فاخرج الوصيف ولما اردت ان انصرف قال لى يا هذا بالله عليك من انت ولمن هذا الوصيف فقلت الوصيف لى وانا ومالى ووصيفى لسيدى احمد ابن عروس فاوما العلج بالسجود الى الشيخ وهو يقول شئ لله شئ لله يا سيدى احمد ثم اخذ بيدى واوقفنى على رجلين جريحين طريحين بالارض وقال لى رايت هذين الرجلين قلت نعم قال هما سرقا وصيفك وكان عندهما فى هذه الايام ولما كان اليوم عند العصر وهو الوقت الذى كنت ناديت فيه على الشيخ رضى الله عنه وقع بينهما نزاع على وصيفك فى امر بيعه وانتهى الامر بينهما فيه الى القتال فهذا مقطوع اليد كما ترى وهذا به جراحات عظيمة كما ترى ولما ذكرت لى الآن سيدى احمد ابن عروس وانك فقيره عرفت ان العلة منه فخذ اليك دراهمك ورد الي ما كنت اعطيته له وانصرفت متعجبا من امر الشيخ ولما قدمت عليه بتونس ووقفت بين يديه قال لى رضى الله عنه قبل ان اكلمه كيف جرى لك فى الغلام وهو يضحك فقلت حضرت فيه بركتك فقال مشى حالك فيه بخير والحمد لله رضى الله تعالى عنه ونفع به

هذا هو السر العجيب فصن به   وجه اعتقادك ان تشين جماله
واضرب به فى صدر منتقد يرى   نقص المكذب بالفتوح كماله

❊ المنقبة الخامسة والخمسون بعد المائة ❊

عنه ايضا قال عزمت مرة على السفر الى القيروان ووقفت على الشيخ رضى الله عنه استشيره فى ذلك بعد ان اخرجت رحلى فقال لى وقد راى ابريقا فى يدى ما الذى فى يدك فقلت ابريق فامرنى فملات له من الخابية التى عنده فوق سطحه للسبيل فتناوله منى وافرغه عنده وقال املاه فملاته له ثانية وثالثة وفى المرة الرابعة قال لى احمله فقلت له عند ذلك يا سيدى اسافر فقال لى فى صورة المغضب امش ما تمشى بخير فساءنى ذلك واعدت عليه فقال امش ما تمشى بخير فنزلت من عنده وانا اقول

انا لله وانا اليه راجعون فلقيني بعض اصحابى من المسافرين معى وقال لى ما الذى اصابك فاخبرته بكلام الشيخ فقال لى بالله اعزم على السفر على بركة الله والغيب لا يعلمه إلّا الله وما زال بى الى ان سافرنا ولما كنا فى اثناء الطريق شن البغاة المحاربون علينا الغارة واخذونا اخذة رابية واخذوا ما كان علينا من اللباس بعد ان القونى صريعا بالارض ولما افقت قمت مسرعا وناديت على الشيخ رضى الله عنه ثلاث مرات واذا بالقوم قد جمعوا انفسهم مذعورين وهم يلتفتون يمينا وشمالا وكانهم راوا فى طلبهم احدا وولوا هاربين وانا فى اثرهم انادى بالشيخ ويقول الى اين الى اين فانا كذلك فى طلبهم واذا بكل ما اخذوه لنا اجده ملقى بالارض حاجة بعد حاجة الى ان لم يبق لنا إلّا اليسير التافه الذى لا عبرة به فانا كذلك واذا بقائد القيروان فى خمسين فارسا راكضين فى نصرتنا طلق الاعنة وكانما طويت لهم الارض فراعنى ذلك وقلت من اخبركم بخبرنا فقال القائد كنت مع اصحابى عند باب القيروان واذا بصريخك فى اذنى فقلت فى نفسى ما هذا واذا بى اسمع من يقول لى اغثهم اغثهم فرفعنا رءوس الخيل وها نحن عندك وكان بين القيروان والموضع الذى اخذنا فيه نحو من ثلاثين ميلا فاخذنى العجب من ذلك وبعد مدة اتيت الى الشيخ رضى الله عنه فقال لى لما وقفت بين يديه رايت ما جرى لك يا بيضون هكذا بهذا اللفظ يشير رضى الله عنه الى واقعتنا هذه

ابدى له ما يختشيه وقال مر عمدا لينفذ ما قضاه الله
لكن عنايته الكريمة اظهرت سرا بخارقه حماه الله

* المنقبة السادسة والخمسون بعد المائة *

عنه ايضا قال كان عندى غلام حسن اعطيت فيه عشرين دينارا ذهبا وامتنعت من بيعه إلّا باشارة الشيخ رضى الله عنه فامسكته من يده وصعدت به اليه وقلت يا سيدى ابيع هذا الغلام فقال لى لا ابعه الى

اهله هو فى الحفرة فوجهته الى القيروان غير عالم بمراد الشيخ وبعد سبعة ايام او ثمانية ايام قدم علي بتونس من اعرفه من اهل القيروان فسالتهم هل مات احد فى هذه الايام من البلد وكان بها مرض فقالوا من اليوم الذى مات فيه غلامك ما مات احد فقلت لهم وغلامى مات قالوا نعم فقلت فى نفسى الى هذا كانت الاشارة من الشيخ بقوله هو فى الحفرة وساء ظنى به وقلت اتلف علي عشرين دينارا ذهبا وداخلنى الندم على عدم البيع فلما كان الليل وانا نائم اذا بالشيخ قد دخل علي وهو يقول اين هذا اين هذا فقلت له نعم يا سيدى وكانى خفت منه فقال لى الوصيف سد النوب والخلف على الله ثم علي فقلت استغفر الله ولما كان من الغد جئت اليه فلما رآنى وقد اردت ان اكلمه فى امر الغلام قال لى مبادرا ما قلنا لك البارحة فى النوم فقلت السمع والطاعة وانصرفت فقدر انى سافرت الى طرابلس فحصل لى من الربح سبعون دينارا ذهبا ببركة الشيخ رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

اليس عجيبا فدى ذاته … بعبد يباع ببخس الثمن
ورجى ليبسط آماله … فمن منه فينا علينا امن

* المنقبة السابعة والخمسون بعد المائة *

عنه ايضا قال عزم بعض انسابى على سفر الحج ولما ودعته قلت له اذا اصابتك شدة فنادنى مرتين وناد بسيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه ثلاث مرات ولما قدم من سفره حدثنى عن ليلة وادى عفان التى كانت شهيرة الامر فى المغرب والمشرق ومات فيها بالغرق من الخلق ما لا يحصى كثرة قال بينما انا فى تلك الشدة العظيمة على جرف وحولى رحلى وجمالى ولا قدرة لى على شئ وتحققت الهلاك قلت يا حاج صالح الم تكن قلت لى وقلت اين سيدى احمد ابن عروس قال فانا كذلك واذا بسيدى احمد ابن عروس لا اشك فيه ولا ارتاب قد وقف علي

واخذ بيدى وقال لى قم يا ولدى من هذا المكان نحن نراعوك من جهة صاحبنا وانزلنى فى مكان آخر قريب من ذلك المكان فوالله ما جلست بالارض ولا استقر قرارى بها الّا والجرف الذى كنت عليه قد ساخ كله وسقط فى وسط الوادى فادهشنى ذلك ولم اعلم للشيخ خبرا رضى الله تعلى عنه واعاد علينا من بركاته

اولاه مولاه الكريم خصائصا وحباه بالسر العجيب الخارق
فى مشرق الارض استغاث فجاءه من مغرب فى مثل لمح البارق

* المنقبة الثامنة والخمسون بعد المائة *

عنه ايضا قال جئت مرة الى الشيخ رضى الله تعلى عنه وانا اقول فى نفسى هذا الشيخ ما يسخره الله تعلى يعطينى مائتى دينارا او ثلاثمائة دينار فلما وقفت بين يديه وما كلمته بشئ قال لى منشدا

اذا سلمت منا الرقاب من الردى فما المال الّا مثل قص لاظافر

فعرفت المراد وانصرفت ثم قلت فى نفسى بعد ذلك هذه الدنيا ما لى بها من حاجة ما اريد من الشيخ الّا صبغة التحق بها برجال الآخرة واتيت اليه فقال لى وما كلمته بكلمة فى ذلك بيضون يحب الرقاد مع النساء ويحب ان يلتحق بالصالحين اهجر النساء فقلت وقد عرفت ان الكلام معى لا اقدر على ذلك فقال لى اقعد كما انت رضى الله تعلى عنه ونفعنا به

طلب الغنى فى سره فاجابه ان الغنى امن الفتى فى سربه
ثم ابتغى الاخرى فقال اهجرلها حب النساء وسر ذلك سر به

* المنقبة التاسعة والخمسون بعد المائة *

عنه أيضا قال كنت يوما عند الشيخ رضى الله عنه واذا بقصعة عظيمة من الكسكس الطيب احسن ما يمكن اتاه بها بعض الزائرين فلما رايتها اشتدت الشهوة منى اليها فنظر الي رضى الله عنه وقال لى والله والله ما تذوقه فقلت فى نفسى الامر لله ثم انه رضى الله عنه شمر عن ساعده الكريم

وجعل يلقم من ذلك الكسكس لقما كبيرة و يلقيها فى الهواء يمينا وشمالا ولا تسقط بالارض وله همهمة عند ذلك فلما رايت ما هالنى من ذلك دنوت منه فسمعته يقول وهو على حاله فى القاء تلك اللقم يمينا وشمالا يقعدوا فى المغاير ورءوس الجبال ويشتهوا علينا الشهوات هكذا بهذا اللفظ وما زال كذلك وهو يتكلم سرا بهذا الكلام ويلقى تلك اللقم الى ان فرغ كل ما كان فى القصعة على كثرته وعند ذلك لعق القصعة وكبها فى النوالة على وجهها وابى ان يخاطبنى بكلمة رضى الله تعلى عنه ونفعنا به

هذا يدل على اعتلاء مقـــامه ودخول اهل الوقت تحت الدائره
وحديثه هذا وسر صنيعـــه فيه العقول وان تسامت حائره

* المنقبة المتممة الستين بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت مرة فى محلة السلطان مسافرا للتجارة واذا بانسان له عند السلطان حاجة قد قدم علينا وهو محتاج الى منزل ياوى اليه فانزلته عندى واضفته ولما كان الليل وطال بنا المجلس واخذنا فى ذكر الصالحين وكراماتهم فقال لى اما انا فما رايت من الصالحين الّا سيدى احمد ابن عروس فقلت له وكيف ذلك قال سافرت فى مركب من الاسكندرية الى تونس او قال الى طرابلس ومع مركبنا مركب آخر فلما كان بعد ثمانية ايام من سفرنا هال علينا البحر وتلاطمت امواجه وتغيرت الريح ولم تبق لاحد فى المركبين رئاسة واصطدم احدهما بالآخر وانكسر فيهما لذلك ما انكسر وكان الهلاك هو المحقق عندنا والناس فى امر لا يعلمه الّا الله تعلى ناديت عند ذلك يا سيدى احمد ابن عروس لك عندى ان سلمنا الله تعلى اثنا عشر دينارا ذهبا قال فانا كذلك واذا به رضى الله عنه واقف فى المركب الآخر وهو محتزم لا اشك فيه ولا ارتاب فرايته اشار الى مركبنا بيده فبعد فى الحين عن المركب الآخر وكانهما ما اجتمعا قط وانفصل احدهما عن الآخر انفصالا لم يكن احد منا يرجوه وسكن البحر وطاوعت

الريح

الريح وسافرنا فلما وصلت الى تونس اتيته وفي يدى من وعدته عشرة دنانير فقال لى رضى الله عنه كمل الدينارين فقلت له نعم وناولته الاثنى عشر دينارا جميعا كما كنت وعدتها له وانصرفت فهذا ما رايته له رضى الله عنه ونفعنا به واعاد علينا من بركاته

في لجة البحر استغاث وقد راى ما هاله والقلب منه في فرق
واغاثه واراه من اسـرارة سرا به انجى الجميع من الغرق

* المنقبة الحادية والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال اردت ان اتزوج امراة تعلقت النفس بها لما اسمعه من جمالها وامتنع والدها من اعطائها لى وراودته بما امكن فامتنع واتفق ان سافرت وقدم علي من اخبرنى انها تزوجت فساءنى ذلك وقلت اين ما تقول يا ابن عروس فبعد ايام وانا قادم على بلدى لقينى من اخبرنى ان الذى تزوجها فارقها قبل البناء بها واجتمعت بابيها خاطبا فما زال يظهر التابى والامتناع وانا الجا الى الشيخ فى الباطن وبعد ايام لقينى ابوها وقال لى دون ان اكلمه اين ما تقوله باسم الله فقلت على بركة الله ولكن لا بد من اشارة سيدى احمد ابن عروس فقال مبارك واتيت الى الشيخ رضى الله عنه فلما وقفت بين يديه قال لى وما فاتحته بكلمة هى دجاجتنا هى امراتنا فقلت ولا بد قال ولا بد ثم قال تلد لنا حبيشا وحبيشة بهذا اللفظ فاتفق ان تزوجتها وولدت لى ابنا وابنة وصدق الله مقال الشيخ رضى الله تعلى عنه

ليس الغرابة فى انالة مقصـد لا يرتجى لمومل تيسيـره
ما السر إلّا فى انكشاف الغيب عن مدلول امر قد مضى تفسيـره

* المنقبة الثانية والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال طالت اقامتى مرة بتونس واردت السفر الى القيروان فما قدرت على ذلك ولا امكننى من خوف العرب الحاصرين يومئذ لتونس

فجئت الى الشيخ رضى الله تعلى عنه لاجئا فى ذلك فلما رآنى قال لى
ارجع الى عشك فقلت وكيف اقدر على ذلك و بنوا علي حصروا تونس
والقيروان وانتهبوا واخذوا وقطعوا سبل السالكين فقال لى رضى الله عنه
ارجع الى عشك وانا امنتك من بنى علي قال فسافرت مع من وثق بكلام
الشيخ ووالله انا لنمشى ما بين اولئك العرب وهم منا يمينا وشمالا وما
منهم من يلتفت الينا ولا يسالنا بوجه وغالب ظنى ان الله تعلى اعمى عنا
ابصارهم وهم لا يتركون من رائه اعينهم كائنا من كان وما زلنا كذلك الى
ان وصلنا القيروان فكان الناس كلما راونا يتعجبون من ذلك فاقول لا
تعجبوا من ذلك ابن عروس امننا رضى الله تعلى عنه

ما امن الشيخ امرءً إلّا اهتدى　وعليه ستر لا يطاق زوالـــه
او ما ترى بين البغاة مسيـــره　وقد اختفت ما بينهم احوالـــه

* المنقبة الثالثة والستون بعد المائة *

عن الحاج ابى عبد الله محمد التلمسانى قال حدثنا الشيخ الصالح الحاج ابو
عبد الله محمد عرف ابو زينة وكان من الموسومين بالخير والصلاح قال زرت
الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه فى سفرى الى المشرق
وتوجهى اليه ولما كنت بمكة شرفها الله تعلى ورايت كثرة ما بها من
الخلق واختلاف اجناس الطائفين قلت فى نفسى ليتنى اعرف هل فى
هذا الموسم احد من اهل خرق العادة الواصلين الى هذا المكان الشريف
بلا زاد ولا راحلة يريد اهل الخطوة قال فانا كذلك واذا برجل حركنى
من خلفى فلما توجهت اليه ورايته اشار لى الى رجل من الطائفين وقال
لى هذاك الرجل من الواصلين الى هذا المكان بلا زاد ولا راحلة فنظرت
فاذا المشار اليه سيدى احمد ابن عروس الذى كنت زرته فوق السطح
بتونس لا اشك فيه ولا ارتاب فلما عرفته التفت الى الذى اخبرنى
لاعرف من هو متعجبا من اطلاعه على ما خطر بالبال منى فلم اجده ولا

عرفت

عرفت له مسلكا ورجعت الى سيدى احمد ابن عروس لاجتمع به وانا
جازم انه فى الطائفين لاغيبة له فلم اجده وبحثت عنه كل البحث
فما وجدت له عينا ولا اثرا وكانى ما رايته هنالك قط رضى الله عنه

عجبا لشيخ لا تفارق ذاته ظل العريش ولا يزايل مركزه
ويرى بمكة طائفا وملبيا هذا هو السر الذى قد احرزه

* المنقبة الرابعة والستون بعد المائة *

عن الشيخ ابى عبد الله محمد بن احمد الموحد عرف العود الرطب قال
كنت مرة فى سانيتى وانا اجنى العناب وكان عنابا فى غاية الحسن
والنضارة فلما اعجبنى قلت فى نفسى هذا مما يليق ان يهدى الى السلطان
اعنى الخليفة وبعد ان قضيت مآربى جئت الى البلد وجزت فى اثناء
مرورى بطريق الزاوية العروسية ولما كنت تحت سطح الشيخ رضى
الله تعلى عنه اشرف علي ونادانى فاجبته وقال هات ما عندك وادلى
لى حبلا فربطت له بطرفه قرطلة من العناب الذى كنت جمعته
من سانيتى فلما حصلت عنده فتحها واكل منها حبة ورمى بالنواة ثم نظر
الي وقال لى انت قلت هذا نهديه للسلطان وقد وصلت الى السلطان
فانصرف على خير فانصرفت وانا فى عجب من اطلاعه رضى الله عنه
على ما خطر ببالى وانا فى سانيتى رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

ابدى له بسواله عنـــابه ما كان فى طى الضمـــائر ابطنه
وسما به عما نواه معرفـــــا ان الخلافة وصفه والسلطنــــه

* المنقبة الخامسة والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت فى السانية ومعى اهلى فوقع بيننا ما يقع بين الرجل
واهله من الكلام وآل الامر الى ان لطمتها علي وجهها بيدى وجئت بعد
ذلك الى الشيخ رضى الله تعلى عنه فلما رآنى رمانى بحجر وقال لى اخرج
عنى فخرجت وانا مذعور ولما كان فى آخر النهار وقد اردت الخروج

لسانيتى وبها اهلي مررت بالشيخ ايضا وانا كالمختفى منه فرآنى رضى الله عنه وقال لى وقد واجهنى هكذا يحل فى دين الله تضرب تلك الضربة فادهشنى ذلك وعرفت المراد واستغفرت الله تعلى وانصرفت متعجبا من اطلاعه رضى الله عنه ونفع به

نـهاه من الذى قد كان منـه   لام بنيه تاديبا وزجـــــرا
واعرب من لسان الشرع فيهـا   فنال بذاك تكريمـا واجـرا

* المنقبة السادسة والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال حضرت مرة بعض مجالس الوعظ وادركتنى رقة فبكيت واحتقرت نفسى لتذكر خسائس افعالى وقلت اود ان يحلق سيدى احمد ابن عروس لحيتى هذه لفراغ قلبى من الخير وتاخرى من احوال الرجال وانطوى المجلس فجئت الى الشيخ رضى الله عنه فلما رآنى جعل يبكى كما كنت ابكى حين سماع الوعظ وعجبت لذلك ولم ادر له مرادا ثم قال لى اود ان يحلق لحيتى سيدى احمد ابن عروس فبان لى عند هذا مراده وعرفت انه يحكى ما كان منى فلما علم انى عرفت مراده قال لى عند ذلك تلك رحمة من الله تعلى نزلت بك فى تلك الساعة فقلت الحمد لله وهالنى اطلاعه على غائب امرى وخفى سرى رضى الله عنه ونفع به

لما رآه وقد بكت عينـاه من   خوف العقاب وما جنته يداه
خاف انصداع فواده من خوفه   فلذاك رجي بالذى ابـــداه

* المنقبة السابعة والستون بعد المائة

عنه ايضا قال مات والدى رحمه الله وترك لى ربعا جيدا فوقفت بين يدى الشيخ رضى الله عنه فلما رآنى جعل يقول لى يا اخى نفسى نعاتبها تمشى قطاع الحلال فى غيرواجبها فقلت له ما هذا يا سيدى قطعت قلبى وانصرفت فكان الامر والله كما قاله ذهب ذلك كله وتعلق بذمتى دين كثير فاتفق ان انتبهت من نومى ليلة واهلى الى جانبى فتذكرت ما خرج

من يدى وما علي من الدين والشدة التى استقبلتنى فاشفقت من ذلك وبكيت بكاء شديدا ولما طال بكاءى وخفت اطلاع اهلى على ذلك منى صرفت عنها وجهى وجعلت ابكى ولما كان من الغد وانا فى حانوتى واذا باحد خدمة الشيخ جاءنى وقال لى سيدى يقول لك على اى شئ هذا البكاء الحال يمشى بخير ان شاء الله تعلى قال فكان الامر والله كما قاله ومشى حالى بخير ببركته رضى الله تعلى عنه ونفع به

اشار لاتلاف امواله كما قد جرى بين اكل وغير
وقال يخفض عنه الاسى تصبر فحالك يمشى بخير

* المنقبة الثامنة والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال امرت اهلى يوما ان يعملوا عندنا فى الدار عشاء الشيخ وجئت اليه رضى الله عنه فلما دنا وقت المغرب واردت الانصراف قال لى رضى الله عنه الى اين تمشى قلت الى الدار قال لا تجب لى عشاء فقلت وكيف يا سيدى وقد عملوا حسابك فقال لا فقلت لا بد من ذلك فقال مرجب هذا العشاء فانصرفت ولما جعلوه فى قصعة قلت لاهلى هذا قليل فزادوا وما زلت كلما زادوا اقول هذا قليل الى ان وقع بينى وبينها كلام وشناعة سب وحملت الطعام للشيخ فلما تناوله منى قال لى لولا انك تعزبى ما اخذته منك انا ما عندى زوجة تحكم علي ثم جلس ووضع الطعام بين يديه وجعل يمتخط فى صورة الباكى وجئت الى الدار فوجدت اهلى وطعامها بين يديها وهى تبكى فاخذنى العجب من اطلاعه رضى الله عنه

راى الشيخ ما قد جرى قبل ان يكون ومن اجل ذا قد نهاه
فلم يرض من وده غيرما يود به الشيخ مما اشتهاه

* المنقبة التاسعة والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت مرة تلعب بى الخيالات وانا من ذلك فى كرب فجئت الى الشيخ رضى الله عنه يوما وهو فى البيت قبل صعود السطح

فوجدت بين يديه رجلا جالسا على كرسي فاقامه واجلسني مكانه ثم
قال لى قل يا لطيف فقلت يا لطيف فقال قل الطف بعبدك الضعيف
فقلت الطف بعبدك الضعيف فقال اعد فاعدت كذلك ثلاث مرات
واقامنى فاجتمعت فى خروجي ذلك ببعض ازقة تونس بسيدي محمد
شوشو رضى الله عنه فقال لى ايش رايت رقاك الشيخ اى والله شيخ
وانصرف عنى ولما كان الليل وانا نائم واذا بشئ نزل فوق سقف البيت
كالصخرة العظيمة فذعرت لذلك وقمت وانا اقول استغفر الله استغفر الله
ولما كان من الغد جئت الى الشيخ ولما وقفت بين يديه جعل يقول
استغفر الله استغفر الله فعرفت انه حكا ما كان منى ولما كانت الليلة المقبلة
قلت لاهلى افرشوا لى فى البيت الوسطى لا ارقد إلا فيها فرارا من البيت
الذى ذعرت فيه فى الليلة الاخرى ففعلوا ذلك ولما كان الليل وانا نائم
واذا بمن ضرب الحائط عند راسى ضربة عظيمة هالتنى فقمت مذعورا
ايضا ولما كان من الغد جئت الى الشيخ رضى الله عنه فلما رآنى جعل
يقول افرشوا لى فى البيت الوسطى يحكى لى ما كان منى لاهلى ثم قال لى
وقد عرفت مراده ايش رايت وبعد ان فرشوا لك فى البيت الوسطى
لحقك شئ او ما لحقك فاخذنى العجب من عظيم اطلاعه اولا وآخرا
رضى الله تعالى عنه ونفع به

يخشى الخيالات التى مولاه منها قد وقاه
ويخافها والشيخ فى تمكينه منها رقاه

* المنقبة المتممة السبعين بعد المائة *

عن الشيخ ابى علي منصور بن زيد خادم الشيخ رضى الله عنه قال ناولنى
الشيخ مرة كسرة من آجرة وقال لى اجعلها فى صندوقك تحتاج اليها وكنت
اسكن بالكراء فى دار بعيدة من زاويته الكريمة فاخذت تلك الكسرة وخبأتها
كما امرنى رضى الله عنه ولا علم لى بمراده ولما كان بعد اثنى عشر عاما

انتقلت

انتقلت الى دار مجاورة لزاويته رضى الله عنه واقمت اسكن فيها بالكراء ستة اعوام ثم ان مالكة الدار بعد وفاة الشيخ برد الله ثراه ارادت بيعها فصعب علي البعد من جوار الشيخ وزاويته فلم ازل احتال فى امرها لاجئا بهمتى الى الشيخ رضى الله عنه الى ان يسر الله علي الامر فى شرائها مع ابن اخ لى على وجه الشركة فكان الذى نابنى منها الثلث او ما هو قريب منه فعند ذلك عرفت مراد الشيخ فى اعطائه لى كسرة الآجرة المذكورة وقد اوقفنى عليها ورايتها واذا هى مقدار الثلث من الآجرة وهو النصيب الذى حصل له من الدار المشتراة وغالب ظنى انه لو اعطاه الآجرة كاملة كانت الدار له كاملة فكان بين مناولة الشيخ واشتراء الدار ثمانية عشر عاما رضى الله تعلى عنه ونفع به

ما الطف السر منه فى اشارته وقد جرت وفق تاييد العنايات
يشير بالامر يخفى عن مداركنا والقصد لا بد يوما ما وان يات

* المنقبة الحادية والسبعون بعد المائة *

عنه ايضا قال حدثنى الحاج ابو الحسن علي الطرابلسى الصباغ قال سافرنا فى قارب كبير من مرسى الحمامات احدى مراسى تونس الى الاسكندرية .. كان وقت صلاة الظهر من يوم سفرنا اصابتنا تغييرة عظيمة وهال علينا ر وتغيرت الريح وانكسر الصارى والقته الريح بقلاعه كما هو بالبحر تكسرت الدفة وبقينا قصعة فى وسط البحر والامواج تصعد بنا فى امثال الجبال وتنزل بنا فى مثل بطون الاودية ونحن ننتظر الموت فى خلال ذلك اذا بسيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه واقف على متن البحر وكانى فى مثل السنة او الاغماء وقد وضع يده المباركة على مقدم القارب وهو يقوده بنا فارتعت لذلك واخبرت اصحابى برويته وبشرتهم بالسلامة لروية الشيخ فبعد احد عشر يوما ونحن فى مرسى الاسكندرية سالمين آمنين وما اوصلنا اليها إلّا قدرة الله وبركة الشيخ رضى الله عنه

اما فى مثل هـــذا السر منه   لمن ولى عن الرشد ارعـــواء
ايرجو ان ينال عـــلاه نقص   ومن عين الكمال له ارتـــواء

* المنقبة الثانية والسبعون بعد المائة *

عنه ايضا قال ركب الشيخ رضى الله عنه فوق خشبة من خشب نوالته وجعل ينـــادى وهو عليها جالس ورجلاه فى الهواء يا صاحب البحر يا صاحب البحر هكذا ولا نعلم لذلك حقيقة وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وبعد ثلاثة ايام او اربعة وردت علينا طرائد النصارى وفيها خلق كثير من المسلمين قـــال فحدثنى من اثق به وكان عند الشيخ يوم عاشوراء وهو ينادى يا صاحب البحر قال حدثنى صهرى وكان فى الطرائد المذكورة قال هال علينا البحر يوم عاشوراء واصابنا من امر الله ما كاد يهلكنا فنحن كذلك واذا بسيدى احمد ابن عروس راكب فوق قرينة طريدتنا دون شك فيه منى ولا ارتياب فبنفس ان رايته سكن البحر وطابت الريح وسافرنا سفر السلامة قال فقلت له فى اى وقت كان ذلك من اليوم المذكور فقال فى وقت كذا منه وذكر الوقت الذى كان الشيخ عندنا فوق الخشبة ينادى يا صاحب البحر رضى الله عنه ونفعنا به واعاد علينا من بركاته

اين الذى ما زال يجنح للهوى   وهوانه ابدا حليف هـــواه
يصغى ليسمع مثل ذا من شيخنا   فلربما يرجو بذاك هـــداه

* المنقبة الثالثة والسبعون بعد المائة *

من الحاج ابى العباس احمد بن محمد عرف المنيار قال تحامل علىّ مرة بعض ولاة الامر فى اخذ دراهم منى لا وجه لها والح علىّ فى ذلك فلما رايت ان لا بد لى من دفعها وانا بصفة الفقر لجات الى الشيخ رضى الله تعالى عنه وقلت يا سيدى ما تنظر منى من جانب الله فقال لى والله ما ياخذ احد منك شيئا فسرنى ذلك وقلت له يا سيدى ما تنظر من الخلق وما

يجرى

يجرى عليهم من المظالم فقال لى رضي الله عنه يا ولدى لا تلمنى لى اليوم اربعة اشهر او خمسة وانا غائب الآن كما وردت فهالنى منه هذا الكلام وانصرفت فكان الامر والله كما قاله فى شان الدراهم المطلوبة منى ووالله ما اخذ منى درهما واحدا وحل الله تعلى عقدته وازال شدته ببركة الشيخ رضى الله تعلى عنه واعاد علينا من بركاته

ما حقق الفقر التجاء محبــــه لكماله الّا اغتدى منصــــورا
وحديثه عجب فحدث بالذى تهوى فليس كماله محصــــورا

* المنقبة الرابعة والسبعون بعد المائة *

عنه ايضا قال خرجت مرة الى رحبة الغنم اشترى منها شاة للاضحية فلما تراوضت مع صاحب الغنم فى ثمن الشاة قلت له الذى يشترى اليوم يودى المكس او لا قال لا علم لى اسال الامين فسالته فقال لى يودى فقلت اترك الشراء والله تعلى يحكم فيفعل فى باطنه هذا الكلام منى وضربنى بعصا ثم امر من معه فضربونى ضربا وجيعا وخلوا سبيلى ولما انصرفت عنه انسكبت مدامعى وقصدت سيدى سعيد الصفروى رحمة الله عليه وشكوت له مصابى فاطرق ساعة ثم قال لى طبيب ما يدخل على طبيب امش الى ابن عروس واذكر له مصابك فجئت الى الشيخ رضى الله عنه ووجدته فى شغل فكلمته فسكت عنى ثم كلمته فسكت عنى فقلت له عند ذلك هذا جزاء من يعرف سيدى احمد ابن عروس فنظر الى وقال لى بلا كثرة كلام نحن ضربناه على اصل اذنه قال فعن قريب اصابت الامين الذى ضربنى علة عظيمة اعيت مزاولتها الاطباء وعما قليل ادخلته المسكين قبره وظهر سر ضرب الشيخ رضى الله تعلى عنه

ما زال يصدع بالــــذى يخلى السروج العــــامره
ويغادر الدور الــــتى فيها الامانى دامــــره

* المنقبة الخامسة والسبعون بعد المائة *

عنه ايضا قال كانت جنية لازمتنى مدة طويلة ولى معها ومع الشيخ حديث

طويل عريض فقدر اني كنت نائما فى بعض الليالى واذا بالشيخ رضى الله عنه يقول لى اى شئ تذكر اى فى ورده فقلت اذكر لا اله الّا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فقال لى رضى الله عنه رايت من راى جبريل فى النوم وقال عليكم بالسجود ثم قال لى ان الله تعلى صرف عنك تلك الجنية فخذ فى يدك كاخة وامش تسعى هكذا ولما انتبهت من نومى تحيرت فى فهم كلامه ولم افهم من قوله لى امش تسعى الّا السعاية التى هى تسول الناس وساءنى ذلك فقدر انى سافرت حاجا فى تلك السنة وعند ذلك علمت ان المراد بتسعى السعى بين الصفا والمروة وكان كذلك والله ما رايت الجنية ولا راتنى من تلك الليلة ببركة الشيخ رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

الا قل للذى مـا زال يسمو بهمته الى طلب المعـالى
بمثل حديث هذا الشيخ فينا ينافس من ينافس او يغـالى

* المنقبة السادسة والسبعون بعد المائة *

عن الفقيه ابى عبد الله محمد بن سليمان النابلى قال حدثنى من اثق به من اصهارنا قال جئت الى الشيخ رضى الله عنه فى حاجة اهمتنى ولما كنت عنده فوق سطحه ازعج الواقفين بين يديه ضربا بالحجارة فتفرقوا يمينا وشمالا هاربين من صولته رضى الله عنه فلم ادر وعهدى بنفسى فوق السطح الّا وانا فى دهليس عظيم اطول ما يمكن فراعنى ذلك وادهشنى لعلمى بانى فى غير الزاوية اذ مثل ذلك الدهليس لا يمكن ان يكون فيها وادركنى من ذلك ما لا يعلمه الّا الله تعلى فانا كذلك واذا به رضى الله عنه قد اشرف علي وفى يده حجارة وهو على فم الدهليس وجعل يتهددنى بالضرب وانا من خوف البقاء هنالك اشد خوفا منى من ضربه فلما راى عزمى قال لى اطلع فقلت كيف اطلع يا سيدى فما شعرت الّا ويده عندى على طول الدهليس فامسكنى وشالنى فاذا بى فوق سطحه حيث كنت

فادهشني هذا المشهد منه وانصرفت وما عرفت لذلك حقيقة امر منه رضى الله عنه ونفع به

سر الولاية لا يقاس وانما يبدو لنا من نوره نبراس
وحديث هذا الشيخ فى احواله حفت به من سره حراس

* المنقبة السابعة والسبعون بعد المائة *

عنه ايضا قال اخذ لامراة بتونس يقال لها الفهمية ولدان اسيران بارض الكفر وضاق ذرعها المسكينة من ذلك فالجات الى الشيخ رضى الله تعلى عنه وجاءت تطلب بركته فى خلاص ولديها فقال لها رضى الله عنه وقد كلمته فى امرهما اليوم تحدثنا فى فديتهما وقاطعنا عليهما فانصرفت ولا حقيقة عندها من كلام الشيخ وبعد مدة جاءها كتاب من احد ولديها الاسيرين من ثغر الاسكندرية يعرفها فيه ان النصرانى الذى هما عنده كان عزم على بيعهما فى بعض جزر النصارى البعيدة وانهما كانا من ذلك فى كرب عظيم ولما كان ثانى يوم عاشوراء من سنة تاريخه سخره الله لنا وقاطعناه فى فدينا بعدد سماه وامسك عنده اخى وخرجت الى الاسكندرية برسم الخلاص ونحن من امرنا فى ذلك على طائل واول ركب ياتى فى البر ناتى معه ان شاء الله تعلى فنظرت الام المذكورة فى ذلك فاذا اليوم الذى اخبر ولدها عن وقوع حديث الفدية فيه هو اليوم الذى كانت هى عند الشيخ واخبرها فيه بما اخبرها عن ولديها وتحققت ذلك من غير شك منها فيه فاخذها عند ذلك العجب من اطلاعه رضى الله عنه

حدث بما شئت عن اخباره فالى عظيم مقداره تعزى الكرامات
وعد عن منكرى انوار سودده فانهم عند افراط الكرامات

* المنقبة الثامنة والسبعون بعد المائة *

عن ابى عبد الله محمد البلى قال وقع بينى وبين رجل خصام ومرافعة الى قاضى الجماعة وطال النزاع فيما بينى وبينه فى ذلك فتبعت القاضى يوما وكان

متوجها الى سانية له خارج البلد وقلت ياسيدى ما تنظر منى من جانب الله فقال لاعوانه من هذا الرجل فقالوا هو خصم فلان فواجهنى بالقول المنكر والسب الشنيع والرد العنيف فانصرفت عنه ورجعت باللائمة على نفسى وجئت الى الشيخ رضى الله عنه وانا ابكى فنظر الي وقال لا تبك زولناه زولناه مر مر هكذا قال فوالله ما بقى القاضى بعد ذلك الا عشرين يوما او نحوها وعزل وما كان احد يرى ذلك ولا يظن وقوعه لتصعب عزل قاضى الجماعة بحاضرة تونس وتابى ملوكهم عن ذلك لكن غلب سر الشيخ وتصريفه رضى الله تعلى عنه ونفع به

بتقوى الله والاخلاص فيهـــا   يعيش العبد فى شرف وانس
ويعزل من يشاء كمـــا يولى   ويمضى الحكم فى جن وانس

* المنقبة التاسعة والسبعون بعد المائة *

عن ابى عبد الله محمد القرنيشى قال اخذ لى بعض الظلمة مالا واعيتنى الحيلة فى استخلاصه منه وما قدرت على ذلك بوجه من الوجوه فكنت الجا فى سرى الى الشيخ رضى الله عنه ولا اجد فيه قابلية لمرادى ولما كان فى بعض الايام وضاق صدرى جئت اليه رضى الله عنه ووقفت فى السوق الذى تحت سطحه بحيث اقابله وقلت فى سرى يا سيدى هذا رجل ظالم اخذ مالى ولا قدرة لى عليه وانا محسوب عليك ومنتسب بحسن اعتقادى اليك فقال لى رضى الله عنه تكلم يا مسكين فلم اقدر على الكلام حياء منه وهيبة له فقال لى يا مسكين عصاتى بين عينيه فسرنى سماع هذا منه وانصرفت من فورى الى الظالم المذكور وكلمته فى دراهمى قال فوالله ما خرجت من عنده حتى اخذت جميع ما كان لى عليه وما بقى لى عنده درهم واحد ببركته رضى الله تعلى عنه ونفع به

لما مضى متطاولا فى اخــذه   ونصيحه فى رد ذلك عصـــاه
ابدى العناية شيخنا فى قصده   متصرفا فيه بذكر عصـــاه

* المنقبة المتممة الثمانين بعد المائة *

عنه ايضا قال هربت لنا امة وغابت عنا مدة طويلة بحيث غلب علينا اليأس منها فزرت يوما سيدى يونس ثم بعده سيدى محرز بن خلف رضى الله عنهما ثم جئت الى سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه ووقفت بالسوق الذى تحت سطحه وقلت فى سرى يا سيدى احمد هذه الامة اشغلت سرى وقد زرت فى هذه الساعة سيدى يونس وسيدى محرز بن خلف وجئت اليك فقال لى رضى الله عنه كانى كلمته جهارا تمشوا يمينا وشمالا تزوروا الاموات وانا الغول فهالنى ذلك منه وذهبت من فورى الى السوق واتيته بما يوكل ولما تناوله منى قال لى انصرف لحقك متاعك قال فانصرفت والله ما وصلت الى حانوتى وجلست بالارض إلّا ورجل وقف علي وقال هات البشارة خادمك وجدناها فقلت الله اكبر وجبرها الله تعلى علينا ببركة الشيخ رضى الله تعلى عنه

من فاته من شيخنا الحظ الذى   فات المكذب فارتقب افلاسه
واحكم عليه بانه فى غمـــــرة   سلبته ايدى جهله احلاســـه

* المنقبة الحادية والثمانون بعد المائة *

عنه ايضـا قـال كنت اتردد الى الشيخ رضى الله عنه فى امر سفر الحج واطلبه سرا فى ذلك فلا يوافقنى ولم ازل كذلك الى ان اذن لى مرة بالقول الصريح ففرحت بذلك واخذت فى اهبة السفر ولما عزمت جئت اليه ووقفت بين يديه وقلت فى سرى ولا والله مـا كلمته بكلمة يـا سيدى اريد منك فى هذا السفر حصول الحج وبقاء راس مالى محفوظا موفرا ونفقتى فى ربحه فنظر الي وقال لى رضى الله عنه لا والله ما نعمل لك هذا تحب الاثنين جميعا لا والله على حبيبى انفقت مالى فاتفق انى سافرت وكمل الله القصد من الحج واتمه الله لى ورجعت الى تونس ولا والله معى مما حملته درهم ولا دينار وكنت وطّنت النفس على ذلك منذ سمعت كلامه

ولكن فتح الله تعلى علينا من جهة اخرى بكل خير ببركته رضى الله تعلى عنه ونفع به

رای الدنیا وزخرفها محالا   فلم یرض المحال لمن احبه
وانفاق الفتى الاموال سعيا   الى خير الورى عين المحبه

* المنقبة الثانية والثمانون بعد المائة *

عن الشيخ ابى محمد عبد الله بن عبد الغيث بن عروس ولد اخى الشيخ رضى الله عنه وخليفته فى الزاوية قال حدثنى جماعة من اهل البادية الذين يحرثون للزاوية قالوا عرضت لنا ليلة حاجة الى اللحم لضيف ورد علينا فاخذنا شاة من الغنم واضجعناها للذبح واخذ الذى تولى الذبح السكين وجر عليها فما اسال من دمها قطرة ولا اجهز عليها فارتاب فى ذلك وتفقد السكين بالشحذ واعاد الذبح فما افاد شيئا فاتيناه بسكين اخرى ماضية القطع عندنا فما افادت شيئا فراعنا ذلك حينئذ واطلقنا تلك الشاة واخذنا اخرى فبنفس ان امر عليها السكين اجهز عليها وكاد يخرج بالراس ولما كان من الغد واجتمعنا جرى للجماعة حديث الشاة فقال الذى عنده غنم الزاوية ارونى تلك الشاة فاتوه بها فلما رآها قال هذه الشاة من غنم سيدى احمد ابن عروس فقالوا ما عرفناها فعند ذلك زالت الريبة وتحققنا ان ذلك من سر الشيخ وكان ذلك بعد وفاته رضى الله تعلى عنه وبرد ثراه

اذا كان سر الشيخ يمنع شاته   من الذبح حتى لا يراق لها دم
فكيف يخاف البخس فى ظل امنه   محب وما يبنيه لا يتهدم

* المنقبة الثالثة والثمانون بعد المائة *

عن ابى العباس احمد بن عمر السلمى عرف الجوهر وهو احد المحبين المعتقدين قال كان بينى وبين احد قواد الدولة الحفصية مصاهرة وكان تحت كرب من عدم الولاية واستمرار العزل فزار الشيخ رضى الله تعلى

عنه

عنه يوما وانا معه وعند ما جلس بين يديه قال له بعض قرابة الشيخ
يا سيدى هذا ضيف عليك اليوم وارد فانظر ما تضيفه به وجرى الكلام
له فى قيادة بلد العناب ثم ذكروا فى اثناء ذلك طرابلس وقيادتها وقالوا
للقائد المذكور تعطى فى قيادتها مائة دينار ذهبا وبيتك الذى عندك
لبيت كبير من الشعر عنده فقال نعم فسالوا ذلك له من الشيخ قال فنظر
الي رضى الله عنه وقال لى تضمنه انت فى ذلك فقلت له نعم فامر عند
ذلك احد خدمته ان ياتيه بركيزة من الخشب ولما اتوه بها امرهم ان
يرفعوا بها قنطرة عنده عظيمة فى خشب نوالته وقال عند ذلك للقائد
المذكور ما معناه اعطيناها لك قال فعن قريب اخذ طرابلس وتولى قيادتها
واتصل بى خبر ذلك وانا بتونس فاتيت الى الشيخ رضى الله عنه مستشيرا
فى امر اللحوق به وقلت يا سيدى ناخذ منه وعدتك فقال لى والله ما
يعطيك شيئا قال فاتفق انى التحقت به فى طرابلس وطلبته فى دراهم
الشيخ الموعودة له فلا والله ما اعطانى شيئا وعما قريب عزل عن ولايته
تلك وانصرف عنها وما ارى لعزله سببا الّا عدم الوفاء مع الشيخ رضى
الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

من لم يوف مع الشيوخ ولم يقف ... عند الذى رسموا له لا يثبت
والمزدرى بحديثهم كالمرتجى ... زرع السباخ وبذرها لا ينبت

* المنقبة الرابعة والثمانون بعد المائة *

عن الفقيه الكاتب ابى العباس احمد بن محمد بن الست الربعى قال
اصابنى مرض شديد فرايت الشيخ رضى الله عنه فى النوم وقد رقانى
بالفاتحة وهو يمسحنى بكفه فما كان الّا قليلا ومن الله تعلى بالعافية وفى
يوم خروجى من المرض اتيته رضى الله عنه ازوره ولما جلست بين يديه
بالسطح وهو يخيط ثوبا بيده الكريمة قالوا له ياسيدى هذا فلان خويدمك
ومحبك فقال لهم اين كنتم انتم وقت ان كنت معه وقت الحاجة يشير
الى ما كان منه لى رضى الله عنه وارضاه

لما اتاه وناقه المرضى لـــــه　حتى ينوله المزور جوائــــزه
ابدى له ما كان منه ليقتدى　ويد التهانى للعناية حائــزه

* المنقبة الخامسة والثمانون بعد المائة *

عنه ايضا قال بشرنى الشيخ رضى الله عنه بولدى محمد وهو فى بطن امه قبل ان يتزايد فقال يتزايد لكم مولود ذكر وتسعدوا به فكتبت كلامه رضى الله عنه وكان الامر كما قاله ولما زاره الولد المذكور مع اخيه ابى الحسن حين اردت ختانهما فرح بهما وقال اما هذا فهو متاعى وصاحبى واشار الى محمد الذى كان بشر به وهو فى بطن امه تنبيها على ما كان فى شانه منه رضى الله عنه

يا عز نسبته اليه بقولـــه　هذا متاعى ما اعز منالهــــا
لكن بسابقة اليه اضافــه　وعناية من سره قد نالهــــا

* المنقبة السادسة والثمانون بعد المائة *

عنه ايضا قال اتفق لى مع الشيخ رضى الله عنه قبل ان يموت بنحو الجمعة او اقل ان جاءنى رجل من اهل الصدق وقال لى انهم ارادوا عشرتك بفلان لرجل بينى وبينه منافرة عظيمة وشنآن فسالت بعض العارفين بامور المخزن العالمين بارباب الولاية عن ذلك وغرضى الوقوف على الحقيقة فقال لى الامر صحيح فاهمنى ذلك وجئت الى الشيخ رضى الله عنه ووقفت فى الشارع تحت توالته وكنت اهابه رضى الله عنه هيبة عظيمة تمنعنى من القرب منه وقلت فى سرى يا سيدى ومولاى انا خويدمك ومعتقدك ومحبك المحبة التامة التى لا يشوبها شئ وهم ارادوا عشرتى بمن لا اريد عشرته ولا قدرة لى عليه فاريد ان يظهر سرك المعلوم الذى لا شك عندى فيه فى عدم العشرة بهذا الرجل امـا ان يثبت وانصرف او اثبت وينصرف وان لم يكن هذا فمعرفتى برجال الدنيا ورجال الآخرة وخدمتهم سواء وما عند احد زيادة والحامل لى على هذا الكلام ما اجده من نفور النفس عن عشرة الرجل المشار اليه واستغفر الله من ذلك فاتفق ان تبدل

راى

راى الرجل وتغير اجتهاده بعد العزم الجازم وصرفه عنى مقلب القلوب فما عاشرنى ولا عاشرته وبقى كل منا على ما هو عليه بسر تصريف الشيخ رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

الملتجى للشيخ صدقا يرتجى   نيل الامانى مع الامانى الوافره
والمقتدى لا يقتدى بكريمة   ويد المحب بما يومل ظافره

* المنقبة السابعة والثمانون بعد المائة *

عنه ايضا قال لحقنى غبن عظيم ومرض نفس وقهر من بعض من كنت اعاشره من اهل الامارة فانا فى هذا الخاطر يوما واذا باحد خدمة الشيخ رضى الله عنه اتانى وقال لى جئت من عند الشيخ وهو يقول لك بامارة انك مغبون من الرجل الذى تعلم انا نصرفه عنك قبل ان يتم العام فكان الامر والله كما قاله رضى الله تعلى عنه ونفع به

ما زال يضحك باكيا ويغيث من   ضاقت عليه لما به ارجاؤه
فيعود والآمال طوع عنانه   وينال ما قد كان فيه رجاؤه

* المنقبة الثامنة والثمانون بعد المائة *

عن الشيخ ابى بكر اعرف ابو جوال خادم الشيخ رضى الله عنه قال حدثنى الصعيدى لرجل سماه قال اشتريت بمائتى دينار سلعة واردت السفر بها الى الاندلس فى مركب هنالك فقدر انى اجتمعت بسيدى محمد شوشو رضى الله تعلى عنه فقال لى عند ما سلمت عليه عزمت على السفر فقلت له نعم ان شاء الله فقال لى الاجر على الله ياخذك النصارى اسيرا فافجعنى ذلك منه وجئت الى سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه وشكوت له ذلك فقال لى وايش فى هذا البشماط عام ويفتح الله وتهربوا فقدر انى سافرت واخذت اسيرا فاشترانى بارض النصارى معلم فرن يعمل البشماط فاقمت عنده عاما اخدم فى عمل البشماط وعند تمام العام اطلعنى الله له على دراهم دفنها عنده فى الفرن فاخذتها له وهربت بها ولما وصلت الى

ارض الاسلام وجئت الى تونس وقفت على سيدى احمد ابن عروس رضى الله تعلى عنه فقال لى عند ما رآنى ضاعت لنا مائتان اخذنا فيها كذا وذكر العدد الذى اخذته للرومى من غير زيادة ولا نقصان كانه عده وفرج الله عنا وهربنا والحمد لله وما ذاك الّا ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

عن الشيخ حدث بما شئت من خوارقه فهو بحر محيـــــــط
ومن رام علما باسراره فقـــــد رام امرا به لا يحيـــــــط

* المنقبة التاسعة والثمانون بعد المائة *

عنه ايضا قال حدثنى الشريف فلان لرجل سماه قال كنت انا وصديق لى كثيرا ما نقع فى الشيخ سيدى احمد ابن عروس ونوذيه فاتفق انى اتيته يوما مع الصديق المذكور ولما وقفنا بين يديه قال رضى الله عنه لصاحبى بعد ان ذكر له كثيرا من الاشياء التى كنا نوذيه بها كانه معنا حاضر انت ما تموت الّا من دبرك ثم التفت الي وقال لى والله لولا عناية جدك لقطعت عنقك او ما هو قريب من هذا الكلام ولكن مرسلمت قال فاتفق ان سافر الصاحب المذكور الى بلاد القبلة فخرج دبره والعياذ بالله مقدار ذراع وما زال يتناثر شيئا فشيئا الى ان مات منه كما قال الشيخ رضى الله عنه واما انا فاخذت فى جريمة عظيمة اخرجت للسيف فيها اربع مرات فى كل مرة منها يامرهم السلطان بضرب عنقى فاذا اخرجونى لذلك يرجع على نفسه ويقول لمن معه من ارباب دولته والله ان هذا لعظيم شريف ويقتل بالسيف ويامرهم بردى الى الثقاف ولما كان آخر الامر سرحنى الله وسلمنى الله تعلى وكنت فى اثناء ذلك كله اتذكر كلام الشيخ وما تهددنى به ويطمعنى فى الخلاص قوله لى مرسلمت الى ان حقق الله تعلى طمعى فيه رضى الله تعلى عنه واعاد علينا من بركاته

اين الذى قد لج فى انكاره وغدا يلجج فى بحار عنـــاده

يبدى له ما كان يجهل علمه ويريه ما اوراه قرع زنـــاده

* المنقبة المتممة التسعين بعد المائة *

عن الحاج المتصوف الكامل ابي علي عمر بن محمد الجبالى قال كنت لا اعرف الشيخ سيدى احمد ابن عروس ولا يخطر حاله ببالى وانا عنه مصروف بالكلية بحيث لا اذكره ولا يذكرنى فاتفق انى حضرت يوما مع بعض من اخذت عنه بعض آداب سلوك القوم فى شهود جنازة فذكر بعضهم عندنا ان الشيخ امسك امراة وذكر عنه فى ذلك اشياء من تخريبه المعهود فاخذت فى اجراء الانكار عليه فى ذلك بظاهر العلم واخذ مرشدنا المذكور فى بسط العذر له فى ذلك وزوال ما فى النفس بذكر شيء من احاديث المخربين قال فكانى يقال لى فى سرى ونحن فى اثناء مراجعة الكلام لا بد لك من العقوبة على هذا الامر فصرفت ذلك عنى بانى متمسك فى كلامى بظاهر العلم ولما كان الليل واخذت انظر محل الدول التى احضر قراءتها بمجلس العلم احسست من نفسى فتورا زائدا وطال الامر بى فى ذلك الى ان تحققت السلب والعياذ بالله فكنت لذلك تحت امر لا يعلمه إلّا الله وستر الله تعلى على الناس امرى فنظرت فى علة ذلك وتفقدت امرى بالبحث عما عسى ان اكون احدثته من مقارفة ذنب يوجب ذلك فما عرفت من نفسى فى تلك المدة القريبة كلها ما يوجب السلب ولا يقتضيه وضاق صدرى لذلك ثم انى قلت هذا مرض عظيم من امراض الباطن يجب الرجوع فيه الى اهل الباطن ونظرت فيمن اتوسل به الى الله تعلى فى ذلك فما اجمعت إلّا على سيدى محرز بن خلف رضى الله عنه ونفع به لاجماع اهل الظاهر والباطن على ولايته ورسوخ قدمه وتمكينه فقصدت ضريحه الكريم لذلك وتوسلت به الى الله تعلى فى صرف ما اهمنى من مرضى ذلك فالقى الله فى نفسى عند ذلك ان علتى انما هى من سيدى احمد ابن عروس وتذكرت ما كان منى فى شانه فالتجات الى الله تعلى

بصادق التوبة من ذلك وصريح الانابة وعقدت مع الله تعلى عقدا لا
احله ما استطعت انى لا اتعرض للشيخ بوجه من الوجوه فوجدت بحمد
الله فى ذالك الوقت ما كنت سلبته وعلمت فى الفور ذلك منى وما خرجت
من هنالك حتى اقال الله عثرتى وجبر كسرى وشرح لما كنت اعلمه صدرى
وما زرت سيدى احمد ابن عروس ولا وقفت عليه ولا انقطعت بالبر
الكريم والاعتقاد الصميم اليه إلّا بعد ان رايته رضى الله عنه فى النوم وكانه
قد خرج من زاويته المباركة ومعه جماعة من اصحابه فاتيته لتقبيل
يده الكريمة فامسكنى وقال لاصحابه اى شهر هذا قالوا له المحرم فادخل
يده رضى الله عنه الى ظهرى وقال هذا المحرم قد نزعناه او قال ازلناه
وكانه اقتلع من ظهرى شيئا يشبه التالول فاصبحت وبظهرى لذلك
اثر بين كان القطع كان حقيقة ولم يكن فى عالم النوم فكنت من ذلك
اليوم اذا اخذت فى الذكر اجد من نفسى اشياء عظيمة هائلة وانتهى الامر
الى ان كنت اذا ذكرت الله تعلى يذكر معى كل شئ من الحجر والشجر
وما زال امرى كذلك الى انْ تحدثت بما كنت اجده من ذلك واخبرت
بما يقع لى منه فانقطع ذلك عنى وعند هذا الخارق العظيم انقطعت اليه
رضى الله عنه والقى الله تعلى فى قلبى من الهيبة له والتعظيم لقدره ما لا
اقدر على التعبير عنه وارجو الله تعلى ان يجعلنى ممن تحققت نسبته
الصادقة فى الدنيا والآخرة اليه رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

عفر مصون الشيب فى آثار من ... هذا الحديث كقطرة من بحره
احيى الزمان وجوده وبموته ... نزعت يد الاسوا قلادة نحره

* المنقبة الحادية والتسعون بعد المائة *

عن السيد الشريف ابى عبد الله محمد بن محمد بن قاسم الحرار وكان من
المنتسبين الى الشيخ رضى الله عنه المنقطعين الى منيع جنابه بالمحبة الصادقة
والاعتقاد الكريم قال زرت الشيخ رضى الله عنه يوما ومعى اخ لى فلما وقفنا

بين يديه الكريمتين جعل يتامل مني تارة ومن اخي تارة ثم يامرني بتقبيله فاذا قبلته يقول لي قل يارب حبب حلاوة هكذا فاقول ذلك ويقول لاخي قل يا رب هون علي يا رب هب لي رضاك وما زال يفعل ذلك بي وباخي مدة طويلة ثم امرنا بالانصراف فانصرفنا ولا علم لنا بمراده رضي الله عنه وبعد شهر من ذلك الموطن مرض الاخ المذكور وتوفي رحمة الله تعلى عليه وثبته الله تعلى الى ان مات وهو يلهج بكلمتي الشهادة تثبيت من امده الله بمدد همة هذا الشيخ وعند ذلك علمت مراد الشيخ وان امره لي بتقبيل الاخ المذكور انما كان توديعا له لما اطلعه الله تعلى عليه من ذلك رضي الله عنه واعاد علينا من بركاته

لما راى في الغيب شمس حياته   اخفى ظلام غروبها انوارها
عز المصاب وبالدعاء اختص من   فيه المنية انشبت اظفارها

* المنقبة الثانية والتسعون بعد المائة *

عنه ايضا قال وقع بيني وبين صهر لي ما اوجب مرض باطني واشغل سري من انواع اذايته لي وكنت من ذلك في امر لا يعلمه إلّا الله تعلى فالتجات الى الشيخ رضي الله عنه في امره وقد ضاق منه صدري وعيل صبري فلما وقفت بين يديه الكريمتين قال لي قبل ان اكلمه ما الذي بك فقلت يا سيدي الذي ثم تعرفه فقال لي رضي الله عنه الميت اذا مات الى اين يحمل فقلت له انت اعلم يا سيدي فقال لي انه قد انتفخت بطنه ومات فقلت في نفسي مستبعدا لذلك كيف هذا الموت والرجل ما به غاية وانصرفت فبعد عشرة ايام او نحوها من كلام الشيخ هذا اصاب الرجل مرض شديد اشرف به على الموت في الامد القريب ولما احتضر دخلت عليه فوجدته المسكين واعلى شيء فيه بطنه لانتفاخه وعن قريب مات من ذلك كما قال الشيخ رضي الله عنه واعاد علينا من بركاته

اخبار هذا الشيخ عن احوالنا   فيما يرى في الغيب لا يتخلف

وبمثل ذا من سره ما زال فى رفع الفتى او خفضه يتصرف

* المنقبة الثالثة والتسعون بعد المائة *

عنه ايضا قال كان لى اخ هو اعز الناس عندى واكرمهم علي واحبهم الي فاتفق ان مرض وبلغ به المرض الى حد الاياس فدخلت عليه يوما وهو يجود بنفسه ولاهلنا وقرابتنا لذلك ضجة عظيمة بالبكاء والعويل فلما رايته على حالة تلك لم اتمالك ان القيت عليه بنفسى لما اجده من حرقة فرقته وكنا قد حفرنا قبره لتحقق موته عندنا ولما لم اجد الى الصبر عنه سبيلا لجات الى الشيخ رضى الله تعلى عنه وانا تحت امر لا يعلمه إلّا الله فلما رآنى رمانى بحجر وزجرنى زجرا عنيفا ثم اشار الى مسحاة وقفة كانا عنده وقال لى احفر واشار الى تراب السطح فجعلت احتفر الى ان بلغت الخشب فقال لى عند ذلك كلما حفرت اردمه فردمت الحفرة التى حفرتها بترابها فقال لى وما عرفت من صنيعه هذا مرادا مرانا حلفت بالطلاق ما ياخذ لك احد المرة شيئا قل فانصرفت وقد داخلنى الطمع فى برء اخى لكلامه هذا ولكن ارى ذلك فى حيز المحال واتفق ان طال الحال بالاخ المذكور الى الليل وما زال يجود بنفسه ولما كان من الغد اصبح وكانه قد افاق من سكراته تلك وعن قريب عافاه الله تعلى وفرج عنه والله ما كنا نطمع فى ذلك ولا نرجوه وانما كان عندنا فى جملة الاموات وعند تحقق برءه وعافيته ردمنا القبر الذى كنا حفرناه له والى ذلك كانت اشارة الشيخ رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

اليس من السر العجيب وقى الفتى صروف الردى والاهل قد هيئوا الرمسا
واصبح بعد الياس فى سرب امنه وقد كان فى كف المنية قد امسى

* المنقبة الرابعة والتسعون بعد المائة *

عنه ايضا قال اصابتنى علة عظيمة ايقنت منها بالموت فالجات الى الشيخ رضى الله عنه وقد ضاق صدرى من ذلك وحملت اليه فى يدى مقطعا

للباسه

للباسه اخترته من مائة مقطع كانت عندى وقلت فى سرى هذا اعطيه للشيخ يلبسه عسى ان يكون فداءى فلما تناوله منى وضعه بين خشب النوالة فوق راسه وقال من اعطى يوفى له ثم اخذ شاشية كبيرة من ملف كانت على راسه ووضعها فوق ركبته وجعل يتفل فى يده الكريمة ويمسح بها على تلك الشاشية وهو ينظر الي فى اثناء ذلك ثم بعد زمن طويل انصرفت وتركته وهو يمسح على تلك الشاشية والله لقد وجدت الراحة من نفسى فى ساعتى تلك وانا عنده ومن يومئذ فرج الله تعلى عنى وعافانى ببركته رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

كم قد وقى ما يتقى من امه والصدق ان قصد المقام شفيع
ولكم فتى فى خفض حال قد اتى لم يغد إلّا والجناب رفيـــــع

* المنقبة الخامسة والتسعون بعد المائة *

عن ابى عبد الله محمد الاندلسى الغرناطى قال جئت من الاندلس الى تونس فى طرائد النصارى ومعنا فيها خلق كثير من المسلمين والنصارى فلما كنا قريبا من مرسى غار الملح القريبة من تونس اصابتنا تغبيرة عظيمة ردتنا عواصفها الى اقاصى وسط البحر والقت احدى طرائدنا الى جنوة اباد الله من بها من اعداء الدين وبقينا نحن من توالى الامطار وتراكم الامواج وهبوب عواصف الرياح تحت امر لا يعلمه إلّا الله تعلى وكلنا يرتقب الموت ويتحقق الهلاك وطال الامر علينا فى ذلك ستة ايام وست ليال ولا حيلة لاحد منا فى انقاذ نفسه ولا وسيلة لنا إلّا صدق اللجا الى الله تعلى ودوام الافتقار اليه والتوسل بصالحى عباده فلما كان بعد المغرب من آخر تلك الايام راينا فى تابوت طريدتنا شيخا حسن الوجه واللمة وبيده مصباح اشرف به علينا ففزع اليه كل من معنا من المسلمين والنصارى فكان من عرفه من المسلمين يقولون هذا سيدى احمد ابن عروس وجعلوا يتملقون بين يديه ويستغيثون به ولا يزيدون كلمة واحدة

ومصباحه في يده الكريمة لا يزيد ضوءه مع هبوب عواصف تلك الرياح وتتابع وابل المطر الّا وقودا وفي تلك الساعة سكنت الريح واقلع المطر وصرنا من بحرنا في مثل الجابية وغاب عنا رضى الله عنه حتى كانا ما رايناه قط ولما وصلنا الى تونس بعد يومين او ثلاثة ايام من روية الشيخ كانت رويته رضى الله عنه عندنا معاشر الغرباء اهم شيء نطلبه لمشاهدة هذا الخارق العظيم منه فلما وقفت بين يديه وما كنت رايته قبل ذلك اذا هو الشيخ الذى كنا رايناه في تابوت طريدتنا من غير شك فيه ولا ريبة ولما رآنا بصدد اذاعة ما رايناه من عظيم اسراره صرفنا عنه ضربا بالحجارة رضى الله تعلى عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

يا معرضا عرضت له في شيخنا شبه المريب فعرضته لحتفه
عد للرضا واسمع خوارقه التي نتلو وعارضك احترز من نتفه

* المنقبة السادسة والتسعون بعد المائة *

عن ابى علي عمر بن محمد الصافي وكان من المنقطعين الى الشيخ رضى الله تعلى عنه بالمحبة الصادقة والاعتقاد الكريم قال كنت يوما عند الشيخ رضى الله عنه ومعنا بعض اولاد القائد نبيل احد قواد الدولة الحفصية العثمانية وكان قد هرب من والده المذكور الى الشيخ واستعاذ منه بمقامه الكريم فامره رضى الله عنه ان ياتيه بفراشه الذى كان ينام عليه ايام اقامته عنده فامتثل امره في ذلك ثم امرهم رضى الله عنه بفرشه ثم بازالته ثم قال للولد المذكور يا ولدى ارفع فراشك صاحب الشيء اخذ متاعه ثم واجهني رضى الله عنه وقال لى قل . صوبت للواد نشرب . وطلعت من ثم ضامى . كلمت من ليس يفهم . اواه خسارة كلامى . ثم قال لى هولاء اخذوا وما زكوا ولا عشروا قال ففي اليوم الخامس من هذا الوطن اخذ الخليفة قائده المذكور واستولى على جميع اسبابه وانطوى بساطه كما قال رضى الله عنه وارضاه

اخباره عما يكون وما مضـى   شئ له قد صار وصفا لازما
فاذا سمعت اشارة فى مقصد   صن سرها و بصدقها كن جازما

* المنقبة السابعة والتسعون بعد المائة *

عنه ايضا قال زرت الشيخ رضى الله يوما وانا فى جهد جهيد من شئ خرج لى بين اليتى منعنى القيام والجلوس فلما كنت بين يديه وانا مضطجع على شقى لعظيم ما بى امرنى رضى الله عنه بالجلوس فقلت لا اقدر ثم اعاد علي فراودت نفسى على الجلوس فما استطعته فاتانى رضى الله عنه ووضع يديه الكريمتين على ركبتى معا واجلسنى متربعا فانفجر ذلك الشئ بما فيه من صديد وغيره ووجدت الراحة من نفسى والعافية فى ساعتى تلك ثم انه رضى الله عنه نظر الي وقال لى انا اخذت الكبش واضجعته وذبحته فانصرفت ولا علم لى بمراده فى ذلك الّا انى اخبرت بعض ملوك بنى حفص بمقالة الشيخ هذه ثم اتفق بعد الامد الطويل انى صحبت الخليفة فانا اسير يوما واذا بالامير الذى كنت اعلمته بكلام الشيخ رضى الله تعلى عنه فى حديث الكبش قال لى تذكر ما كنت حدثتنى عن الشيخ فى مسالة الكبش وذبحه فقلت له نعم فقال لى غالب ظنى ان الامير فلانا لاحد ملوك بنى حفص وقد كان خرج عن طاعة الخليفة وتحصن بجبال بجاية سياتيك اليوم راسه وهو كبش الشيخ فقلت الله اعلم وما لبثنا الّا ساعة من النهار واذا باهل محلتنا قد فزعوا الى شئ لا ادرى ما هو فكنت فى سرعانهم ولا علم لى هنالك الى ان اشرفت على راس الامير المذكور على سن رمح وقد جئ به الى الخليفة كذلك فوليت منصرفا الى اخبيتنا فانا فى اثناء طريقى واذا باشد الرجال قوة قد امسكنى من بين كتفى وهزنى مرارا ثم قال لى هذاك كبش سيدك هذاك كبش سيدك فراعنى ذلك وعرفت انه من سر الشيخ تحقيقا لما ترددت فيه من قوله رضى الله تعلى عنه وارضاه ونفع به

اسرار هذا الشيخ فى تصريفه عن دركها قد كلت الافهـام
وتحيرت فيها العقول وقصرت فكر وضلت عندها الاوهـام

* المنقبة الثامنة والتسعون بعد المائة *

كانت عندى فى ايام اقامتى بتونس زمن التاليف سمراء اصابها فى مراق البطن منها ورم عظيم وتحجر لها هنالك حتى منعها القيام والجلوس والنوم واعيتنا الحيلة فى معاناة ذلك وانتهى الامر بها الى حد كنت اود معه ان لو ماتت لكلفة تمريضها ولما ضاق منها فى بعض الايام صدرى اتيت الى الشيخ رضى الله تعلى عنه وارضاه وشكوت له ذلك فى سرى ثم كلمت بعض خدمته ان يكلم الشيخ فى ذلك فقال له ياسيدى هذا ولدك يشكو اليك حال المريض الذى عنده فقد ضاق صدره من معاناته فقال له رضى الله عنه هذا شئ متاع الموت هكذا بهذا اللفظ فثبت عندى لكلام الشيخ هذا مع ما اعلمه من شدة مرضها انها تموت من علتها تلك وقلت فى نفسى عسى ان يكون ذلك عن عجل فما لى على مقاساة معاناتها ومكابدة مرضها قدرة وتقدمت اليه رضى الله عنه وفى قلبى من خوف ذلك ما لا يعلمه الا الله تعلى وامرت من كلمه ايضا فى امرها فقال لى رضى الله عنه وقد واجهنى بخطابه رغ حتى يفتح الله فانصرفت ولا مناسبة عندى بين كلامه هذا وما خاطبناه عنه وبنفس ان وصلت الى منزلى دخل علي بعض من كان يخدمنى وقال لى ههنا اندلسى عارف بمعاناة هذه الاورام وقد كلمته فى امر هذه الخادم ووعدنى بالاتيان لروية ذلك فاسعفته فى ذلك وموتها هو المحقق عندى ولما جاء الطبيب وعاين منها ذلك قام من حينه فى صورة الآيس من برءها وعرفت ذلك منه ثم قال لى عند انصرافه هذا شئ لا يقدر احد على معاناته اليوم فقلت له وما تعرف من الادوية ما يسكن منها الوجع قليلا فقال كالمزدرى بذلك اذا كان ولا بد فخذ كذا وكذا لاشياء ذكرها واجعل منها ضمادا على

ذلك

ذلك الورم ففعلنا ذلك فى بقية يومنا ولما كان فى جوف الليل سكنت عما كنا نعهده منها ونامت فعجبت لذلك وتفقدت امرها مع بعض فضلاء الاصحاب كان عندى فوجدناها نائمة وقد انفجر ورمها بما فيه من المادة وجرى بالارض كانه الماء فهالنا ذلك ولما انتبهت لكلامنا قالت كل ما كان بى قد زال واصبحت فى خدمتنا من الغد كانما نشطت من عقال ولم يبق من ورمها سوى اثره وبعد ايام قلائل زال فقدر انى اجتمعت بالطبيب المذكور واخبرته بالواقع فهاله ذلك واخذه العجب منه لتحقق هلاكها عنده وعند هذا علمت ان مراد الشيخ فى قوله لى رغ حتى يفتح الله اى يفتح الله ذلك الورم ويخرج ما فيه كما وقع لنا بسره ويمن تصريفه رضى الله عنه

لى منه وعد صادق لا انثلى ارجو لكل ملمة انجـــــــازه
وبسره ارجو اندلاج دجنــــتى واذود عن حرمى الفتى ان جازه

* المنقبة التاسعة والتسعون بعد المائة *

لما طالت اقامتى بتونس المحروسة بعد سابق طول السفر بغيرها واتصل خبر ذلك باهل ودى ومن صفا لهم عن شوائب الاكدار وردى ادركهم لذلك وقد تدانت ما بيننا الديار وثناء العزم مساعفة لاقدار المزار ما يدرك المحب الصادق من التشوق للقاء حبيبه الصادق

فابرح ما يكون الشوق يومــا اذا دنت الديار من الديـــــار

انتدب للاتيان بى بمرافقة الرفاق من علا مجده السامى وفاق وهو شيخنا الذى امتع بكريم فوائده وصهرنا الذى امتع بكريم فرائده واتصل بى خبر قدومه علي وشد حيازم عزمه الي وكان لى بثغر طرابلس وعمالتها مطالب وامور يبعثنى تحصيلها على عدم اسعافه فى مراده منى وكبر ذلك علي غاية ولم ادر لحيرتى ما انا صانع فانى اذا اسعفته فى مراده منى تعرضت بذلك لاتلاف امورى واسباب لا يسهل على النفس تركها بوجه من الوجوه ابدا وان تناسيت بالوقوف مع مطلبى واجب حقوقه كنت

متعرضا لا محالة لعقوقه فقصدت الشيخ رضى الله تعلى عنه ورفعت بسرى اليه امر حيرتى هذه ومعى بعض فضلاء الاصحاب وقد كنت تفاوضت معه فى هذا الحديث فلما وقفنا بين يديه جعل رضى الله عنه يتابع النظر الي طويلا ثم قال لى ولا والله ما كلمته عن مرادى بكلمة مرما يجى شئ مرما يجى شئ هكذا بهذا اللفظ فراعنى اطلاعه رضى الله تعلى عنه على مكنون سرى وغائب امرى فانصرفت واتيان الصهر المذكور هو المحقق عندى لما استقر لدى من اخباره وبعد مدة اجتمعت بمن قدم من بلادنا وسالته عن احوالها وعمن قدم معه منها فقال خرجنا من بلدك فى رفقة عظيمة وخلق من اعيانها منهم فلان ومنهم فلان وعد الصهر المذكور ولما كنا بالموضع الفلانى لموضع بعده عن بلدنا مسيرة ثلاثة ايام اجتمعنا فيه بمن اخافنا والقى الرعب فى قلوبنا وذكر اشياء لا حقيقة لها ولا وجود للمحكى عنها فرجع المذكورون واقتحمت السفر وحدى لعدم ما اخاف عليه فقلت عند ذلك الله اكبر وعلمت حينئذ حقيقة قول الشيخ رضى الله تعلى عنه وان الرجوع انما كان بسر تصريفه رضى الله عنه ونفع به

لما تعارض فى القضية مـــانع ... مع مقتض واستعجمت افكارى
ابدى لها الشيخ المكين بسـره ... وجها فعرف صورة الانكــار

* المنقبة المتممة المائتين *

كنت يوما عند الشيخ رضى الله تعلى عنه واهل تونس يومئذ فى شدة عظيمة من تمالى اعراب افريقية على الخروج على الخليفة واتفاقهم جميعا على ذلك ودخولهم تحت عهدة ايمان تواثقوا بها وانتظمت كلمتهم فى زعمهم عليها وجعلوا سبب النفاق والبغى والشقاق اشياء طلبوها من السلطان ان هو وفى لهم بها كانوا على ما كان منهم له ولا حاصروا تونس وفعلوا من انواع الفساد ما قصر املهم دونه فكانوا لذلك فى جمع كبير وخلق كثير فانتدب لملاقاتهم وصدهم عما راموه امير المومنين وخرج اليهم فى محلته وارباب دولته

فلما دنا منهم واشرف بعساكره عليهم قدم اليهم من روسائهم من كان مهتضم
الجناب قبل ذلك عنده فاوسع لهم والحرب خدمة عطاياه الجزيلة ورفده
ونوى بذلك مناواة من ناواه وجعل المكر السيء فيهم حليف من نواه
وادنى منهم وقرب وقضى لهم مما طلبوه كل ارب واخذ منهم على ذلك
اولادهم رهائن فكان فيمن قدم معهم للحضرة العلية رجل اجتمعت به عند
الشيخ رضى الله تعلى عنه وقد جاء لزيارته فقال له رضى الله عنه بعد ان
بسط له بساط المباسطة ما اسمك فقال فلانا فقال له لا قل اسمى عبيد
فقال الاعرابى اسمى عبيد فقال له طبك صيد وجئت لتستاخر فاخذك
آخر هكذا بهذا اللفظ ثم سكت عنه ساعة وقال له هولاء الطيور الذين
تعلق بعضهم ببعض وقالوا ما يغلبنا احد اراهم ما جا من رايهم شيء فنكص
الاعرابى على قدميه لعلمه بان خطاب الشيخ مع العرب وضحك عليه
الحاضرون لذلك ثم انه رضى الله تعلى عنه نظر اليه وقال يامعين الحجاج
على مكة اعز السلطان واجعل فى رايه بركة يا معين الحجاج على الطريق
اعنه يا رب فى كل ضيق هكذا بهذا النص وما كان إلّا مدة يسيرة واذا
بالعرب البغاة على كثرتهم وقوتهم وكثرة اتباعهم وعساكرهم قد اتلفهم الله تعلى
وولوا الادبار هاربين وامير المومنين فى اعقابهم الى ان اشرفوا على الهلاك
دون كفاح ولا طعان وضاقت عليهم الارض بما رحبت فلم يجدوا ارحم بهم
ممن هربوا عنه فرجعوا الى السمع والطاعة تحت الكلمة القاهرة والسطوة
الظاهرة وامكن الله تعلى من عظائمهم فرجع بهم امير المومنين الى دار ملكه
وكلهم يرسب فى قيوده ويعض البنان ندما لما فاته من افول اقمار سعوده
وقد كنا نرى الشيخ رضى الله فى ايام هذه الواقعة فى مجاهدة عظيمة
وكفاح شديد اغنى سر تصريفه فيه عن القتل المبيد وما بان لنا سر ذلك
منه حتى عاد امير المومنين الى مقره وقد انعقدت بيمين اليمن جنوده وقرت
اعيننا بما نالته من الفتح المبين والنصر والتمكين جنوده رضى الله تعلى
عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

عن الشيخ حدث واستزد من حديثه   فما للذى نحكيه من سره حصـــر
واسراره العظمى بوشى طروسنـــا   تروق وفيهـــا الامن واليمن والنصر
وههنا انتهى بحمد الله من هذا الباب ما اردناه * وتم لنا منه بحول الله وقوته اثبات ما من المناقب اوردناه * وبتحصيل ذلك وتاصيله حصل ختم الديوان * وامتد على بسيط بسطة كماله ايوان * فالله الحمد على نعمه الوافره * واياديه المتظافرة المتوافره * وله الشكر على ما من به سبحانه من خدمة كمال هذا الشيخ وانعم * وخص به جل جلاله من تمام الفتح علينا بذلك وعم *

على ان تقصيرى وعجزى سودا   بياضا محيى مقصدى فهو حالك
وحسبى وان اخطات من حيث يرتجى   لى النجح ان الشيخ مولى ومالـــك

ولولا مصاحبة العناية السابقه * والمنة التى يدرك المسبوق بها سابقه * ما كنت فيمن نظمته فى هذا المسلك الحميد يد المواهب * ولا ممن سال فى التوفيق لذلك اكرم واهب * ومن انا لولا ذلك فى الحى حتى انسب * وفى العصابة المكافحة عن حرم حرم اولياء الله احسب *

لكن وان هدم القصور قصور ما   قد شيدته تطفلا امـــداح
فانا الذى بالفتح نلت مواهبا   ظفرت يداى بها عن المـــداح

ولو انهضنى العزم لذلك فى فصاحة سحبان وائل * وبلاغة المتاخرين الاوايل * واقدام عمر فى ذكاء اياس * لرجعت فى صولة كرى لما انتدبت اليه من ذلك عن ياس * لعزة مكانة مخدومى الكريم * وشمـــاخة قدره المرتد فى اردية التكريم * فكيف وقد عقل العجز عقلى بعقاله * وصدنى وصف تقصيرى عن افتكاك اعتقاله * فانا لذلك كلما تقدمت حسا تاخرت معنى * وكلما رايت انى برعت جئت بما لا يتمعنى * وكذا القصر الباع مثلى اذا اعرب اعجم * وان تعرب لسان تفاصحه استعجم *

ولكن حسبى انى رمت مطلبـــا   فتم بسر الشيخ لى منه ما رمت

وشمت بريقا لاندلاج دجنتى　فعاجل تنويرى بما منه قد شمت

على ان كل من تصفح بعين النقد اوراقه * وشاهد ارعاد مولفه فيه وابراقه * قد اعلن بما اعجبه من حسن ترتيبه وراقه * وقد صرح باستحسانه جمع من العلماء الاكابر * وصدعوا بما تصدع له قلب الحسود المكابر * بعد التامل الطويل فى تفاصيل ابوابه وفصوله * والكشف عما فى طى تفاريعه واصوله * وصورة ذلك ردا وقبولا نصب عين المشاهد * ولا داعى فى المدح الى الاغراق فالشاهد ما تشاهد * لكن رايت الميل الى الجزم بابداء صفحة العذر اولى * ولواهب الفتح والمواهب الحمد والشكر على ما اولى * ثم انى وان اعترفت بانغماسى فى مخاصة العجز الى المناكب * وعرفت ان نسجى لحلة التاليف اوهن من نسج العناكب * فلست اخاطب بذلك الّا فتى كثر فى موكب الانصاف خطابه * وحسن لحسن طويته فى الرد والقبول خطابه * فلا يفتح له النظر الاسد باب خلل الّا وسده * ولا تجمعه المناظرة بمتحامل الّا ورده انصافه على تحامله وصده * واما المتشدق الذى صار الحسد عنوانه * واثبت الجهل فى موكب العزهوانه * وخصوصا ان كان ممن ادبر عن مفاخر شيخنا واعرض * وتلقى باهر احواله الخارقة بالرد والانكار وتعرض *

فانى الى ما منه لى لست جانحا　ولست ابالى ابصر الرشد ام عم

وقولى له ان جانب القصد ذاهبا　الى حيث القت رحلها ام قشعم

وقد تم بفضل الله والحسن وشى طروسه * والفتح المبين ابتسام غروسه * ونيل الامل المبتغى عطر عروسه * واليمن والامن رقم سطوره * والسعد والتوفيق طراز مسطوره * والبركة حشو تجويف حروفه * والعناية المكتسبة امان من نكبات الدهر وصروفه * والادب الغض فى سرد نص علومه * والرياضة فى وقوف السالك منه مع معلومه * واعتقاد الصالحين فى طى منشوره * وكف اكف المعادين العادين فى ضمن منظومه ومنثوره * ومفاخر شيخنا الكامل اعلى مقاصده * واسنى ما عقدت به يمين اليمن

اعلام قاصده * ومناقبه الجليلة مراقى مراقبه * ومفاتيح الفتوح لطالعه ومراقبه * وحماية حمى ذاته الكريمة وصفه اللازم * ونعت شرفه الملازم *

ومن رام لا بالاذن اطفاء نوره فانى بسر الشيخ لا غرو قاصمه
وكل حليف للهوى رام هضمه فان لسان الحق عنه يخاصمه

وقد كنت لما اتيت على كتب حظ وافر منه ومقدار * سالت الشيخ رضى الله تعلى عنه ويحرك العزم لذلك سوابق الاقدار * فى اشياء قصدت بها نفع من وقف عليه * او انتهى بعد تطاول الازمنة اليه * جلبا لمسرة محصله وكاسبه * وقارئه ومستمعه وكاتبه * وهى ان كل من ذكر اسمه فيه فهو فى الدنيا والآخرة فى كفالة ضمانه * وتحت لواء حمايته المنيعة وامانه * وان من رمته يد الاقدار بما اعياه علاجه * او كان فى ظلام شدة ولم يعاجله انبلاجه * او لم تساعده المطالب * او اشجاه ما هو له طالب * او اثقل الدين ظهره * او قطع فى لبوس البوس دهره * او كان تحت قهر غلبة الرجال * او طلب نيل شهى آماله باسان الاستعجال * او انهك المرض جسمه * او دهاه ما لم يستطع حسمه * او طلب خلاص مسجونه * او هذا فى غمرات شجونه * او تعذر عليه افتكاك اسيره * او توجه راغبا فى تيسير عسيره * او اخلق الدهر لبوسه * او استدفع شدته وبوسه * او اثقلت كاهله اوزاره * او استلب منه بيد الفتك ازاره * كل هذه اذا التجا الى الله تعلى فيها بسر الشيخ وقراءة هذا الكتاب او شىء منه نال تمام مراده من الدفع والنفع * وادركه كما يجب وكفه فى قذال المنكر بالصفع * كل ذلك سمعناه من الشيخ رضى الله تعلى عنه عند الطلب صريحا * واجاب به قدس الله سره وقد سالناه فى ذلك تصريحا * إلّا ان بيننا فى ذلك واسطة يترجم * لقيام هيبته التى تخجل من خطابه وتلجم * فكان رضى الله تعلى عنه كلما سئل عن فصل يفصح بما يثلج الصدر فيه * ويتكلم بما يحصل الغرض المبتغى ويستوفيه * الى ان تكمل لنا الطلب * وتحصل المطلب * كانى انذرت فى تحصيل هذا

المرام

المرام بموته * واستعجلت حصول ذلك منه قبل فوته *

وما ذاك إلا الشيخ ايقظ للذى　ينيل كسير الخلق من سره جبرا

وحركنى بالسر سرا فجئته　لنفع عباد الله واستاقنى جبرا

فالله تعلى يحقق ذلك منه لسائله * ويجعله فى الدارين من اعظم وسائله * ويلحقه من ذلك بمرامه * ويدنى منه مطلبه ومرامه * وينفع به الكاتب والكاسب والطالع * ويطلع على الجميع اهلة الآمال من اسعد المطالع * ولما كل القلم والساعد * وقل منى على المطلوب المساعد * واستعجمت الفكر * ورائد الكسل قد كبر * قمت على قدم الاستعجال وانشدت * والى بعض احوال شيخنا الكامل وكتابه ارشدت *

الى مغنى الكرامة سل سبيلا　ترد عينا تسمى سلسبيلا

وطهر من شكوك الشرك قلبا　تحمل فى الهوى حملا ثقيلا

ودع عنك اغتنام اللهو واطلب　نجاتك واهجر الطرف الكحيلا

وعد عن الهوى ودع الهوينا　وقف بالباب منكسرا ذليلا

ولا تياس ولا تبأس ولازم　وقل مولاى جئتك مستقيلا

فصدرى ضاق من وزرى وانى　اتيتك مخبتا والصبر عيلا

وقد امسيت فى ميدان لهوى　بسيفى جنايتى العظمى قتيلا

وما اعددت شيئا ارتجيه　عدى التوحيد والظن الجميلا

وحب محمد خير البرايا　وسيدهم دبيرا او قبيلا

وازكاهم واكرمهم نجارا　واشرفهم اذا انتسبوا قبيلا

وعترته الكرام وكل شهم　بنصر الدين قد سلك السبيلا

وحب الصالحين اولى المزايا　فان لقدرهم شرفا اصيلا

وقد ظفرت يداى اليوم منهم　بشيخ احرز المجد الاثيلا

مكين القدر عالى الكعب شهم　انيل الجاه والعز الطويلا

تسامى وهو قطب الوقت فينا　فحاز المجد والقدر الجليلا

واصبح كل ذى امل عليه　بنيل القصد صدقا قد احيلا

وكم ذى مطلب تربت يداه بسر ابى الصرائر قد انيلا
فلذ بجنابه والزم حماه تجد بفنائه ظلا ظليلا
فان سماحه ما زال فينا يهئ للوفود به مقيلا
ونحو مقامه حث المطايا تجده بكل ما تهوى كفيلا
وصن عقد اعتقادك فيه عما يخالف شومه الداء الدخيلا
فبحر الشيخ فى الاحوال طام وليس لخوضه ابدا سبيلا
وفي وشي الطروس لنا اعتناء بما يشفى من الصدر الغليلا
ويبدى من كمال الشيخ وجها اغرا ازهرا طلقا جميلا
ويثلج صدر من عقدت ودادا يمين ولائه العقد الجميلا
ويصمى سهمه المصمى فوادا وداد الشيخ منه قد ازيلا
ويلقى من مهاوى الهون من لم يرعه سفاهة ما فيه قيلا
فلازم قرع باب الفتح منه وخذه مصنفا حسنا جميلا
وشت ايدى الفتوح به طروسا بساط الحسن منها قد اطيلا
ومدت فوق ذاك الوشي منه رواقا راق حسنا مستطيلا
وردت اعين العذال عنه وشامت للعدا سيفا صقيلا
فدونك رشد ما اودعت فيه تجده لكل قلب مستميلا
وقد اصلت مجد الشيخ فيما كتبت به ولم اهمل دليلا
ولم اترك علا يعليه الا سلكت بفخره السامى سبيلا
على انى وان ابذلت وسعى فلم اذكر سوى النزر القليلا
وحسبى اننى استعبدت فكرى لاحيى ذكره جيلا فجيلا
وقصدى يا مكين القدر انى انال بذلك الرفد الطويلا
وارفع بعد خفض الحال منى فكم واهى القوى وافاك شيلا
وانى لم ازل يا نجح قصدى بظل مقامك السامى نزيلا
وعهدى بالنزيل له ذمام لديك ولست بالزلفى بخيلا
وبعد ختامه المسكى انى سانشد والغريب نوى الرحيلا

على خير الانام وتابعيـــــه صلاة تكسب الشرف الاصيلا

اللهم انا نتوسل اليك بهذا الشيخ الذى نعتقد ولايته وتمكينه * ونعلم بما اظهرت لنا من سره عزيز منزلته المكينه * فامنن علينا من كرمك العميم بما انت له اهل * وخلصنا يا مالك نواصينا من اسر الهوى والجهل * وارحم بفضلك ضراعتنا وتملقنا بين يديك * واجبر بجودك انكسار قلوبنا لديك * وايدنا بمدد توفيقك ولطفك * وامدنا بعوارف حنانك وعطفك * وحل بيننا وبين معاصيك حتى لا نكتب فى العاصين * وجد علينا بواد القرب منك لئلا نحسب فى القاصيـــن * واشمل برحمتك ومغفرتك والدينا * وتلق بالرضا والرضوان من سلف منهم بين ايدينا * كما نسالك ذلك لمشايخنا الذين بهم نقتدى * وبسنا معارفهم فى ليل الجهالة نهتدى * فانك اوجبت علينا بر كل منهم وطاعته * ولم ترض لنا اهمال حقهم الواجب واضاعته * واختم لنا بخواتم اهل السعاده * واجعلنا من الذين لهم عندك الحسنى وزياده * واجبر بفضلك صدع قلوبنا * وتجاوز عن عظيم ذنوبنا * وتلقنا برضاك عنا يوم نلقاك * واجعل خير ايامنا واسعدها يوم لقاك * ودارك كل ذى امل منا بما يومله منك و يرجوه * يا من اليه توجهت عناية الجميع وعنت الوجوه * وصل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد سر الوجود * ومعدن الكرم العميم والجود * وعلى آله وصحبه الاكرمين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين



الحمد لله الذى ازاح عن اهل العناية بسر حفظه اصداء النفوس * وملا قلوبهم من سلسبيل معرفته بمترعات الكووس * حتى اشرقوا فى عالم الموجودات اشراق الشموس * وانقاد بزمام التسليم لباهر كراماتهم كل رئيس ومرءوس * والصلاة والسلام على سر الوجود واس الاسوس * وعلى آله وصحبه الذين طهرهم من شوائب النقص الملك القدوس * اما بعد فقد تم بعون الله طبع هذا الكتاب الموسوم بابتسام الغروس * ووشى الطروس * بمناقب الملبس من التجا اليه مطارف البشر بعد العبوس * الغوث الاشهر سيدى احمد ابن عروس * نفعنا الله باسراره * وغمسنا فى بحار انواره * وهو كتاب بركاته اظهر من الشمس فى رابعة النهار * جامعا لكثير من الحقائق العرفانيه * والعلوم الحقيقية الربانيه * وجواهر بواهر كرامات الاولياء الاخيار * متحليا بنظم يزرى بسلاف العنقود * وفرائد العقود * تتوج من علم البلاغة بسحر بيانه * وتحلى من البديع بقلائد عقيانه * واستخرج زلال معينه من عيونه * وتوخى انتخاب غرره وعيونه * فلا غروان جر ذيل اعجابه على ريط الوشى الصنيع * او جلس على صدر المقامات ليقبل راحة ابداعه روض الربيع * وكيف لا وهو سماء علم جادت بصوب الحكم * ووشى معارف حاكها سن القلم * وبحر الحقائق والآداب * وشفاء سقام النفوس وصيقل الالباب * وكان تمام طبعه * واكمال تمثيله ووضعه * فى شعبان الاكرم * عام ثلاثة وثلاثمائة والف من هجرته صلى الله عليه وسلم * وذلك بالمطبعة الرسميه * الزافلة فى حلل عز الدولة العلوية العليه * ذات المجد الباذخ * والنسب الشامخ *

نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

سيما واسطة عقده * وتاج شرفه ومجده * الساعى فى نشر المعارف والعلوم * كاهتمامه بطبع هذا الكتاب البديع وغيره من المهمات العلمية المشتهرة بين العموم * الا وهو مولانا الارفع * الملاذ الامنع * المحفوف بسر السور والآى سيدنا علي باشا باى * صاحب المملكة التونسيه * بلغه الله من خير

الدارين

الدارين كل امنيه *

لا زال سيدنا فى عز دولته   وظله دائيا ممن يواليه

آمين * وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين *

وقد قرضه الاديب الاكتب البارع الفاضل الشيخ عمر بن بوبكر * احد ادباء هذا القطر * بقصيدة رائقة المبانى . لطيفة المعانى . هذا نصها

سلم الحب ان تراك سليمى   سالكا سبل السلام سليما
حافظا للعهود طيا ونشرا   حافظا للهوى حليفا حليما
لا ترى فى الوجود نيلا كليلى   كى تكون الى نداها نديما
واءدم السلم فى محبة سلمى   انما الفوز ان تراك عديما
ان قيسا تصفح البيد قيسا   فى المحبة فاستقل سقيما
وجميلا غدا يروم جميلا   فتورم واستحال رميما
سل اهيل الغرام والوجد ممن   مارس الحب حادثا وقديما
كم لها فى ذرى الورى من اسير   صار فى شرك الرموس مقيما
ما التمست وصالهـا العذب إلّا   واستلمت نوى يحاكى سموما
اعجزت بالحاظها البتر هاروت   فاصبح فى الهضاب هضيما
نبذت بالعراء ستري لمبا   فضحت بالنهار ليلا بهيما
كلما كلم الغرام فوادى   عاد قلبى من الكلام كليما
صال نمرود شوقها فى ضميرى   فاذا البرد صار منه جحيما
خرقت بالجفا سفينة صبرى   فاقتطفت على العموم غموما
شربت من معين ميں حياة   كان بالمسك كاسها مختوما
روت الحسن عن فتى يوسفى   كان فى الحالثين بحرا طميما
تاجها وتاجها البدر والشمـ   ـر فكم ابرقت ورقت نسيما
ضحك الزهر عند طلعتها اذ   بكت السحب ثم طاب شميما
ايها الصب ان عرتك شجون   فابتسام الغروس يكفى نعيما

جمع الدر والجواهر فيـــه كاجتماع المها بدار سليمى
وعلا وجلى سنى وسمـــوا وغلا وحلى نسيما وسوما
باغ الجهد فى نصيحة من كا ن على الوعظ عازما وزعيما
البس الناظرين من غير لبس حلة وشيها يحاكى النجوما
بل بلى قمر السماء حيـــاء اذ راى الحسن فى الطروس رسيما
جاده الراشدى فينا ابو حفـ ـص غدا بالجزائرى وسيما
قابل الله سعيه بقبـــول اذ ازاح على النفوس غيوما
وتانق فى تنمق سعـــدى ثم نسق ثغرها المنظوما
فتنشق اخا المودة عرفـــا طاب نشرا وقد افاد عموما
واقترف واغترف بدون تـوان حسنا وسنى قويا قويما
واصرف العزم فى معانى ابى العبـ ـاس تلق نفائسا وعلوما
انه ابن عروس الغوث والغيـ ـث اما كان شامخا وعظيما
وحسيبا وفاضلا ونسيبـــا وحبيبا ومشفقا ورحيما
ونصيحا وصادقا وفصيحـــا ومليحا وكاملا وكريما
ان سالت عن خلقه وسجايـ ـاه فكم سر مرملا ويتيما
او سالت عن كفه فلكم احـ ـيى على الفور جاهدا وعديما
او سالت عن وجهه فكان الـ ـبدر قد تم بالبها تتميما
او على فمه فكان اذا مـــا نثر الدر والجواهر ميما
او سالت عن ثغره فكان الـ ـدر اصبح فى العقود نظيما
او سالت عن قده فكان الـ ـبان قد بان فى الرياض قويما
لا تلمنى اذا تهتكت فيـــه قد ارى اليوم من يلوم لئيما
فاتك العدل ان تفوه بعــذل ان حر الملام كان اليما
عجبا كيف لا تطيش نفـوس عشقت ذلك الجمال الوسيما
قل لمن سولت له نفسـه ان يصل البدر او يمس النجوما
سلم الامر فالمهيمن قــد كـ ـان بما قد قضى عليما حكيما

ان من حظه الوصال بلا هجـ ـر تراه من السلو سليمـــا
سبق القوم من تزود صدقـــا وغدا كاظما كفيلا كتومـــا
رب انى واليت سرا وجهـــرا كل من قد اتى وليا حميمـــا
وجعلت وسياق وامامـــــى فى الانام غوث الورى المكتوما
احمد ابن عروس الكنز والذخـ ـر لهول يذيب منا الجسومـــا
ورفعت براحتى راية الشكـ ـروكنت على الوفا مستديمـــا
وخضعت لسطوة الباذل الجهـ ـد ابى الحسن المجلى الهموما
غرة الدهر تاج تونس نبـــرا س العوالم وشيها المرقومـــا
خير ركن ببيت آل حسيـــن ملكا كان بالعصاة حليمـــا
جاء يرفل فى برود من العـــدل ويدرا خائنا وخصيمـــا
ايقظ النائمين حزما وعزمـــا واباد معنفا وظلومـــا
بره السيف اذ دعاه فكان السـ ـيف من وصمة العقوق عقيما
تحسب البدر ان تجلى تجلى وبنيه حول البطاح نجومـــا
ملك هذب المعانى وقد ابـــ ـدع فيها معارفا وعلومـــا
يسعى فى انتشار ذا المسك طبعا واخو الفضل لم يزل مستقيمـــا
ابد الله مجده وعـــــــلاه وحباه مدى الدهور نعيمـــا
ما سقى الصب صيب من سماء الـ وصل فاختال رافلا مستهيمـــا
وصلاة على الشفيع اذا صـــا ر القوى من الوقوف سقيما
محمد المصطفى الرفيع المعـــلى اطيب الانبيا شذا ونسيمـــا
مقالا وشيمة وفعـــــالا ووصالا وصولة وقدومـــا
وجمالا وبهجة وجـــــلالا ان تسلمه تجده برا رحيمـــا
عنبريا اضاء من وجهه البـــد ر ومن راحتيه احيى العديمـــا
وعلى الفور اذ دعا اهطل الغيـ ـث وقد عم بالوفا تعميمـــا
اعجز المادحين وصف سجايـــا ه فكل غدا صموتا كتومـــا
وعلى الآل والصحابة ما عبـــ ـد تلا ويسلموا تسليمـــا

قد توجهت نحوهم بافتقـــار كيف يهضم من يؤم كريمـــا
ورجوت الختـــام اذ قلت ارخ طاع من جاء بالبها مختوما

١٠٨٧ ٤١ ٥ ٩٠ ٨٠

١٣٠٣

